عمّار طالبي

آراء أبي بكر بن العربي الكلاميّة

الجزء الثاني



الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

آراء أبي بكر بن العربي الكلامية

© الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر
3 شارع زيروت يوسف ـ ص . ب 49 الجزائر

تصـــدير

يعتبر كتاب « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي (٤٦٨ – ٥٤٣هـ) من التراث الفلسفي النادر الذي اتسم بنزعة نقدية للفلسفة اليونانية وروحها الوثنية النظرية المجردة ، ويمكن القول بأن هذا الكتاب الأصيل في روحه وأسلوبه ، في مضمونه ، وفي شكله يرى النور في صورته الكاملة المحققة لأول مرّة ، إذ سبق أن نشره[1] شيخ النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ – ١٩٤٠) في جزئين معتمداً في ذلك على نسخة يتيمة مخطوطة بجامع الزيتونة ، ثم جاء الشيخ الأديب الصدر محب الدين الخطيب (١٩٧٠) فنشر[2] جزءاً صغيراً منه ، وهو مبحث الصحابة ، وحسب الناس أن ذلك هو كتاب « العواصم من القواصم » وبهذا الاعتبار يمكن أن

(١) قسنطينة ج ١ . في سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٧ م . وج ٢ . في سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٧ م .
(٢) القاهرة ١٣٧٥ (ط ٢) .

نقول أن هذه الرسالة الهامة مظلومة ظلمين الظلم الأول بترها والاقتصار منها على بحث واحد واعتباره هو الكل ، والظلم الثاني أن الشيخ محب الدين الخطيب لم يعتمد على أي مخطوط ، وإنما رجع إلى طبعة الشيخ الجليل عبد الحميد بن باديس ، وقدم وأخر بعض النصوص تبعاً لما رآه ، وتذوقه ، وإن لم يصب في ذلك المرمى ، والعجيب أن بعض المتخصصين حسبوا أن ذلك هو « العواصم من القواصم » مع أن محب الدين ذكر في مقدمته[1] أنه مبحث واحد من مباحث الكتاب المذكور ، أما هذه النشرة فقد اعتمدنا فيها على أربع مخطوطات ، التي فصلنا القول فيها في القسم الأول من هذا الكتاب ، وهو دراستنا لآراء أبي بكر بن العربي .

إن هذا الكتاب قطعة حيّة من الذكاء ، وصفحة ناصعة من صفحات حضارتنا في مجال الفكر ، وجمال الأسلوب العربي ، والبيان الأدبي والنظر العقلي الناقد الذي هو روح كلّ حضارة ، يكتب لها البقاء والحياة أبد الدهر .

ابن عكنون الجزائر في ٥ / محرم / ١٣٩٤
٢٩ / جانفي / ١٩٧٤

عمار طالبي الأستاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر
ورئيس قسم الفلسفة

---

(١) المقدمة ص ٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم و[1]صلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم[2]

قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد ، الحافظ ، العلامة الأمجد[3] ، أبو بكر بن العربي[4] ، رضي الله عنه[5] ، ورحمه[6] : الحمد لله رب العالمين . اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد[7] ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم ، وآل إبراهيم ، انك حميد مجيد . اللهم إنا نستدعي[8] من رضاك[9] المنحة ، كما نستدفع بك المحنة ، ونسألك

---

(١) ز : – و .
(٢) ب : وصلى الله على محمد وآله ، ز : – وسلم .
(٣) ب ، ج ، ز : قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الإمام .
(٤) ب : + محمد ، ج ، ز : + الحافظ .
(٥) ب ، ج ، ز :+ قال .
(٦) ب ، ج ، ز :– رحمه .
(٧) ج : – محمد .
(٨) ب : نستمد .
(٩) ب : بك ، ج ، ز : منك .

العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة ، ربنا لا تزغ قلوبنا ، بعد إذ هديتنا ، ويسّر لنا العمل [1] بما علّمتنا ، وأوزعنا شكر ما آتيتنا ، وانهج لنا سبيلا تهدي[2] إليك ، وافتح بيننا وبينك باباً[3] نفد منه عليك . فلك[4] مقاليد السموات والأرض . وأنت على كل شيء قدير .

أما بعد ، فان الله ببالغ حكمته ، وغالب قدرته ، وان كان واحداً في ذاته ، واحداً في صفاته ، واحداً في مخلوقاته ، فانه خلق الخلق نوعين ، وأبدع من كل زوجين اثنين ، لأن الوحدة له خالصة ، حقيقة وبيانا ، فتكون الاثنينية[5] عليه دليلاً وبرهاناً ، وفطر الآدمي ، فركب عليه وفيه ، الازدواج ابتلاء ، يختلف به الحال استفالا ، واعتلاء ، اشكالا [6] ، وجلاء ، نعمة ، وبلاء ، قبولا ، واباء[7] . ليرفعه[8] في عليين ، أو يقذفه في سجّين ، قال سبحانه : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين) (التين ٥) علّمه البيان ، بين منزلتي الدليل والعيان ، وجعل فيه حقائق (و ٢ أ) تشترك مع صفاته العلى ، وأسمائه الحسنى ، في الحد ، وينفرد[9] عنها بالتعالي والجد : ذلك ليستدل بها عليه ، ويرجع في تحصيل العرفان[10] إليه .

---

(١) ج ، ز : الحمد .

(٢) ب ، ج ، ز : يهدي .

(٣) ج : وافتح لنا باباً .

(٤) ب ، ج ، ز : لك .

(٥) ج : الاثنية .

(٦) ب ، ج ، ز : امتحالا ، وأثبت الشيخ ابن باديس في المتن كلمة « اختفاء » بدل « امتحالا » التي هي في متن المخطوط الذي اعتمد عليه .

(٧) ب ، ج ، ز :- قبولا ، واباء .

(٨) ج ، ز : يرفعه .

(٩) ب ، ج ، ز : وتنفرد .

(١٠) ج : الفرفان .

وخلق له الملك . والشيطان . وأخبر الصادق واسطته[1] وسطته . أن العبد بين لمتين[2] منهما يجتذبه[3] ، كل[4] واحد[5] إلى جهته ، ويحاول[6] وضعه في حصته ، وتحصيله في زمرته .

والرب قد أحكم العاقبة بحكمته . وأظهر هذا التدبير بقدرته . وأنشأ فيه العقل والهوى . وخلق له الضلالة والهدى . وشرح[7] له النجدين استدراجاً ليرد . وشرع له الدين منهاجاً ليقارب ويسدد . وجعل[8] على كل واحد من الطريقين علماً ، ونصب عليه منادياً . فمنهم من تعرف فأجاب وعرف . ومنهم من صدف فأبى وحرف . والخير والشر مقرونان في قرن[9] . والعقل والهوى معقودان في شطن[10] . والدليل والشبهة يتجاذبان[11] في ميدان واحد . ويتسابقان إلى عطن[12] . والتوفيق والخذلان يتباريان على سنن .

والعلم السابق . والكلام الأول[13] . والكتاب الثاني . يبرم أعلاقها . ويفتح

---

(١) بواسطته .

(٢) لمتين مثنى لمة ، وهي الشدة ، والشعر المجاوز شحمة الأذن والمراد به هنا الخاطرة .

(٣) ب : تجتذبه .

(٤) ج : وكل .

(٥) ب : واحدة .

(٦) ب : وتحاول .

(٧) د : وشرع .

(٨) ب ، ج ، ز : + له .

(٩) الحبل المفتول من لحاء الشجر .

(١٠) الحبل الطويل .

(١١) ب ، ج ، ز : يتحاربان ، وعلق ابن باديس في الهامش على ذلك بـ (أو يتجاريان) .

(١٢) مبرك الابل حول الحوض أو مريض الغنم .

(١٣) ج : – والكلام الأول .

أغلاقها . (ليهلك من هلك عن بينة . ويحيي من حي عن بينة . وان الله لسميع عليم) (الأنفال ٤٢) . يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وهو العزيز الحكيم . ومن أجل هذا ومن جراه . جرى كل أحد[١] من الخلق مجراه . وتباينت المدارك . في المناجي والمهالك . فلئن أضاء نهار الأدلة . لقد أغطش ليل الشبهات . ولئن اتضحت[٢] جادة التحقيق . لقد حفّت[٣] بها بنيات . حتى خفيت واضحة الطريق . فاهتدى فريق . وضل فريق وفريق[٤] .

و [٥] أعلام الحق وإن كانت قد خفقت . فقد انتشرت ألوية الباطل واستشرفت . والناس أتباع كل ناعق . (و ٣ أ) لا يفرقون بين السابق واللاحق . وأبناء ساعتهم . لا آباء[٦] عاقبتهم . أشفت عليهم القواصم السابقة . وحلّقت فوقهم العواصم المتلاحقة . فان أكبّوا على ما هم فيه هلكوا . وان لمحوا علوا . اعتلقوا النجاة وأدركوا . ولكل سابقة من القواصم لاحقة من العواصم .

ونحن بتأييد الله ومعونته . نرتقي في هذا المعراج . إلى التمييز بين هذا الازدواج . وتبين[٧] ما فيه من قواصم المكر والاستدراج . وعواصم الانفاذ والاخراج . بفضل الله ورحمته . وهدايته وعصمته . لا رب غيره[٨] .

ولو شاء الله سبحانه لجرد الدلالات عن الشبهات . ولم يقسم المعارف إلى الضروريات والنظريات . ولا خلق العبد مشحوناً بالشهوات . متقاعداً عن العبادات .

---

(١) ج : واحد .
(٢) ب ، ج ، ز : أو اتصحت .
(٣) ب ، ج ، ز : خفيت .
(٤) ب ، ج ، ز :— وفريق .
(٥) ج :— و .
(٦) ج ، د : أبناء .
(٧) ب ، ج ، ز : وبين .
(٨) ب ، ج ، ز : سواه .

مائلاً إلى الراحات . والكل[1] شاهد ودليل ، بفعل أو قيل . كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (الذاريات ٥٦) . وقال تعالى : (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (السجدة ١٣) . فتعارضت أسباب المقادير عليه ، مع توجه الوظائف إليه . وصار لا يدري على أي صدغيه[2] يقع ، ولا من أي جهة يستضر[3] أو ينتفع . ان أقامه الشرع إلى العبادة أقعدته الراحة . أو أراد العف[4] بالكف . جذبته[5] الاستباحة .

قاصمة : وصار بهذا الارتباك جملة عظيمة . في يد الاشتباك ، هاوين في دركات الهلاك ، وتقطعت بهم الأسباب أيادي سبأ في الضلالات ، وسلكوا من[6] الباطل في متاهات ، تعطيل من غير تحصيل ، وكيد سابق[7] في تضليل . التقى الكل في حيرة[8] النظر في أربعة مواقف .

---

(١) ج : ولكل .
(٢) ج : صاغية ، د : صرعيه ، ز : صاغبة .
(٣) ب ، ج ، ز : يستبصر .
(٤) د : العب .
(٥) د : جربته .
(٦) د : في .
(٧) ب : حائق . باجتهاد من الناشر الذي انطمست هذه الكلمة في نسخته .
(٨) د : على حرف – وعلق الناسخ في الهامش على ذلك بقوله : اعرف المواقف .



الموقف الأول

قالت طائفة : لا معلوم ولا مفهوم . وإنما المرء بوهة أو بوم[1] وما تشبثوا[2] به خيالات لا تحقيق لها . أي شيء يوثق به . له ثبات[3] . (و ٣ ب) وأنت ترى الظل يتحرك . وهو ساكن . والنبات ينمى وهو واقف . وتعاين الشمس في مساحة درقة . والقمر في قدر[4] المجن . والكواكب كهيئة الدنانير المنثورة ؟ وتقولون : ان خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وانه معلوم بالخبر والأدلة . ويقولون[5] ان الدنيا خيالات ، والحقائق في الآخرة . وان الناس نيام . فاذا ماتوا انتبهوا . وإذا كنت في نومك ترى أموراً . لا تشكّ[6] أنك[7] على رأس

---

(١) ج : برهة أو يوم ز : يوم . وعلق الناسخ على ذلك بقوله : لعله برهة أو يوم . والبوهة هو الصقر الذي سقط ريشه ويطلق على الرجل الاحمق أو الطائش ، وعلى ذكر البوم أيضاً (المحيط) .

(٢) د : وما تقيسون .

(٣) ب : لثباته .

(٤) ب : قيد .

(٥) ب : وتقولون .

(٦) ج : – لا تشك

(٧) د : أنها .

الحقائق فيها . فاذا جاءت اليقظة[1] ذهبت من يديك[2] ، وأفلت عنك ما كنت تظن أنك آخذ بناصيته ، قابض له بيد العرفان ، تقوده بغاية البيان ، فما يؤمنك أن تكون يقظتك كذلك ، وأنك الآن على ما أنت عليه ، من حقيقة في غير حقيقة ، وعلى عدم من البيان في البيان [3] .

عاصمة : قال ابن[4] العربي رضي الله عنه[5] وهذا[6] موقف أول لا تدخله[7] ليت ، ولا أختها لعلّ ، بل هو أحقر وأذل[8] ، قال لي أبو علي الحضرمي[9] ، بالثغر[10] ، حرسه الله ، وكتبه لي بخطه . ليس هذا مذهباً لأحد ، ولا مقالة لبشر ، وإنما قصدت الملحدة بذكر هذا التلاعب[11] . بالعالم ، لتسترسل العامة ، وهو محال في محال ، يسمى[12] بالعربية هوساً وهذياناً ، ويسمى[13] باليونانية سفسطة . يعنون خذلاناً ، وقال أبو حامد الغزالي : ان هذا الاشكال لا يتضح بالدليل ، وإنما[14] يروى منه الغليل ، ويشفي العليل ، ما يفيض من نفحات رحمة الله على

---

(١) د : الحقائق .
(٢) د : يدك .
(٣) ب : – وعلى عدم من البيان في البيان . وكتب على الهامش .
(٤) د : أبي .
(٥) د : – العربي رضي الله عنه .
(٦) ب ، ج : وهذا .
(٧) ب : يدخله .
(٨) ب : أحسن وأدل .
(٩) د : الحصري .
(١٠) ز : بياض بقدر كلمة ، ج : – الثغر .
(١١) ب : البلاغت . وكتب على هامش ز : (أصل : البلاغت) .
(١٢ - ١٣) ب : سمى .
(١٤) ز : وأما .

القلوب ، ويشرق عليها من نوره ، حتى إذا انشرحت الصدور ، وصقلت القلوب ، تجلت فيها [1] الحقائق ، مبادي وغايات ، وسوابق ولواحق ، قام الإمام الحافظ [2] : وهذه قاصمة أعظم من الأولى ، فانها صدرت عمن اشتهر في العلم ، وهذا [3] يحط عن المرتبة العليا [4] إلى السفلى ، ويخرج عن جملة [5] العقلاء ، (و ٤ أ) ولا ينجى منها [6] إلا أن تفهمو [7] .

عاصمة : ان هذه كلمات صدرت [8] على مناحي صوفية ، لأنها تعتقد أن المعقول فوق المحسوس ، وأنّا وان كنا ، في عالم الحس أبدانا ، فنحن في عالم العقل قلوب [9] والقلوب لا تزال تقطع بينها وبين الأبدان العلائق ، وتحسم القواطع [10] حتى لا يبقى [11] بينها وبين البدن علاقة ، ولا تزال [12] الروح كدرة [13] تترقى [14] من درجة إلى درجة في المعارف ، وتتطلع من برج إلى برج حتى تنتهي إلى حيث خرجت ، وترجع من حيث جاءت .

---

(١) ج ، ز : فيهما .

(٢) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٣) ب : وقد .

(٤) ب : العلى .

(٥) ج ، ز : وتخرج عن زمرة .

(٦) د : منه .

(٧) د : الاعاصمة أن تفهموا ، ج ، ز : يفهموا .

(٨) د : كلها تصدرت .

(٩) ب ، د : قلوبا .

(١٠) ب ، ج ، ز : المقاطع .

(١١) ب : تبقى .

(١٢) ب : ولا يزال .

(١٣) ب : بكدة . قراءة الناشر .

(١٤) ب : يترقى .

وهذا الكلام كله بناء منهم في الباطن[1] على عقائد اختيارية ، ركبوها بزعمهم على قواعد عقلية ، وأسكتوا[2] عنهم المعترضين ، وسكّتوا قلوب الشادين بما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، وهذا الحديث ليس له أصل في الدين ، ولا يدخل في منزلة من منازل السقيم ، فكيف الصحيح من المسلمين ، ولكنه جزء من خطبة عظم بها الخطب ، وصار بها الناس[3] ألباً على ألب[4] ، وقد كنت فاوضته في أمثالها ، وأشرت بلمحة من الامساك عن الحديث إلا ما صحّ على قدر منزلتي منه ، ويقول[5] لي : بضاعتي في الحديث مزجاة ، ولقد أخذ معي في الحديث[6] أبو بكر الفهري عند انكفائي من العراق ، فأعلمته بذلك من قوله ، فلم يعذره كما لم أعذره ، وليس يخفى على ذي لب ، يتوقف[7] ها هنا قليلاً بنفسه ، ولا يعجل بالحوقلة ، فقد امتلأت من هذا الكلام كل حوصلة ، وليتعرّض للدليل[8] . و[9] ان كان ليس بموضع دليل ، ولكن ها هنا نكتة بديعة استفدناها في « نزهة المناظر وتحفة[10] الخواطر » وهي أن الحقائق تارة تنكشف بالدليل ، إذا كانت[11] في[12] معرض[13] الاشكال ، وتارة تنكشف

---

(١) ب : لأمر الباطن .

(٢) ج ، ز : بياض في مكان «وأسكتوا» د : اسكتوا .

(٣) د : وصار الناس بها .

(٤) ج : ألفاً على ألف . يقال هم ألب عليه أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

(٥) ز : خرج على الهامش : أي الغزالي .

(٦) ب ، ج ، ز : في ذلك .

(٧) ز : عله : أن يتوقف .

(٨) ب : ولنتعرض ، ز : ولا يتعرض . وكتب في الهامش : (أصل : وليتعرض) .

(٩) ج : — و .

(١٠) د : تحف .

(١١) ج ، ز : كان .

(١٢) ب ، ج ، ز : — في .

(١٣) ب : — إذا كانت في معرض ، ج ، ز : يتعرض .

بالتفسير[1] ، إذا كان الاشكال في[2] وجه دلالة[3] الألفاظ ، على المعاني ، فان الشيء قد (و ٤ ب) يكسي غير حليته[4] ، فليبادر بكشف غريبه ، واتخذ هذا دستوراً في الجدال[5] ، إذا ناظرت ، وفي الاسترشاد ، إذا استرشدت[6] .

وبعد هذه المقدمة نقول : ان غلاة الصوفية ، ودعاة الباطنية ، يتشبهون بالمبتدعة في تعلقهم بمشتبهات الآيات والآثار على محكماتها ، فيخترعون أحاديث[7] أ[8]و تخترع لهم على قالب أغراضهم ، ينسبونها إلى النبي ، ويتعلقون[9] بها علينا ، فمنها حديث الناس نيام ، وليس بخبر ، وإنما هو مثل ضربه بعض الحكماء[10] ليظهروا بذلك[11] فضل الآخرة على الدنيا ، فأما أولاء[12] فإنما انتحوا[13] به إلى[14] أن ما في الآخرة ليس على حقائق ما في الدنيا ، وأن ما في الدنيا من أمر[15] الآخرة ، أسماء لا معاني ،

---

(١) ب ، ج : - بالتفسير ، ز : - بالتفسير ، وكتب على الهامش عله : بالتفسير .
(٢) ب : - إذا كان الاشكال في وجه . ج ، ز : - الاشكال في .
(٣) ج : الأدلة .
(٤) ب : يكسى غير حليته .
(٥) ب : - دستوراً في الجدال .
(٦) ب ، ج ، ز : أرشدت .
(٧) ج ، ز : أحاديثا .
(٨) ج ، ز : - أ .
(٩) ج : يتملقون .
(١٠) ب : الحكيم .
(١١) ب : - ليظهروا بذلك .
(١٢) ب : أولا .
(١٣) ب : - انتحوا .
(١٤) ب : على .
(١٥) ب : - أمر .

حتى نسبوا ذلك إلى ابن عباس ، والصدر[1] الأول ، ليرتبوا عليه أن أمور الآخرة إنما هي أسماء محضة[2] ، لا اشتراك بينها وبين معاني الدنيا في الوجود ، نسبتها إلى ما[3] في الدنيا ، نسبة البحر في المنام ، والأسد والحمار[4] ، والدواني الذي[5] يختم كتب الملك ، إلى الملك ، والشجاع وملك الموت ، والمؤذن قبل الفجر[6] في رمضان في الدنيا ، بل هذان[7] أقرب من ذينك ، ولهذه الأمثال والأخبار ، معاني صائبة ، وفي[8] منهج[9] التحقيق سائرة .

صفة الجنة :

وذلك أن البنية في الدنيا مبتدأة بترتيب وتوليد ، وهي[10] في الآخرة منشأة دفعة في كرة ، وهي في الدنيا تستحيل ، وفي الآخرة تثبت ، وفي الدنيا تفنى وفي الآخرة تدوم ، وفي الدنيا منحصرة ، وفي الآخرة لا تنحصر ، وفي الدنيا نافعة من وجه ، ضارة من آخر ، محمودة من نوع ، مذمومة من غيره ، محبوبة في

---

(١) ب : من الصدر .
(٢) ب : – محضة .
(٣) ب : لما .
(٤) ب : الجزار ، د : الجرار .
(٥) ب : – والدواني الذي . ج ، ز : والدواتي التي .
(٦) ب : – والمؤذن قبل .
(٧) د : هذا .
(٨) د : هي .
(٩) ج : مناهج .
(١٠) ب : – هي .

حال ، مكروهة في[1] أخرى ، وفي[2] الآخرة متحدة[3] كل صفة عن[4] مقابلتها ، وهكذا أبدا[5] حتى يكون الكل كاملاً ، صدر عن كامل ، لا نقص فيه[6] إلا عن (و ٥ أ) كمال وجب للإله الحق[7] من الأولية ، والتقدس عن الحدث ، وجواز تطرق الآفات والنقص ، لا سيما وقد علم بالدليل كل عاقل ، أن الدنيا حقيقة على ما هي عليه ، والآخرة حقيقة على ما هي عليه ، وليس ما يستغرب بينهما من التباين ، وهما مخلوقتان[8] بأغرب من التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات ، ولكل واحد من هذين القسمين الأعلى الأشرف ، والأسفل الأدنى ، حقائق ، وما[9] بينهما من التفاوت ، ولم[10] تبطل حقيقة الأكمل حقيقة الأنقص ، بل وجبت لكل واحد صفاته[11] .

تمثيل من دليل :

وقد أرسل الله الرسل إلى الخلق على اختلاف أطوارهم في أزمانهم ، فما قال

---

(١) ب : – في .

(٢) ب ، د : + هي .

(٣) ب : متجددة .

(٤) ب ، ج ، ز : على .

(٥) ب : – أبدا .

(٦) د : فيها .

(٧) ج : الحي .

(٨) د : مخلوقان .

(٩) في هذا التركيب اضطراب وقد اقترح الشيخ ابن باديس أن يكون التعبير هكذا : (ومع ما بينهما من التفاوت لم تبطل) .

(١٠) ب ، د : – و .

(١١) د : صفته .

أحد منهم : أنا في غير حقيقة ، وإنما[1] كانوا ينفون الحقائق عن أقوال[2] الرسل[3] في دعاويها التوسط ، وهم متفقون على اقرار الحقائق[4] في نصابها ، واتيانها من بابها ، وإنما قابلوا أدلة الرسل بالشبهات ، وجروا في ميدان النظر والدلالات ، فعاند من عاند ، وسدد من سدد .

توجيه :

ويحتمل أن يكون أبو حامد ، قد بنى هذا على مذهب الصوفية ، في أن العلم من ثمرات العمل ، وهو وان صح كان قلباً للقوس[5] ركوة[6] ، فليس في أول رتوة[7] ، وإنما يكون ذلك دعوى في النظريات ، أو في الزيادة على مقتضى الأدلة ، وربما شبهوا[8] في ذلك بقوله تعالى[9] : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (البقرة ٢٨٢). فأفاد هذا الظاهر أن العلم ثمرة التقوى التي هي أصل الأعمال ، وترجمة[10] جميعها أو كلها ، وأثروا[11] ذلك عن مالك رضي الله عنه[12] ، اسكاتاً[13] لنا ، واعتضاداً

---

(١) ب : ولا .

(٢) ج ، ز : أحوال .

(٣) ب ، ج ، ز : المرسل .

(٤) ج ، ز : الفائق .

(٥) ب : قلب القوس ، ج ، ز : فك القوس .

(٦) ب : – ركوة ، ج ، ز : رمون . يقال صارت القوس ركوة وهو مثل يضرب في الادبار وانقلاب حقائق الأشياء .

(٧) الرتوة : الخطوة ، والسويعة من الزمان والدعوة . ورتاه : شده ، وقواه وجذبه وأرخاه .

(٨) د : شببوا . ويبدو أن صوابه : تشبثوا .

(٩) ب ، ج ، ز : – تعالى .

(١٠) ب : و مزجه . وعلق على ذلك ابن باديس بقوله : لعل الأصل : ومرجعها .

(١١) د : وأثاروا .

(١٢) د : – رضي الله عنه . وهو امام دار الهجرة توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ .

(١٣) ج ، ز : اسكاتا .

بإمامته[1] علينا ، من قوله : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء ، قال القاضي أبو بكر[2] : وهذا مقطع شريف ليس من غرضهم في شيء (و٥ب) وإنما له حقيقة معلومة ، وهي أن العبد إذا واظب الطاعات ، ونبذ المعاصي ، لم يكن ذلك إلا باستمرار علمه ، واستدامة نيته ، فان العمل بالقصد ، والقصد يرتبط بالعلم فانهما أخوان ، فاذا دام العمل الصالح ، دل على دوام العلم ، وإذا علم ولم يعمل ، أوشك أن يذهب العلم ، ويكون نقصان العمل ، علامة على نقصان العلم أو ذهابه .

فان قيل : وكيف يذهب العلم بذهاب العمل ، والعلم أصل ، والعمل فرع عليه ، والفرع هو الذي يذهب بذهاب الأصل ؟ قلت[3] : عنه[4] جوابان ، أحدهما : أنا نمثل[5] لكم ما يحققه ، فنقول : انك ترى الغصن في الشجرة الناضرة ذابلاً ، فتستدل به على نقصان مادة الأصل ، التي كانت تمده[6] بالري ، ولولا نضوب المادة ، وهي الأصل من الأصل لما ذوي الغصن[7] ، في الشجرة الناضرة ، فكان ذهاب الفرع لذهاب الأصل ، وعلامة عليه .

الثاني وهو التحقيق ، أن التقوى والعلم جميعاً ، من جملة الأعمال ، وكلاهما من الأعمال القلبية ، وتنفرد التقوى بقسم منها ، و[8]هو من عمل الجوارح ، وهي

---

(١) ب ، ج ، ز : لامامته ، وعلق الشيخ ابن باديس عليه بقوله : لعل الأصل : بامامته .

(٢) د : قال أبي .

(٣) ج ، د ، ز : قلنا .

(٤) د : عن هذا .

(٥) ج : نمثله .

(٦) ب : عنده .

(٧) ج ، ز : القص .

(٨) د : — و .

مأخوذة من الوقاية ، وهي الحجاب الموضوع ، دون المكروه ، فاذا اتقيت الله بقلبك أولاً كما يجب ، كان ذلك تعليماً منه لك ، بوضع الحجب التي تقيك عذابه ، ووقاية العلم به للعذاب ، قبل وقاية العمل له للعذاب ، فاذا نقص العمل ، كان لنقصان العلم ضرورة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[1] أخبر به ، أنه لا يقدم على الزنا إلا بعد فوات جزء من العلم وقد بيناه في « قانون التأويل » ، و « شرح الصحيحين »[2] ، وورد في[3] الحديث الصحيح : (تعرض[4] الفتن على القلوب ، كالحصير[5] عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها ، نكتت فيه نكتة سوداء فيصير أسود (و ٦ أ) مرباداً[6] كالكوز ، مجخياً[7] ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر إلا ما أشرب من هواه[8] ، وهذا تنبيه بالغ ، ونص فيما أردناه للخصم دافع .

مزيد تحقيق :

ولا ينكر أحد[9] من الإسلاميين ، لا من الفقهاء ، ولا من المتكلمين ، أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه .

(٢) ز : كتب على الهامش : تأليفان لابن العربي .

(٣) ب : — في .

(٤) ج : بعرض .

(٥) ب : كالحصن .

(٦) تربد : تغير ، وتغيم ، وتعبس ، والمربد من كان ذا سواد وبياض . والربدة لون يميل إلى الغبرة .

(٧) ج ، ز : مجخبا ، د : طمس ، كالكوز مجخبا . ويقال الجخب للأجوف المنهوك ويقال للاحمق وللثقيل اللحيم جخابه .

(٨) د : مربات والنقل .

(٩) د : قفه على ما هار .

صفاء القلب وطهارته ، مقصود شرعي إنما[1] المستنكر[2] أن[3] صفاءه[4] يوجب تجلي العلوم فيه بذاته ، إذ هو مقابل له في أصل الخلقة ، وإنما الحق أن القلب بمداومة الطاعات ، والفكرة[5] في ملكوت الأرض والسموات ، يكون ذلك من ادامة المعرفة علماً على النجاة ، ويكون عمارة للبدن بالطاعات ، وقد قام الدليل العقلي على أن العلم هو[6] من العمل قبل العمل ، وكذلك[7] قام الدليل الشرعي ، وشهدت له التجربة ، على أنه (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر ٢٨) ، وكل من علم أن ملكوت الله في أرضه وسمائه الذي فيها بدنه ، وجملة ، من مخلوقاته ، لم يصرفه إلا في طاعته ، فان قصر فبفوات علمهم[8] بما قصر فيه ، وعما قصر عنه ، وعما قصر به ، وهذا كاف في الغرض .

تكملة :

فنرجع إلى المراجعة مع القول الأول ، للقوم الأول ، فنقول لهم : هذا التشكيك والخيلان[9] ألا تردونه إلى الشهوات في البطن ، والفرج ، والمعاش ، في قوام آلات الحياة ، فتدخلون فيها التشكيك ، وتردون إليها الخيال والاختبال ، ولا يكون عندكم فيها فرق بين النظر والاهمال ، ولا بين الحلو والمر ، والمستقذر والمستحب[10]

---

(١) ج ، ز : وانما .
(٢) ج ، ز : المنكر . وكتب على هامش ز : أصل : المستنكر .
(٣) ب ، ج ، ز : – أن .
(٤) ب ، ج ، ز : صفاء .
(٥) ج ، ز : الفكر .
(٦) د : وهو .
(٧) د : فكذلك .
(٨) ب ، ج ، ز : عمله . وعلق الشيخ ابن باديس عليه بقوله : لعله : علمه .
(٩) ج ، ز : الخيالات . والخيلان يراد به هنا الظن ، خيل عليه اتهمه ، وفيه تفرس الخير .
(١٠) ب ، ج ، ز : المستخبث . وفي هامش ز : عله : والمستطاب .

فان لم ينقادوا إليه نبذناهم في يمّ الاعتراض[1] ، ان لم يكن بنا قدرة على القيام فيهم بالواجب والانتهاض .

فان قيل قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما[2] سئل عن شرح الصدر ، قال : (هو نور يقذفه الله في القلوب ، قيل له : وما علامته ؟ قال : التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار (و ٦ ب) الخلود ، والاستعداد للموت)[3] ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق من ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره ، فليركب عليهما ، قلنا : هذان حديثان موضوعان لا أصل لهما ، يا ليتك لم تصل عليه ، ولم[4] تنسب الكذب إليه[5] ، وما أنت في ذلك إلا كمن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد كان كذا وهو كاذب ، فيا ليته لم يعظمه ولم يكذب فيما يقرن بتعظيمه من حديث .

أما أن الحديث الأول له معنى صحيح في الدين ، فان هجر الدنيا يدل على خلو القلب من حبها ، وأما الحديث الثاني ففاسد المعنى[6] لا أثر له في الشريعة ، ولا مبنى ، ونعوذ بالله من الغرور ، والغرور ، إنما خلق الإنسان من طين ثم نفخ[7] فيه من روحه ، والذي يعقل هو الطين باقران الروح ، فان قيل : فقد قال الله سبحانه[8] : (وغرتهم الحياة الدنيا) (الأنعام ٧٠) فان كان لها حقيقة ، فليس

---

(١) د : الاعراض .
(٢) ب ، د : — لما .
(٣) ب ، ج ، ز : — والاستعداد للموت .
(٤) ب ، د ، ز : ثم .
(٥) ب : عليه . وعلق الشيخ ابن باديس على ذلك بقوله : لعله : إليه .
(٦) ج : — المعنى .
(٧) د : + الله .
(٨) د : تعالى .

فيها غرور ، قلنا : وليس عندكم قول ولا رب ولا دليل ، ولا اعتراض ، فما لكم تدخلون داراً لستم مقرين بأنكم فيها ، ثم تطمعون أن تتصرفوا في منافعها ، لا تمكنون من ذلك انصرفوا صاغرين وانقلبوا[1] خاسئين[2] .

فان قيل أيها المرشد ان قال المسترشد هذا[3] : أخرجت من الدار من ليس منها ، فما الجواب عن هذا السؤال[4] لمن هم من أهلها ؟ قلنا له[5] : الدنيا حقيقة بذاتها ، غرارة بمآلها ، فانها موجودة[6] حقيقة ، فانية حقيقة ، منقضية حقيقة ، فهي إذا نظرها القاصر[7] ، المغلوب بالشهوات ، المنهمك في اللذات ، ركن[8] إليها غروراً ، وإذا نظرها العالم بفنائها ، وأنها طريق لا مأوى اتخذها لذلك مسلكاً ، فنال من بغيته دركاً على ما بيناه آنفاً .

فان قيل : أنكرتم الحديث المنور[9] ، والشريعة مملوءة منه ؟ قلنا (و ٧ أ) : نحن لم ننكر إلا على تركيب ألفاظ عربية أو شرعية ، على معان صابئة[10] ، ونسبتها إلى النبي وهذا هو الكذب متعمداً[11] ، ولا سيما إذا أفرغت على قالب ، تبنى عليه

(١) ج : – وانقلبوا .
(٢) د : خائبين .
(٣) ج : – هذا .
(٤) ب : – السؤال .
(٥) ب : – له .
(٦) ج ، ز : موجود .
(٧) ب : + السؤال .
(٨) ز : زكن .
(٩) د : احاديث النور . وفي هامش ز : أصل : احاديث النور .
(١٠) ج : صايبة .
(١١) ب : معتمداً ، ج : تعمدا .

أغراض مقصودة في نحل[1] معروفة ، فأما تنوير القلوب فهذا أمر شرعي .

قد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، في مظان الاجابة ، من آخر الليل ، وعند الخلوة على ما روي في الصحيح ، أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه حينئذ : اللهم اجعل[2] في قلبي نوراً ، وفي نفسي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي شعري نوراً ، وفي بشري نوراً ، وفي مخي نوراً ، وفي عظمي نوراً ، وفي لحمي نوراً ، وفي[3] يميني نوراً ، وفي[4] يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، وفي قبري نوراً ، وعند لقائك نوراً ، وعلى الصراط نوراً ، واجعلني نوراً ، واجعل لي نوراً ، واعطني نوراً ، وأعظم لي نوراً .

فهذه ثلاثة وعشرون منها في صحيح مسلم سبع عشرة دعوة ، والباقي صحت من طرق سواه[5] ، والخير كله نور ، والشر كله ظلمة ، حقيقة لا مجازاً ، وأخصه[6] أن العلم نور ، والجهل ظلمة ، والسرور نور ، والغم ظلمة ، والحديث الذي ذكرتم[7] رواه الترمذي[8] عن عبد الله بن عمرو[9] أن الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم

---

(١) ب ، ج ، ز : محل .
(٢) د : – اجعل وصحح في الهامش .
(٣) ج ، د : عن .
(٤) د : عن و .
(٥) ب : – سواه .
(٦) ب : وأخصـ
(٧) ب : ذكرتموه .
(٨) أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ أحد أئمة الحديث وتلميذ البخاري ، توفي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ بقرية بوع بترمذ وله كتاب السنن أو الجامع والعلل .
(٩) ج ، ز : عمر : عبد الله بن عمرو بن العاص توفي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ وكان ديناً صالحاً . وكان يلوم أباه على القيام في الفتنة (الذهبي . العبر ، ١/٧٢) .

من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل ، فلذلك[1] أقول : جف القلم على علم الله .

وهذا الحديث حسن الاسناد ، لم يبلغ درجة الصحة ولكن يشهد له ظاهر القرآن ، لقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً (النحل ٧٨) ، فالمراد بالحديث أنه خلقهم في ظلمة ، لا من ظلمة ، المعنى خلقهم جهالاً ، وضرب للجهل مثلاً الظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فاستنار به من هداه ، وهو عبارة عن العلم الذي يخلقه الله لمن يشاء (و ٧ ب) والقبول الذي يهبه[2] لمن يريد[3] .

تخييل :

قالوا : ليس عندنا معنى يوثق به ، إذ الحس خائن ، ألا ترى أنك لو أخذت قبساً من نار ، ثم حركته بسرعة ، حركة مستقيمة على وضع الخط المستقيم ، لرأيته خطاً مستقيماً ، ولو حركته دورية لصار كرة ، وقد تأتي[4] بالحركة على صفة ، تكون قوساً من دائرة ، فتراه[5] تختلف عليه المرائي ، وهو[6] نقطة واحدة ، ولو كانت له حقيقة ثابتة ، لما اختلف[7] باختلاف الطوارئ ، على الذات من خارج .
قلنا : هذا ايراد للحقائق[8] بأنها خيالات ، وبيانه أن القبس الذي ذكروه ، له

---

(١) ج : فبذلك .
(٢) د : + الله .
(٣) د : أراد .
(٤) ج ، ز : ناتى .
(٥) ب : – فتراه ، ج ، ز : فتارة .
(٦) د : وهي .
(٧) د : اختلفت .
(٨) د : + باسم .

حقيقة مشاهدة ، وله إذا سكن صورة ، وإذا تحرك صورة ، فتختلف عليه الصور بالحركات ، والسكون ، وحقيقته واحدة ، وهذه حقيقة الحقيقة ، ألا ترى أن الإنسان له حقيقة ، وتختلف [١] عليه الصور ، فتارة يكون ناطقاً ، وساكتاً ، وقائماً ، وقاعداً ، إلى غير ذلك من حالاته ، وتصرفاته ، ولا تتغير [٢] له حقيقة ، باختلافها عليه ، بل له حقيقة دائمة أبداً [٣] ، لا تتغير [٤] ولهذه الصفات حقائق في ذواتها [٥] ، على تغيرها [٦] ، معلومة محققة ، وكل بذاته متحيز ، وفي سبيل العرفان سائر ، وكذلك الأجسام كلها [٧] ، والعالم بأسره .

---

(١) د : فتختلف .
(٢) جـ : تتقي .
(٣) د : أبدا . وكتب على الهامش .
(٤) جـ : تتقي .
(٥) د : ذاتها .
(٦) ب ، جـ ، ز : تغييرها .
(٧) جـ : كلها .

الموقف الثاني

ذهبت طائفة إلى تحقيق العلوم في مواقعها ، واعترفت بتعلقها بمعلوماتها ، ولكنها ذهبت إلى أن الأدلة ، وان كانت تفيدها ، وتقتضيها ، ولكن رحمة الله ولطفه ، إذا فاض على العبد جاءه به من العرفان ما يستغرق مقتضى الأدلة ، من البيان ، وهذا نحو مما تقدم ، ولكن تعلقت به طائفة جليلة ، كالحارث بن أسد المحاسبي [1] أولاً ، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن [2] القشيري [3] ثانياً ، وبين الرجلين (و ٨ أ) طوائف [4] لا يحصون كثرة ، من مشهور ومذكور ، وهذان

---

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي زاهد بصري ومات ببغداد . له مؤلفات في الزهد والأصول وأشهرها كتاب الرعاية ، كرهه الإمام أحمد لنظره في علم الكلام وخوضه فيه توفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ (ابن خلكان ، ٣٤٨/١) .

(٢) د : هوازان .

(٣) القشيري متكلم أشعري ، وفقيه شافعي جمع بين التصوف والاصول والفقه أخذ عن أبي بكر بن فورك وأبي اسحاق الاسفراييني ، وعن الحسين بن علي الدقاق المتصوف توفي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ بمدينة نيسابور (ابن خلكان ٣٧٥/٢٢) .

(٤) د : + و .

العالمان سلكا ، طريقاً متوسطة[1] بين الغلو والتقصير ، ونجمت في آثارهما[2] أمم ، انتسبت إلى الصوفية[3] ، وكان منها من غلا وطفف ، وكاد الشريعة وحرّف ، وقالوا كما تقدم لا ينال العلم إلا بطهارة النفس ، وتزكية القلب ، وقطع العلائق بينه وبين البدن[4] ، وحسم مواد أسباب الدنيا ، من الجاه والمال ، والخلطة بالجنس ، والاقبال على الله بالكلية ، علماً دائماً ، وعملاً مستمراً ، حتى تنكشف له الغيوب ، فيرى الملائكة ، ويسمع أقوالها[5] ، ويطلع على أرواح الأنبياء ، ويسمع كلامهم وهذا[6] ووراء هذا غلو ينتهي إلى القول بمشاهدة الله[7] ، يدخلونه في باب الكرامات ، إذ[8] كان من المجوزات .

قاصمة :

ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالي ، حين لقائي له بمدينة[9] السلام ، في جمادى الآخرة سنة تسعين وأربعمائة ، وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية ، من سنة ست وثمانين ، إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام ، وتجرد لها ، واصطحب مع العزلة ، ونبذ كل فرقة ، فتفرغ لي بسبب بيناه في كتاب ترتيب الرحلة ، فقرأت عليه جملة من كتبه ، وسمعت كتابه الذي سماه بالإحياء[10] لعلوم

---

(١) د : متوسطاً .
(٢) د : أثناء زمانهما .
(٣) د : التصوف .
(٤) د : البذر أو البزر .
(٥) ب ، ج ، ز : أقوالا .
(٦) د : – وهذا .
(٧) ج ، ز : + تعالى .
(٨) ج : إذا .
(٩) ب : بمدرسة .
(١٠) ب ، ج ، ز : الاحياء .

الدين ، فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته ، المستكشف عن طريقه ، لأقف من سر[1] تلك الرموز ، التي أومأ إليها في كتبه ، على موقف تام المعرفة ، وطفق يجاوبني ، مجاوبة الناهج لطريق التسديد ، للمريد ، لعظيم مرتبته ، وسمو منزلته ، وما ثبت له في النفوس من تكرمته ، فقال لي من لفظه ، وكتبه لي بخطه : ان القلب إذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس ، وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق ، وهذه أمور لا تدرك إلا بالتجربة لها عند (و ٨ ب) أربابها ، بالكون معهم والصحبة لهم ، ويرشد إليه طريق من النظر وهو أن القلب جوهر صقيل ، مستعد لتجلي المعلومات فيه ، عند مقابلتها عرياً عن الحجب كالمرآة في ترائي المحسوسات ، عند زوال الحجب ، من صدا لائط ، أو ستر من ثوب أو حائط ، لكنه بتراكم الآفات عليه[2] ، يصدأ حتى لا يتجلى[3] فيه شيء ، أو يتجلى[4] معلوم دون معلوم ، بحسب مواراة الحجاب له ، من ازورار ، أو كثافة ، أو شفف ، فيتخيل[5] فيها مخيلة ، غير متجلية ، كأنه ينظر من وراء شف[6] ، ألا ترى إلى[7] النائم إذا أفلت[8] قلبه من يد الحواس ، وانفك من أسرها ، كيف تتجلى[9] له الحقائق ،

---

(١) ب : منتهى .
(٢) ج : – عليه .
(٣.٤) ب ، ج ، ز : ينجلي .
(٥) ب ، ج ، ز : فتتخيل .
(٦) ز : كتب على الهامش : قلت : هذا كله من حجة الإسلام رضي الله عنه تمثيل للامور المعنوية ، من أحوال القلب ، الناشئة عن التصرفات الإلهية ، فيه بالخير والشر ، فكأنه مرآة تعتورها الصداءة بارتكاب المعاصي والمخالفات نارة ، ويعتورها الجلاء والصقالة بالتقوى والطاعات تارة أخرى ، وليس مراده بالصدأ والصقالة المحسوسين ، وإنما مراده تقريب هاته المعاني للافهام والسلام .
(٧) ج : أن .
(٨) ج ، ز : فلت .
(٩) ج : يتجلى .

تارة بعينها ، وأخرى بمثالها . قال لي : وقد تقوى النفس ، ويصفو القلب حتى يؤثر في العوالم ، فان للنفس قوة تأثيرية موجدة[1] ، ولكن كما قلنا ، ما يتوارد عليها من شعوب البدن ، وعلائق الشهوات ، يحول بينها وبين تأثيرها ، حتى لا يبقى لها تأثير إلا في محلها ، وهو البدن خاصة[2] ، كالرجل يمشي في الأرض على عرض شبر ، ولو علا جداراً مرتفعاً ، عرضه ذراع ، ما استطاع أن يبسط خطاه عليه فانه[3] يتوهم سقوطه عنه ، فاذا استشعرت ذلك النفس[4] واستقرت عليه ، انفعل[5] البدن لها ، وسقط مسرعاً ، وقد تقوى على أكثر من ذلك ، فيكون تأثيرها في غير محلها من جنسها ، كما ينظر الرائي إلى جسم حسن ، فيقع في قلبه استحسانه ، فاذا نطق بذلك عليه ، تأثر بذلك الجسم فليط[6] به ، أو هلك في ذاته ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (ان العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر)[7] وقد تزيد[8] قوتها بصفائها[9] واستعدادها ، فتعتقد انزال الغيث ، وانبات

---

(١) ب ، ج ، ز : موجودة .
(٢) ز : كتب على الهامش : وهذا كله منوط بتلك اللطيفة الربانية ، المودعة في جرم القلب ، لأجل التعقل الموهوب ، بفضل الله إلى نوع الإنسان ، وأن هذه التقوى المودعة في حواسه الظاهرة ، والباطنية لا يعلم حقيقتها سوى الله خالقها وباريها ، وليس للمرء من معرفتها سوى ما يحس به ، ويدركه من آثارها والله أعلم .
(٣) ب : – فانه .
(٤) د : + صحة .
(٥) ج : انفصل .
(٦) أي تعلق ، لاط الشيء بقلبه يلوط ، ويليط ، لوطا ، وليطاً حبب إليه ، والصق ، ولاط فلاناً بسهم أو عين أصابه به (القاموس المحيط) .
(٧) لم نقف له على ترجمة .
(٨) د : تتزيد .
(٩) ب : بصفاتها ، وعلق على ذلك ابن باديس بقوله : أو بصفائها .

النبات ، ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادات ، فاذا نطقت به كان على نحوه ، وهذه نفوس الأنبياء ، وهي الآيات التي تأيدت بها أحوالهم .

(و ٩ أ) **عاصمة** :

قال القاضي أبو بكر[١] رضي الله عنه[٢] : فلما وعيت هذا سماعاً ، وكتابة عنه ، وقراءة ، رجعت إليه متأملاً بصادق البصيرة ، وعرضته على قواعد النظر ، في المعقول والمنقول ، ونظرت في أفراده ، ثم جمعه[٣] ، فرأيت أنه لا يخفى على ناظر ، أن النفس موجودة ، والبدن موجود ، والروح والنفس[٤] والقلب والحياة ، ألفاظ واردة في الشرع ، منطلقة في لسان العرب ، على معان قد عرفوها ، إذ لا يصح أن يخاطبوا بما لم يفهموا ولا[٥] أن يعبروا بما[٦] لم يعلموا ، وهي بينة عند الطوائف كلها ، عاقلوها ومتشرعوها .

فأما البدن فمحسوس ، وأما القلب فمشاهد في بعض الأحوال ولكن عند التعطل من عمله ، وعند الانفصال عن محله ، وأما الروح فمعقولة ، وأما النفس ، فاختلفوا ، فمنهم من جعلها الدم ، فتكون جسماً محسوساً ، ومنهم من جعلها معقولة بمنزلة الروح ، وحين دارت هذه الألفاظ على ألسنة الأنبياء والحكماء المتلقين[٧] عنهم ، دارت على رسم التوارد ، فقد يعبّر بالروح عن القلب ، والنفس ، وعن

---

(١) د : قال أبي .
(٢) ب ، ج ، ز : — رضي الله عنه .
(٣) د : جمعته ، ب : علق ابن باديس عليه بقوله : أو جمعته .
(٤) د : — والنفس .
(٥) د : — ولا .
(٦) د : عما
(٧) ب ، ز : المتلقفين ، ج : المتلقيين .

القلب بهما وعن النفس بالروح ، وعن الروح والحياة بهما ، وقد يتعدى بهذه الألفاظ إلى غير العقلاء ، بل إلى غير الأحياء ، فتجعل في كل شيء ، فيقال لكل شيء قلب ، ونفس ، وروح ، وحياة ، استعارة ، فمن لم يعقل وجه الاستعمال تاه[1] في مجاهل لا عمارة بعدها ، ومن أراد أن يلبس[2] بها وجد مجالاً مشكلاً للتلبيس ، لكثرة الاستعمال .

والمعلوم في الجملة أنه[3] خلق آخر غير البدن ، كما قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين[4] ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن (و ٩ ب) الخالقين) (المؤمنون ١٤) . فبيّن أن الجسم خلق ، والذي وراءه[5] خلق آخر ، مجاور له ، مغاير ، وأنت ترى في الجملة أن للبدن صفات ، هي القدرة ، والعلم ، والكلام ، والإرادة ، والحياة ، والسمع والبصر ، فهذه الصفات السبع ، هي عماد التقدير ، والتفكير[6] ، والايجاد والتصرف ، وليس يمكن أن يقال في الحياة ، أكثر من أنها صفة بها يستعد المحل لقبول الصفات الست[7] وهي الروح ، وهي النفس ، وأرادت طائفة التشغيب ، أن تفرد الروح ببيان ، وتخصه بنوع من البرهان ، حتى انتهى بهم القول ، إلى أن يقولوا : وما الإنسان ؟ .

---

(١) ج : تارة .
(٢) ب ، ج ، ز : يلتبس . وعلق ابن باديس عليه بقوله : لعله يلبس .
(٣) ز : كتب على الهامش : أي الروح .
(٤) ج : – من طين .
(٥) ب ، ج ، ز : فيه .
(٦) ج ، ز : التفكر .
(٧) د : – الست .

لقد أخبرني أبو سعيد الزنجاني بالمسجد الأقصى طهره الله . عن الأستاذ أبي المظفر شاهفور[1] . أن أعرابياً دخل البصرة . فرأى حلقة المتكلمين . فقصد إليها فظن أنها حلقة ذكر . فوجدهم يتكلمون في حقيقة الإنسان . وقد كان عند نفسه معلوماً ، فلما رأى أهل تلك الحلقة ، قد أدخلوه[2] في مبادأة[3] من يريد[4] ، وأكثروا فيه من المراجعة والترديد ، قام وهو ينشد :

ان كنت أدري فعلـيّ بدنـه   من كثرة التخليط في من أنه

واحتاج شيخ السنة . وصاحبه[5] لسان الأمة . ومن دارت عليه من طبقاتهم الملة ، وأعيان السنة الجلّة إلى[6] أن يعقدوا[7] في ذلك أبواباً ، ويجمعوه[8] كتاباً ، فأحسنوا عن الحق مناباً[9] . فان الملحدة أدخلت هذه الألفاظ في باب الاشكال . تشغيباً وتلبيساً . والأمر فيها بشهادة الله قريب جداً .

فان قيل : كيف تقرب البعيد . الذي شهد الله ببعده ، ولم يجعل لأحد فيه سبيلا ، من بعده ، فقال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الاسراء ٨٥) ؟ قلنا قد (و ١٠ أ) تكلمنا على هذه الآية في « أنوار الفجر » ، و « شرح الصحيحين » ، بما لبابه . أن أحداً من

---

(١) طاهر بن محمد الاسفراييني صاحب كتاب التبصير في الدين (٤٧١ / ١٠٨٠) وهو أشعري الاعتقاد شافعي المذهب (طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٧٥) .
(٢) ب ، ج ، ز : ادخلوا .
(٣) د : مناداة .
(٤) ب : بديد أو بريد .
(٥) ج ، ز : صاحبيه .
(٦) ب ، ج ، ز : – إلى .
(٧) ج ، ز : يقيدوا .
(٨) ب : + في ذلك .
(٩) ج ، ز : نقابا .

المسلمين لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح[1] لعلمهم بها ، وذكرهم لها ، في كتابه الذي جاء به إليهم ، وما كان ليأتيهم بمجهول ، ولو جاء به ، ما قبله الأعراب[2] منه ، وقد كانوا يترصدون وجهاً من الطعن[3] ، فكيف إذا وجدوه يأتي بما لا يعلم ، ويتكلم بما لا يفهم ، وإنما جاءت اليهود بعنادها ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عنها بطنة[4] وعادة ، لم تزل تتظاهر بفسادها ، مقصدها أن يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم[5] : هي كذا ، فيراجعونه فيه ، ويجادلونه عليها ، فأمره الله أن يردعهم[6] عنها صيانة له عن تشغيبهم ، بما لا يعلمونه ، ولا يفتقرون إليه . ولا يحتاجونه[7] حتى قالت[8] جماعة[9] : انه كان من وصفه في التوراة ، أنه لا يجيب عن هذا السؤال ، وهذا وان لم يرد في الصحيح لم يبعد[10] ، لأنه من صفات العقلاء ، فكيف بالأنبياء ، أن لا يتكلموا في فضول[11] ، ولا يخوضوا في غير تحصيل ، ولا يجوز هذا مع من يقصد التشغيب ، والتضليل ، وأنت ترى ، ما انتهى الفضول بعلمائنا في تعرضهم لحد العلم ، أن بلغ[12] القول

---

(١) ز : + (لعدم علمهم بها وعدم ذكرها في كتابه) في الهامش .

(٢) ب ، ج ، ز : الأعداء .

(٣) ب : النقص أو الظن ، ج ، ز : النقص . وعلق عليه في هامش ز : أصل : الظن .

(٤) بطنة : بالكسر : البطر والأشر وفي د : بطية . وقد حكى سبويه بطية وقال صاحب القاموس المحيط أنه لا يعلمها إلا أن تكون لغة في أبطأت .

(٥) د : — صلى الله عليه وسلم .

(٦) ج : يردهم .

(٧) ج ، ز : ولا يحاجونه ، د : يحاجونه . وصحح في هامش (ز) .

(٨) د : قال .

(٩) ز : + إله .

(١٠) ب : فليس يبعد ، ج ، ز : فليس ببعيد .

(١١) د : الفضول .

(١٢) د : أن يبلغ .

فيه مع الخصوم ، إلى عشرين عبارة ليس منها حرف يصح ، وإنما هي خيالات ، والعلم لا يقتنص بشبكة الحد ، وإذا لم يعلم العلم ، فماذا يطلب ، أو إلى أيّ شيء وراءه يتطلع[1] ؟ وإنما أنشأ هذا حثالة المعتزلة ، وكلهم حثالة ، لاضمارهم الالحاد ، قصد ايقاع التشكيك والالباس على الخلق في الحقائق ، ليتذرعوا[2] بهذه الطريقة إلى مقصدهم الفاسد ، وجعلوا يفيضون في الاعتقاد والعلم حتى أنشأوا كلاماً يملأ الفضاء ، حقه[3] أن يقابل بالاعراض وقد أشرنا إليه في التمحيص[4] وغيره .

قال القاضي أبو بكر[5] : وإذا انتهى النظر إلى هذا المقام ، فنقول انك أيها المرء ، بعد ، لم (و ١٠ ب) تثبت لك معرفة النفس والروح ، والقلب ، على ما تزعم ، ولا استقرت عندك[6] حقيقة لذلك ، كله[7] فكيف[8] تريد أن تركب عليه ، أنه يعلم المخلوقات ، ويؤثر في الأرضين والسموات ، لقد أبعدت مرماك ، حققه على ما يجب ، وبعد فركب[9] عليه ما تركب .

وأما [10] الاشارة بتجرد النفس ، أو القلب ، عن علائق المحسوسات ليترقى[11]

---

(١) ج : يطلع .
(٢) د : ليتدرعوا .
(٣) ج : منه .
(٤) ج : التمحيض .
(٥) د : قال أبي رضي الله عنه .
(٦) د : – عندك .
(٧) د : – كله .
(٨) ب ، ج ، ز : – فكيف .
(٩) د : ÷ تركب .
(١٠)ب : وما .
(١١)ب : لترتقي ، ج ، ز : ليرتقي .

إلى المعقولات ، فعسى أن يكون ذلك إذا مات . فأما مع الحياة فيبعد ذلك . أو يستحيل[1] عادة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول في الحديث الصحيح[2] : (انه ليغان على قلبي فأتوب مائة مرة) . فكيف يصح أن يدعي عاقل ، فكيف عالم ، قلبا لا يدركه غين ، ولا تتطرق[3] إليه غفلة ، حتى يترقى إلى حالة الفناء ، حتى يفنى عن نفسه ، فلا يرى أهلاً ولا حالا[4] ؟ وقد حف بالنبي الأزواج ، وخالطهن بالوطء ، وكيف يدعي أحد قطع علائق ربطها الله قبل . ولم يأذن[5] بحلها ، وكان النبي[6] يشدها ، ويحث على النكاح ، وعلى انتقاء الأبكار ، لا على انتفاء[7] الأفكار[8] ، وأي نفس تكون ذلك أو أي قلب ؟ و[9] لنبي عليه السلام ، لم يردّ الصحابة إلى ما زعموا من الطريقة ، وإنما ردهم إلى ألفاظ القرآن ، وما كان معهم عليه ، حتى استأثر الله به .

وأما قوله : ان ذلك ينال بالتجربة معهم ، والصحبة لهم ، فان التعرض للتجربة إنما يكون في الممكن ، فيحك ما يمكن في مدق[10] التجربة ، فأما[11] الذي لم يثبت بدليل ، ولا سبقت به عادة ، فكيف يتعرض له بتجربة ، والصحابة لم يسلكوا

---

(١) ب ، ج ، ز : ويستحيل .

(٢) د : – في الحديث الصحيح .

(٣) ج ، ز : يتطرق .

(٤) ب : علق عليه ابن باديس بقوله : لعله : مالا .

(٥) ب ، د : قبل أن يأذن .

(٦) ج : + عليه السلام ، ب : + صلى الله عليه وسلم .

(٧) ز : كتبت على الهامش : انتقاد .

(٨) ب : الانكار .

(٩) ج : – و .

(١٠) ب : مندق ، ج : صدق ، د : ميزن ، ز : صدق .

(١١) ب ، ج ، ز : وأما .

طريقه ، ولا نظروا تحقيقه ، والذي يدل على بعده الحديث الصحيح ، واللفظ لمسلم . أن حنظلة الأسدي[1] وكان من كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه (و ١٠ ب) وسلم فوعظنا فذكرنا بالنار ، قال : فجئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ، ولاعبت المرأة ، قال : فخرجت فلقيني أبو بكر[2] ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ! ما تقول ؟ قال : نكون عند رسول الله[3] ، يذكرنا بالنار ، والجنة ، كأنا رأي عين ، فاذا خرجنا[4] من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] ، عافسنا الأزواج ، والأولاد ، والضيعات ، فنسينا[6] كثيراً قال أبو بكر : فوالله انا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر ، فدخلنا على رسول الله[7] ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله[8] ، فقال رسول الله[9] : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله[10] نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، كأنا رأي عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا[11] الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، فقال رسول الله[12] : والذي

---

(١) حنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي صحابي تخلف عن علي يوم الجمل توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ (الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٠٠ . الزركلي ، الأعلام ، جـ ٢ ص ٣٢٢) .

(٢) ب ، جـ ، ز : + رضي الله عنه .

(٣) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٤) جـ : أخرجنا .

(٥) د : – صلى الله عليه وسلم .

(٦) جـ ، ز : نسينا .

(٧) ب : والله .

(٨) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٩) ب ، جـ ، ز : – يا رسول الله .

(١٠) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١١) ز : نافسنا .

(١٢) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

نفسي بيده ، لو تدومون[1] على ما تكونون عندي[2] وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) فتفطن الصحابة لتغير القلب ، عند مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم عن الحالة التي يكون[3] معه عليها ، وسألوا النبي عن ذلك ، فأخبرهم أن تلك الحالة ، لو دامت لصافحتهم الملائكة معاينة ، وذلك ممنوع من الله للخلق فما يفضي إليه ممنوع ، وإلا فلم لم[4] يحضهم عليه ، وهل كان فوق منزلة[5] الخلفاء منزلة ، يرتقى إليها ، وما كلمهم ملك ، ولا صافحهم ؟

وأما قوله انه[6] يتقدمه[7] نوع من النظر ، وهو النظر في حقيقة القلب ، فليس له حقيقة ، إلا التي لليد ، وكلاهما وتيرة[8] وهل هما إلا جسم مركب[9] من لحم ، أو من لحم وعظم ، وعصب فان قال : اكشف لي[10] عن حقيقة القلب ، (و ١١ ب) قيل له ، واكشف عن حقيقة اليد ، ولعلك تظنها هذه[11] الجارحة المشاهدة ، لقد

---

(١) د : تدمون .

(٢) ب : — و .

(٣) د : تكون .

(٤) جـ ، ز : لا .

(٥) د : — منزلة .

(٦) ب ، جـ ، ز : — انه .

(٧) ب : بمقدمة ، جـ ، ز : بتقدمة .

(٨) ب ، جـ ، ز : وتمرة . والوتيرة هي الطريقة الواحدة ، ويقال وتر القوم جعل شفعهم وترا (القاموس المحيط) .

(٩) د : تركب .

(١٠) د : — لي .

(١١) ب ، جـ ، ز : — هذه .

قصر نظرك ان أوقفته[1] عليها ، هيهات بل[2] هي معنى وراء ذلك ، فانك تشاهدها متصرفة[3] مقدرة ، موجدة ، منيلة معينة[4] ثم[5] تارة[6] و[7] صاحبها قائم القناة[8] كالخرقة الملقاة ، فلو رمت أنت وصاحب الجيم[9] في طبه ، والطائين[10] في طبيعتهما[11] ، والفاء في الاهيته ، أن يذكر في ذلك حرفاً ، يفيد علماً ، لم تستطيعوه[12] ولولا الطول[13] لسردت عليكم[14] في ذلك مناظرات ، من « نزهة المناظر وتحفة[15] الخواطر » ، تعجبون منها ، فانظروها فيها .

وأما قوله : ان القلب مستعد بذاته ، لتعلم[16] المعلومات ، فهذا لا يجوز في صفة الإله ، فكيف أن يجعل ذلك للقلب ؟لا يصح أن يكون شيء يعلم بذاته ،

---

(١) ج ، ز : أوقعته .
(٢) ب : بك .
(٣) ب ، ج ، ز : مصرفة .
(٤) د : مفيته .
(٥) ب ، ج ، ز : – ثم .
(٦) كذا في الأصول الأربعة .
(٧) ج : – و .
(٨) ب : ألفياه .
(٩) ج ، ز : الخيم .
(١٠) ب : وطابن ، ج ، ز : والطابن .
(١١) ب : صبيعتهما .
(١٢) ب : يستطيعوه .
(١٣) ب : التطويل .
(١٤) ج : – في ذلك حرفا يفيد علما لم تستطيعوه ولولا الطول لسردت عليكم .
(١٥) د : وتحف .
(١٦) د : ليعلم .

لا من قديم ولا من محدث[1] ، وهذا شيء أصلوه ، ليركبوا عليه انكار الصفات ، إنما القلب واليد[2] موجودان خلقهما الله ، ويخلق فيهما على الترتيب والتدريج ، ما شاء ، ولكل واحد مجراه الذي جعل له ، ليس لواحد منهما صفة ، إلا أن يخلق الله[3] فيهما ما شاء[4] ، أو لا يخلق .

وأما المرآة ، فلا يصح التمثيل[5] بها ، في هذه القضية ، وأنا أعلم بسرهم[6] فيها ، واعتقادهم في حقيقتها ، فانهم بنوها على ان الادراك فيها ، إنما يكون بانعكاس الأشعة على زوايا في مرايا ، وذلك مذكور في كتب المناظر وخاصة المنسوبة إلى بني الهيثم ، وإنما يذكرونها جبهاً[7] للناس ، وتشكيكاً[8] لهم ، وسكوناً إلى أن علماءنا قد احتجوا بها ، وعولوا في رؤية الباري عليها ، وأنه مرئي في غير جهة ، ونحن الآن لا نفتقر إليها ، فلا نسلمها ، ولا نخوض معهم فيها ، وأنا أعلمكم أنهم إذا اجتمعوا مع اخوانهم المعتزلة ، فتذاكروا[9] أنا نحتج في (و ١٢ أ) مسألة رؤية الباري في غير جهة بمسألة المرآة ، ضحكوا منا ، وفكهوا بنا ، وحكموا بالجهالة علينا .

ولقد مشيت يوماً بعسقلان ، إلى محرس باب غزة[10] وقد كان القاضي حامد

---

(١) د : حديث .

(٢) ب ، ج ، ز : اليد والقلب .

(٣) ب ، ج ، ز : الله يخلق .

(٤) ب ، ج ، ز : ما يشاء .

(٥) ج ، ز : التمسك .

(٦) ب ، ج : قصدهم ، ز : قصدهم . وعلق عليه في الهامش مصححا من الأصل المقابل عليه .

(٧) د : حسبا .

(٨) ب : وتسكينا .

(٩) ب ، ج ، ز : فذكروا .

(١٠) ذ : عزة .

المعتزلي الحنفي[١] ورد علينا بها ، فاجتمع عليه[٢] الشيعة ، والقدرية ، وأهل السنة على طريقتهم ، في قصد الواردين المتحلين[٣] بالعلم ، والمنتسبين[٤] إليه[٥] ، وكانت[٦] بيني وبينه معرفة في المسجد الأقصى ، فقال له أحد أصحابه : هل يحكم[٧] بكفر الأشعرية ، في قولهم : ان الباري يرى ؟ فقال[٨] له القاضي حامد : لا يحكم[٩] بكفرهم لأنهم يقولون : انه يرى في غير جهة ، فيذكرون[١٠] ما لا يعقل ، ومن قال ما[١١] لا يعقل لا يكفر ، وفي هذا الكلام نظر يأتي بيانه[١٢] ، ان شاء الله تعالى ، وإنما ذكرته لكم لتعلموا قدرنا[١٣] عندهم ، ولولا أنكم لم تتمرنوا بالهندسة ، لأريتكم[١٤] من خطئهم في المرآة ما لا يخفى على من تعلق بشيء من الطريقة .

ولقد قلت يوماً لبعض حذاقهم وقد تفاوضنا في المناظر[١٥] ، بسبب القول في

---

(١) لم نعثر له على ترجمة بعد البحث الطويل .
(٢) ج : إليه .
(٣) ج ، ز : المتحليين .
(٤) ج : والمنسيين .
(٥) د : — إليه .
(٦) ب : كان .
(٧) ب : تحكم ، ج ، ز : نحكم .
(٨) ب ، ج ، ز : قال .
(٩) ب ، ج ، ز : نحكم .
(١٠) ب ، ج ، ز : ويذكرون .
(١١) ج : — ما
(١٢) د : + بعد هذا .
(١٣) ج ، ز : قدر ما .
(١٤) ج : ليتكلم .
(١٥) ج : المناظرة .

رؤية الله عز وجل ، على اتصال الأشعة ، وانعكاسها بصقالة الأجسام فقلت له : فهذا الماء الصقيل إذا نظرت إليه ، رأيت نفسك معكوساً فيه ، وأنت مستقيم عليه ، فاذا كان الادراك في الصقيل ، لا يكون إلا بانعكاس الشعاع ، فهذا أيضاً[1] انعكاس في انعكاس ،فكيف التقيا على[2] خط ، وانحرفا في زاوية ؟ فبهت ، وجرى من الكلام ما لا فائدة لكم في ذلك[3] لأنه ليس من ألبابه[4] . فانزلوا معهم إلى أن[5] القلب محل العلم ، فمن أين تقولون انه صقيل ، ولصقالته[6] تجلت المعلومات فيه ؟ فلا يجدون[7] شيئاً يعولون عليه ، إنما الباري يخلق في القلوب[8]، ادراك العلوم ، ابتداء ويركبه[9] فيجري التدبير فيها والتقدير (و ١٢ ب) والتفكير على نظام ، فذلك النظام[10] المستقيم الجاري على القوام[11] والتقويم[12] ، سماه سبحانه شرحاً تارة ، وتنويراً أخرى ، تعليماً منه لخلقه حين[13] لم يتأت[14] لهم نظام ، في الأفعال

---

(١) د : إذا .

(٢) ب ، ج ، ز : في .

(٣) ج : الك .

(٤) ب : الباب .

(٥) ب : – أن .

(٦) ج : والصقالة ، د : وبصقالاته .

(٧) ب ، د : تجدون .

(٨) ب ، ج ، ز : القلب .

(٩) ج ، د ، ز : ومرتبة . ولعله : ويرتبه . وصحح في هامش ج ، ز : يركبه ، واختار ابن باديس : يرتبه .

(١٠) ج : – النظام .

(١١) د : القيام .

(١٢) ج ، ز : – والتقويم .

(١٣) ب ، ج ، ز : حتى . وصحح في الهامش .

(١٤) ب ، ج ، ز : + منه .

المحسوسة إلا بأنوار الله[1] ، النور المحسوس ، والنور المعقول ، فأعرفه ، واعترف ، وأقدره قدره ، وأنسبه إلى نسبته[2] ، وأنزله[3] منزلته ، ولا تعد به[4] عن محله .

وأما دعواهم رؤية الملائكة والأنبياء ، وسماع كلامهم ، فذلك ممكن للكافر والمؤمن ، فأما رؤية الكافر له[5] ، فعقوبة ، وحجة[6] وبلاء[7] ، وفتنة ، وأما رؤية المؤمن[8] فكرامة ، ولو كان رؤيتهم للملائكة ـ كما يقولون ـ لصفاء القلب[9] يسجلون فيه[10] لاقتصرت[11] رؤيتهم على القلب الصقيل ، ولم يرهم قلب لصدا[12] ، قد تراكم بالرين ، وهذا مما يمنعونه سراً ، ولا يقدرون عليه جهراً ، لأنهم يتظاهرون بالإسلام ، فأما الفلاسفة فيمنعونه[13] ، وسيأتي الكلام معهم في طريقتهم[14] ، في

---

(١) د : ولله ، وصحح في متن ب ، ج ، ز : وكتب على هامش ب : فلله . وعلى هامش ج ، ز : ولله . على أن ذلك كان في الأصل المقابل به .

(٢) ج : نسبة ، ب : نسبه .

(٣) ب ، ج ، ز : + في .

(٤) ب ، ج ، ز : لا تعديه .

(٥) ب ، ج ، ز : — له .

(٦) ب : وحجبه .

(٧) ب : ويلا .

(٨) ب : + له

(٩) ب : + الصقيل . ويبدو أنه مشطوب كما أشار إلى ذلك ابن باديس .

(١٠) ب ، ج ، ز : فيها .

(١١) ب ، د : لاقتصر .

(١٢) د : يصدأ ، ج ، ز : بصدأ .

(١٣) ب ، ج ، ز : فمنعوه .

(١٤) د : طريقهم .

الأدلة ، وعقيدتهم في الملة ان شاء الله تعالى[1] . وقد سمعت الصحابة كلام الملائكة ، وسمعها من لم يؤمن ، ورأوها[2] في صورة الآدمي ، ورأوها[3] في صورة النحل[4] ، ولم يكونوا من صفاء القلب ، وقطع العلائق بحيث يشترطون في رؤيتهم ، وان كانوا من تقوى الإله ، وفضل المعرفة ، بأوفى مرتبة ، فهذه[5] دعاوى باطلة ، لا أصل لها في منقول ولا معقول .

وأما قولهم : ان النفس تؤثر من[6] ذاتها حتى تترقى إلى جنسها[7] ، حتى تترقى إلى العوالم[8] ، فيبعد أن يتخيل هذا عاقل ، فكيف عالم ، انه ليس لشيء تأثير ، ولا صنع[9] ، ولا توليد ، لما[10] ثبت من الأدلة في موضعه ، فإنه[11] لا خالق إلا الله ، ولا يخرج من العدم إلى الوجود شيء إلا بقدرته (و ١٣ أ) وقد دللنا على ذلك في موضعه . واعطف على شيخنا بالكلام ، دون غيره من الأنام ، لما بيني وبينه من مجلس ومقام ، فأقول له[12] : سبحان الله هل أخذنا عنك في[13] كتاب ، وقيدنا

(١) ب ، د : – تعالى .
(٢) ب ، ج ، ز : ورآها .
(٣) ب ، ج ، ز : ورآها .
(٤) ب ، د : النمل .
(٥) ج ، ز : فهذا .
(٦) ب ، ج ، ز : في .
(٧) ب : – حتى تترقى إلى جنسها .
(٨) د : أبعد الم .
(٩) ب ، ج ، ز : منع .
(١٠) د : بما .
(١١) ب ، ج ، ز : بأنه .
(١٢) ب ، د : – له .
(١٣) د : + كل .

على كل باب ، إلا[1] أن الله منفرد بالايجاد ، متوحد بالاستبداد وأن ما سواه ، لا ينسب إليه فعل ، ولا يناط به حادث ، وأين ما سردت في مناجاة النملة والقلم ، حتى انتهيت إلى المنهج الأمم ، وأين التبري من الوقوف على تلك المنازل ، في النوازل ، والترقي على تلك الدرجات في المدارج ، حتى انتهيت إلى بحبوحة القدس ، فالآن ترد التأثير إلى النفس ، هيهات ، ان ما يخلقه الله في بدن العائن ، هو كما يخلقه[2] في بدن المسحور ، كما يخلقه في بدن المضروب ، والمقتول ، كما يخلق حركة الخاتم بحركة اليـد ، أين ما قيـدت ، بعد أن انفردت في « الاقتصاد » و « المستصفى » وما رويت عن إمام الحرمين في مدارك العقول ، مما قيدناه في انفراد الباري بالايجاد ، وحده ، وكل مخلوق محل لمجاري مقادير الله؟

فان قلت : ان النفس تؤثر ذلك ، عند تعلق القصد منها إليه ، قلنا : هذا فاسد من ثلاثة أوجه[3] : الأول : ان هذا مما يجب أن يثبت أولاً ، مشاهدة ، أو بخبر[4] صدق ، يوجب العلم ، وحينئذ تنسبه[5] إلى الله ايجاداً بالقدرة الأولية[6] في الأصل ، وتجعل النفس ، وما تعلقت به محلا[7] لمجاري مخلوقات الله . الثاني : انه وان كان[8] انكشفت له المعلومات ، واتضحت له المعقولات ، واستبصر بالحقائق ، والكائنات ، فليس في قوة القلب ، تأثير في الايجاد ، وإنما غايته

(١) ج : الأول .
(٢) ب ، ز : + الله .
(٣) ب ، ج ، ز : لا يصح من أوجه .
(٤) ب : لخبر .
(٥) ب ، ج ، ز : ينسب .
(٦) ج ، ز : الأزلية .
(٧) د : مثلا .
(٨) د : – كان .

الادراك ، والكشف ، فأما تعديه إلى الايجاد ، فلا يصح بحال . الثالث : انك ان[1] قلت : وجدناه[2] بالتجربة ، فهذا عمر قد قال : يا سارية الجبل ، وهذا الأوزاعي قال لرجل يعظـه (و ١٣ ب) : لو أطعت الله ، وقلت لهذا الجبل : ادن لجاءك ، فتدكدك الجبل ، وسعى حتى دنا من الأوزاعي ، فقال له : إليك عني إنما هو مثل ضربته لصاحبنا[3] هذا ، قلنا : هذا الآن قول في كرامات الأولياء ، وهي أصل الدين وعمدة من عمد المسلمين ، لا ينكرها إلا جاهل ، اتفق عليها العلماء ، واختلفوا هل هي[4] خرق عادة ، أو اجابة دعوة ، ونحن الآن لا[5] نخوض في النظر فيها[6] فانها[7] تجوز بخرق العادة ، على شروطها التي بيناها في أمالينا ، ولكنها إذا جرت ، لا تجري بتأثير[8] نفس ، وإنما يسأل العبد الصالح ربه فيجيب دعاءه في مطلبه[9] ، ويكشف له بالمعرفة عن خفايا جهله ، وهذا من الجائز القليل الوقوع ، لكن الناس قد أكثروا فيه الرواية ، وادعت[10] طوائف كثيرة هذه[11] المنزلة ، فأحدث الاكثار من ذلك انكاراً واستبعاداً ، في نفوس أكثر الخلق .

---

(١) ب ، ج ، ز : قد .
(٢) ب ، ج ، ز : وجدنا .
(٣) ب ، ج ، ز : لصاحبي .
(٤) د : + في .
(٥) د : - لا .
(٦) د : - فيها .
(٧) د : بأنها .
(٨) ب ، ج ، ز : بتأثر .
(٩) د : مصلبة .
(١٠) ب : ودعت .
(١١) ب ، ج ، ز : لهذه .

وأما اضطراب الجبل للأوزاعي[١] ، فلا يلتفت إلى روايته ، وإنما اضطربت الجبال[٢] بمكة والمدينة لمحمد[٣] وأصحابه ، وهذا باب آخر لا ينتفع به قائله فيما نحن فيه بسبيله ، فقد بيناه ، في موضعه بدليله .

قال القاضي أبو بكر[٤] رحمه الله[٥] : والذي قيدت عنه وعن غيره قبله ، سماعاً ورواية ، أن النبوة ليست بصفة ذاتية للنبي وإنما هي عبارة عن قول الله تعالى[٦] بلغ[٧] إلى خلقي كلامي ، وهذا مما لا يصل إليه أحد بعمل ، ولو كان أوفى[٨] من عمل الملائكة والآدميين ، وإنما يأتي موهبة من الله ، وهذه الموهبة التي ليس لأحد فيها حيلة[٩] ، دليل من الله ، وهي خرق العوائد وتأثيرات في العالم ، من فعل الله تشهد بصدق الرسول ، فلا يصح أن تكون شهادة ، فيوردها[١٠] في غير محلها ، ولا تكون من فعل أحد غير الفاعل (و ١٣ ب) المطلق بالحقيقة ، وقد قيدنا عنه أن ذلك من قوى النفس ، بالتأثير[١١] في الأجسام العلوية ، وأن ذلك مما لا ينكر أن يكون للأنبياء ، قال : وإنما ينكر اقتصارهم عليه ، ومنع قلب العصا

---

(١) ب ، ج ، ز : – للأوزاعي .
(٢) ب ، ج ، ز : اضطرب الجبل .
(٣) د : بمحمد . ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٤) د : قال أبي .
(٥) د : رضي الله عنه .
(٦) د : – تعالى .
(٧) د : أبلغ .
(٨) ب ، ج : أوفر .
(٩) ب ، ج ، ز : + عليه .
(١٠) ب ، ج ، ز : فنوردها .
(١١) ب ، ج ، ز : بالتأثر .

ثعباناً ، قال أبو بكر بن العربي[1] : وأنا أقول : اني لا أنكره ، ولكني[2] ، أقول : ان[3] هذا التأثير ليس[4] للنفوس ، وإنما هو مما يخلقه الله بقدرته ، وارادته ، للنبي مع التحدي ، ليكون معجزة ، أو مع عدم[5] التحدي فيكون آية وكرامة ، فأما أن يجري[6] على حكم النفوس مجرى[7] الأشياء المعتادة والتأثيرات[8] المتعارفة فلا ، وسترى ذلك في الاملاء على التهافت ان شاء الله .

وبعد النظر الطويل الذي هذه اشارته[9] خرجت عن هذه الغمرة التي أوجبها استرسال مثله ، في هذه الألفاظ القلقة ، التي لا يصح[10] أن يكون فيها اذن لأحد ليذكرها ، فضلاً عن أن يحققها ، ويسطرها ، وهي أخلاط غالبة على الفؤاد[11] ، ومعاني حائدة عن سنن السداد .

---

(١) د : قال أبي . ب : – بن العربي .
(٢) ب : ولكن .
(٣) ب ، ج ، ز : – ان .
(٤) ب : – ليس .
(٥) ج : – عدم . وعلق على الهامش تصحيحاً له : غير .
(٦) د : تحدى .
(٧) د : تحرى .
(٨) ب ، ز : التأثرات .
(٩) د : هو ايثار له .
(١٠) ب ، ج ، ز : تصح .
(١١) ب : الفوائد .

الموقف الثالث

قالت طائفة لا معلوم إلا المحسوس المدرك من الحواس ، أو[1] ما يظهر في النفس ابتداء ، مما لا ريبة فيه ، كجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، فأما هذه المعارف التي تدّعى ، ويتعرض لها بالاكتساب ، والفكر ، في تفاصيل طرقها ، حتى تحصل ، فليس وراءها طائل ، لاختلاطها وتشابهها وعدم الوصول إليها ، ومتى رأيت نظارين[2] اتفقا ، أو دليلا[3] وقف بك على منتهى ؟ بل ترجع[4] عنه[5] تارة ، وتشك أخرى ، وهذا مما لا يوثق به ، لا[6] سيما إذا تعارضت

---

(١) ج : وما .
(٢) ج : النظرين . ز : نظرين .
(٣) ب ، ج ، ز : دليلان .
(٤) ب : ترجح .
(٥) ب ، ج ، ز : — عنه .
(٦) ب : ولا سيما .

الطرق ، أو حمل معنى على معنى ، ألا ترى أن الحذاء لو حذا نعلاً على مثال ، ثم حذا على ذلك الثاني ، ثالثاً ، وتمادى كذلك إلى سبعة أمثلة ، مثلاً[١] ، فانك إذا ركبت السابع على الأول ، (و ١٤ ب) لم تجده على مثاله ، وهذا نظر في المحسوسات ، ولكنه لما بعد اضطرب ، فكيف فيما يخرج عن سبيل الحس .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر[٢] : قال لي أبو علي الحضرمي بالثغر : ليس هذا مذهباً لأحد ، وإنما أوردته الملحدة، من[٣] الخرمية[٤] والباطنية ، تشكيكاً ، وتشغيباً ، وإلا فهم مقطوعون في أول كرة ، بالطريقة التي افتتح بها العلماء تصانيفهم ، ونقول لهم بعد ذلك : هذا الكلام ، تطردونه في الأعمال والعقائد ، أو تقصرونه[٥]؟ فان طردوه في الأعمال والتصرفات ، وطلب المعاش[٦] ، فكلها نظري ، لا ضرورة فيه قطعاً ، أو قصروه[٧] على الاعتقادات الباطنة ، قيل لهم : الأعمال التي سلمتم[٨] جريان النظر فيها ، إنما ترتبط بالعقائد ، لأنها تنعقد أولاً ، ثم ترتب بالنظر ، ثم يبرز العمل ما انعقد من ذلك واستقر ، فدلّ ذلك على صحة النظر ، فاذا[٩] صح النظر فيها ، لافادته ، دل على صحة النظر في الاعتقاد وحده .

---

(١) ب ، ج ، ز : – مثلا .
(٢) د : قال أبي رضي الله عنه .
(٣) ج : – من .
(٤) ب ، ج ، ز : الحرمية . د : الخدمية . وصوابه : الخرمية كما أثبتنا .
(٥) ج : وتقصرونه .
(٦) د : المقايس .
(٧) ج : وقصروه .
(٨) د : سلبتم .
(٩) د : وإذا .

فان قيل : علمنا صحة النظر في الأعمال بالعثور على المقصود قطعاً ، أو بالخطأ فيه قطعاً ، قلنا : عنه جوابان : احدهما[1] : ان الذي قدم النظر في الاعتقاد أولاً ، هو رجاء الحصول ، كذلك في مسألتنا ، ثم يكون بعد ذلك العثور على شيء أو عدمه[2] ، نظراً[3] آخر[4] .

الثاني : أنا كذلك نعثر على المطلوب ، بالنظر في باب الاعتقاد ، والسقوط عنه ، وليس يلزم أن يستوي النظر[5] في[6] العقائد ، كما لم[7] يلزم[8] أن يستوي النظر في الأعمال فان منها ما يبدو قريباً ، ومنها ما يبعد ، ومنها ما يقع العثور فيه على المطلوب ، ومنها ما يخطئ[9] ، ويعلم أنه من تقصير ، ومنها[10] ما يشكل عليه فيتوقف ، ولا يعترض ذلك على أصل النظر ، في الأعمال بالابطال (و ١٥ أ) وقد يقال : أنتم إنما مقصدكم ترك[11] النظر ، حتى لا يكون ابتلاء ولا وظيفة[12] ولا يقبل من نبي قول ، لأنكم لم تقدروا على تحقيق ذلك ، فنبذتموه ، فأنت ـ كما

---

(١) ج : بياض مكان « احدهما » .
(٢) ب ، ج ، ز : بياض بعد « عدمه » بقدر كلمة . وكتب في بياض ز : صح .
(٣) ب ، ج ، ز : نظر ، وبعده بياض بقدر كلمة . وكتب في بياض ز : صح .
(٤) ب ، ج ، ز : بياض بعد « آخر » بقدر كلمة . وكتب في بياض ز : صح .
(٥) د : النظران .
(٦) د : + الأعمال .
(٧) د : – لم .
(٨) ب : – أن يستوي النظر في العقائد كما يلزم . وكتب على الهامش : (والعقائد كما يلزم أن يستوي النظر في الأعمال) ولعل الصواب : « في العقائد » بدل « والعقائد » . كما اقترح ابن باديس .
(٩) د : يخصى .
(١٠) د : منه .
(١١) ب ، ج ، ز : – ترك .
(١٢) ب ، ج : وضيفة . والوظيفة في اللغة تطلق على العهد والشرط . (القاموس المحيط) .

قلت لمن حظر [1] ـ إذا نظرت في الكيمياء عمرك وقد سمعت بعدها أو فقدها ، فلم يقطعك ذلك عنها ، وكذلك أنت الذي خرجت تطلب الكنوز في القبور ، وفي المواضع التي ترجوها فيها ، أو لا ترجوها ، ويأتيك المنجم ، فيقول لك ربعت هذه البقعة فاقتضت الطوالع أن فيها مالاً [2] فغدوت تعني [3] قلبك وبدنك فيها ومالك ، بأي المحسوس أدركت ذلك ؟ هل فعلته إلا بنظر أصله طمع ؟ فكيف لم تنظر [4] في [5] أوليتك ومن أوّلك و [6] أخرك ، ومن صورك وقدرك ؟

وهذا الغرض [7] لا تحتقره [8] ، فانّا قد رددنا به عن الباطل ، من [9] اعتقده ، وافهموا أنكم إذا أردتم أن تيقنوا [10] مشككا ، أو تدلوا [11] حائراً ، لم يكن فيه شيء أنجع ، من أخذه من بابه ، وهذه سيرة الله في أدلته مع أوليائه لأعدائه ، وسنة أنبيائه في أنبائه .

وأما مسألة الحذاء ، فانما وقع الخطأ فيها ، بتقصير الحذاء ، في ضبط

---

(١) ج ، ز : حضر ، د : خطر . والمقصود من يحرم النظر في الكيمياء .
(٢) ج : فيها ان مالا . وأشار الناسخ إلى أن في الجملة تقديماً وتأخيراً ، فوضع حرف (خ) على « فيها » وحرف (ق) على « أن » .
(٣) ب ، ج ، ز : تفني .
(٤) ب : من ينظر ، ج ، ز : لمن ينظر .
(٥) ب : — في .
(٦) ب ، ج ، ز : أو .
(٧) ج ، ز : الفرض .
(٨) ب ، د : لا تحقره .
(٩) ج ، ز : + قد .
(١٠) ب ، ج ، ز : توقنوا .
(١١) ب ، ج : وتدلوا .

المثال ، والا[1] فلو ارتبط لتحصيله ، ولم يعجل في تحصيله ، لكان السابع كالأول ، وقد جربناه فوجدناه ، ولكنه[2] إذا حذا قصر ، فلا يظهر التقصير الأول لخفائه ، ولا الثاني حتى إذا ائتلف الخطأ على المخطى فيه ، جاء محسوساً ، كالجوهر ، فاذا ائتلف صار محسوساً ، ولو فككت الجسم لانتهى إلى حد ، يفوت الآلات ، حتى ينتهي إلى حد ، يفوت الحس ، وهو معقول ، حتى ينتهي إلى حد ، تقف التجزية[3] عنده عقلا بالدليل حسبما بيناه في كتب[4] الأصول .

قال القاضي[5] : وقد رأى هؤلاء المحرومون (و ١٥ ب) أن النظر في علم الكم ، متفاوت في الجلاء والخفاء ، حتى لقد بينت[6] لبعضهم ، في طريق الجدال تارة والارشاد أخرى ، إذا قال الرجل : اثنان في اثنين كم يكون مجموعهما ؟ فيقال أربعة . فيعيد السؤال عليه في الأربعة ، فيقول له : ستة عشر ، ثم يعيد حتى ينتهي إلى أعداد مركبة ، يفتقر فيها إلى أعمال الفكر ، وربما لم يصب[7] فيها إلا بعد لأي ، وكذلك لو قال : أربعة ونصف ، ثم يقول له : أربعة[8] ونصف ، ونصف[9] وثمن ، ثم يقول له : أربعة ونصف ، ونصف و[10] ثمن ، وربع

---

(١) ب ، ج ، ز : أولا .

(٢) ج ، ز : ولكن .

(٣) ب ، ج ، ز : التجربة .

(٤) د : كتاب .

(٥) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٦) د : بنيت .

(٧) د : تصب .

(٨) ب : — ثم يقول له أربعة .

(٩) د : — و .

(١٠) د : — و .

ثلاثة أجزاء من ثمانية وتسعين ، رأى نفسه في اشكال طويل فيضره ذلك [1] ، ولكنه يبرز الوجه فيه [2] بتفكير [3] .

وإذا دخل في استخراج المجهول من المعلوم افتقر إلى نظر طويل ، فيضجره ذلك ، ويتركه [4] ، حتى إذا احتاج إلى قسمة حقل ، أو دار ، على فرائض مختلفة ، لجأ إلى سواه ، واستغاث بغيره ، وبذل له [5] ما له فيه ، ونزل الدنية من الجهل ، والاستجداء [6] إلى من هو دونه ، فان كان ذلك محتاجاً ظهر عليه بما له ، واشترى منه علمه ، وان كان غنياً ، ترفع [7] عنه حتى يخضع له ، فان قال : هذا وان كان كذلك فانه [8] يفضي إلى يقين ، قلنا له : كذلك [9] النظر في العقائد الدينية يفضي [10] إلى يقين .

فان قال : فلم اختلف الخلق فيه ؟ قلنا : ليس خلاف من خالف في الحق مبطلا له ، إنما علينا أن نعرض عليه الفصول في الأصول [11] ، حتى يقف على فائدة الدليل ، ونحن نقرر لكم ، فنقول : ان معظم اختلاف النظار بالحقيقة ، في

---

(١) ب ، د : — فيضره ذلك .
(٢) د : فيها .
(٣) ب ، ج ، ز : التفكير .
(٤) ج ، ز : طول فيضجره ذلك ونبركه . ب : كتب على الهامش وسقط في المتن .
(٥) د : — له .
(٦) د : الاستخذاء .
(٧) ج ، ز : يرفع .
(٨) د : — فانه .
(٩) ج ، ز : — كذلك .
(١٠) د : تفضي .
(١١) ب ، د ، ز : الوصول .

العقائد ، ليس[١] اختلافهم[٢] في القواعد ، وإنما ذلك لعسر الطريق[٣] ، وكثرة العوائق ، وكلال الخاطر ، وضعف الهمة[٤] ، وقلة الرغبة ، واحتقار الفائدة ، واحدى هذه تبطل الأرض ، وان الله شاء ببالغ حكمته ، ونافذ قدرته ، أن يجعل الخلق فريقين ، كما بينا (و ١٦ أ) ويقسمهم إلى الهدى والضلال ، وقسم علمه فيهم إلى الجلي[٥] الطريق والخفي[٦] الطريق ، ووضعه درجات ، ليظهر شرف علمه ، ولينزل كل أحد منهم في درجة ، حتى يتفاضل[٧] الخلق ، كما كتبه لهم ، وأراده منهم ، وإلا فأي دليل لم يوصل إلى مدلول ؟ (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (النمل ٦٤) . والنظر في التفصيل ، يبيّن التحصيل ، وهذا كله مجاهدة على الدين ، وحيل[٨] في هدم قواعد الشرائع ، من الاباحية والتعطيلية[٩] .

---

(١) د : – ليس .
(٢) د : لاختلافهم .
(٣) د : النظر .
(٤) ب : المنة .
(٥) ج ، ز : أجلى .
(٦) ج ، ز : أخفى .
(٧) ج ، ز : تتفاضل .
(٨) ب : حيد .
(٩) ج : والتعصيلية .



الموقف الرابع

قالت طائفة : العلم صحيح ، ولا يخلق المرء به ، بل يستفيده بالتعلم[1] ، والعلم لا يحصل إلا لمتعلم ، وهو طالب العلم ، ولا يصح أن يطلب إلا من أهله ، وليس له أهل إلا المعصوم ، الذي لا يجوز عليه الخطأ ، ولا يشك فيما يلقيه ، وهو الإمام المعصوم و[2] في كل وقت ، يتناقلون العلم من معصوم إلى معصوم ، ويتوارثونه من إمام إلى إمام .

قال الإمام أبو بكر[3] : وهذه[4] أول بدعة لقيت في رحلتي ، فاني خرجت من بلادي ، حين[5] الفطرة ، فلم ألق في طريقي إلا من كان على سنن الهدى ، يغبطني تديني[6] ، ويزيدني في يقيني ، حتى بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر

---

(١) د : بالتعليم .
(٢) د : – المعصوم و .
(٣) د : قال أبي رضي الله عنه .
(٤) ج ، ز : وهذا .
(٥) ب ، ج ، ز : على .
(٦) ج ، د ، ز : بديني .

عمرو ، ففجأني[1] ، من أقوالهم ، ما قاله في[2] عمارة[3] المذكور عمرو :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبــه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
فلا بد أن يلقى لــه الدهر سبة إذا ذكرت أمثالها تملا الفمـا

كلمات غرارة ، خاتمتها نبذ الحقيقة والشريعة ، والاسترسال على الاباحة ، فلو فجئتني بدعة مشتبهة ، كالقول بخلق القرآن ، أو[4] نفي الصفات ، أو[5] الارجاء، لم[6] آمن باغواء الشيطان ، وانتدابه ، أن يولجني من[7] بابه ، فلما رأيت هذه الحماقات أقمت على حذر .

عاصمة : وقلت الحمد لله الذي أعذر وأنذر ، وثبت (و ١٦ ب) وبصّر ، هذه أرض ينبغي أن يشد إلى الاعتصام فيها الحزام ، ويفض عن غرر[8] هذه العورات الختام ، وترددت فيها على أقوام ، لم يكن عندهم إلا العقائد السليمة ، مع مقدمات من الأدلة ، لتحصين العقائد عن سورة شبهة ، فلبثت فيهم[9] ثمانية أشهر ، لم يبق باطل إلا سمعته ، ولا كفر الا شوفهت به ، ووعيته ، (تكاد[10] السموات يتفطرن

(١) ب : ففجئتني . أو ففاجأني ، ج : ويعجبتني ، ز : ففجيتني .
(٢) ب : – في . وعلق ابن باديس عليه بقوله : في نسخة زيادة « في » قبل عمار وتامل التركيب . ولعل هذا كتب على هامش النسخة التي اعتمد عليها ، وإلا فانه ليس له نسخة وحيدة اعتمد عليها .
(٣) ب : عمار .
(٤) ب ، ج ، ز : و .
(٥) ب ، ج ، ز : و .
(٦) ج : ولم .
(٧) ب : في .
(٨) د : عرر .
(٩) د : بينهم .
(١٠) د : يكاد .

منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) (مريم ٩٠) وهم لم يدعوا للرحمن ولدا ، ولكنهم جاءوا بأعظم من ذلك كفرا ، وعندا ، مع انهماك[١] في الكفر ، واستهتار ، وانحلال عن ربقة الديانة ، والمروءة والحشمة ، وخلع عذار ، فسبحان المهل لهم من ملك جبار ، ثم خرجت عنهم إلى الشام ، فوردت البيت المقدس ، طهره الله ، فألفيت فيه ثماني[٢] وعشرين حلقة ، ومدرستين[٣] احداهما[٤] للشافعية بباب الاسباط ، والأخرى[٥] للحنفية ، بازاء قمامة تعرف بمدرسة أبي عقبة ، وكان فيه من رؤوس[٦] العلماء ، ورؤوس المبتدعة ، على اختلاف طبقاتهم ، كثير ، ومن أحبار اليهود ، والنصارى ، والسمرة جمل ، لا تحصى ، فأوفيت على المقصد، من طريقه ، ووعيت العلم بتحقيقه ، ونظرت إلى كل طائفة تناظر[٧] ، وناظرتها بحضرة شيخنا أبي بكر الفهري رحمه الله ، وغيره من مشيخة أهل السنّة ، ثم نزلت إلى الساحل لأغراض نصصتها في كتاب ترتيب الرحلة ، وكان الساحل المذكور مملوءاً من هذه النحل الملحدية ، والمذاهب الباطنية ، والإمامية ، فطوفت في مدن الساحل ، لأجل تلك الأغراض الدينية ، نحواً من خمسة أشهر ، ونزلت عكا منها ، وكان رأس الإمامية بها حينئذ أبو الفتح العكي[٨] ، وبها من أهل السنة شيخ ، يقال له الفقيه الديبقي[٩] ، فاجتمعت بأبي الفتح في مجلسه ، وأنا ابن العشرين

---

(١) ج ، ز : ابتهال ، د : انتهاك .
(٢) ب ، ج ، ز : ثمانية .
(٣) ب : ومدرستان .
(٤) ج ، ز : احدهما . د : — احداهما .
(٥) د : وأخرى .
(٦) ب ، ج ، ز : رؤساء .
(٧) ب : + رأسها ، في الهامش . ج ، ز : + رأسها ، في المتن .
(٨) لم نعثر له على ترجمة .
(٩) ج ، ز : الدبيقي .

فلما (و ١٧ أ) رآني صغير السن ، كثير العلم ، غزير القول ، مصيب القصد [١] ، منذلقاً [٢] متدرباً ، ولع بي ، وفيهم لعمر الله ، وان كانوا على مذهب باطل ، انطباع ، وانصاف ، واقرار للرجل بفضله ، إذا ظهر ، واعتراف ، فكان لا يفارقني ويسارعني في السؤال والجدال ، ولا يفاترني ، فتكلمت على ابطال [٣] مذهب الإمامية ، والقول بالتعليم من الإمام [٤] المعصوم ، بما يطول ذكره في هذه [٥] العصم .

ومن جملة [٦] كلامنا فيها أنهم يقولون : ان لله في عبيده أسراراً وله فيهم [٧] أحكاماً [٨] ، والعقل لا يستقل [٩] بدركها ، ولا يقوى على نيل [١٠] الحقيقة من رين ارتباك الشبه ، فلا يعرف ذلك إلا من قبل إمام معصوم ، وهذا مما ينبغي أن تعلموا [١١] أنه راجع إلى القول بالحلول [١٢] ، وإنما عرجوا عنه ليبعدوا منه ، وهم عليه [١٣] محلقون ، وإليه راجعون .

---

(١) ب ، ج ، ز : + منطقا .
(٢) ج : مندلقا ، د : متدلقا . وذلق اللسان صار بليغاً . أما اندلق فمعناه اندفع يقال اندلق السيل .
(٣) ج : بابطال .
(٤) د : — الإمام .
(٥) ب ، ج ، ز : هذا .
(٦) د : جملته .
(٧) ج : فيها .
(٨) ب ، ج ، ز : أحكام .
(٩) ج : يشتغل .
(١٠) د : سل .
(١١) ب ، ج ، ز : يعلموا .
(١٢) د : الأول .
(١٣) ج : — عليه .

فقلت[1] لهم بعد أن فهمت أمرهم ، وتحققت مقصد لهم ووعيت عن بعضهم أنه يورده بعبارة أخرى ، فيقول : ان الله أمر بالحق ، وعلم الصدق ، على يدي[2] مبلغ معصوم وهو النبي صلى الله عليه وسلم[3] والا يكن الأمر على هذا فقد زلقنا[4] عن درج الحق إلى الباطل ، وعن منزلة اليقين إلى الشك ، وعن حالة[5] الثقة إلى الارتياب ، فقلت[6] : أمات الإمام المبلغ عن الله لأول ما أمره بالتبليغ أم هو مخلد ؟ فقال لي : مات ، وليس هذا بمذهبه ، ولكنه تستر[7] معي به ، وإنما حقيقة مذهبه أن الله سبحانه يحل في كل معصوم ، فيبلغ عنه ، فالمبلغ هو الله ، لكن بواسطة حلوله في آدمي ، فقلت : هل خلفه أحد ؟ فقال : خلفّه وصيه علي ، فقلت[8] له : فهل قضى بالحق ، وأنفذه أم لا ؟ قال : لم يتمكن لغلبة[9] المعاند ، قلت له : فهل أنفذه حين قدر ؟ قال : منعته التقية ، ولم تفارقه من يوم العهد إلى يوم الموت ، إلا أنها كانت تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، فلما ولي ، بقيت من التقية بقية ، فلم يمكن الا المداراة (و ١٧ ب) للأصحاب لئلا ينفتح عليه ، من الاختلال أبواب ، قلت : وهذه المداراة هي حق أم لا ؟ قال : باطل أباحته الضرورة[10] ، قلت : فأين العصمة ؟ قال : إنما تتعين[11] العصمة مع القدرة ، قلت :

---

(١) ب ، ج ، ز : قلت .

(٢) ب ، ج ، ز : يد .

(٣) ب ، ج ، ز : — صلى الله عليه وسلم .

(٤) ج ، د ، ز : زهقنا .

(٥) ب ، ج ، ز : حال .

(٦) ب : — فقلت .

(٧) ب ، ج ، ز : يسير .

(٨) ب ، ج ، ز : قلت .

(٩) د : بغلبة .

(١٠) ج : لضرورة .

(١١) د : تغنى .

فمن بعده إلى الآن وجدوا القدرة أم لا ؟ قال : لا . قلت : فالدين مهمل ، والحق مجهول[1] مخمل[2] ، قال : سيظهر ، قلت : بمن ؟ قال : بالإمام المنتظر ، قلت : لعله الدجال ، قال : فما بقي أحد إلا ضحك ، وقطعنا الكلام على غرض مني ، لأني خفت أن أفحمه فينتقم مني ، في بلاده ، قلت : ومن أعجب ما في هذا الكلام . أن الإمام إذا أوعز إلى من لا قدرة له ، فقد ضيع ، فلا عصمة له ، وأعجب منه أن الباري على مذهبه ، إذا علم أنه لا علم إلا بالمعلم ، وأرسله عاجزاً مضعوفاً ، لا يمكنه أن يقول ما علم ، فكأنه ما علمه ، وما بعثه ، وهذا عجز منه وجور ، لا سيما على مذهبهم ، فرأوا من الكلام ما لم يمكنهم أن يقوموا معه بقائمة ، وخرج البحث[3] ، وشاع به الحديث ، فأراد رئيس الباطنية المسمين[4] بالاسماعيلية[5] . أن يجتمع[6] معي فجاءني أبو الفتح إلى مجلس الفقيه الديبقي ، وقال لي : ان رئيس الاسماعيلية ، رغب في الكلام معك ، فقلت : أنا مشغول ، فقال : ها هنا موضع قريب[7] قد جاء إليه . وهو محرس[8] الطبرانيين . مسجد في قصر على البحر ، شامخ البنا مشيد البناء ، وتحامل عليّ فقمت ما[9] بين حشمة وحسبة ، وللمحرس[10] المذكور رائعة طويلة فقطعتها ، ودخلنا حشمة[11] قصر المحرس[12] ،

(١) ج : — مجهول .
(٢) د : محمول محمل . ز : مخمول مجمل .
(٣) د : الحيث .
(٤) ب ، ج ، ز : المشهور .
(٥) ز : الاسماعيلي .
(٦) ج : ويجتمع .
(٧) د : مرتب .
(٨) ج ، ز : مجرس .
(٩) د : — ما .
(١٠) ج ، ز : للمجرس .
(١١) ب ، د : — حشمة .
(١٢) ج ، ز : المجرس .

وصعدنا إليه ، فوجدتهم قد اجتمعوا في زاوية المحرس[١] الشرقية ، فرأيت النكر في وجوههم ، فسلمت ، ثم قصدت جهة المحراب ، فركعت عنده ركعتين ، لا عمل لي فيه[٢] إلا تدبير القول معهم ، والخلاص منهم ، فلعمر[٣] الذي قضى علي بالاقبال إلى أن أحدثكم أن كنت رجوت الخروج من[٤] ذلك المجلس أبداً ، ولقد كنت أنظر إلى البحر يضرب في حجارة سود (و ١٨ أ) محددة تحت طاقات المحرس ، فأقول هذا قبري الذي يقذفون بي[٥] فيه ، وأنشد في سري :

ألا هــل إلى الدنيــا معاد وهــل لنا هوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وهي كانت الشدة الرابعة من شدائد عمري ، التي أنقذني الله منها . فلما سلمت ، استقبلتهم ، وسألتهم عن أحوالهم عادة ، وقد اجتمعت إلى نفسي ، وقلت : أهون ميتة ، وأشرفها ، في أكرم موطن أناضل فيه عن الدين ، وأكون قيم المسلمين ، فقال لي أبو الفتح ، وأشار إلى فتى حسن الوجه : هذا سيد الطائفة ، ومقدمها ، فدعوت له ، وسكت ، فبداني ، وبدرني ، وقال لي[٦] : قد بلغتني[٧] مجالسك ، وانتهى إلي كلامك ، وأنت تقول : قال الله ، وفعل الله ، فأي شيء هو[٨] الله ، الذي تدعو إليه ، وتكثر من ذكره ؟ أخبرني ، وبيّن لي ، واخرج عن هذه المخرقة التي جازت لك ، على هذه الطائفة الضعيفة ، وقد احتد[٩] نفساً ،

---

(١) ز : المجرس .
(٢) كذا في الأصول الأربعة ، أي في الركوع .
(٣) ب ، ج ، ز : فلعمري .
(٤) د : عن .
(٥) ب : يقذفونني ، ج : يقذفوني ، د : يدفنوني .
(٦) ب ، ج ، ز : – لي .
(٧) ج ، ز : بلغني .
(٨) ج : وهو .
(٩) ج : – احتد .

واحتدم حلبا[1] ، وامتلأ حنقاً وغيظاً ، وجثا على ركبته [2] ، كما عاث بقولته[3] ، ولم أشك أنه لا يتم الكلام إلا وقد اختطفني أصحابه قبل الجواب ، وعمدت بتوفيق الله إلى كنانتي ، واستخرجت[4] منها سهماً صائباً ، كان من عددي ، فضربت به حبة قلبه ، فسقط لليدين وللفم ، ولم تبق له كلمة تجري على القلم[5] ، وشرح ذلك أن الإمام أبا بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي الجرجاني[6] قال كنت أبغض الناس في من يقرأ علم الكلام ، وذلك لأنه كان مقدماً[7] في علم الحديث ، عارفاً به[8] ، قال[9] : فدخلت يوماً الري فعمدت إلى جامعها فدخلته واستقبلت سارية ، أركع عندها ، وإذا فيما يجاورني رجلان وهما يتذاكران[10] علم الكلام ، فتطيرت بهما ، وقلت في نفسي[11] أول ما دخلت هذا[12] البلد سمعت فيه ما أكره ، وجعلت

---

(١) ب ، ج ، ز : جلدا . والحلب : يقال حلب أي جلس على ركبتيه ، والقوم حلوبا أو حلبا أي اجتمعوا من كل وجه .

(٢) د : ركبتيه .

(٣) ب ، ز : علمت بقوله . وعلق على هامشهما ب : عاث بقولته . ج : علمت بقوله . د : عاث بقوليه .

(٤) ج : تكرر : استخرجت .

(٥) د : العلم .

(٦) فقيه شافعي ومحدث حافظ وكان ثقة حجة توفي سنة ٣٧١ هـ / ٩٨٢ (الذهبي ، العبرة ، ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٧) ب : معرقا أو مغرقا ، ج ، ز : معرفا ، وكتب على هامش ج ، ز : مقدما .

(٨) ب ، ج ، د ، ز : عرفا فيه . وعلق على هامش ج ، ز : عارفا به .

(٩) د : - قال .

(١٠) د : وهم يتذاكرون .

(١١) ب ، ج ، ز : - في نفسي .

(١٢) ب ، ج ، ز : هذه .

أخفف الصلاة ، حتى أبعد منهما [1] فعلق بي من قولهما : ان (و ١٨ ب) هؤلاء الباطنية أسخف خلق الله عقولا ، وينبغي للنحرير أن لا يتكلف لهم دليلا ، ولكن [2] يطالبهم بلم ؟ فلا قبل لهم بها ، ولا معدل معهم عنها ، وسلمت مسرعاً ، وشاء الله بعد ذلك أن يكون رجل من الاسماعيلية ، ولقّهم القرامطة يلقون الأمر إلى معرفيهم [3] ، فكشف القناع في الالحاد وجعل يكاتب وشمكير الأمير ، يدعوه إلى الالحاد ، ويقول له : اني لا أقبل دين محمد إلا بالمعجزة ، فان أظهرتموها رجعنا إليكم ، وانجرت الحال إلى أن اختاروا رجلاً جلداً ، منهم [4] ، له دهاء ومنة ، فورد على وشمكير رسولا ، فقال له : انك أمير ، ومن شأن الأمراء والملوك أن تتخصص [5] عن العوام ، ولا تقلد [6] في عقيدتها ، وإنما حقهم أن يفحصوا عن البراهين ، فقال له وشمكير ، اختر [7] رجلاً من أهل مملكتي ، ولا أنتدب للمناظرة بنفسي ، فيناظره [8] بين يدي فقال [9] له الملحد : اخترت أبا بكر الاسماعيلي لعلمه بأنه ليس من أهل التوحيد ، وإنما كان إماماً في الحديث ، ولكن كان وشمكير [10] يعتقد فيه ، أنه أعلم أهل الأرض ، بأنواع العلوم ، فقال له وشمكير [11] : تيك مرد

---

(١) د : عنهما .
(٢) ج : ولكنهم .
(٣) د : معرفتهم .
(٤) ب ، ج ، ز : منهم جلدا .
(٥) د : يتخصص .
(٦) د : يقلد .
(٧) ب ، ج ، ز : اختروا .
(٨) كذا في الأصول الأربعة .
(٩) ج ، ز : – له .
(١٠) د : + الأمير .
(١١) ج ، ز : نيك . والعبارة فارسية .

أي رجل جيد ، فأرسل الملك إلى أبي بكر الاسماعيلي ، بجرجان ليرحل إليه إلى غزنة ، حتى يناظر الاسماعيلي ، لما كان يسمع من ذكره ، وإمامته في الحديث ، والملك بعاميته يعتقد أنه قائم على كل علم وأنه ليس فوقه أحد ، ولا وراءه مطلب ، فلم يبق أحد من العلماء إلا يئس من الدين ، وقال سيبهت الاسماعيلي ، الكافر مذهباً ، الاسماعيلي الحافظ نسباً ، ولم يمكنهم أن يقولوا للملك : لا علم عنده لئلا يتهمهم بالحسد ، فلجأوا إلى الله أن ينصر دينه وعولوا عليه . قال الاسماعيلي : فلما جاءني البريد ، وأخذت في المسير ، وتدانت[1] الدار (و ١٩ أ) ، قلت : اناالله ، وكيف أناظر ، فيما لا أدري ، وأتكلم بما لا أعلم ، هل أتبرأ عند الملك أولا ، وأرشده إلى من يحسن الجدل ، ويعلم حجج الله في خلقه على صحة دينه ، وندمت على ما سلف من عمري ، ولم أنظر في شيء من علم الكلام ، ثم أذكرني الله ما كنت سمعته من الرجلين بجامع الري ، فقويت نفسي ، وعولت على أن أجعل ذلك عمدتي ، وبلغت البلد ، وتلقاني الملك ، واستراح[2] ، ثم جمع الخلق ، وحضر الاسماعيلي المذهب مع الاسماعيلي النسب ، وقال الملك للاسماعيلي الباطني : اذكر قولك يسمعه الإمام ، فلما أخذ في ذكره ، واستوفاه قال له الاسماعيلي الحافظ : لمَ ؟ فلما سمعها الملحد قال : هذا إمام قد عرف مقالتي ، فبهت ، فقال له الملك : (إذا ناشمند ورضين)[3] ورجع إلى أصحابه وهو يشير إلى الاسماعيلي وهو يقول (أجور مردد أنشمند) وروي أنه قال : (يا كشنخان[4]

(١) د : + بي .
(٢) ج ، ز : واستراج .
(٣) د : ياسميس ورجيس . ب : إذ أنا شمنسد ورخين . وهي عبارة فارسية .
(٤) ب : باكشخان .

خوستي كه بيك)[1] فرد[2] مناظره وطرده ، قال الاسماعيلي : فخرجت[3] من ذلك ، وأمرت بقراءة علم الكلام ، وتحققت أنه عمدة من عمد الإسلام ، قال القاضي أبو بكر[4] : وحين انتهى بي الأمر إلى المقام المتقدم ، قلت : ان كان في الأجل نساء[5] ، فهذا شبيه بيوم الاسماعيلي ، فرددت وجهي إلى أبي الفتح الإمامي[6] ، وقلت له : لقد كنت في لا شيء[7] ، ولو خرجت من عكا ، قبل أن أجتمع بهذا العالم ما رحلت إلى غربنا[8] عن نادرة الأيام ، أنظر إلى حذقه بالكلام ، ومعرفته ، قال لي : أي شيء هو الله ، ولا يسأل بمثل هذا[9] إلا مثله[10] ، ولكن بقيت ها[11] هنا نكتة لا بد من[12] أن نأخذها اليوم عنه ، وتكون ضيافتنا عنده ، لم قلت أي شيء هو الله ، فاقتصرت من حروف الاستفهام على أي ، وتركت الهمزة ، وهل ، وكيف ، وأين ، وكم ، وما ، وهي أيضاً من (و ١٩ ب) ثواني[13] حروف الاستفهام ، وعدلت من الام ، عن حروفه فهذا سؤال ثان ، عن حكمة ثانية ، ولأي معنيان

(١) ب ، ج ، ز : - بيك .
(٢) د : مرد .
(٣) ب ، ج ، ز : وخرجت .
(٤) د : قال أبي رضي الله عنه .
(٥) ب ، ج ، ز : شيء .
(٦) د : الإمام .
(٧) ج : الأسر . وصحح في الهامش . ز : كتب في الهامش عله : الأسى .
(٨) ج ، ز : غزنا . د : خرجت الا عريان .
(٩) ج ، ز : هذه .
(١٠) ج : الامثلة .
(١١) ج : - ها .
(١٢) ب ، ج ، ز : - من .
(١٣) د : اخواني .

في الاستفهام ، فأي المعنيين قصدت بها[1] ؟ ولم سألت بحرف يحتمل ، ولم تسأل بحرف مصرح بمعنى واحد ؟ هل ذلك وقع منك بغير علم ولا تحصيل ولا قصد لحكمة[2] أم لحكمة[3] ؟ فبينها لنا ، فما هو إلا أن افتتحت هذا الكلام ، واستخفرت[4] فيه ، وهو يتغير حتى اصفر آخراً من الوجل ، كما اسودّ أولاً ، من الحقد ، ومات قبل أن يموت ، ورجع أحد أصحابه الذي كان على يمينه إلى آخر كان بجنبه ، وقال له : ما هذا الصبي إلا بحر زاخر من العلم ، ما رأينا مثله قط ، وهم ما رأوا قط أحداً به[5] رمق لأن الدولة لهم ، ولولا مكاننا من رفعة الدولة ، ملك الشام وأن[6] والي عكا كان يحكمنا لأنا جلبنا إليه كتابه بأن يبالغ في برنا ، وينتهي إلى الغاية في مكارمتنا[7] ، ما خلصت منهم في العادة أبداً و[8] حين سمعت تلك الكلمة من اعظامي ، طلبت ما أمامي وقلت : هذا مجلس عظيم ، وكلام طويل ، يبين أنه يفتقر إلى تفصيل ، ولكن نتواعد إلى يوم آخر ، وقمت وخرجت ، فقاموا كلهم معي ، وقالوا[9] : لا بد أن تبقى قليلاً ، فقلت : لا ، وأسرعت حافياً ، فلما جئت الدرابزين[10] لم أنزل على الدرج ، و[11] وثبت في وسط القصر ، وخرجت

---

(١) د : بهما .
(٢) د : حكمة .
(٣) ب : بحكمة .
(٤) ب ، ج ، ز : استحقرت .
(٥) ج ، ز : له .
(٦) ب ، ج ، ز : فان .
(٧) ب : محارمتنا .
(٨) ج : — و .
(٩) ب ، ج ، ز : + لي .
(١٠) ج : الداربزين ، ب : الطرابزين . ولعله : الطبرانيين .
(١١) ج : — و .

على الباب إلى الرائعة [1] أعدو ، حتى أشرفت على قارعة الطريق ، وبقيت هنالك [2] ، مبشراً نفسي بالحياة ، حتى خرجوا بعدي ، وأخرجوا لي ، لالكتي [3] فلبستها ومشيت معهم ، متضاحكاً ، ووعدوني [4] بمجلس فلم أف لهم ، إلى أن خرجت عنهم ، وخفت وفاتي ، في وفاتي ، وفي ترتيب الرحلة بقية الحديث .

قال القاضي أبو بكر [5] : وقد كان قال لي (و ٢٠ أ) أصحابنا النصرية [6] بالمسجد الأقصى : ان شيخنا أبا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي [7] اجتمع برئيس من الشيعة ، فشكا [8] إليه فساد الخلق ، وأن هذا الأمر لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر ، فقال له نصر : هل لخروجه ميقات معلوم أم لا ؟ قال الشيعي : نعم لخروجه ميقات ، قال له أبو الفتح نصر : و [9] معلوم هو أو مجهول ؟ قال له [10] الشيعي : معلوم ، قال نصر : و [11] متى يكون ؟ قال له الشيعي : إذا فسد الخلق ، قال له أبو الفتح نصر : فلم تحبسونه عن الخلق ؟ و [12] قد فسد جميعهم إلا أنتم ،

---

(١) ب ، ج ، ز : الزائفة . د : الرائغة .

(٢) د : هناك .

(٣) د : لالكي . وهي تشبه الحذاء .

(٤) ج : ووعدني .

(٥) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٦) ب ، ج ، ز : النصيرية .

(٧) نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسي النابلسي زاهد شافعي رئيس شافعية الشام توفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ (الذهبي ، العبر ٣/٣٢٨) .

(٨) ج : فشكر .

(٩) ب ، ج ، ز : — و .

(١٠) ب ، ج ، ز : — له .

(١١) د : — و .

(١٢) د : — و .

فلو فسدتم لخرج ، فأسرعوا به ، وأطلقوه من سجنه ، أو نحو هذا ، وعجلوا بالرجوع إلى مذهبنا ، فبهت ، وأظن أنه سمعها من شيخه سليمان بن أيوب الرازي الإمام[1] الزاهد .

تكملة :

وقولهم : ان العقول تقصر فلا بد من معلم صحيح ، وقولهم : ان المعلم يكون معصوماً صحيح ، ولكن هو[2] المعلم الأول الواسطة بين الله وبين الخلق ، و[3] يجوز أن يكون واحداً ، ويجوز أن يكون ألفاً ، وقد بعث الله واحداً ، واثنين وثلاثاً[4] ، فأما من يأخذ عن هذه الوسائط ، فلا يلزم أن يكون معصوماً ، فما دليلكم عليه ؟ ولا كلام له بعد هذا يحكى .

قال القاضي أبو بكر : وجرت[5] مجالس سوى هذا بيانها في موضعها ، منها أنه لما شاع في البلدة المذكورة ذكري ، واستفاض أمري ، وتفاقم عليهم خطبي ، وكان بها أمير من أمراء الشيعة ، له باع في الجدال ، وميل[6] مع التشيع[7] إلى مذهب الاعتزال ، ودعاء إلى البدعة والضلال ، فلما سمع بذكري ، ترصد الاجتماع

---

(١) د : — الإمام . هو أبو الفتح سليم (لا سليمان) بن ايوب بن سليم . وهو شيخ نصر المقدسي كما ذكر ، وفقيه ومفسر ومحدث ، كان مرابطا بثغر صور بالشام توفي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ (الذهبي ، العبر جـ٣ ص ٢١٣ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص ١٦٨) .

(٢) ب ، جـ ، ز : هذا .

(٣) جـ ، ز : — و .

(٤) جـ ، ز : وثلاثة .

(٥) ب ، د : وجدت .

(٦) ب ، جـ ، ز : يميل .

(٧) جـ ، ز : التشييع .

بي[1] ، فلم يتفق[2] إلا يوم التبريز للخروج إلى طبرية ، فنزل في رحلي ، عليّ ، في كبكبته ، فجزعنا لعمر الله حين (و ٢٠ ب) حل بنا ، لأن الأمر لهم ، والدولة دولتهم ، والبلاد بلادهم ، فلما استوى به الدست ، فاتحني[3] بالقول ، وفي القوم[4] بشهادة الله ـ وان خالفونا في العقيدة ـ برّ في اللقاء ، وحلاوة في المنطق ، واحتمال[5] كثير ، فقال لي : بلغني أنك جادلت أصحابنا ها هنا ، وسمعت بانفصالك ، فأردت لقاءك ، لأعلم ما عندك ، فاطلع[6] قدرك ، فتراجعت اليّ نفسي ، ووطنتها[7] على ما عسى أن تلقى[8] من المكروه في ذات الله ، وكان يكلمني بكلام عذب ، والنكراء على وجناته بادية ، فقلت له : قد كان بعض ما بلغ الأمير ، وهو مشكور على اهتباله وبره ، ومثله عرف لكل أحد ، مبلغ قدره ، ولو أرسل اليّ مشيت إليه ، مبادراً متشرفاً[9] ، بلقائه[10] ، مستسعداً[11] برؤيته[12] ، فقال لي[13] : ما دليلك على أن

(١) ج : — بي .

(٢) ب ، ج ، ز : يبق .

(٣) ب ، ج ، ز : فاتحناه .

(٤) ج : — وفي القوم .

(٥) د : واجمال .

(٦) ب ، ج ، ز : وأطلع . وعلق على هامش ز : عله : (على) يقصد : على قدرك .

(٧) ج : وظننتها .

(٨) ب : يلقا ، د : تتقى .

(٩) ج : مشرفا .

(١٠) د : برؤيته .

(١١) ج : مستعدا .

(١٢) د : بروائه .

(١٣) ب ، ج ، ز : — لي .

الله تعالى عالم بعلم ؟ فقوي قلبي ، وحضر لبي[1] ، واسخنفزت[2] ، فقلت[3] : مثل الأمير في منصبه ، وفهمه لا يرضى بهذا ، فقال لي : وما هو ؟ قلت : حكمت علي بأني أقول : ان الله تعالى[4] عالم بعلم ، ولم تسمع[5] ذلك مني ، ولا شهد[6] بذلك عندك عليّ ، ولو سمعته[7] ، فمن أدب الجدال السؤال أولاً عن المذهب ، ثم بعد ذلك عن الدليل على صحته ، فقال لي : قد علمت بالسماع المتواتر أنك أشعري ، قلت : هذان وهمان ، أحدهما : أن الخبر المتواتر لا يوجب عندك شيئاً ، وهو مذهب الإمامية ، الثاني : أنك[8] إذا[9] سمعت أني أشعري ، كيف حكمت بأني مقلّد له في جميع قوله[10] ؟ وهل أنا إلا ناظر من النظار أدين بالاختيار ، وأتصرف في الأصول بمقتضى الدليل ؟ فبأن سمعت أني ناظرت في مسائل على مذهب الأشعري حكمت فيما لم تسمع ، بما سمعت ، أي نوع هذا من النظر[11] ؟ مثلك لا يرضى به في جلالة منصبه ، فصرف وجهه إلى أبي الفتح شيخ الإمامية بها وهو كان جليسي ، ومناظري أيام (و ٢١ أ) كوني بها ، في كل وقت فسارره ، فأخذت من تحريك شفتيه ، أنه قال له : هذا صبي لا يطاق ، فلما فهمتها ،

---

(١) ج ، ز : لي .
(٢) ب ، د : واسخنفرت .
(٣) ب ، ج ، ز : وقلت .
(٤) ب ، ج ، ز : – تعالى .
(٥) ب ، ج ، ز : يسمع .
(٦) ب ، ج ، ز : شهدت .
(٧) د : – ولو سمعته . وكتب على الهامش .
(٨) ج ، ز : – انك .
(٩) ج ، ز : إذ .
(١٠) د : – في جميع قوله . وصحح في الهامش .
(١١) ج: – من النظر .

استزدت استرسالا ، وأفضت في الكلام ادلالا[1] ، فقلت : وكان من حق الأمير أن يقبل على مسائله المختصة به ، ولا يسألني أولاً عن مسألة ليست له ، وإنما هي من مسائل المعتزلة ، فأردت أن تجادلني بكلامهم ، وأن تفاوضني[2] بحجاجهم ، وتركت ما يختص بك دونهم كمسألة عصمة الإمام ، وكونه المرجوع إليه ، والمحكوم في الدين بقوله ، فهلا بدأت بها ، وأظهرت علمك فيها ، وفخرت على قومك بالكلام عليها[3] ، فلما رأى الشدة في الحدة ، وقد تحلقت علينا الأجناد والعسكرية ، وتشوفت[4] القافلة ، وخاف الظهور عليه ، حل حبوة الجدال ، ولاطف في الكلام والاسترسال[5] ، ودعا مقدم القافلة فقال له : أنظر من معك ، واقدر قدر صاحبك ، ولا تصل اليّ إلا بكتابه شاكراً ، وإلا فلا ترجع إلى البلد ، فشكرناه ، ودعونا له ، وقام ، فخسر[6] ركابه ، وحان[7] ايابه ، وانصرف في كبكبته ، وقد عصمنا الله من سطوته ، وخرجت عن عكا إلى طبرية ، على حوران ، والبثنية[8] ، وعدلت عن بصرى إلى دمشق ، لوجوه بيناها في كتاب ترتيب الرحلة ، فمن هنالك[9] أشرق[10] الحق بنوره ، واتصل المسير إلى دار السلام ، فألفيت بها[11]

---

(١) ج : اذلالا .

(٢) ب ، ج ، ز : تقاومني .

(٣) ج ، ز : فيها .

(٤) ج ، ز : وتسوفت . ب : وستوفت .

(٥) د : والاستنزال .

(٦) ب : فحسن . ج : فحبس .

(٧) ب ، ج ، ز : وخاب .

(٨) ب : والبنينينية . ج ، ز : والتبينية . وفي القاموس المحيط : البثنة قرية بدمشق . فصوابه اذن : البثنة .

(٩) ب ، ج ، ز : هناك . ب ، د : + عاينت .

(١٠) ج ، د ، ز : شرق .

(١١) د : فيها .

من رؤساء العلم ، ورؤوسه ، وأشياخ الملة ، وأحبارها ، ما يملأ الخافقين ، فقلت : هذه ضالتي التي كنت أنشد[1] ، وكان فيها قاضيان عظيمان دينا في الظاهر ، أبو اليمن الحنفي[2] ، وأبو سعد الهروي[3] فجالستهما وسمعت كلامهما ، وإذا بهما[4] على هذا المذهب وأحدهما وان كان يلوّح فأبو سعد كان يصرح ، ولم يكن يظن أن عندي من مذهب القوم ، وأغراضهم علماً[5] وفشا ذلك في خراسان ، من لدن موت أبي الفتح الملك العادل[6] وقتل[7] التاجية[8] لخواجا بزرك الملقب بنظام الملك[9] ، وزير أبي الفتح ، وكان تاج الملك وزير خاتون باطنياً ، وتحزبت الباطنية إلى قلعة أصبهان ، وثارت في الجبل[10] حتى بلغت همدان ، ودعوا إلى الجدال ،

---

(١) ج ، ز : اطلبها وصحح في هامش ، ز : أنشد .

(٢) مسعود بن محمد بن أحمد البخاري ورد مع أبيه إلى بغداد وكانا من المعتزلة وكان لهما مجلس للمناظرة بدارهما ببغداد وتوفي أبو اليمن سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ (القرشي ، الجواهر المضية ج ٢ ص ١٧٠) .

(٣) محمد بن نصر بن منصور قتلته الباطنية بهمذان وقد ولي القضاء بعدة أقاليم قيل حنفي وقيل شافعي توفي في سنة ٥١٩ هـ / ١٢٢٥ (طبقات الشافعية الكبرى ١٩٥/٤) وهناك أبو سعد الهروي آخر توفي في حدود الخمسمائة (طبقات الشافعية ٣١/٤) .

(٤) د : وآدابهما .

(٥) د : — علما .

(٦) هو أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقي التركي كان يلقب بالسلطان العادل مات بعده وزيره نظام الملك بشهر واحد سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ (العبر ٣٠٩/٣) .

(٧) ج ، ز : وقيل .

(٨) د : الناجية . ولعله : الباطنية .

(٩) أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي كان من جلة الوزراء وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والقراء أنشأ المدارس ، ودافع عن مذهب أهل السنة قتله شاب باطني سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ (الذهبي ، العبر ٣٠٧/٣ - ٣٠٨) .

(١٠) ج ، ز : الخيل .

فأرسل الملك إلى الغزالي ، فصنف له كتاباً سماه « حجة الحق في الرد على الباطنية » بالعجمية ، وكلفه الخليفة أن يضع له في ذلك شيئاً ، فأرسل إليه [1] كتاباً سماه « فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية » في كشف أعوارهم وهتك أستارهم ، وتبيين عوارهم ، برع فيه ، وان كان القاضي [2] قد سبقه إليه ، ولكن أجاد هذا في الترتيب ، فنوظروا بذلك[3] ونزلوا إلا طائفة بددهم الجبل ، حتى استنزلوا با لحيل ، وتفرقوا في البلاد أيادي سبا ، ووقعت إلى العراق منهم طائفة ، فلقطوا بها لقط الطائر حب السمسم ، وعقد لهم مجلس ، وقرروا فيه ، فمنهم من أنكر ، ومنهم من اعترف واستمر ، ومنهم من تاب واستغفر ، فقال الشافعية تقبل توبتهم ، وقال الحنفية : لا تقبل لهم توبة ، وجرى في ذلك كلام بين أبي بكر الشاشي [4] الشافعي ، وبين الشريف أبي طالب الزيني [5] ودخل [6] المنشور بصورة المجلس ، إلى الخليفة أحمد المستظهر بالله [7] رحمه الله ، فوقّع يقتلون دون قبول توبتهم ، حسبما رآه إمام دار

---

(١) ج : له .
(٢) أبو بكر الباقلاني .
(٣) ب ، ج ، ز : في ذلك .
(٤) محمد بن علي بن حامد الشافعي توفي بهراة سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ (الذهبي ، العبر ٣٠٨/٣) وهناك أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشافعي الذي تولى التدريس بالنظامية توفي سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٤ وأغلب الظن أنه الثاني (العبر ١٣/٤ - ١٤ . طبقات الشافعية الكبرى ٥٧/٤ - ٦١) وذلك لأنه درس عليه ، وأخذ عنه .
(٥) د : الريبني : وهو أبو طالب نور الهدى الحسين بن محمد الزينبي شيخ الحنفية بالعراق توفي سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ (العبر ٢٧/٤) .
(٦) ب : رحل .
(٧) أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله عبد الله بن الأمير محمد بن القائم العباسي توفي سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ كان كريم الأخلاق جيد الأب (الذهبي ، العبر ج ٤ ص ٢٦) .

الهجرة مالك[1] فانهم أخبث الطوائف[2] مقالة ، واسخفها حجة ودلالة ، أليس شاعرهم الذي يقول :

حل برقـادة المسيح   حل بها آدم ونـــوح
حل بها الله ذو البرايا   فكل خلق سواه ريح

وهو القائل مخبراً عن صاحب مظلته : (و ٢٢ أ) :

أمديرها من حيث دار لطالما[3]   زاحمت[4] تحت ركابه جبريلا

وماذا يستبقي من هؤلاء ؟ فكانت أول مسألة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام ، بعد أحوال وأعوام ، وكانت بعدها أخرى نبينها[5] في موضعها .

وهذا الذي احتج به الخليفة عليهم ، وهو الذي أشرت به عنهم[6] من قولهم : ان[7] الله يحل في كل رسول وإمام ، ويشافه الخلق ، وعيسى من محاله ، ومحمد وعلي ، عندهم ، وكل علوي مثلهم ، يحل الإله فيهم ، إلى سخافات وراءها ، و[8] تهتكات لا ينبغي ذكرها ، ولولا أن الله سبحانه ذكر المقالة الفاسدة تحذيراً عنها ، واقامة للدلالة عليها . ما قلنا هذا أبداً ولا رضينا بذكره ، وما ضل من اقتدى ، ولا قصر من ناضل عن دين الله بالهدى[9] ، ولقد أخبرني من أثقه غير

(١) مالك : توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٦ .
(٢) ج : — الطوائف .
(٣) ب : الظل ما .
(٤) ج : احمت .
(٥) ب : نثبتها ، د : بينتها .
(٦) ب ، ج ، ز : عنه .
(٧) ج : — ان .
(٨) ب : — و .
(٩) د : للهدى .

واحد ، أن قاضي همدان ، كان باطنياً ، وأنه كان إذا سمع عن سني ، قال لباطني : ارفعه في الدعوة ، فاذا رفعه إليه ، ودخل داره ، أمر بقتله ، ورماه [1] في مغواة ، فطلب ذلك الرجل فلم يوجد [2] له خبر أبداً ، وفشت الغيلة [3] فيهم على المسلمين [4] حتى قام شيخنا أبو المظفر حامد [5] بن رجاء المعراني [6] الشافعي خطيب أصبهان [7] على المنبر ، وخطب مؤيداً للدين ، ومحرشاً للموحدين ، ومستنجداً لهم على ما يفعل بأهل السنّة من المؤمنين ، وقال في خطبته : ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون ، وسل سيفه على المنبر ، ونزل ، فقتل [8] الباطنية ، فما بقي منهم في ذلك اليوم بأصبهان إلا من خفي أمره ، أو أخفى نفسه وطهرها الله منهم إلى انكفائي عن العراق .

قال القاضي أبو بكر [9] : وكان قد ظهرت لهم في القراطيس الملقاة عندهم جملة ، ارتفع إلى الخليفة بعضها من مقالاتهم ، قرطاس فيه : ان الحق مطلوب كل (و ٢٢ ب) عاقل ، وطريق تحصيله أبدا معلوم ، وهو أنه رفيق الوحدة ، والباطل حيث الكثرة ، وهذا ينقلب عليهم فيقال لهم [10] : الحق حيث الكثرة ،

---

(١) ب ، ج ، ز : ورمي .

(٢) ب : بياض مكان (فلم يوجد) وعلق عليه ابن باديس بقوله : لعله : (فلا يوجد) . د : فلا يسمع .

(٣) ج ، ز : القيلة .

(٤) ب ، ج ، ز : – على المسلمين .

(٥) ب : ج ، ز : – حامد .

(٦) ب : المعداني . د : المعرابي ، ج : الهمداني .

(٧) ب ، ز : أصفهان .

(٨) د : بمقال .

(٩) د : قال أبي رضي الله عنه .

(١٠) د : – لهم .

والباطل حيث الوحدة ، ويد الله مع الجماعة ، والحق ما كثرت الشهود عليه ، وبعد أن نقلبه[١] عليهم ، لا يكون لهم كلام به احتفال أبداً ، لأن أوله ليس له ثبات ، فآخره شر من أوله .

جواب آخر :

يقال لهم : بم عرفتم أن الحق في الوحدة ؟ أبقول[٢] الإمام أم[٣] بالتجربة ، أو بالنظر ؟ وليس لهم عن هذا جواب به احتفال ، وكنا نورده ، الا أنا كرهنا التطويل ، ورجونا علمكم به .

جواب آخر :

هذا يبطل كل حقيقة ، فان قائلاً لو قال : ان السموات سبع ، وقال آخر[٤] : ان السموات واحدة ، لقلنا يلزمكم أن تقولوا ان السماء واحدة ، لأن الحق في الوحدة ، وكذلك لو قال قائل : الإمام واحد ، هو الحق ، فمن قال : انهم أيمة فهو باطل ، لأن الحق في الوحدة ، وهذه مسكتة[٥] لهم ، وقد جربناها .

قرطاس :

قالوا : إنما ينتقل إلى البدل مع عدم الأصل ، كالتيمم[٦] ، والنظر بدل الخبر ، فان كلام الله هو الأصل ، فهو خلق الإنسان وعلّمه البيان ، والإمام هو[٧] خليفته ،

---

(١) ب ، ج ، ز : تقلبه .
(٢) د : بقول .
(٣) د : أو .
(٤) د : آخرون .
(٥) ج ، ز : المسكتة .
(٦) د : كالمبهم .
(٧) د : — هو .

ومع وجود الخليفة الذي يبين[1] بقوله لا [2] ينتقل إلى النظر .

قال القاضي أبو بكر[3] : هذه كلمات خبيثة ملفقة[4] ، من جزء ، عشر[5] العشر فيه طيب ، لكنه قرن إلى باطل ، خبيث مبطل للكل ، كلام الله هو الكل ، ولكن لا يبلغ إلى كلام الله الا واسطته .

وقد قال الأستاذ أبو اسحق الاسفراييني[6] : ان العاقل[7] لا يصح أن يدرك بذاته كل العلوم حتى يبعث الله من يرشده ، وهو الرسول[8] ، وقولهم : ان خليفة الله هو الذي يبلغ عنه صحيح[9] ، ولكن الخليفة هو النبي الذي سن[10] ثم استأثر[11] الله به (و ٢٣ أ) ولا معصوم بعده ، لكن العلم في ذاته معصوم فاذا أخذ عن المعصوم قطعا فحسن ، وان أخذته[12] عن غير معصوم وعيته[13] وسبرته بالقانون

---

(١) ج ، ز : يلين .

(٢) ج : فلا .

(٣) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٤) ج : – ملفقة .

(٥) د : عشير .

(٦) ج ، ز : الاسفرائيني ، د : الاسفراني ، ب : الاسفرايني . وهو ابراهيم بن محمد توفي سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ (طبقات الشافعية الكبرى ٣/١١١ – ١١٤) .

(٧) ج ، ز : كتب على الهامش : عله : العقل .

(٨) د : وهم الرسل . ب : – الرسول . وترك مكانه بياض .

(٩) ب : بياض مكان : صحيح ولكن .

(١٠) د : – الذي سن . وكتب بدله : ويبين .

(١١) د : يستأثر .

(١٢) ب ، ج : أخذ .

(١٣) د : – وعيته .

الذي بينه[1] المعصوم ، وأفرغته في قالب العلم المعصوم ، فهو ينبيك عن قراره[2] ، ومتنه ، يدلك[3] على غراره[4] ، فلا يصح لهم هذا الكلام بحال ، لا سيما وهم يقولون : ان المعصوم غائب ولكنه[5] قد بث الدعاة .

يقال لهم : ومعلمنا محمد[6] ، قد بث الدعاة ، فان قيل : نحن إذا اختلفنا في شيء رددناه إلى إمامنا[7] المعصوم . قلنا : ونحن إذا اختلفنا في شيء رددناه إلى إمامنا المعصوم ، الذي أكمل لنا التعليم ، وقال لنا عن مرسله العظيم : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة ٣) . ويقال لهم : ولعل معلمكم الغائب قد مات ، وليس لهم بعد هذا الا[8] ما يحكى .

قاصمة :

وكان هذا الداء في الإسلام لوجهين : أحدهما أن المجوس الذين قاموا بين أظهر[9] المسلمين[10] بالجزية ، وعندهم[11] هذا العقد الخبيث فهم بالمصاقبة[12] للمسلمين

(١) د : يبينه .
(٢) د : فراره .
(٣) ب : منته بذلك .
(٤) د : عواره .
(٥) ب : بياض مكان : لكنه .
(٦) د : + صلى الله عليه وسلم .
(٧) د : الإمام .
(٨) كذا في جميع الأصول .
(٩) ب ، ج ، ز : أقاموا بين أظهر الإسلام .
(١٠) ج ، د : للمسلمين .
(١١) ج ، ز : – وعندهم .
(١٢) ب : بالمنافثة ، ج : بالمثابقة . ر : بالمثافقة . ومعنى المصاقبة التي أثبتت من (د) المجاورة وقرب الدار من صقب إذا دنت داره .

يبثونه فيهم فيتشككون[١] بتشكيكهم ، ويرتدون[٢] إليهم ، كما أن لمقام[٣] النصارى بين أظهرنا ، ترددت نحلتهم[٤] عندنا وعلمناها ، وكانوا مغمورين[٥] بالحق مقهورين ، إلى أن أنشأ الله بني برمك : يحي بن خالد[٦] ، ومحمد بن خالد ، فملّك الوالي أمر الدين اياهما ، وجعل الخلافة بأيديهما ، فكان محمد بن خالد حاجبها ، ثم كان وزيرها ، وصاحب أمرها كله يحيى بن خالد ثم ابنه جعفر ابن يحيى[٧] ، وكانوا باطنية يعتقدون رأي الفلاسفة ، فكادوا الدين ، وأحيوا[٨] المجوسية ، واتخذوا البخور في المساجد ، وإنما كانت تطيب بالخلوق ، فزادوا التجمير ليعمروها (و ٢٣ ب) بالنار منقولة ، حتى يجعلوها عند الانس[٩] ببخورها[١٠] ثابتة[١١] ، وتمكن العجم من افساد دولة العرب ، والملحدة من الملة ، والعبيد من الأحرار ، وقد كانوا يضمرون لها[١٢] حقداً ، وينتظرون[١٣] لفسادها[١٤] وقتاً ، فانتقوا كل ضيق العطن ، مخلوع الرسن ، وأظهروا الآراء الفلسفية بعد خفائها ، وجلبوا

---

(١) ب ، ج ، ز : فيشككون .
(٢) ب : ويريدون . ج ، ز : ويزيدون .
(٣) ج : المقام ، د : بمقام .
(٤) د : نحلتهم .
(٥) د : مقمورين . وكتب على هامش (ز) : وقد ذكر المقريزي في خططه ما حاصله .
(٦) توفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ في سجن هارون الرشيد (العبر ١ /٣٠٦) .
(٧) قتله هارون الرشيد سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢ (العبر ١ /٢٩٨) .
(٨) ج ، ز : واحبوا .
(٩) ج ، ز : الإنسان .
(١٠) بخروها .
(١١) ج ، ز : ثانية .
(١٢) ب ، ج ، ز : لنا .
(١٣) ب : ممتطرون .
(١٤) ب ، ج ، ز : افسادها .

الناس إلى أنفسهم بعظيم العطاء ، وسعة الافضال ، والتمكن من الملك ، والادناء من مقار العز ، فنفقت بعد كسادها ، وعادت بعد نفادها ، ولحظوا الخلق بعين التنفير[1] ، ليأخذوا من يوافقهم على هذا النظير[2] ، فاعتاموا منهم من لا يهدي ، ولا يهتدي وصح[3] :

عن المرء لا تسل وسل عــن قرينــه   فكل قرين بالمقارن يقتدي[4]

وعقدوا مجلساً للضلال باسم الهدى ، ونصبوا على الإسلام لذلك موعداً ، يحضر فيه من ينتحل علم الكلام من أصحابهم[5] المنتدبين للطعن على أهل الإسلام ، أولى عقائد فاسدة ونحل مضلة ، وكان من رؤوس مجلسهم ، وممن اختاروا للعون على ضلالتهم أربعة عشر رجلاً[6] ثمانية[7] من المعتزلة : أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف[8] ، وإبراهيم بن سيار النظام[9] البصريان ، وبشر[10] بن المعتمر

(١) ج : التعبير .
(٢) ب ، ج ، ز : كتب على الهامش : النكير . د : النكير .
(٣) ب : – وصح . ج ، ز : + شعر .
(٤) ج ، د ، ز : مقتدى .
(٥) ج : – من أصحابهم .
(٦) ب ، د : – رجلا .
(٧) د : خمسة .
(٨) محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري توفي سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ وقال السعودي توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ (العبر ١/٤٢٢) .
(٩) توفي في حدود سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ (الدكتور النشار ، نشأة الفكر في الإسلام ، الاسكندرية ١٩٦٦ ج ١ ص ٥٧٨) .
(١٠) د : + معتمر .

البغدادي[1] ، وجعفر بن حرب[2] ، وجعفر بن مبشر[3] ، وثمامة بن أشرس[4] ، ومنهم الصباح[5] بن الوليد المرجي ، شيخهم في زمانه ، ومنهم أبو مالك الحضرمي[6] شيخ الشروية .

ومن الإمامية هشام بن الحكم الجزار[7] الكوفي[8] ، وصاحبه السكاك ، وصاحباه أيضاً[9] علي بن مقسم ، وعلي بن منصور[10] ، وإبراهيم بن مالك رجل من أهل البصرة ، يتفقه في ظاهر أمره ، ويصر في الباطن[11] على أمر عظيم ، والموبذان

(١) توفي في حدود سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ (ريتر ، فهرست مقالات الإسلاميين) .
(٢) توفي سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ (ريتر ، فهرست مقالات الإسلاميين) .
(٣) ب ، ج ، ز : بشر . توفي سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ (ريتر ، فهرست مقالات الإسلاميين) .
(٤) النميري توفي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ (ريتر ، فهرست مقالات الإسلاميين) .
(٥) ج : المصباح .
(٦) الضحاك الكوفي رئيس فرقة من فرق الرافضة (مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٤٢) .
(٧) ب ، د : الحرار .
(٨) أبو محمد مولى كندة وكانت له صلة وثيقة بيحيى بن خالد البرمكي وقد رد على الزنادقة والمعتزلة . توفي سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ وقيل سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ وذكر محمد جواد مشكور أنه توفي نحو ١٩٠ هـ / ٨٠٥ (كتاب المقالات والفرق للقمي ص ٢٣١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٢٢٢ – ٢٦٠ .
(٩) ب ، ج ، د : – أيضاً .
(١٠) أما السكاك وعلي بن منصور فقد ذكرهما الأشعري في (المقالات ج ١ ص ٦٣) باعتبارهما مؤلفي كتب الرافضة واسم السكاك محمد بن خليل أبو جعفر وذكرهما الشهرستاني أيضاً باعتبارهما من مؤلفي الشيعة . إلا أنه وجد تغيير في اسم السكاك حيث كتب (الشكال) (الملل ج ١ ص ١٩٠) .
(١١) ب ، د : الباطل .

قاضي المجوس ، وكان هذا الموبذان المذكور خالصة القوم ، وعيبتهم[1] وشعارهم ، ومن ذكرناه[2] (و ٢٤ أ) سواه دثارهم .

ولقد تكلموا في بعض مجالسهم في العشق ، فقالوا ألفاظاً صاغوها على مناقضة الشريعة ، حتى قال أبو الهذيل فيه : إنه [3] يختم على النواظر ، ويطبع على الأفئدة ، ويتعدى في الأجساد ، ومشرعه[4] في الأكباد ، وصاحبه متصرف[5] في[6] الظنون متفتق[7] الأوهام[8] ، وقال بقيتهم نحوه ، وقال الموبذان : انه نار تأجج في تامور [9] القلب ، بين الجوانح واللب ، فيوجد بوجود الأشخاص ، والتحام الاجرام ، لأن منشأه عن حركات[10] حيوانية ، وعلل هيولانية ، ومصرفه[11] الاستقصات ، لأنها تولده ، والنجوم تنتجه ، والأسرار العلوية تصوره ، وهو من كرم العناصر ، وتداعي الضمائر ، واتفاق الأهواء ، ولا يكون إلا من اعتدال الصورة ، وذكاء الفطنة ، وصفاء المزاج ، واستواء التركيب والتأليف .

---

(١) د : وعيبهم . ج : وغيبتهم . ومعنى عيبتهم : موضع سرهم .
(٢) د : ذكرنا .
(٣) د : أن .
(٤) ب : يسرعه .
(٥) ب : منصرف .
(٦) ب ، د : — في .
(٧) ب : متفق . ج ، ز : منفق .
(٨) د : الأفهام .
(٩) حبة القلب أو دمه (القاموس المحيط) .
(١٠) د : حركة .
(١١) ب : وتصرفه . ج : متصرفه ، د : متصرف .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر[1] : فها أنتم أولاء ترون ما يأتون[2] به[3] من القحة والتهتك[4] ويقتحمون[5] في البطالات من الترهات والانهماك في الضلالات . ويقال لهم ، ما عارضهم به من قابل فاسداً بفاسد وهو باب من الجدل ، وطريق من طرق الحق ، في مقابلة الفاسد وهو باب من النظر قاطع بالخصم ، قاصم لظهره : انكم لم تعلموا للعشق حقيقة ، إنما هو معنى يهوى على مهبط[6] الصب ، من قيضب القرب[7] ، فيزعج[8] بلاعج الحب من قيتب[9] القلب ، فيذهل اللب ، ويعظم الكرب فقربه البعد ، وحياته القرب ، ليس من مزاج الأسطقس ، ولا من مملكته[10] ، ولا من تأثير[11] الكواكب ، ولا أفلاكها ، وإنما هو علوي على العلويات بري من الهيولات ، ومعنى إذا وقع خرق[12] أقطار السموات ، فنزل على غير ميقات، لا يتعلق بالأشباح ولا يمتزج بالحركات ، ولا يدركه عالم الحواس ، ولا يعد في

---

(١) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٢) ج ، ز : تأتون .

(٣) د : — به .

(٤) ج : والتكتك .

(٥) ب ، ج ، ز : وتقتحمون .

(٦) د : مهيك .

(٧) ب : الغرب .

(٨) ب : فينزل . ج ، ز : فيزل .

(٩) د : قبقب .

(١٠) ج ، د ، ز : ملكته .

(١١) ب ، ج ، ز : تأثر .

(١٢) ب : أحرق . ج ، ز : حرق .

تصرفات الأمزجة ، ولا يلحقه (و ٢٤ ب) تأليف ، لأنه[1] فرد عن فرد لفرد ، يحرك الأفلاك ، ولا تحركه :

ازمر[2] على البوق[3] ان صاحو بشبوط[4] وقابل[5] القوم تخليطاً بتخليط
صوت بصوت وخير الصوت أفهمه فاسمع فهـا هو افـراط بتفريـط

وقد ذكر الأستاذ المعظم أبو المظفر طاهر بن محمد الاسفراييني شاهفور أن هذه المشيخة الركيكة ، اجتمعوا مع نفر من أصحابهم[6] في مجلس لهم للخوض في الباطل وتكلموا في مسألة ما يصح وصف الباري بالقدرة عليه[7] فزعمت أن الظلم مقدور لله[8] ، لكنه لا يفعله ، لأن وقوعه منه يدل على حدوثه ، فقيل لهم : ما دل على حدوثه لم يوصف بالقدرة عليه كالموت والحركات ، فقال النظام : لا يقدر الله على ما لو وقع منه كان ظلماً وجوراً ، والمعنى فيه أنه لو قدر عليه لم يدر لعله قد جار أو كذب فيما مضى أو يجور ويكذب في المستقبل أو قد جار

---

(١) د : فانه .
(٢) ج ، ز : أزير .
(٣) ج : البوف . د : البرو .
(٤) شبوط : يطلق على نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس . وشبيوط أيضاً : حصن بأيدة من الأندلس (القاموس المحيط) .
(٥) ج ، ز : مالك .
(٦) ذكر ذلك أبو المظفر في كتابه التبصير في الدين ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري . القاهرة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ ص ٥٤ – ٥٥ .
(٧) ز : كتب على الهامش : قف على كتاب التبصير لهذا الأستاذ وتلخيص ما وقع من المناظرة في هذا المجلس البرمكي .
(٨) ج . ز : الله .

الآن في بعض أطراف الأرض [1] ولم يكن لنا من جوره وكذبه أمان ، الا من جهة حسن الظن به ، فأما دليل يؤمننا من وقوع ذلك منه ، فلا سبيل إليه ، فقال له الأسواري [2] : يلزمك على هذا الاعتلال أن لا يكون قادراً على ما علم أنه لا يفعله ، وأخبر بأنه لا يفعله [3] ، لأنه لو قدر على ذلك لم نأمن [4] وقوعه منه ، فيما مضى أو [5] في المستقبل . قال له النظام : هذا لازم ، فما قولك فيه ؟ فقال أنا أسوي بينهما ، فأقول : انه لا يقدر على فعل ما علم أنه لا يفعله ، ولا على ما لو فعله لكان ظلماً منه . فقال النظام للأسواري : قولك هذا الحاد وكفر ، فقال أبو الهذيل للأسواري : ما تقول في فرعون ومن علم الله سبحانه (و ٢٥ أ) منهم أنهم لا يؤمنون ؟ هل كانوا قادرين على الإيمان أم لا ؟ فان زعمت [6] أنهم كانوا قادرين عليه ، فما يؤمنك من أن يكون [7] قد وقع من بعضهم ما علم الله أنه لا يفعله ؟ أو [8] أخبر عنه بأنه

---

(١) نص التبصير : انه ليس بقادر على ذلك إذ لو قدر عليه لم يأمن أن يقع منه ظلم أو كذب فيما مضى . أو يقع ذلك في المستقبل ، أو وقع أو يقع ذلك في طرف من أطراف الأرض (التبصير ، ص ٥٤) .

(٢) علي الأسواري (ابن قتيبة ، مختلف الحديث ص ٣٧) لا يعرف تاريخ وفاته على ما نعلم . صحب أبا الهذيل العلاف والنظام فهو من أهل القرن الثالث .

(٣) ب : أخبرنا به لا بفعله ، ج ، ز : أخبرنا به أنه لا يفعله .

(٤) ج ، ز : يأمن .

(٥) ج : وفي .

(٦) د : زعمتم .

(٧) د : – يكون .

(٨) ب ، ج ، ز : و .

لا يفعله على قود[1] اعتلالك ، واعتلال النظام ، وانكاركما قدرة الله على الظلم والكذب ، فقالا : هذا لازم لك[2] فما جوابك عنه ؟ فقال : أنا أقول : ان الله تعالى قادر على أن يظلم ، ويكذب ، وعلى أن يفعل[3] ما علم أنه لا يفعله ، فقالا له : أرأيت لو فعل الظلم والكذب كيف كان حال الدلائل التي دلت على أن الله لا يظلم ولا يكذب ؟ فقال : هذا محال ، فقالا له : كيف يكون المحال مقدوراً لله تعالى ؟ ولم أحلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدوراً له ؟ فقال[4] : لأنه لا يقع إلا عن آفة تدخل عليه ، ومحال دخول الآفات على الله تعالى ، فقالا له : ومحال أيضاً أن يكون قادراً على ما لا يقع منه[5] إلا عن آفة تدخل عليه ، فبهت فقال لهم بشر بن المعتمر : كل ما أنتم فيه تخليط ، فقالوا[6] له : فما تقول أنت ؟ أتقول بأن الله قادر على أن يعذب الطفل الذي لا ذنب له أم لا يقدر عليه ؟ فقال أقول : بأنه[7] قادر على ذلك ، فقالوا له : أرأيت لو فعل ما قدر عليه من تعذيب الطفل ، لا عن ذنب ، ما كانت حال الدلائل التي دلت على أنه لا يظلم ؟ فقال : لو عذب الطفل ظالماً له في تعذيبه لكان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً مستحقاً للعذاب[8]

---

(١) ب ، ج ، ز : قول . وعلق ابن باديس عليه بقوله : أو قود ، لأن الاعتلال يقود إلى ما ذكر .

(٢) د : – لك .

(٣) ب : – أن يفعل .

(٤) ج : + له .

(٥) ب ، ز : عنه ، د : – عنه .

(٦) د : قالوا .

(٧) د : انه .

(٨) ب : العقاب . ج ، ز : للعقاب .

الذي أصابه ، وكانت الدلائل بحالها في دلالتها على عدل الله تعالى ، فقالوا : سخفت عينك كيف يكون عادلاً بفعل ما هو ظلم ؟ فقال لهم المردار[1] : انكم أكثرتم على أستاذي بشر منكراً[2] عظيماً [3] ، وقد يغلط الأستاذ ، فقال له بشر : كيف[4] تقول أنت ؟ قال أقول : ان الله عز وجل[5] (و ٢٥ ب) قادر على الظلم والكذب ، ولو فعل ذلك لكان إلهاً ظالماً [6] كاذباً ، فقالوا[7] له : هل كان مستحقاً للعبادة أم لا ؟ فان استحقها فالعبادة شكر المعبود ، والظالم يستحق الذم لا الشكر ، وان لم يستحق العبادة ، فكيف يكون من لا يستحقها إلهاً ؟ فقال لهم : الا أنا نقول انه قادر على أن يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب كان صادقاً عادلاً ، فقال له[8] الاسكافي[9] : كيف ينقلب الظلم عدلا ، والكذب صدقاً ؟ فقالوا له : كيف تقول أنت في هذا ؟ فقال : أقول : لو فعل هذا[10] الجور والكذب ما كان

---

(١) ب : المرار . ج ، ز : المزدان ، د : المراد . والصواب ما أثبت . والمردار هو أبو موسى عيسى بن صبيح تلميذ بشر بن المعتمر توفي في سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ والتصحيح من (التبصير ص ٥٥) .

(٢) ج : – منكرا .

(٣) ج ، د ، ز : – عظيما .

(٤) د : فكيف .

(٥) د : تعالى .

(٦) ب ، ج ، ز : عالما .

(٧) د : فقال .

(٨) د : لهم .

(٩) محمد بن عبد الله الاسكافي توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ .

(١٠) ب ، ج ، ز : – هذا .

العقل موجوداً وما كان ذلك واقعاً لمجنون[1] أو منقوص[2] . فقال له جعفر بن حرب : انك تقول : ان الله يقدر على ظلم المجانين ، ولا يقدر على ظلم[3] العقلاء . فافترق يومئذ القوم على انقطاع كل واحد منهم[4] وعجزه عن الانفصال عما ألزم على مذهبه ، فلما انتهت نوبة الاعتزال[5] إلى الجبائي[6] وابنه[7] أمسكا عن الجواب في هذه المسألة .

وذكر بعض أصحاب أبي هاشم[8] هذه المسألة في كتابه فقال : من قال[9] : هل يصح وقوع ما يقدر الله عليه من الظلم والكذب ؟ قلنا له : لا[10] يصح وقوع ذلك منه ما كان قادراً عليه ، لأن القدرة على المحال محال . فان قال : أفيجوز وقوعه منه ؟ قلنا : لا يجوز وقوعه منه لعلمه بقبحه وغناه عنه ، فان قال : أخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب ، كيف يكون حاله في نفسه ؟ هل كان يدل وقوع الظلم والكذب منه على جهله أو حاجته ؟ قلنا : ذلك محال ، لأنا قد علمناه عالماً غنياً ، فان قال (و ٢٦ أ) لو وقع منه الظلم والكذب ، هل يجوز أن يقال :

---

(١) د : بمجنون .

(٢) ويبدو أن النص الأصلي الذي أورده شاهفور الاسفراييني أوضح وهو : فقال : أنا أقول ان ظلم أو كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه . (التبصير في الدين ص ٥٥) .

(٣) ب ، ز : – ظلم . وأثبت في هامشيهما .

(٤) ب : – منهم .

(٥) د : الاعتراض . وفي التبصير : زعامتهم .

(٦) محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ .

(٧) عبد السلام بن محمد توفي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ .

(٨) ب ، ج ، ز : + في .

(٩) ب ، ج ، ز : + له .

(١٠) د : هل .

ان ذلك لا يدل على جهله أو[1] حاجته ؟ قلنا : لا يقال ذلك ، لأنا قد علمنا دلالة الظلم على جهل فاعله أو حاجته . فان قال : فانكم[2] لا تجيبون على سؤال من سألكم ، والكذب[3] منه على جهل فاعله أو حاجته[4] باثبات ولا نفي ، قلنا كذلك نقول .

فهؤلاء دعاة قدرية عصرنا ، وقد أقروا وعجز أسلافهم عن الجواب في هذه المسألة ، ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا[5] إلى قول أصحابنا فان[6] الله تعالى[7] قادر على كل مقدور ، ولو وقع كل مقدور له منه ، لم يكن ظلماً منه ، وأحالوا قدرته على كذب يصير به كاذباً ، كما أحاله[8] أصحابنا ، ولتخلصوا[9] عن الالزام من الوجوه التي حكيناها .

واعتذر الجبائي في امتناعه عن الجواب في هذه المسألة بنعم أو بلا ، فذكر مثل هذا السؤال في النبي[10] ، فقال : أخبرونا عن قولكم في النبي لو فعل ظلماً

---

(١) د : و .
(٢) ب : ما بكم .
(٣) في الكلام عدم اتساق ولعل هناك سقطا كما قال ابن باديس .
(٤) ج : – فان قال فانكم لا تجيبون عن سؤال من سألكم والكذب منه على جهل فاعله أو حاجته .
(٥) ج ، ز : رجعوا .
(٦) د : بأن .
(٧) ج : تكرر « فان الله تعالى » .
(٨) ب: أحال .
(٩) ج ، ز : ليخلصوا .
(١٠) د : + صلى الله عليه وسلم .

أو[1] كذب[2] ، كيف[3] يكون حاله ؟ وزعم أن الجواب في ذلك غير ممكن[4] ، وهذا ظن منه . وجواب أصحابنا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوماً عن الكذب والظلم ، ولم يكن قادراً عليهما ، ولا يجوز[5] أن يقع منه ما لا يقدر عليه .

والمعتزلة كلهم غير النظام والأسواري قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب ، ثم عجزوا عن اظهار حكمه أن لو فعل مقدوره منهما .

قال القاضي أبو بكر[6] رضي الله عنه : فقد بينت لك[7] أحوال[8] هذه الطائفة الركيكة ، إذا هزلوا تساخفوا[9] وتهتكوا ، وإذا جدوا تحيروا وتخاذلوا ، ثم أنشأت البرامكة[10] طامة عظيمة بأن كلفوا الأخباث[11] أيضاً ترجمة كتبهم ، طبا (و ٢٦ ب) وطبيعة[12] بالعربية فتولى ذلك يهودي أو نصراني أو ملحد لا رأس مال له في الإسلام ، فمزج ما نقل من الطب بألفاظ وعقائد تتعلق بالالحاد ، وتعارض الشريعة ، في فروعها وأصولها ليتوهم من ترجمت له أن[13] هذه الأمم الفاضلة التي

---

(١) ب ، ج ، ز : و .
(٢) د : كذبا .
(٣) د : + كان .
(٤) ج : محكى .
(٥) د : - يجوز .
(٦) د : قال أبي .
(٧) ج ، ز : + من .
(٨) ج : أصول .
(٩) د : فتساخنوا .
(١٠) ج ، ز : كتب على الهامش : اعرف : تسببت البرامكة في ادخال علوم الأوائل على الملة قصداً لتوهينها .
(١١) ب : الأجناد .
(١٢) ب : طبيعية .
(١٣) ب ، ج ، ز : - ان . وكتب على هامش ج ، ز : عله : ان هذه .

تولت هذه العلوم الغريبة[1] ، كانت على هذه النحل ، فطمحت نفوسهم إلى معرفة تفاصيلها ، فاجتمعوا ، وجمعوا آراءهم ، كما كانت أغراضهم ، ولم يقدموا قاضياً في البلاد الا أن يكون على هذه[2] العقيدة ، ولا أميراً ولا كاتباً ، إلا وهو فيها ، ولا ينظم في سلك الخاصة إلا من كان قائماً بها ، ولا يتوسع في العطاء إلا لأمثالهم[3] :

وقـد فتن النـاس في دينهـم وخلى[4] ابن برمك شراً طويـلا
فكادوا على الملك[5] في سعيهم وأعدوا عـلى الديـن داء دخيلا[6]

وعم الباطل ، وظهرت الزندقة ، وثارت البدع ، وتوجهت المطالبة على البرامكة[7] الذين كانوا يعضدون[8] القضاة والأمراء والعمال ، والقائلين بذلك ،

---

(١) ب : العربية .
(٢) ج ، ز : هاته .
(٣) ج : مثالهم . وصحح في الهامش .
(٤) د : حل .
(٥) د : الدين .
(٦) ب ، ج ، ز : كتب البيتان على شكل نثر .
(٧) ز : كتب على الهامش : وقد ذكر صاحب تحفة المجالس حكاية في سبب قتل البرامكة ، لا حاجة لذكرها كلها ، بل محل الحاجة منها : أن الرشيد أرسل إلى الأصمعي ليلة قتله جعفراً ولما قدم عليه وكشف الطست المغطى بمنديل ، وهاله رؤية رأس جعفر فيه قال له الرشيد : يا أصمعي لا تحزن فان القوم كانوا يعبدون النجوم فأرخيت لهم حتى استغرقوا في الأمل ، ونسوا الأجل ، فأخذتهم بغتة وهم لا يشعرون إلى آخره وهذا تأييد لما ذكره الإمام ابن العربي رضي الله عنه انتهى من خط الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله السوسي .
(٨) ج : يقصدون .

فلما لم يمكن مطالبتهم بهذه المعاني عند الخلافة لتعذر الطريق إلى ذلك ، من اقامة البينة ، وتحصيل الشهادة ، على وصف العدالة ، وعدم [1] امكانه تدرع الناس إلى المطالبة من جهة الدولة ، والحريم ، وكانت الملة على الذهاب ، فانهم كانوا قد بثوا [2] الدعاة في آفاق الأرض على وجه يطول شرحه ، فتدارك الله الملة بأن سخر الملك لهدمهم فتقطعوا أيادي سبا ، وتفرقوا شذر مذر [3] ، وقد ملأوا الأرض من الباطل ، واستخلفوا شياطين الإنس على إضلال الخلق ، من فيلسوف وأديب ، حتى لم يبق بيت إلا وفيه من كتب الأباطيل ، ما بين ناظر فيها حتى يعلم المراد منها . أو [4] مختار ما يصلح منها ، وتارك ما سواه ، أو رادّ [5] عليه ، لئلا يعتلق [6] (و ٢٧ أ) بموحد فيختل [7] عقده ، أو يتزلزل ، واستمر ما أورثوه من تركتهم ، وأرثوا [8] من نارهم ، وصار [9] باطلهم [10] ينمى نمو الخضاب في اليد ، ليتحقق الوعد الصادق في فساد الزمان ، وذهاب الأديان .

---

(١) ب : بياض مكان (وعدم) . وعلق ابن باديس عليه بقوله : ولعدم أو نحوه .

(٢) ج : بث .

(٣) ز : كتب على الهامش : قف على هذا السبب الخفي لنكبة البرامكة ، وما ذكره ابن خلدون هو السبب الظاهر المستور به هذا .

(٤) ج : — أو .

(٥) ج : زاد .

(٦) ب : يتعلق ، ج ، ز : يعتلون وكتب على هامش ز : يتعلق بها موحد . د : يعتلق بها موحد .

(٧) د : فيحيل .

(٨) أي أوقدوا (القاموس المحيط) .

(٩) ز : تكرر : وصار .

(١٠) ج : باطل .

عاصمة :

ولم يتعرض [1] لحماية الدين الا آحاد اختارهم الله له ، ونصبهم للذب عنه ، فأولهم أبو الحسن الأشعري [2] وعارضه ابن ورقاء أمير البصرة ، فقام به ، وجرت بينهما حروب جدال مذكورة ، وتواتر بعده الأصحاب في الأحقاب ، على الأعقاب ، فحفظ الله دينه ، على من أراد هدايته ، فلم يبق وجه من البيان إلا أوضحوه ، ولا سبيل من الأدلة إلا نهجوها ، وانتدب أبو الحسن [3] إلى كتاب الله فشرحه ، في خمسمائة مجلد وسماه بالمختزن [4] فمنه أخذ الناس كتبهم ، ومنهم أخذ عبد الجبار الهمذاني [5] كتابه في تفسير القرآن الذي سماه بالمحيط [6] في مائة سفر ، قرأته [7] في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام ، وانتدب له الصاحب بن عباد [8] ،

---

(١) د : يتحرك .

(٢) علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم أبو الحسن . ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ وبها نشأ ثم أقام ببغداد وتوفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ (ابن عساكر ، تبيين كذب المفترى ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ٦ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها) .

(٣) ب ، ج ، ز : - أبو الحسن .

(٤) قال ابن عساكر : وكان ألف في القرآن كتابه الملقب بالمختزن ذكر لي بعض أصحابنا أنه رأى منه طرفا وكان بلغ سورة الكهف ، وقد انتهى مائة كتاب .(تبيين كذب المفترى ص ١١٧) .

(٥) عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن المعتزلي توفي سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ وقد عثر على كتابه المغني والأصول الخمسة وطبعت اغلب أجزاء المغني كما طبع كتاب الأصول الخمسة بالقاهرة .

(٦) د : المحيط .

(٧) ج ، ز : قرأناه .

(٨) أبو القاسم اسماعيل بن عباد وزير مؤيد الدولة بن بويه بن ركن الدولة توفي سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ .

فبذل فيه عشرة آلاف دينار للخازن في دار الخلافة ، وألقى النار في الخزانة ، واحترقت[1] الكتب وكانت تلك نسخة واحدة لم يكن غيرها [2] ، ففقدت من أيدي الناس ، إلا أني رأيت الأستاذ الزاهد الإمام أبا بكر بن فورك[3] يحكي عنه ، فلا أدري وقع على بعضه أم أخذه من أفواه الرجال[4] ، فعليكم بكتب القوم ، فهي الشفاء من الداء العياء .

وكانت هذه الطائفة الثائرة ، في هذه الدولة الغويّة[5] المسماة بالبرمكية ، قد سعت في كيد الإسلام ، كما بينا ، واصطنعت من ذكرنا ، وتكاثرت ، فربت

(١) ج ، ز : واحرقت .

(٢) ز : كتب على الهامش : أعرف : أن الأشعري رضي الله عنه أول من انتصب للنضال عن الدين بحجاج مذاهب الكفرة ، والملحدين وردها . قف على تفسير الإمام الأشعري. قف على ما فعل الصاحب بن عباد وكان معتزليا كما ذكره السكوني .

(٣) محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني كان متكلماً زاهداً متعبداً ذكر الذهبي أنه توفي سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ (العبر ، جـ ٢ ص ٩٥) .

(٤) ب : الرجل .

(٥) ب ، ج ، ز : القوية .

في حجرها طوائف كابن المقفع[1] ، وابن الراوندي[2] ، والجاحظ المعتزلي[3] ، وكثير من أمثالهم قد استسنوا[4] في البشر[5] أنه لا (و ٢٧ ب) مدرك الا العقول ، وأنها تغني عن الرسل ، ولا مدرك في عقد ، أو قول ، أو عمل ، إلا والعقل مستقل به وقسموه لمدارك أربعة[6] :

---

(١) عبد الله بن المقفع واسمه بالفارسية روزيه ومعناه المبارك كان من أخطر الزنادقة توفي سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ .

(٢) أحمد بن يحيى الراوندي نسبة إلى راوند قرية بنواحي قاسان قرب أصبهان كان زنديقاً ملحداً معارضاً للقرآن ألف كتاب الزمردة ، وكتاب نعت الحكمة ، وكتاب قضيب الذهب ، وكتاب الدامغ ، ولد سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ وتوفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ وقيل سنة ٢٤٥ وقيل ٢٩٨ وقيل ٢٤٣ (ابن الجوزي ، المنتظم جـ ٦ ص ٩٩ في وفيات سنة ٢٩٨ . العبر جـ ٢ ص ١١٦ في حدود ٣٠٠ هـ . المسعودي ، مروج الذهب جـ ٧ ص ٢٣٧ . ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ص ١٠٨ . عبد الرحمن بدوي من تاريخ الالحاد في الإسلام ٧٥ - ١٨٨) . وقد رد عليه كثير من المتكلمين سواء في ذلك المعتزلة والاشاعرة ورد عليه أبو الحسن الأشعري نفسه كتابه المسمى بالتاج الذي ذهب فيه إلى القول بقدم العالم (تبيين كذب المفترى ص ١٢٩) وقد تتلمذ ابن الراوندي على أبي عيسى الوراق (٢٤١ هـ / ٨٦١) الزنديق المانوي العنيف (من تاريخ الالحاد في الإسلام ص ١٨٢) .

(٣) د : المفتري ـ وهو عمرو بن بحر أبو عثمان البصري أخذ عن ثمامة بن أشرس ، وأبي اسحاق النظام توفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ .

(٤) د : أسسوا . ز : كتب على الهامش : اعرف من ربي من الملحدين في دولة البرامكة المفسدين .

(٥) ب : الستر ، د : السر .

(٦) ب ، جـ ، ز : وقسموا المدارك أربعة .

المدرك الأول :

معرفة الموجودات كالسماء وما اشتملت عليه[1] من أفلاك دائرات ، وكواكب نيرات ، والأرض وما كان فيها من معدن ونبات ، وعدوا[2] مركبات ، وبسائط مفردات ، وهي الماء والهواء والتراب والنار ، والمعادن واجتماعها مزاجاً ، وافتراقها تعدداً وازدواجاً ، على الجملة في كلها ، وعلى التفصيل في النظر في الإنسان وتركيبه ، وما يختلف عليه من أحواله ، والمطر[3] وما يرتبط به[4] .

المدرك الثاني :

سموه ما وراء الطبيعة ، وهو النظر في الصانع ما هو ؟ وما هو عليه ؟ وكيف نشأت الموجودات عنه ، وترتبت منه ؟

المدرك الثالث :

النظر في المصالح العامة التي تقوم بالقانون الإنساني في خلقه وخلقه ، مما يتعلق بصفاته ، وتكرماته[5] ودناءاته ، وشهواته[6] ، وسهواته[7] ، وساقوا[8] ذلك كله على تدبير في نظر سموه سياسة وأدب[9] النفس وغير ذلك ، ومهدوا قبل ذلك

---

(١) ب ، ج ، ز : عليها .
(٢) ج ، ز : وعدد ومركبات . ولعل صوابه : وحيوان .
(٣) د : والنظر .
(٤) ج : عليه .
(٥) د : وكراماته .
(٦) ب : – وشهواته . وأثبت في الهامش .
(٧) ب ، ج ، ز : – وسهواته .
(٨) ج : وماقوا .
(٩) د : وآداب .

كله ، طريقاً إلى تحصيل [1] هذه المدارك بالعقول سموه المنطق ، مهدوا [2] فيه بزعمهم ، أنواع الأدلة ، وشروط النظر ، مستوفى بتفهيم المفردات منه ، ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية أقسام [3] .

وكانت هذه أموراً [4] تكلمت فيها الأوائل [5] عند دروس الشرائع وفترات الرسل ، وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق ، فأرسل فيهم جنود الضلالات ، بهذه المقالات .

وعندما بعث الله محمـدا صلى الله عليه (و ٢٨ أ) وسلم ، على دروس [6] من الملل ، وانطماس من السبل ، وفترة من الرسل ، فأظهر [7] الآيات ، وظهرت له [8] ألف من المعجزات حسبما أمليناها [9] في كتاب « أنوار الفجر من مجالس الذكر» فأنقذ الله به الخلائق من الهلكة وأعلى به من الإسلام الكلمة ، وأكمل به علينا النعمة ، ثم استأثر به ، وما زالت الحال تنقص ، حسبما وعد [10] به ، حتى آلت الحال إلى ما آلت إليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد الحق [11] ، كما نفذ ابتداؤه فصار

---

(١) ج : تحصيلا .

(٢) ج : – مهدوا .

(٣) ج ، ز : بياض بمقدار صفحتين ولكن هذا البياض ليس علامة على النقص وأغلب الظن أن الناسخ في النسخة الأم (ام ج ، ز) قد سها فترك صفحة وزيادة ، بياضاً ثم واصل النسخ دون أن ينبه على ذلك ، فترك ذلك أيضاً من نقل من نسخته .

(٤) ج ، ز : أمور .

(٥) د : الأول .

(٦) ج ، ز : درس .

(٧) ب : باظهر .

(٨) ج : – له ، ز : كتب على الهامش قف على عدد معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٩) ج : مليناها .

(١٠) ب : اوعز . ج ، ز : أوعد .

(١١) ب ، ج ، ز : – الحق .

عند الخلق بهذه المعاني .

قاصمة لم تبق لهم قائمة :

ومن أغرب ما دسوه إلينا على لحم الخنزير ، وأنه يناسب لحم بني آدم ، فصار لذلك[1] أعدل اللحوم .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر[2] رضي الله عنه : يا لله ولذهاب[3] العقول ! إلى ذهاب الأديان ! يترجم اليهودي والنصراني والملحد عن رجل يسمى جالينوس[4] لا ندري[5] من هو ، ولا على أي ملة كان ، إلا ما حكوا عنه من أنفسهم ، أو[6] ترجموه[7] باختيارهم ، فيجعل أصلاً ، ما ترجموه ، في الاعتقاد والعمل ، وهبك[8] أنا سمعنا ذلك من رأس الأطباء ، يقال لهم : بم[9] علمتم[10] أن لحم الخنزير ، أعدل اللحوم ؟ بشعره إذ[11] مسخ ، أو بلونه إذا سلخ ، أم بطعمه إذا طبخ ، أم بشحمه إذا

---

(١) ب : بذلك .

(٢) د : قال أبي .

(٣) ب ، ج ، ز : وذهاب .

(٤) طبيب يوناني ولد نحو ١٣٠ وتوفي ٢٠٠ ميلادية .

(٥) د : لا يدري .

(٦) ب : وترجموه .

(٧) د : ترجموا .

(٨) ج ، ز : وهب .

(٩) ج : – بم .

(١٠) د : علمت .

(١١) ج : إذا .

سنخ[١] ؟ وأي مناسبة بينه وبين الإنسان ؟ إلا من جهة الحيوانية ، وذلك يشترك فيه معه[٢] الثور والقرد[٣] ، هذا على رجلين ، وذلك على أربع ، وأنت ترى لحم ذوات الأربع كيف تختلف[٤] مراتبها ، ويتباين[٥] بعضها عن بعض في طبائعها ، وكذلك ما يمشي على بطنه من الحيوان[٦] ، تختلف مرتبتهم ، وتتباين أكثر من تباين ذوات الأربع ، وتبعد عن ذوات الأربع أبعاداً عظيمة ، وأن لحوم ذوات الأربع عندهم لتتباين[٧] في طبائعها ومنافعها ومضارها ، على أنها[٨] ذوات أوبار (و ٢٨ ب) وأشعار ، فماذا[٩] يقرب[١٠] الخنزير ممن[١١] يمشي على رجلين[١٢] ؟ هل هو[١٣] إلا إرادة منهم لاحياء دينهم ، وعضد[١٤] لنحلتهم ؟ وهلا قالوا : ان لحم القرد أشبه بلحم الإنسان لحدة ذهنه ، وعظيم فهمه ؟ وان كل حيوان[١٥] نسج[١٦]

---

(١) ب : سلخ . وسنخ وزنخ أي تغير ، والسناخة الريح المنتنة (القاموس المحيط) .
(٢) ب ، ز : معه فيه . ج : − فيه ، ب : + مع .
(٣) ج : + في .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على تباين الحيوانات .
(٥) ب : يتبين ، د : تبين .
(٦) ز : كتب على الهامش : مبحث في تباين الحيوانات .
(٧) ج ، ز : تتباين .
(٨) ج : − أنها .
(٩) ب : فما .
(١٠) ب ، ج ، ز : + من .
(١١) ب ، ج ، ز : من .
(١٢) ب ، ج ، ز : رجليه .
(١٣) د : هذا .
(١٤) ج ، ز : عضدا . د : عقد .
(١٥) د : إنسان .
(١٦) ج ، د ، ز : يسبح .

بطبعه إلا الآدمي والقرد ، أو لست تراه يصرف أنامله تصرف الإنسان ؟ وهل الأخلاق عندهم إلا آثار الخلقة ؟ والحركات إلا أمارات الطبيعة ؟ فأين هم ؟ عن هذا معرضون ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وبصر[1] هذه الطائفة العمياء من أصحابنا ، ومن[2] أهل جلدتنا ، فانهم عن هذا غافلون .

مزيد بيان :

ان الباري في مخلوقاته يفعل ما يريد ، ويغاير في مخلوقاته بين الأجناس ، والأنواع ، خلق الحيوان على أنواع ، كما خلق النبات على أنواع[3] ، صارت بغيرها[4] أجناساً ، فمن الحيوان ماش على رجلين ، ومنهم على أربع ، ومنهم على بطنه ، والأصل ماء ، أو ليقل[5] قائلهم ما شاء ، فيلزمه[6] ذلك قرط أذن ، وطوق جيد ، ووشاح خصر[7] ، وخدم[8] قدم ، وسوار ساعد ، وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد ، وجعل للحية لسانين ، وكذلك كل حيوان ، إذا قطعت له رجل اندرج[9] على الأخرى إلا النعام ، وجميع الحيوان له كرش ورئة إلا الفرس ، وكذلك الحوت ليست له[10] رئة ، وجميع حوت الماء له لسان ، وحوت البحر

---

(١) ب ، ج ، ز : ونصر .
(٢) د : — ومن .
(٣) ج : — على أنواع .
(٤) ب ، ج ، ز : بعدها .
(٥) ب ، د : وليقل .
(٦) ب ، ز : فليلزمه .
(٧) رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة ، وموضع الخلخال (القاموس المحيط) .
(٨) ز : حزم .
(٩) ب : تدرج .
(١٠) د : — له . وصحح على الهامش .

له لسانان ، وجميع بني آدم[1] (ركبهم في أرجلهم والبهائم ركبها في أيديها ، وقالوا : ان جميع بهائم الوحش كفوفها في أرجلها ، إلا ابن آدم)[1] والقرد ، فانها في الأيدي ، وجميع الحيوان إذا نام أغلق[2] عينيه إلا الأرنب ، ومن أغرب ما قالوا عن الذئب أنه يغلق عينه الواحدة ينام بها ، ويفتح الأخرى ، يحترس[3] بها ، فاذا مضى نصف الليل داول بينهما ، وقالوا : ان الأسد يفترس كل شيء (و ٢٩ أ) إلا المرأة الحائض إذا رميت إليه أعرض عنها ، والنطف يختلف[4] بقاؤها في الأرحام مع اتحاد[5] الحيوانية والتوليد ، فأقله شهران وأكثره للفيل سبع سنين ، إلى أشياء غريبة ، هم نقلوها وما عقلوها ، ولا ردوا إلى المشيئة والآثار أمرها ، ولا جواب لهم عنها .

قال القاضي أبو بكر[6] رضي الله عنه : وقد جاء الله كما قدمنا بطائفة عاصمة[7] ، تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله ، وتأييده ، للرد عليهم ، ممن[8] قدمنا ذكره من أعيان الأيمة ، إلا أنهم لم يكلموهم بلغتهم ، ولا ردوا عليهم بطريقتهم ، وإنما ردوا عليهم وعلى اخوانهم المبتدعة ، بما ذكره الله في كتابه ، وعلمه لنا على لسان رسوله ، فلما لم يفهموا تلك الأغراض ، بما استولى على قلوبهم من صدأ الباطل ، طفقوا يهزأون من تلك العبارات ، ويطعنون في تلك الدلالات ، وينسبون قائلها إلى

(١) ب : سقط مابين قوسين .
(٢) ج ، ز : غلق .
(٣) ب ، د : يحرس .
(٤) ب : تختلف .
(٥) د : ايجاد .
(٦) قال أبي .
(٧) ب ، ج ، ز : – عاصمة .
(٨) ج ، ز : من .

الجهالات ، ويضحكون مع أقرانهم في الخلوات ، فانتدب للرد عليهم بلغتهم ، ومكافحتهم بسلاحهم ، والنقض عليهم بأدلتهم ، أبو حامد الغزالي ، فأجاد فيما أفاد ، وأبدع في ذلك كما أراد الله وأراد ، وبلغ في فضيحتهم المراد ، فأفسد قولهم من قولهم ، وذبحهم بمداهم . فكان من جيد ما أتاه ، وأحسن ما رواه . ورآه ، وأفرد عليهم[١] فيما يختصون به دون مشاركة أهل البدع لهم ، كتاباً سماه « تهافت الفلاسفة » ظهرت[٢] فيه منته ، ووضحت في درج المعارف مرتبته[٣] ، وأبدع في استخراج الأدلة من القرآن ، على رسم الترتيب في الوزن ، الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه « القسطاس »[٤] ما شاء . وأخذ في « معيار العلم » عليهم طريق المنطق فرتّبه[٥] (و ٢٩ ب) بالأمثلة الفقهية والكلامية ، حتى محا فيه رسم الفلاسفة ، ولم يترك لهم مثالاً ، ولا ممثلاً ، وأخرجه خالصاً عن دسائسهم ، بيد أنه أدخل فيه أغراضاً صوفية ، فيها غلو وافراط ، وتدآل[٦] على الشرع وانبساط .

---

(١) ب : – عليهم .
(٢) ب : ظهر ، ج : وظهرت .
(٣) ب : وصحت في درجة العلم منزلته .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على مدح كتاب التهافت لحجة الإسلام والقسطاس له أيضاً .
(٥) د : قريبه .
(٦) دأله : ختله ، ودأل مشى مشية فيها ضعف ، والمداءلة : المخاتلة . (القاموس المحيط). ب : تولد . ز : تداؤل .

وقد كان تعرض سخيف من بادية بلدنا يعرف بابن حزم[١] ، حين طالع شيئاً من كلام الكندي إلى أن يصنف[٢] في المنطق ، فجاء بما يشبه عقله ، ويشاكل[٣] قدره ، و[٤] قد كان أبو حامد تاجاً في هامة الليالي ، وعقداً في لبة المعالي ، حتى أوغل في التصوف ، وأكثر معهم التصرف ، فخرج على الحقيقة ، وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة ، وجاء بألفاظ لا تطاق ، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق[٥] ، فكان علماء بغداد يقولون : لقد أصابت الإسلام فيه عين ، فاذا ذكروه جعلوه في حيز العدم ، وقرعوا عليه[٦] السنّ من ندم ، وقاموا في التأسف عليه على قدم ، فاذا[٧] لقيته رأيت[٨] رجلاً قد علا في نفسه ، ابن وقته ، لا يبالي بغده ولا أمسه . فواحسرتي[٩] عليه أي شخص أفسد من ذاته ، وأي علم خلط[١٠] ،

---

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب يقال انه فارسي الأصل ظاهري المذهب ، حاد الذكاء له معرفة واسعة بالمذاهب والملل والنحل والآداب وقد وصل إلينا كتابه الذي ألفه في المنطق وهو : التقريب لحد المنطق يؤيد فيه منطق أرسطو ويدافع عنه ضد الفقهاء الذين عارضوه ولكنه لا يأخذ بالقياس فيه ويقول بالعلة الطبيعية وينفي العلة العقلية . (الذهبي ، العبر ٢٣٩/٣) .

(٢) ج ، ز : يصنف .

(٣) د : ويشاركه .

(٤) (١٠)ب : – قد .

(٥) ج ، ز : انتساق .

(٦) ج : – عليه .

(٧) ب : فان .

(٨) ب ، ج ، ز : لقيت .

(٩) ب : فواحسرتاه .

(١٠)د : خاط .

وخلط فيه مفرداته[1] ، ماذا ألأم من المحامد ، وكم حايد عنه وحامد[2] ، وكان ممن[3] ترجم عن الفلاسفة ، ترتيب الأدلة الذي سموه حد[4] المنطق ، قد ضرب فيه الأمثلة الهندسية ، والطبائعية ، والالاهية ، ليتدرب القارئ بذكرها ، ويأنس بتكرارها ، ويطمح إلى مطالعتها ، ويتشوق[5] ويستعد لاعتقادها ، حتى يعلمها ، وهي في كل ذلك تسدك[6] بقلبه ، ويطمح إليها بطرفه ، ويتعلق منها بأمنيته . فتزل[7] به[8] القدم .

وعلى كل حال فالذي أراه لكم على الاطلاق ، أن تقتصروا على كتب علمائنا الأشعرية ، وعلى العبارات الإسلامية ، والأدلة (و ٣٠ أ) القرآنية ، وأنتم في غنى عن ذلك كله ، وخذوا[9] مني في ذلك نصيحة[10] مشحونة بنكت من الأدلة ،

---

(١) ز : كتب على الهامش : يغفر الله لابن العربي (العالم الفاضل النحرير) (مضافة بقلم آخر) في اكثاره من الانتقاد على حجة الإسلام من جهة علم التصوف ومن الرد على الصوفية ، رضي الله عنهم ، وكل ذلك منه رضي الله عنه عقد يشعر بشدة ميله إلى مذهب الظاهرية المحسوب من البدع .

(٢) ز : وكتب على الهامش أيضاً : قف على تأنيب أهل بغداد على حجة الإسلام وذلك لعدم وصولهم لما وصل إليه وكشفهم لما كوشف به فقد رفع الله من محيا بصيرته النقاب وأبقى وقوفهم من وراء الحجاب ، وكل فريق على صواب . لكنه لا ينبغي الاعتراض على الشيوخ لمن هو في سن الشباب ، والشاهد على ذلك والدليل الواضح المبين ، تمزيق أهل المغرب لكتابه احياء علوم الدين حيث لم يفهموا اسلوبه ، ولم يفقهوا منحاه ومطلوبه.

(٣) ب ، ج ، ز : من . وكتب على هامش ز : مما .

(٤) د : حظ .

(٥) ب : يتشرف ، ج ، د ، ز : يتشرق ويبدو أن الصواب ما أثبت ويمكن أن يقرا : يتشوف .

(٦) سدك به أي لزمه .

(٧) ج ، ز : فزل .

(٨) ب ، ج ، ز : بها وفي هامش ب : به .

(٩) د : خذ .

(١٠) ز : كتب على الهامش : قف على هذه النصيحة ولا بد .

وهي أن الله سبحانه ، رد على الكفار ، على اختلاف أصنافهم ، من ملحدة ، وعبدة أوثان ، وأهل كتاب ، وطبيعة ، وصابئة[1] وشركة[2] ويهودية ، بكلامه[3] ، وساق أفضل سياق أدلته ، وجاء بها في أحكم نظام ، وأبدع ترتيب ، فعلى ذلك فعولوا ، فان أبا حامد وغيره ، وان كان لبس للحال معهم لبوسها ، وأخذ نعيمها ، ورفض بؤسها ، وأحيا أرواحها ونفوسها ، فليس كل قلب يحتمله ، وقل وجود نفس تستقل به ، فهو وان كان سبيلاً للعلم ، ولكنه مشحون بالغرر[4] ، والشرع[5] قد نهى عنه ، والعقل يستحث على[6] الانكفاف والهروب منه .

أما أن الرجل إذا وجد من نفسه منة ، أو تفرس فيه الشيخ المعلم له ذلك ، فلا بد من توقيفه على جميع[7] مآخذ الأدلة ، واتساعه في درجات العلم ، وتمكنه من بحبوحات المعارف ، حتى يكون مستقلاً بأعباء الشريعة ، مطيقاً على حمل أثقالها ، بصيراً بالنضال عنها ، والذب عن حرماتها ، إذا احتيج إليه فيها[8] .

---

(١) ب ، ج ، ز : صباه .
(٢) كذا في جميع النسخ ولعلها : شركية كما اقترح الشيخ ابن باديس
(٣) د : بكلام .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على هذا التحذير .
(٥) ج : وأسرع .
(٦) ب ، ج ، ز : عن .
(٧) ب ، ج ، ز : – جميع .
(٨) ز : كتب على الهامش : قلت : آلات الدفاع والنضال في الحروب لا زالت منذ مبدأ الخليقة في ترق وزيادة وتفنن بحيث ان كل زمان وما يناسبه وما يشاكل قوى أهله وعقولهم من آلات الدفاع ومثل ذلك المناضلة بالحجاج واللسان فان المرء لا يدافع عدوه إلا بمثل سلاحه فصنيع حجة الإسلام رضي الله عنه من هذا القبيل لأن مماثلة السلاح في الدفاع مطلوبة شرعاً وعقلاً بلا نزاع .

وأما أصحاب الطبيعة فقصتهم بديعة ، وذلك أن القدرية لما كانت تدين دينها ، وتسرّ[١] عقيدتها ، وكان الجاحظ المفتري[٢] على جهالته ، وثمامة بن أشرس على خساسته[٣] ، وابن المقفع على فهاهته[٤] ، وابن الراوندي على حماقته ، ومن تابع كل واحد منهم في صفاته ، تسترت بالإسلام ولبست جلدته ، لستر عورتها في مخالفته ، وجعلت تغتال[٥] الدين ، بمعان[٦] ترهب بها على العامة ، وتأخذها من ظواهر الألفاظ ، وتدس مذاهبها في عقائدها ، كأنها تعضد[٧] الإسلام وتتعلق في ذلك بآيات متشابهات ، وأحاديث مشكلات ، فتركت[٨] المحكم وراء (و ٣٠ب) ظهرها[٩] ، لأن[١٠] أرباب الطبيعة يدعون أن النشء في هذا العالم على التركيب ، إنما هو من تأثير البسائط في الأصل[١١] و[١٢] ينشأ مركب عن[١٣] مركب ، هكذا على الترتيب ، وذلك أنهم[١٤] رأوا تركيب الكون في الموجودات المشاهدات ، واحداً بعد

---

(١) ب ، ج ، ز : وتنشر .

(٢) ج : المغربي ، ز : المغري . وكتب على الهامش : عله المفتري .

(٣) ج ، ز : خساسة .

(٤) الفهاهة ، والفه : العي .

(٥) ب ، ج ، ز : تعتال .

(٦) د : بمعاني .

(٧) ج : تقصد .

(٨) د : وتركت .

(٩) ز : كتب على الهامش : قف على الذين تستروا بالإسلام .

(١٠) د : الا أن .

(١١) ب ، ج ، ز : كتب على الهامش تصحيحاً : في الأرض .

(١٢) ج ، ز : أو .

(١٣) د : على .

(١٤) ب ، ج ، ز : لأنهم .

واحد ، فنسبوا الثاني إلى الأول ، وعلقوا اللاحق بالسابق ، وألحقوا المتاخر بالمتقدم[١] ، وجعلوه منه باقترانه به في الوجود ، وارتباطه معه في التواصل ، وذهلوا عن المنشئ الحقيقي ، فكانت بصائرهم عبيداً لأبصارهم ، وجدالهم أقوى من أبصارهم[٢] ، وتحيّلت[٣] المعتزلة ومن دان دينها من القدرية فقالوا : ان الثاني تكوّن[٤] عن الأول برسم التولد .

قال القاضي أبو بكر[٥] : هذه لفظة اخترعها لهم الجاحظ المفتري[٦] ، مستفادة من الولادة ، وهي خروج الشيء[٧] من الشيء[٨] ، وكان هذا لما نشأ عن هذا ، ولم يقولوا أنشأه احترازاً من المشاركة مع المنشئ المنفرد سبحانه ، فقالوا : نشأ[٩] عنه ، وعبروا عنه[١٠] بالتولد[١١] ، تحسيناً له ، واخراجاً له بزعمهم من حيز المجهول إلى حيز المعلوم .

فأما الفلاسفة فبنوه على أصلهم في أن الفاعل لا يفتقر في كونه فاعلاً ، إلى

---

(١) ب : المتقدم المتأخر . د : بالمتقدم المتأخر . ونبه الناسخ إلى أن في العبارة تقديماً وتأخيراً بوضع حرفي الخاء والقاف أولهما على كلمة (المتقدم) وثانيهما على كلمة (المتأخر) .

(٢) د : وخذالهم أقوى من أنصارهم .

(٣) ب : وتخليت .

(٤) ب ، د : يكون .

(٥) د : قال أبي رضي الله عنه .

(٦) ز : كتب على الهامش : قف على اختراع الجاحظ لفظ التوليد .

(٧) و (٨) د : شيء .

(٩) ب : أنشأ .

(١٠) د : – وعبروا عنه .

(١١) د : بالتوليد .

حياة وقدرة وإرادة ، بل يكون شيء عن شيء ، بأمور باردة ، ورتب فاسدة ، حتى ان بعضهم يقول في تحقيقه ، حين ظهر له ، أن شيئاً من الكوائن لا بد له من مكون : ان الأفلاك تتحرك بعشق بعضها لبعض ، إذ[1] المحرك[2] منها واحد للآخر ، حتى تنتهي إلى قبل الأخير [3] ، فيقول لك[4] : انه يتحرك[5] بعشقه للأخير الآخر[6] فهي حركة عشقية[7] ، ففر هؤلاء من هذه المقالة ، لأشنوعتها[8] وقالوا : نشأ هذا عن هذا ، وعبروا عنه بالتولد تحسيناً له ، كما قدمنا ، وعلى قاعدة الفلاسفة قعّدوا ، و[9] حول دائرتهم دوّروا ، ولكن (و ٣١ أ) قاعدتهم أهوت بهم ، و[10] دائرتهم ضنت[11] عليهم .

وقد تمهدت القواعد الشرعية والعقلية في اثبات الصانع ، وأنا أمهد لكم[12] طريقين :

الطريق الأول[13] : ان الخاطر إذا جال فيه أن التكوينات ، في عالم الكون

---

(١) د : − إذ .
(٢) د : والمحرك .
(٣) ب : إلى فلك الأخير . ج ، ز : إلى فلك أخير .
(٤) ب ، ج ، ز : − لك .
(٥) ب : تحرك .
(٦) ب ، ج ، ز : الآخر .
(٧) ب : عشقه .
(٨) ج : لأشنعوتها .
(٩) ج : − و .
(١٠) ج : − و .
(١١) ب ، ج ، د ، ز : ظنت .
(١٢) د : + في ذلكم .
(١٣) د : الطريقة الأولى . ز : كتب على الهامش : الطريقة .

والفساد ، في[1] محاط فلك القمر ، تترتب[2] في الوجود من ذواتها بطبعها أو من ذوات[3] أخرى[4] بطبعها فيها ، وانطباع هذه لها حتى تنتهي[5] إلى[6] المراد .

فأحضر بذهنك ، وردها إلى ما قبلها حتى تنتهي معهم إلى موقف أول ، لا سابق له ، فان أراد أن يتمادى ، قيل[7] له : قف يا سيار ، فقد[8] سال بك التيار[9] ، و[10]ان كنت تمشي في معقول ، فلا تتعده إلى تعطيل ، وتتيه في التضليل ، وتقع في غير معقول ، بالتسلسل إلى ما ليس بمحصول ، وإذ وقف الخاطر أو المناظر ، ولا بد له[11] من ذلك ، قيل[12] لهما أو لأحدهما : هذا المنتهي في النظر ، المبتدأ في الكون ، كيف يكون هذا عنه صادراً؟ يكون على وجه صدور الفعل المفعول من الفاعل المعقول ، ذي القدرة والحياة والعلم والارادة والتدبير والتقدير؟ أو صدور حركة الخاتم عن حركة اليد ؟ ([13]فان أوقفوه على فاعل بتلك الصفات ، فقد وقفت دائرة النظر على قطب التوحيد ، وان هم قالوا : انه يصدر عنه صدور حركة

---

(١) د : وفي .

(٢) د : بترتيب .

(٣) ب : ذات .

(٤) ج : – أو من ذوات أخرى . د : أخر .

(٥) ب ، ج ، ز : ينتهي .

(٦) ج ، ز : – إلى .

(٧) ج ، ز : قل له .

(٨) ب ، ج ، ز : قد .

(٩) د : السيار .

(١٠) ب : – و .

(١١) د : – له .

(١٢) ج ، د ، ز : فقل .

(١٣) سقط ما بين قوسين من (ج) .

الخاتم عن حركة اليد) فيلزمهم أن لا يصدر عن الأول إلا ثان يماثله ، وهكذا إلى الآخر . فمن أين ينشأ التغير[1] ، ويأتي الضد عن الضد ؟ والمختلف عن المتفق . والمعدد[2] عن المنفرد [3] ؟ وعلى هذه القاعدة في دلالة الصانع . نبّه الله سبحانه بقوله : (وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم (و ٣١ ب) يعقلون) (الرعد ٤) . فنبه بهذه الآية ، في الأحرف اليسيرة على المعاني العظيمة ، بالأدلة المعدودة[4] ، فانك[5] تنظر إلى الأرض ، ما بين سهل وحزن ، وحجر[6] وتراب لدن أنواع مختلفة ، وأزواج[7] مفترقة ، زرع[8] ونبات ، وأشجار أشتات ، أصل كل شيء منها واحد ، حتى[9] تنظر [10] إلى الحبة[11] التي تنبت[12] عنها ذات أجزاء متساوية ، فاذا تزايدت للنبات ، تزايلت عن تلك الصفات ، وانقسمت إلى عرق يعلوه قشر . يتراقى إلى غصن ينتهي إلى عذق . ينقسم إلى ورق ، وزهر ، وثمر ، الأرض واحدة ، والماء واحد ،

---

(١) ج ، ز : كتب على الهامش : عله : التغاير .
(٢) ب ، ج ، ز : العدد .
(٣) ب ، ج ، ز : المفرد .
(٤) ج : المعذودة .
(٥) ب : بأنك .
(٦) د : ويحر ، + ورمل .
(٧) ب ، ج ، ز : وأرواح .
(٨) د : وزرع .
(٩) ب ، ج ، ز : – حتى .
(١٠) ب ، ج ، ز : ينظر .
(١١) ب ، ج ، ز : الجنة .
(١٢) ج ، ز : نبتت .

والحبة[١] واحدة ، وكل ما ينشأ عنها لا يماثلها ، ولا يتماثل[٢] في نفسه ، بل لكل[٣] واحد[٤] هيئة مخصوصة ، ولون مخصوص ، وطعم مخصوص . والماء الذي من شأنه الرسوب يصعد إلى الجميع ، ويجري فيه حتى يسيل على جميع جوانبه ، ونواحيه ، فيا أيها الحاضر والناظر[٥] ، أين ألفاظك الرائقة . وحكمتك الفائقة ، أبن لي هذه الاختلافات كيف تتعدد[٦] ، والطبع واحد ، دون شروط[٧] الفاعل الواحد[٨] ، المتصف بالصنع[٩] حقيقة ؟ هيهات ها أنا معكَ دائر ، فقل ما أنت قائل ، أو[١٠] صر إلى ما أنت صائر ، وأبن لي كيف دارت عليك الدوائر ، وخذلتك الطبائع . فما لك من قوة ولا ناصر ؟ ودعني من نويبغة إذا وقف على هذا ، زوى حاجبه ، وأدار قرنيه ، وفرق – كالمبتسم – بين شفتيه ، فليخرج ما يصدر ، وليذكر ما شاء أن يذكر ، فهذه الطريقة لازمة له ، فلا مبرح[١١] له عنها ، ولا[١٢] محيص منها .

---

(١) ب ، ج ، ز : الجنة .
(٢) ب ، ج ، ز ؛ يماثل .
(٣) ج : كل .
(٤) ب : واحدة .
(٥) ج : الخاطئ والمناظر ، د ، ز : الخاطر أو المناظر .
(٦) د : هذا الاختلاف كيف تعدد . ب : تعدد .
(٧) د : شرط .
(٨) ب ، ج ، ز : – الواحد .
(٩) ب ، ج ، ز : بالفعل . وكتب على هامش ب ، ز : بالصنع .
(١٠) ب ، ج ، ز : و .
(١١) د : تبرح .
(١٢) د : فلا .

الطريقة الثانية :

لا خلاف بينهم أن النيرات السبعة في الأفلاك السبعة ، هي الفاعلة المدبرة . ولكل واحد منها جزء ينفرد به ، ولكنهم جعلوا الآدمي بينهم عضين ، وقسموه عليهم ، وأعطوا لكل واحد (و ٣٢ أ) منها جزءاً من الآدمي ، وشهراً من أيام تربيته وحيناً [1] ، فيقال لهم : ليس هذا معلوماً [2] ضرورة ، فيتفق العقلاء عليه . ولا وجدنا نظراً يوصل إليه ، ولا روينا خبراً يدل عليه ، هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، فكل [3] ما ذكروه فقد تقدم ذكر [4] ابطاله .

مضايقة :

إذا قلتم : ان الكون والفساد في مقعر فلك القمر ([7] فمن أين يصل بينهما [5] تأثير [6] ما فوقهما من باقي الصانعين ؟ ولا يخلو أن يكون فلك القمر) [7] محيطاً بهذا العالم ، أو يكتنف [8] بعضه ، ويبقى البعض في خلاء عنه ، وأيما [9] قلتم فلا مخرج لكم منه ، و [10] ان قلتم : انه محيط به ، وإن هذا العالم في محاطه ، كالدرة [11]

---

(١) د : — حينا .
(٢) ب ، ج ، ز : معلوم .
(٣) ب : وكل .
(٤) د : ركن .
(٥) ب : عنها .
(٦) ب ، ز : تأثر .
(٧) سقط ما بين قوسين من (ج) .
(٨) ج ، ز : يكشف . وصحح في هامش ز : يكتنف .
(٩) ب ، ج ، ز : أيها .
(١٠) ب ، ج ، ز : — و .
(١١) د : كالذرة .

في الدرج ، فمن يجمع بينه وبين تأثير[1] ما فوقه ، وبينهما حجابه ، وحجب غيره ، ان كانوا على مثاله ، ومحال وصول التأثير عندكم من وراء حجاب ([3] شفاف[2] ، فكيف من وراء حجاب)[3] يملأ الفم ذكره ، فكيف قدره ؟ وان قلتم : انه لا يحيط فلك القمر بهذا العالم ، فما يخرج عن محاذاة فلك القمر ؟ هل يحيط به خلاء ، أو له محيط آخر سواه ؟ فان قلتم يحيط به خلاء ، فالعدم ليس بمحيط ، ولا محاط به ، ولا هو طريق لشيء ، ولا عليه طريق لا[4] محسوساً ولا معقولا ، وان قلتم ان هناك محيطاً به ، فعينوه . فان[5] قلتم : انه يحيط به الذي فوقه ، قلنا لكم : وما حكم الفلك[6] الثاني ؟ ألاحاطة بجميع فلك القمر أو ببعضه[7] ؟ فان قلتم بجميعه ، فما هذا التحكم ؟ أو ما دلكم عليه ، وان[8] قلتم : انه أكبر منه ، قيل لكم : وقد يكون الشيئان عظيمين متقاربين[9] في حيزين مختلفين ، وان قلتم : انه يحيط ببعضه ، فهل يقابل المحيط منه للمحيط من فلك القمر ؟ أو يقابل الخالي من[10] احاطته به[11] ؟ فان قابل الخالي ، فلم لا يصل تأثير الثاني أو الثالث إلى هذا (و ٣٢ ب) المؤثر دون ترتيب مع هذا المؤثر الأول حتى يتعارضا فيما

---

(١) ب ، ج ، ز : تأثر .

(٢) د : مثفاف .

(٣) سقط ما بين قوسين من (ب) .

(٤) د : ولا .

(٥) د : وان .

(٦) د : – الفلك .

(٧) ب ، ج ، ز : بعضه .

(٨) د : فان .

(٩) ب ، ز : متقاويين ، د : متفاوتين .

(١٠) د : عن .

(١١) ب ، ج ، ز : – به .

فعل كل واحد منهما ، فيفسد التدبير ويختل النظام ؟

و[1] قد جعلتك على هذا الأصل ، فخذه بكل فصل وأدره بجميع وجوهه ، فليس لهم عنه مناص[2] .

وقد قلت في هذا المعنى لبعض أصحابنا أبياتاً توحيدية :

كن للإلـه كما كان لـك	ولا تهتبل بمـدار الفلـك
فان إلهك قد أحكمت	معاليـه من عـال أو من ملك
ومن ذل أو عزّ[3] في موطن	ومن عـاش في نعمـة أو هلك
فلا ترج ذلك من غيره	ودع عنك من شك أو خذلك[4]
وخل المضلين في غيهـم	وقل للكواكب من أضّلك
وأنت تغـور وأنت تمـور	فمن عاض[5] منك ومـن بدلـك
ولو فلك دار من ذاتـه	أقام إذا شاءه أو سلك
وان لم يكن ذاك من طوقـه	فأنّى يقـال لـه ذاك لـك ؟
فليس المغير إلا الـذي	تغايـر عنـك وما شاكلك
فيا أيها الندب[6] ما أعقلـك	ويا أيها الفـدم[7] ما أغفلك !
أمن كان عن كونه[8] عاجزاً	أترجوه للغير ما أجهلك ؟

(١) د : — و .

(٢) ب ، ج ، ز : محيص ، وصحح في هامشها جميعاً .

(٣) ج : عن .

(٤) د : حذلك .

(٥) ب ، ج ، ز : غاص .

(٦) الندب : الظريف النجيب .

(٧) الفدم : العيى في الكلام ، الثقيل في الفهم ، الأحمق .

(٨) ب ، ج ، ز : صونه .

تنبه فقد بان وجه الدليل وقد آن أن تعرف من دل لك [1]

تنزيل :

لما تعلقت القدرية بذيل [2] الفلسفية في هذه المسألة ، وألفيناها تحتها ، نزلنا في الكلام معها ، وهتكنا سترها ، وفصل القول معهم في التوليد معلوم ، قد طوله القاضي[3] والشيخ أبو الحسن [4] لكن بمناقضات لا بدلالات ، فانه أسخف من أن يدل على فساده ، وانما أراد هؤلاء العلماء أنهم لم يفوا [5] به ، وأنهم تناقضوا [6] فيه ، فشأنكم واياه . وأما نحن فنورد عليهم طريقة قريبة المرام ، ضابطة لشغب[7] الكلام ، فنقول : قد حررناها (و٣٣ أ) قبل هذا بنصها في غير ما املاء ، حتى تكون[8] كالتكرار ، لتوكيد [9] الألفاظ والمعاني ، فذلك أضبط لها . وأول من يؤثر عنه هذا المذهب معمر[10] القدري ، والجاحظ المفتري ، وقد قام بحمد الله

---

(١) غير موزون . واقترح ابن باديس اسقاط (أن) ليستقيم الوزن .

(٢) ب ، ج ، ز : بدليل .

(٣) أي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (+ ٤٠٣ / ١٠١٣) وقد كتب باباً في كتابه التمهيد تحت عنوان (باب الكلام في ابطال التولد (التمهيد ، تحقيق الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ، المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٧ ص ٢٩٦ وما بعدها) .

(٤) أي الأشعري .

(٥) ب ، ج ، ز : يوفوا .

(٦) ب ، ج ، ز : يناقضوا .

(٧) يمكن أن تقراء في (د) : شعب .

(٨) ب ، ج ، ز : يكون .

(٩) د : لتوحيد .

(١٠) هو معمر بن عباد السلمي أبو عمرو من أهل الطبقة السادسة معاصر لأبي الهذيل العلاف والنظام ، وله صلة وثيقة بالفلسفة (الدكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ جـ١ ص ٦٠٧ وما بعدها) .

وتوفيقه الدليل على أن الله وحده خالق الأجسام ، والأعراض ، وتبين أن العبد مكتسب غير فاعل ، فاذا ثبت استحالة الفعل من الحي العالم الذي يقبل الأمر والنهي فاستحالته من الأموات أثبت ، ولأن الاحراق الكائن مع اتصال النار بالأجسام المحترقة فعل محكم ، ان أضيف اليها ، بطل الاستدلال بالفعل المحكم على الحياة والعلم ، نعم وعلى الوجود [1] ، وانقلبت الحقائق وبطلت الأدلة ، ولأن النار ان [2] أحرقت بذاتها ، وجب أن تحرق كل ما يتصل بها من حار [3] وبارد ورطب ويابس ، فان [4] كانت تحرق بصفة لها ،وهي الحرارة ، فلا يخلو أن تنتقل الى المحترق وذلك باطل ، لاستحالة بقاء العرض ، فضلا عن انتقاله ، أو تحرق الحرارة وهي قائمة بالنار ، ففي [5] ذلك محال شنيع ، وهو [6] تجرد الأحكام للمحال ، وللمعاني [7] القائمة ، بمحال [8] آخر [9] ، فيبيض عمرو [10] ببياض [11] زيد ، ويسود بكر بسواد خالد ، فان قيل أفي المشاهدة تريد أن تشكك الخلق ؟ قلنا : المشاهدة وجود الاحراق فأما نسبته الى النار فدعوى ، فان قيل وجدنا النسبة عربية شرعية ، قلنا أضاف الله تعالى المعاني إلى الأسباب عند وجودها على

---

(١) ب ، ج ، ز : الوجوب .
(٢) ب ، ج ، ز : وان .
(٣) ب ، ج ، ز : حر .
(٤) د : وان .
(٥) ب ، ج ، ز : وهي مع ذلك .
(٦) ب ، ج ، ز : وهي .
(٧) ب ، ج ، ز : والمعاني .
(٨) ب ، ج ، ز : فمحال .
(٩) ب ، ج ، د ، ز :آخر . وأغلب الظن أن صواب الكلمة « أخر » ليستقيم الكلام .
(١٠) ب : عمر ، ج : – عمرو .
(١١) ج : وبياض .

حكم اللغة العربية ، والحقيقة وراء ذلك ، والذي يكشف الغطاء معهم في ذلك أن يقال لهم : ليس لكم عمدة الا اقتران الوجودين وهو اتصال النار بالأجسام ، ووجود الاحراق حينئذ ، فبجهلكم بحقيقة الفاعل القادر ، أضفتموه الى الجماد ، ولم تراقبوا [١] أن تقولوا [٢] : إنّ جمادا فاعل ، قوي محكم ، فيلزمكم مثله في الاقترانات الموجودات في العالم كلها . (و ٣٣ ب) وأوقعها [٣] حجة ، وأوضحها محجة ، الأب والأم [٤] يتولد منهما [٥] الولد ، فاذا أودع الأب النطفة في الرحم اقترن بذلك اختلاف الأوصاف على النطفة ، وإنسلاك الروح فيها ، والقوى المحركة والمدركة ، ولا يقال انها موجودة به ، ولا مضافة اليه ، وان اقترن ذلك به ، بل يحيلونها على الأول ، بواسطة وبغير واسطة من أسماء يسمونها ملائكة [٦] ، وماذا يقولون فيها من البهتان ، ويتفوهون [٧] به من الطغيان ، وذلك يلزمهم فيمن غمض

---

(١) ب : يراقبوا .
(٢) ب : يقولوا .
(٣) ب ، ز : وأوفقها ، ج : وأوقفها .
(٤) متأثر في هذا بالإمام الغزالي . وقد جاء بنفس المثال وهو الأب والأم . في كتابه (تهافت الفلاسفة تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٦٦) ص ٢٣٩ - ٢٥١) بل يأتي أبو بكر في بعض الأحيان بنفس لفظ الإمام الغزالي : فقد أتى بمثال الاحتراق كما أتى بمثال الأب والأم وعبَّر عن ذلك بقوله (انسلاك الروح) وهو نفس تعبير الغزالي (تهافت الفلاسفة ص ٢٤٠ السطر الأخير من المتن . وكذلك مثال أبصار العين ص ٢٤١ - ٢٤٢ . والقوى المحركة والمدركة ص ٢٤١ . ونور الشمس ص ٢٤٢ .
(٥) ب ، د ، ز : بيهما .
(٦) ز : كتب على الهامش : قلت رأيت في كتاب الملل والنحل للشهرستاني أن جميع القوى الموجودة في المخلوقات كلها هي أرواح في غاية الدقة واللطافة مخلوقة من جملة الملائكة يودع الله منها ما شاء فيما شاء من مخلوقاته بحسب ذواتها وقوابلها ليظهر أثرها في العالم بمقتضى التدبير الإلّهي والله أعلم بذلك وبسند نقله . هـ .
(٧) ب : ينصرهون ، ج : تنفرهون ، ز : يتفرهون .

عينيه ، فلم ير شيئا ففتح عينيه فأدرك الألوان ، يقولون [1] ان فتح البصر ولد ادراك الألوان في العينين ، وكذلك في نور الشمس مثله ، وفي اقترانات لا تحصى كثرة [2] ، فبطل هذا التعلق جملة ، ولكنهم لما رأوها ألفاظاً اعتادوها فذكت بقلوبهم ، حتى لم يستطيعوا أن ينزعوها عنها ، وقداستوفينا ذلك في كتب الأصول وهذه نبذة منه .

الثقات

ونعود الى القول مع من انتدبنا اليه فنقول : وأما المتالجة منهم ، فهم أعظم الطوائف فليقة [3] ، وأرداهم طريقة ، لا يعقد معهم على قول ، ولا يستقر معهم من التحقيق على منزل ، ومآل الحاصل من تخليطهم الى قدم العالم [4] ، الذي ينبني على عدم الصانع ، ويعتقدون [5] استحالة الفناء الذي بنوه على انكار الحشر والنشر ، والثواب والعقاب ، ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب أسماء لا مسميات لها ، كما قال الشاعر :

أجر [6] ووزر [7] على نار مضرمة ... أو في نعيم أركب أو على قدم
أسماء منقبة في غير مرتبة ... كالشيء يخبر عنه وهو في العدم

واذا نظرت الى كلامهم في ذلك كان لك [8] معهم طريقان (و ٣٤ أ)، أحدهما

---

(١) ب : فيقول . ج ، ز : فنقول .
(٢) ب ، ج ، ز : كثيرة .
(٣) ج : فلقيه . والفليقة ، الأمر العجب والداهية (القاموس المحيط) .
(٤) ز : كتب على الهامش : أعرف القولة الشنيعة بقدم العالم والرد على ذلك .
(٥) د : ويعتقد .
(٦) ب : اجتر .
(٧) ب ، ج ، ز : وزور .
(٨) د : لكم .

التعلق بما لم يطردوه على أصلهم ، ولا وفوا بعهدة [1] المعقول[2] فيه ، وهي مناقضة عائدة على أصل من أصولهم الضرورية بالبطلان ، وذلك أنهم يقولون : هذه الهيئة لا نفاد لها ولا انقضاء ، ولا استحالة ، ولا تغير بأفلاكها وصفاتها وحركاتها وأجسامها[3] .

فيقال لهم : فاذا كانت حركة القمر في فلكه لا نهاية [4] لها ، وحركة زحل لا نهاية لها ، فلا يصح أن تنسب احداهما الى الأخرى ، لأن ما لا يتناهى [5] لا ينسب مما لا يتناهى ، فان نسبوا فقد خرجوا عن المعقول ، ولا بد لهم من ذلك ، وإن لم ينسبوا ، فقد أبطلوا مذهبهم ، وتدبيرهم ، نسبة شيء الى شيء منها ، أو بها .

الثاني : أن نقول[6] لهم : كل ما كان له أول جاز[7] أن يكون له آخر ، لأنه لا يصح أن يوجد لنفسه ، وما أوجده غيره ، جاز [8] أن يعدمه ، ولما وقف النظر إلى هذا الموضع الذي لا بد منه أنكروا العدم في [9] الأول ، و[10] أنكروا الاعدام ، وجوزوا وجود شيء لا [11]من شيء ، وأحالوا عدمه منه ، أو من غيره ، وكان في

(١) ج : بعد ، د : بعقدة .
(٢) ز : كتب على الهامش : المعلوق .
(٣) ب ، ج ، ز : وأقسامها .
(٤) ز : كتب على الهامش : لعله ، بل صوابه : لها نهاية .
(٥) ج ، ز : ما يتناهى .
(٦) ب : يقال .
(٧) د : جائز ، ز : علق في الهامش : قوله : جاز احتراز منه ليدخل في الحقيقة نعيم الجنة .
(٨) د : جائز .
(٩) ب : وفي ، د : نعم وفي الأول .
(١٠) د : — و .
(١١) ب ، د ، ز : — لا ، وصحح في هامش (ز) هكذا : صوابه لا من شيء

ذلك كلام طويل ، ليس هذا موضعه . هذا القول يسكتهم عنه ، ويجريهم[1] معكم .

ومن الغرائب[2] أن صاحب الجيم[3] عندهم قال : لو كانت الشمس فانية لأدركها الذبول بطول البقاء[4] ، فيقال له : هذا فاسد على مذهبك ، وعلى طريق الحق . أما فساد ذلك على مذهبك ، فالذبول عندك إنما يكون بنضب المادة ، ولعل مادة الشمس لم تنضب ، وأما على مذهبنا ، فلأن العدم إنما يكون عن قطع الأعراض وذلك مبين[5] على التحقيق في الأصول بجميع وجوهه .

وقد قال الشيخ أبو الحسن (و ٣٤ ب) : معرفة الصانع ضرورة[6] ، وتحقيقه أنه ان كان العالم صنعة فهي صادرة عن صانع قطعاً ، ضرورة المعنى واللفظ ، وأما الفناء الذي أحالوه فهو مشاهد في بعض العالم ، وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم ، حسبما سطر في كتب الأصول .

وأما انكار الحشر فشاهده[7] في اعادة[8] النبات في الأرض بعد الاستحصاد ، وهم يقولون : هذا في عالم الكون والفساد ، (قلت لهم : والإنسان من ذلك العالم ،

---

(١) د : يجزيهم .

(٢) ب ، ج ، ز : الغريب .

(٣) يقصد به جالينوس . ج : الحكم .

(٤) ب ، ج ، ز : الفناء . وهذا النص مأخوذ من : (كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق سليمان دنيا ص ١٢٦ ونصه : (ما تمسك به جالينوس إذ قال : لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في مدة مديدة) .

(٥) د : بين . يرى الأشاعرة أن فناء الجواهر يكون بأن لا يخلق الله تعالى فيها الأعراض من حركة وسكون (تهافت الفلاسفة ص ١٣٠) .

(٦) ز : كتب على الهامش : قف معرفة الصانع ضرورية .

(٧) ب : فشاهد ، د : فمشاهد .

(٨) ب : اشادة .

فان قيل إنما يقولون إنما ذلك بأسباب مرتبة من الكون والفساد)[1] قلنا عنه جوابان : أحدهما : أنه إذا ثبت وجود الاعادة للفاني كجريان[2] العادة فيه ، على وجه لا يلزم أن تكون العادة واجبة ، إلا على تقدير أن يكون[3] العقل[4] من تلك الأسباب ، وقد بينا فساده ، فلم يبق إلا أنه يعيده الفاعل متى شاء ، كما أخبر ، وقد قالوا : ان الصفة تعود على التفصيل والجملة[5] بعد الدورة العظمى ، وذلك لاثنين وسبعين ألفا دورياً في نقطتي الحمل والجدي ، فيقال لهم : فهل تعود بصفتها على الجملة والتفصيل ، أو بالبعض ؟ فان قيل تعود بالكل ، قلنا : فلم لا نذكر أنفسنا الآن[6] كما كنا قبل[7] ؟ وان[8] قيل تعود بالبعض لأنا قد فاتنا ذكر ذلك فينا[9] ، قلنا[10] : فالذي فوّت الذكر لتلك الصفة ، يفوت منها[11] غيره[12] ، ويقدمها[13] ، ويؤخرها ، ويغيرها ، وبطل بهذا وجوب نسبة شيء من ذلك إلى حركات الفلك ، أو إلى

---

(١) ب ، ج ، ز : سقط ما بين قوسين .
(٢) د : يجريان .
(٣) ز : – يكون . وصحح في الهامش .
(٤) ب ، ج ، ز : الفعل .
(٥) د : الجمل .
(٦) ب ، ج : – الآن .
(٧) ب ، ج ، ز : – قبل .
(٨) ب ، ج ، ز : فان .
(٩) ز : كتب على الهامش : قف على زعمهم في قدم العالم وعدم الفناء بهاته الكيفية
(١٠) د : – قلنا .
(١١) ج ، ز : كتب على الهامش : منه .
(١٢) كذا في الأصول الأربعة .
(١٣) ب : ويعدمها ، ج ، ز : – ويعدمها ، وكتب على الهامش : ويعدمها .

ما[1] ينسب إليه ، لأن اختلال دقيقة منها ، يوجب اختلال الجميع ، فان قيل[2] : فقد رويتم أن الله لما خلق آدم استخرج منه نسم بنيه فقال لهم : (ألست بربكم ؟ قالوا بلى) (الأعراف ١٧٣) ، ثم أوجدهم (و ٣٥ أ) فلم يذكروا ، قلنا : نحن نقول : ان الباري هو خالق الخلق ، وصفاتهم ، من حركة وسكون ، وعلم ، وذهول ، وما شاء أوجد ، وأعاد ، وما لم يشأ أخبر عنه فآمنا به ، وهذا لازم لكم ، ساقط عنا ، كما بيناه ، وكذلك معرفة الثواب والعقاب ، معلوم من جهة الخبر ، وقد شبب[3] بعض الفلاسفة بأنه مدرك بالعقل ، في تخليط تكذب به القدرية[4] .

وهلة :

وقد[5] كان أبو حامد الغزالي يميل إلى ذلك ويستطرفه ، قلت له : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف : (ورأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ، فلو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا) ؟ كيف يكون صفة دوام أكله ووجوده هل كان كلما أكل منه جزء خلفه آخر ، وإذا فنيت حبة أينعت[6] أخرى ؟ فقال ، وكتب بخط يده[7] : ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، والمعنى في الحديث[8] أن ثمار الجنة إذا تعلقت بها آمال الناظرين ، أو قابلتها أبصارهم ، حدثت

---

(١) د : أو لما .
(٢) ب : قالوا .
(٣) كذا في جميع الأصول وفي القاموس المحيط المشبب المحسن . ولعله من باب التحسين والتقبيح العقليين ، أو لعله : تشبث .
(٤) ب : تكدر بالقدرية .
(٥) ج ، د ، ز : — قد .
(٦) ج ، د ، ز : انبعث .
(٧) ب ، ج ، ز : بحطبه .
(٨) ز : كتب على الهامش : قف على كلام الغزالي في ثمار الجنة وما فيه .

أمثالها في نفوسهم ، حدوث أمثال المرائي[1] في المرآة ، وأعيان المرائي لم تتبدل ذواتها ، ولا رامت مكانها .

قال القاضي أبو بكر[2] رضي الله عنه :

تذكرة :

ولم تتفق لي مراجعته[3] ، وهذا مما لا نقول به اعتقاداً ، ولا نرضاه ديناً ، فانه لا يشهد له عقل ، ولم يرد به نقل . فان قيل : فهذا النائم يأكل حتى يشبع ، قلت له : يا نائم دعني من النائم ، ولا تحمل الحقيقة على المجاز ، ولا ترد[4] النوم إلى اليقظة . وسنتكلم على الرؤيا في موضعها ، وقد سبق منا أمثالها ، ولا سيما في محاسن الإنسان[5] .

ومن أعظم ما نسكتهم[6] به ، أن نقول لهم : انا نرى الله في المنام (و ٣٥ ب) ادمياً ، أكذلك[7] هو ؟ فبهتوا[8] وهذا أمر[9] صحيح ، وذلك أن الأمور المعقولة ، اما أن تعلم مشاهدة ، أو يهجم عليها العقل باتفاق[10] ، أو تعلم[11] بالدليل ، من تمثيل

---

(١) ج ، ز : المرئي .
(٢) د : قال أبي رحمه الله .
(٣) ب : مراجعة .
(٤) ج ، ز : يرد .
(٥) ب ، ز : كتب على الهامش : الاحسان .
(٦) ز : كتب على الهامش : نبكتهم .
(٧) د : كذلك .
(٨) ب ، ج ، ز : فيبهتوا .
(٩) د : الأمر .
(١٠) ب : بالتفاق .
(١١) ب : يعلم .

أو تنظير ، وهو لا[1] يقول بقياس في العقليات ، وان قال به ، فبمقدمتين تنتجان مطلوباً صحيحاً ، وهذا مما لم يعول فيه إلا على الدعوى ، والتمثيل بالمرآة التي لا تقوم على ساق

معاد[2] :

وقد بينا أن قولهم الأصلي : ان كل شيء من ذاته بالابتداء ، والانتهاء ، وبالتفصيل ، وبتفصيل التفصيل ، من ابتداء الوجود إلى منتهاه ، بطبيعته ، كل ذلك دائر[3] على الحركات ، كائن عنها ، على جبر وانطباع ، فيتحرك المتحرك بتوابعه ، وذلك موجود في[4] المحرك الأول .

عاصمة :

قلنا : هذا فاسد من ثمانية أوجه ، الأول : ان قولهم : ان كل شيء من ذاته ، يريدون به طبيعة ، كما صرحوا به[5] أو غير ذلك ؟ فان أرادوا غير ذلك ، وليس عندهم فليبرزوه ، وان أرادوا بالطبع ، فما معناه ؟ إذ ليس يرجع الا[6] إلى العادة ، أن هذا وجد بعد هذا ، فقالوا : انه وجد عنه وبه ، ولا نسلم لهم ذلك ، ولا يدلون عليه أبداً .

وان قالوا به[7] ، فانا نقول لهم : ان كان يفعل شب

---

(١) ج : هؤلاء .
(٢) ب ، ج ، ز : معادة .
(٣) د : جائز .
(٤) د : على .
(٥) ب ، د : — به .
(٦) د : — الا .
(٧) د : — به .

المشاهد ، وأما مع الانفصال فدعوى ، لا تثبت أبداً ، من حرك الثاني للأول وليس متصلاً به[1] ، وهكذا إلى آخر الصفقة ، حتى اضطروا إلى أن يقولوا : انه يتحرك الثاني بعشقه للأول فيحكيه ، قلنا[2] له : فاذا[3] عشقه ، فمن الفاعل ومن المفعول ؟ ومن الواطئ ومن الموطوء ؟ والعشق هو معنى[4] تطلع النفس إلى اللذة[5] ، وليس من شرطها[6] تساوي الأفعال ، بل ربما كان الاختلاف فيها شرطاً ، فانظروا إلى (و ٣٦ أ) هذا الخباط الذي يذكر في معنى بيان الحقائق والأدلة .

الثالث[7] : ان الفاعل ان كان يحرك فيحرك[8] الكل ، وانتظم التدبير بالحركة ، فمن أين جاء السكون ؟ فان قالوا[9] : من قطب الدائرة ، لم نسلم[10] لهم أن فيها ساكناً ، ولو سلم[11] فالحركة هي الفاعلة عندهم . فما للسكون والدخول فيه ؟ والمعول على القطر[12] من[13] القطب ، ونحن عندهم أهل القطب ، فما بالنا[14] في حركة دائمة ليس

(١) ب : – به .
(٢) د : قلت .
(٣) د : وإذا .
(٤) د : والعشق معنى هو تطلع .
(٥) ز : كتب على الهامش : قف على معنى العشق وهو تطلع النفس إلى اللذة .
(٦) ج : شروطها .
(٧) لم يذكر الثاني .
(٨) د : تحرك فتحرك .
(٩) ب ، ج ، ز : قال .
(١٠) د : يسلم .
(١١) ج : نسلم .
(١٢) ب ، ج ، ز : القطب .
(١٣) ب ، ج ، ز : فمن .
(١٤) ب : فما لنا .

فيها [1] من السكون شيء .

الرابع : انه ان كان المحرك الأول يفعل بطبعه [2] . فكيف نشأ عن الطبع الواحد أربع [3] مختلفة . ولا ينشأ عن الشيء إلا مثله ؟ فان أشاروا إلى الامتزاج . قيل لهم : وليس في الأول امتزاج . وهو إنما يفعل [4] بذاته . فمن أين جاء الامتزاج [5] ؟

الخامس : ان المحرك الأول ان كان لحركته ابتداء فاندفعت . فلم تفرقت الكوائن . ولم يكن عنها في حالة واحدة ما [6] يقتضيه الطبع . وتوجبه الهيئة والتدبير في فعل تتركب [7] عليه أفعال ؟ وان [8] كان فعله على الترتيب . فلم كان [9] مختلفاً كما تقدم ؟ ومن أين جاء التعارض . والتمانع . والتضاد بين الكوائن . والأصل واحد ؟

السادس : ويرجع إلى الأول . إذا كانت الحركة صدرت عنها الحركات فلم افترقت [10] في الأفلاك إلى مستقبلة [11] . وراجعة . إلى مستقيمة ومعوجة [12] ؟

---

(١) ب . ج . ز : فينا .
(٢) ب : بطبيعة .
(٣) د : أربعة .
(٤) د : وإنما هو فعل .
(٥) ب : المزاج . د : المزج .
(٦) د : حسبما .
(٧) ج : نتركب . د : يتركب .
(٨) ب . ج . ز : فان .
(٩) د : يكون .
(١٠) ج . ز : افتقرت في . وصحح على الهامش : افترقت .
(١١) ب . ج . ز : مستقلة .
(١٢) د : + و .

ان كانت هذه الأسماء على الحقيقة . فهي خلاف فاعلها . وان كانت مجازاً لا حقيقة لها[1] فلم ركبتم عليها الحوادث ؟

السابع : ان الإسلاميين من الفلاسفة قد حكوا عن[2] أفلاطون[3] وأرستوطاليس[4] باستحالة الايثار[5] . وان صانعاً مؤثراً لا يتصور . وهذا[6] أحد أصول الالحاد الأربعة . وهو الأول الآن معهم . فانا نقول لهم : زعمتم أن صدور الأشياء عن ذاته . صدور العلة عن المعلول . والدليل القاطع على[7] استحالة (و ٣٦ ب) ذلك[8] أن العقل يقضي قطعاً . أن الصفتين الجائز ورودهما على المحل على التعاقب . فورود[9] احداهما[10] يستحيل أن يكون بغير سبب . يعين أحد الجائزين . ولا يجوز أن يضاف ذلك إلى القدرة . لأن نسبتهما إليها[11] واحدة . وكذلك الحياة والعلم مثلها[12] ، فلا بد من سبب معقول يضاف إليه[13] التخصيص ، يجده المرء في نفسه ضرورة ، وقد ضرب العلماء لذلك مثالاً يقطع بصحة ذلك ، وهو أن رجلاً تشهّى[14]

---

(١) ب ، ج ، ز : – لها .

(٢) ب ، ج ، ز : عن . وصحح في هامش ج ، ز : على .

(٣) فيلسوف يوناني عاش بين (٤٢٩ – ٣٤٧ ق م) .

(٤) فيلسوف يوناني عاش بين (٣٨٤ – ٣٢٢ ق م) .

(٥) كذا في جميع النسخ . ولعله : التأثير .

(٦) ب : وهو . د : وهذه .

(٧) ب ، ج ، ز : عن .

(٨) ج ، ز : بياض بقدر كلمة ، وهو بياض لا يقابله شيء ناقص بالنسبة للنسخ الأخرى .

(٩) ج ، ز : ورود . د : فترد .

(١٠) ج ، ز : أحدهما .

(١١) ج ، ز : نسبتها إليها ، د : نسبتها إليهما .

(١٢) ب ، ج ، ز : مثلهما .

(١٣) ب : له .

(١٤) ب ، ج ، ز : يشتهي .

أكلاً ، وبين يديه تمرتان [1] متساويتان في القدر ، بالجزء [2] واللون [3] ، وحسن المنظر ، وحيزهما [4] منه واحد ، لئلا يتكلف لاحداهما [5] مزيد حركة ، فيمد يده ، ويأخذ أحداهما ، فيعلم قطعاً أنه لم يأخذ بحياته ، ولا بعلمه ، ولا بقدرته فان النسبة لذلك واحدة قطعاً ، فلم يبق إلا الاحالة بأخذها [6] على سبب معقول ، شأنه تمييز الشيء عن مثله ، و [7] قد سماه العلماء ارادة ، وجرى في ألسنتهم ، وتابعتموهم أنتم عليه ، وان لم تتبينوا [8] حقيقته [9] ، ومن أنكر هذا سقطت [10] مكالمته ، ولم يوضع هذا كله ، لمخذول متحامق ، وإنما وضع لمستبصر [11] مسترشد ، ينظر فيه نظر المتثبت [12] لنفسه ، وهذا السبب يصحبه سبب ، شأنه كشف الحقائق ، والاطلاع عليها ، وليس من شأنه أن يتقدم عليها ، ويستحيل أن يتأخر عنها ، يقومان بمحل قامت به صفة هي الحياة ، بها صلح المحل لتقوم به الصفات ، وهم لا ينكرونها ، بيد أنهم يخلطون فيها ، فعندهم من جهة أن الأفلاك حية ، وعندهم من جهة أخرى أن الحياة لا تقوم إلا بمحل فيه بلة ورطوبة ، وطائفة أخرى تزعم أن العلم والايجاد لا يفتقر [13] إلى الحياة ، وهم لا يبالون بذلك كله ، وإنما يأخذون السبيل إلى الالحاد ،

---

(١) د : ثمرتان .
(٢) ب ، ز : بالحزر ، ج : بالجزر .
(٣) ب ، ج ، ز : والكون .
(٤) د : وخيرهما .
(٥) ب ، ج ، ز : لأحدهما .
(٦) ب ، ز : بأحدهما ، ج : بأخدهما .
(٧) د : — و .
(٨) ب ، ج ، ز : تبينوا .
(٩) ب ، ج ، ز : حقيقة .
(١٠) د : — سقطت . وكتب على الهامش .
(١١) ج : المستبصر .
(١٢) د : المثبت .
(١٣) ج ، ز : تفتقر .

كيف اطردت لهم .

والعمدة في ذلك أن يقال : أجمع العقلاء على أن الميت لا يعقل لمواتيته[1] ، وقد كان يعقل (و ٣٧ أ) في حال حياته ولا يصح أن يضاف إلى شرط ، سوى الحياة ، لأن كل صفة نضيفها[2] إليه ، يستحيل أن نضيفها[3] إلى الميت ، فكل صفة نذكرها[4] هي مساوية لهذه في اشتراط وجود الحياة لها .

وأما دعواهم أن الأفلاك حية ، فلا يقام عليه دليل أبداً ، وهو غير مشاهد[5] . وليس لهم إلا حركتها ، وليس من شرط الحركة الحياة[6] ، فان الميت يتحرك ، والخطب معهم طويل بتخليطهم لمن لا يعلم مفاصل[7] الكلام[8] ومن يعلمها[9] يقطعهم في الحال . وقد اندرج الوجه الثامن في هذا الكلام[10] .

عاصمة : وأعظم الخطب ، انكارهم العلم أصلاً ، وهم لا يحتاجون إليه بزعمهم ، فان ما يصدر بالطبع لا بالوضع ، لا يفتقر إلى قدرة ، ولا إلى علم . والقول في القدرة أقرب منه في العلم ، لأن الآفة في[11] العجز معقولة مشاهدة ، والعلم وان كان أظهر ، فهو خفي عن المشاهدة ، ولكن اتقانه المتعلق به ، يظهره قطعاً .

---

(١) كذا في جميع النسخ .
(٢) د : تضيفها .
(٣) د : تضيفها .
(٤) د : تذكرها .
(٥) د : – وهو غير مشاهد .
(٦) د : حياة .
(٧) ب ، ج ، ز : تفاصيل . وترك بياض بقدر كلمة في (ج ، ز) . ولا يقابله شيء من بقية النسخ .
(٨) ج ، ز : بياض بعد كلمة « الكلام » بقدر كلمة . ولا يقابله شيء من بقية النسخ .
(٩) ب ، ج ، ز : يعلمه .
(١٠) ز : كتب على الهامش : ليت شعري فأين اندرج الوجه الثامن ؟ فراجعه .
(١١) د : من . وكتب على هامش ب ، ز : من تصحيحا لـ : في .

وهذه الصفات الأربعة[1] ثابتة للصانع قطعاً ، وهي القدرة ، والعلم ، والإرادة ، والحياة . ومنهم من يقر بالعلم ، لكن يدعون أنه على وجوه ، منهم من يقول : انه حادث ، ويفتقر إلى علم يحدث به ، ولا موجود محدث أقوى احتياجاً إلى العلم من العلم .

ومنهم من يقول : انه عالم بالجمل لا بالتفصيل ، لأنه عندهم أحدث الأصول[2] بعلم ، ثم رتب عليه الحوادث المتعلق بعضها ببعض ، الكائن بعضها عن بعض ، فلا يخلقها ولا يعلمها .

قال القاضي أبو بكر[3] رضي الله عنه : وهذا من العجب ولولا أنه علمها على التفصيل ، ما خلق لها من يعلمها على التفصيل ، ويوجدها على الاحكام والترتيب ، فاذا أقروا بذلك ، فقد[4] أقروا بأنه يعلمها على التفصيل ، وإنما العجب كل العجب من كلمات صدرت عن أبي المعالي[5] (و ٣٧ ب) فادحة تحوم[6] ، أو تشف[7] على أن علم الباري ، لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل[8] ، ونصها ، قال : (إذا

---

(١) د : الأربع .
(٢) ز : كتب على الهامش : أي أصول العالم .
(٣) د : قال أبي .
(٤) ج ، ز : – فقد .
(٥) عبد الملك بن أبي محمد بن عبد الله بن يوسف شافعي المذهب ، أشعري الاعتقاد متأثراً بآراء الفلاسفة وهو الذي وجه أنظار الغزالي إلى الاتجاه الفلسفي . له مؤلفات ذهب فيها مذهب الأشاعرة إلا أنه خالفهم في أشياء ثم رجع إلى مذهب السلف كما صرح به في عقيدته النظامية . وقد حقق أخيراً (١٩٦٩) الدكتور النشار وبعض تلامذته كتابه الشامل الذي رد فيه على المعتزلة والفلاسفة وبيّن وجهة نظر الأشاعرة . توفي سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ .
(٦) د : يحوم .
(٧) ج : تسب ، د : يسف ، ز : تسف .
(٨) ز : كتب على الهامش : قف على قول إمام الحرمين بالاسترسال ، وبسط الكلام معه

تعلق علم الباري بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها[1] استرساله عليها ، من غير فرض تفصيل الآحاد[2] ، مع نفي النهاية فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى[3] في الوجود . يحيل وقوع تقديرات[4] غير متناهية في العلم ، فان قالوا : ان الباري تعالى عالم بما لا يتناهى[5] على التفصيل سفهنا[6] عقولهم)[7] .

---

(١) في ذلك . وكتب على هامش ج : قف على قول إمام الحرمين .

(٢) ج ، ز : — بها .

ورد هذا النص في طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٦٦ ، وأثبتت هذه الجملة هكذا : (من غير تعرض لتفصيل الآحاد) وقد نسب الإمام المازري المغربي أيضاً إلى إمام الحرمين القول بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات في شرحه كتاب البرهان لإمام الحرمين . وحاول السبكي أن يدافع عنه ولكن النص صريح في ذلك . وهذا النص الذي ينسب إلى إمام الحرمين ثابت وموجود في كتابه (البرهان) المخطوط بدار الكتب المصرية ، وبمكتبة الأزهر .

(٣) ج ، ز : ينتهي .

(٤) ب ، ز : تقريرات .

(٥) ج ، ز : ينتهي .

(٦) ج : يسعهنا .

(٧) وردت هذه الجملة في الطبقات مقدمة على كل النص المثبت هنا . (الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦) . عثرت على نسخة من كتاب البرهان لإمام الحرمين ووجدت نفس النص مع شيء من التقديم والتـأخير فيه ، وقد أضفت إليه ما سبقه حتى يفهم الغرض وهو هكذا :

تردد المتكلمون في انحصار الأجناس كالألوان ، فقطع قاطعون بأنها متناهية في الامكان كآحاد كل جنس ، وزعم آخرون أنها منحصرة ، وقال المقتصدون لا ندري أنها منحصرة أم لا ، ولم يبنوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق ، والذي أراه قطعاً أنها منحصرة ، فانها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم منها بآحاد (صحح في الهامش : (بأجناس) بدل (لآحاد)) لا تتناهى على التفصيل ، وذلك مستحيل ، وان استنكر الجهلة ذلك ، وشمخوا بآنافهم ، وقالوا : الباري سبحانه وتعالى عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم ، وأحلنا تقرير هذا الفن على احكام الصفات ، وبالجملة علم الباري سبحانه وتعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى ، فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الآحاد ، مع نفي النهاية ، فان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود =

وقد بسطنا القول على هذا الكلام في كتاب «التمحيص[1]» بمافيه بلاغ . فلينظر هنالك بمقدماته ولواحقه ، والمقدار الذي يعرفك[2] الآن بكنهه ، ويعطيك فائدة ما سطرنا[3] هنالك منه على الاختصار ، ايراد بعض ما استطر هنالك[4] من الفصول بلفظه الذي وقع الاملاء به .

اعلموا وفقكم الله أن المعلومات من جهة الكون تنقسم إلى واجب وجائز ومستحيل[5] ، والواجب على قسمين : واجب مطلق ، وهو الله وحده ، وصفاته . وواجب من وجه ، وهو ما خلقه الله تعالى من أصول العالم ، كالجواهر والأجسام ، والأعراض . فهذه مما يجب كونها على هذه الصفة[6] ، فلا يتصور خروج الجوهر عن كونه جوهراً ، ولا العرض عن كونه عرضاً ، ولا خروج الجسم عن كونه جسماً . ومن أصول هذه الأصول : أن الجوهر لا يخلو عن عرض ، وأن العرض لا يصح وجوده دون ما يقوم به من جوهر ، أو جسم . وهذا كله متفق عليه بين العقلاء ، و[7] معلوم عندهم قطعاً قبل النظر ، ومنه ما هو معلوم بنظر ، ويتركب عليه وجود الأكوان ، والألوان بالجواهر والأجسام ، على البدل والانفراد ، حسب نسبة كل واحد منها[8] إلى الآخر ، من ضد أو خلاف (و ٣٨ أ) ويتركب عليه

= يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم ، والأجناس المختلفة التي فيها الكلام . يستحيل استرسال العلم عليها ، فانها متباينة بالخواص ، فتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال . وإذا لاحت الحقائق ، فليقل الآخر بعدها ما شاء ، والله المستعان . (البرهان ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٥٨٧ ب ورقة ١٨) .

(١) ز : كتب على الهامش : قف على كتاب التمحيص لابن العربي .
(٢) ج ، ز : نعرفك .
(٣) ب ، ج ، ز : سطرناه .
(٤) ج : استظهرنا لك . د : استطير .
(٥) د : محال .
(٦) ج ، ز : بياض بعد (الصفة) لا يوجد ما يمكن أن يسد مسده في النسختين الأخريين فهو بياض لا معنى له .
(٧) د : — و .
(٨) ب ، ج ، ز : منهما .

بعد ذلك النظر في أحكام جميعه ، بالنسبة إلى سبب [1] نشأت عنه ، أو [2] إلى كيفية هي عليه ، أو [3] إلى تركيب في وجود أو عدم ، أو صفة فناء أو بقاء ، أو إلى حال تركيب واستحالة ، يكون بعده [4] نظر في انحصار الأعراض إلى ألوان [5] ، وأكوان . وانحصار الأكوان إلى حركة ، وسكون . وانحصار الألوان إلى أحمر ، وأسود ، وما بينهما من واسطة ، ترجع إليهما ، أو تقف بينهما ، وأعظم من ذلك القول في انحصار العالم إلى الموجودات على ترتيبها ، وتدبيرها ، ما بين وجود ، وعدم ، وبقاء ، وفناء ، وتكليف ، واعفاء ، وتعجيل ، وامهال ، ودنيا ، وآخرة ، وثواب ، وعقاب ، في عموم ذلك . ومن هذا المتقدم أصل متفق عليه بين منزلتي النفي والاثبات وهو [6] الوجود ، والعدم ، والحركة ، والسكون فرعاً عليه [7] . ومنه متفق عليه بين أهل الملل ، ومنه متفق عليه بين أهل السنة . ومن جملة المتفق عليه مما تقدم ، أن الجوهر لا يخلو عن حركة ، أو سكون . وعجباً لبعض علمائنا فانه استدل عليه ، ولئن احتاج إلى دليل ، لم يثبت لنا شيء بعده .

ومن المختلف فيه ، القول في وجود لون خلاف ما شاهدناه ، فمن قائل ان الألوان منحصرة ، ومن قائل انها غير منحصرة ، ومن واقف . وفي حديث المعراج (حتى بلغت سدرة المنتهى فغشيتها [8] ألوان لا أدري ما هي) وقد تكلمنا عليه في شرح الحديث .

---

(١) ب ، ج ، ز : نسب .
(٢) ب ، ج : — أ .
(٣) ب ، ج ، ز : — أ .
(٤) ج : بعد .
(٥) ب : الألوان . ز : كتب على الهامش : قف على الخلاف في الألوان هل هي منحصرة أم لا .
(٦) ب : — هو .
(٧) د : فرعى علته .
(٨) ب ، ج ، ز : فغشيها .

ومسألة الانحصار[1] ، هذه ، مسألة مشكلة ، فان العلم الذي به أدرك[2] المرء[3] انقسام الموجودات إلى جواهر وأعراض ، به أدرك أن موجوداً ليس بجوهر ولا عرض[4] ، ولا نعلمه[5] ، وأن جهات المخلوق ستة لا سابع لها ، وأن الكون من حركة وسكون لا ثالث لهما ، وأن السواد والحمرة (و ٣٨ ب) لا غاية وراءهما . وان كان بينهما وسائط ، وأن العلم لا تعلق له بالعدم المحض ، وإنما يتعلق بمعدوم مقدر[6]. فان قدرت[7] عالماً آخر ، وأمكننا فهمه ، فقدر موجوداً ليس بجوهر ولا عرض ، وكوناً ليس بحركة ولا سكون[8] ، ولوناً ما[9] ليس بحمرة ولا سواد . وجهة سابعة[10] لمخلوق . فان وجب أن ينحصر ذلك في المعلوم ، فلا تسأل عما وراءه بنفي أو اثبات ، وقد بسطناه في موضعه .

قال القاضي أبو بكر[11] : قال ابن الجويني : (والدليل على أنها منحصرة . أنها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم منها[12] ، بآحاد لا[13] تتناهى على التفصيل وذلك محال)[14] .

---

(١) ج ، د ، ز : + و .
(٢) د : أدركنا .
(٣) د : – المرء . ج : الذي أدرك به المرء .
(٤) ج ، ز : بياض وصحح في ز : على انه بياض لا معنى له ، فلا يدل على نقص .
(٥) ج ، ز : يعلمه .
(٦) ج : مقدور . ز : كتب على الهامش مقدور .
(٧) ز : كتب على الهامش : مبحث نفيس .
(٨) ج : سكونا .
(٩) ب ، ج ، ز : – ما .
(١٠) ج : سابقة .
(١١) د : – قال القاضي أبو بكر .
(١٢) ب ، ج ، ز : بها .
(١٣) ج : فلا .
(١٤) البرهان : مستحيل . المخطوط السابق الذكر ورقة ١٨ .

قال القاضي أبو بكر [1] رضي الله عنه : هذا كلام محذوف لأن قوله : (لو كانت غير منحصرة) مقدمة واحدة لا تنتج شيئاً باتفاق من العقلاء ، فلا يصح أن يرتب [2] عليها قوله : (لتعلق العلم بمنها [3] بآحاد لا تتناهى على التفصيل) حتى يقول : هي منحصرة ولا بد أن تكون معلومة ، فان الحكم على المجهول بحصره أو عدمه محال . وإذا كانت معلومة ، فلا بد أن يتعلق بها العلم [4] على التفصيل ، والتفصيل هو الحصر [5] ، فآل نفي الحصر إلى اثباته ، فبطل في نفسه ، وهذا هو برهان الخلف . قال ابن الجويني : (فان قالت الجهلة الباري عالم بما لا يتناهى [6] على التفصيل سفهنا عقولهم) [7] . قال القاضي أبو بكر [8] رضي الله عنه : يريد أن التفصيل كما قدمنا ، يقتضي الحصر والنهاية ، فكيف يضاف إليه ، ما لا يقتضي النهاية والحصر ، فان كان للتفصيل عند أحد معنى غير الحصر والتناهي فليركب عليه ما يليق به ، وقدمنا أن [9] لفظ الجملة والتفصيل ليس شرعياً . قال ابن الجويني : (إذا تعلق علم الله بجواهر (و ١٣٩ أ) لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها في غير فرض تفصيل [10] الآحاد مع نفي النهاية ، فان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات [11] غير متناهية في العلم) . قال القاضي

---

(١) د : قال أبي .

(٢) د : يترتب . وهذا اتباع للمنطق اليوناني وقد ذكر ابن تيمية أن المقدمة الواحدة منتجة .

(٣) ب ، ج ، ز : بها .

(٤) د : يتعلق العلم بها .

(٥) ز : كتب على الهامش : قف : التفصيل هو الحصر .

(٦) و (٧) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : (فان استنكر الجهلة ذلك وشمخوا بآنافهم وقالوا : الباري تعالى عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم ، جـ ٣ ص ٢٦٦) وهو نفس النص الوارد في مخطوط البرهان ورقة ١٨ .

(٨) د : قال أبي .

(٩) ج : – أن .

(١٠) الطبقات : من غير تعرض لتفصيل .

(١١) الطبقات ، ز : تقريرات .

أبو بكر[١] رضي الله عنه[٢] : أما قول الجويني[٣] أيضاً : (وان قالوا : ان الباري عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم) ، فهو عبارة عن أنه كلام متناقض غير معقول[٤] ، لما بينا من أن التفصيل عنده يقتضي الحصر ، وما لا يتناهى ينفيه[٥] ، فتناقضا . فالجمع[٦] بينهما في الأخبار سفه في العقل . وكذلك كل[٧] من جمع بين متناقضين ، ولذلك سفهنا عقل أبي هاشم ، وسلبناه دينه ، في تصويره عن الجملة الجامعة بين[٨] المتناقضين ، قول القائل : محمد ومسيلمة صادقان أو كاذبان ، فانه لا يصح الاخبار عنه بكل واحد من الخبرين ، لأنه جمع في المخبر عنه بين متناقضين ، كما لو قلت : الإنسان والحجر حيوانان أو[٩] مواتان[١٠] .

وأما قوله : (ان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات[١١] غير متناهية في العلم) فانه كلام ناقص أيضاً ، مفتقر إلى تتميم ، وحينئذ يصلح للتعلم والتعليم[١٢] ، لأن قوله : (ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود) يعني به في زمن متناه وإلا فدورات[١٣] الأفلاك عند الفلاسفة لا نهاية لها ، ونعيم الجنة عند

---

(١) د : قال أبي .
(٢) د : – رضي الله عنه .
(٣) ب : الجوني .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف للرد على إمام الحرمين للإسترسال .
(٥) ج : بنفيه .
(٦) ب : والجمع .
(٧) ج : – كل .
(٨) ج ، ز : من .
(٩) ب : أم .
(١٠) ج : أمواتان .
(١١) الطبقات : تقريرات .
(١٢) د : أو اللتعليم . ب ، ج ، ز : + فانه كلام ناقص .
(١٣) ب ، ج ، ز : دوران .

الموحدين ، لا نهاية له ، وكل واحد منهما يوجد متمادياً عند من يرى الأول . و[1] على الحقيقة في[2] الثاني . ولكن ذلك كله ، إنما يحال الموجود[3] فيه على أزمنته الآتية ، فيكون لكل موجود زمانه . وقوله : (يحيل وقوع تقديرات[4] غير متناهية في العلم) يعني بقوله : (وقوع) : وجود ، وقوله : (تقديرات) يريد تصوير موجودات[5] ، (غير متناهية) ، يعني في زمان[6] متناه ، وذلك مّما لا يتعلق به علم ، لأنه لا يتصور له ثبات ، وقوله : (تعلق علم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال) (و ٣٩ ب) ، لأنه يريد بالتفصيل ، الحصر والانتهاء .

[7] ثم قال : و[8] هذه الأجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل[9] استرسال العلم عليها لتباينها بالخواص ، وهذا كلام[10] مفهوم[11] .

[[12] وقوله : (تعلق العلم بها مع النهاية محال) مبني على أصله في أن التفصيل هو الحصر والانتهاء][12] .

---

(١) ب ، ج ، ز : – و .
(٢) ب : من .
(٣) ب ، د : الوجود .
(٤) الطبقات : تقريرات .
(٥) ب : وجودات .
(٦) د : زمن .
(٧) د : بداية سقوط نحو ورقة . وكتب على الهامش : في هذا الموضع توجد زيادة في النسخة المطبوعة وهو يوازي نحو ورقة من هذا الكتاب . انظر صفحتي ١١٧ – ١١٨ من المطبوع . محمد عبد الرسول .
(٨) ب ، ج ، ز : – و .
(٩) د : فيستحيل .
(١٠) ب : + معلوم .
(١١) ز : صحح على الهامش : مفهوم .
(١٢) ج ، ز : سقط ما بين القوسين .

قال القاضي أبو بكر[1] رضي الله عنه : فننتخل[2] من هذا كله ، أن هذه الألفاظ من الجملة والتفصيل والحصر ، ألفاظ مولدة ، ركبت عليها المبتدعة علومها ، وخاض فيها علماؤنا معهم ، ولكل واحد ، فيها اصطلاح ، تركيب معناه على ما[3] اصطلح عليه فيها ، ويختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباريان ويتعارضان ، ونحن إذا تكلمنا[4] على ذلك قلنا : دعونا من العبارات المحدثة الفاسدة ، الباري تعالى ، عالم بعلم ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يعلم ما كان وما يكون ، ولا يقدّر شيء إلا وهو عالم به ، نعم وقد كتبه ، فهذا عقد[5] صحيح ، مدلول عليه .

فان قلتم على التفصيل[6] يعلم ، أو على الجملة ؟ قلنا : لا ندرك ما تريدون ، فان أردتم بقولكم : على التفصيل ، أنه لا يخفى عليه شيء ، فذلك صحيح ، وان أردتم بالجملة ، أنه يعلم شيئاً ، ويخفى عليه آخر ، فلا يصح ، لأن الدليل قد قام على[7] أنه لا يخفى عليه شيء ، فإنما نتكلم[8] معكم ، في عموم علمه وخصوصه ، والجملة والتفصيل عبارات باردة ، لا نلتفت لكم إليها ، ولا نبني عليها حكماً ، ولا نصف الباري بشيء منها ، لا نفياً ولا[9] اثباتاً ، وإنما نصفه بما وصف

---

(١) د : قال أبي

(٢) ب ، د : – فننتخل . ج ، ز : فننتحل . وصوابه بالخاء المعجمة .

(٣) ب : – ما .

(٤) ج : تضمنا .

(٥) ج : عندي .

(٦) ج : تكرر على التفصيل .

(٧) ج : – على .

(٨) ب : يتكلم .

(٩) ج ، ز : – لا نفيا ولا .

به نفسه ، ودل الدليل عليه من سعة علمه ، وتقدّس ذاته وصفاته ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، كان أو لم يكن ، تقدم أو تأخر ، فعلى هذا عولوا ، ودعوا بنيات الطرق ، والألفاظ المحدثة ، وخذوا[1] ذات اليمين ، وهو ما كان عليه السلف المتقدمون من الصحابة والتابعين ، وقد بينا ذلك كله ، في كتب الأصول ، وهذه اشارة إلى جملة نكته[2] ، عاصمة لكم في هذا الباب ، قاصمة لظهورهم ، وذلك أنا نقول : ان[3] الفلاسفة على قسمين[4] : منهم من يقول : ان الباري لا يعلم إلا نفسه[5] ، ومنهم من يقول : يعلم غيره[6] ، ويلزمهم ان يقولوا : انه لا يعلم شيئاً . وقد رأيت منهم من يقوله ، فأما من يقول : انه يعلم نفسه ولا يعلم غيره ، فيقال لهم : قولكم : انه لا يعلم غيره ، ما تعنون به ؟ أتريدون لاستحالة ذلك[7] ، أو لأنه لم يتفق ؟ فان كان لا يعلم غيره ، لاستحالة ذلك ، فهو باطل قطعاً ، لأن من يعلم نفسه يعلم غيره ، وان كان لأنه لم يتفق ذلك ، فالذي يوجبه[8] ذلك للعبد ، عدم ارتباط كل واحد منهما بصاحبه ، والموجودات كلها مرتبطة بالأول ، فكيف يعلم منها واحداً غيره ؟ هذا محال قطعاً . وان قالوا : انه لا يعلم شيئاً فذلك من أفسد دعوى ، فانها إذا كانت عنه أو بعضها ، فكيف يكون عنه ومنه وبه ، أو منه أو به أو عنه ، وهو لا يعلم ذلك ؟ وتصوره غير معقول .

---

(١) ج ، ز : وجدوا .

(٢) ج ، ز : جمل نكتية .

(٣) ج : — ان .

(٤) ز : كتب على الهامش : قف انقسام الفلاسفةإلى قسمين في علم الله .

(٥) مثل أرسطو وأتباعه .

(٦) كابن سينا . (الغزالي ، تهافت الفلاسفة ص ١٨٠ — ١٨٢) .

(٧) ب : + فهو باطل .

(٨) ج : تكرر : يوجبه .

وان قالوا : انه يعلمها جملة ، ولا يعلمها تفصيلا ، قلنا : ان كان لا يعلمها تفصيلاً ، فلا يعلمها أيضاً جملة ، لأن كل جملة لها تفصيل ، يكون عنها مرتباً ، أو فيها محكماً ، أو بها مولداً ، فكيف[1] كانت عنه كذلك ، ولا يعلم بها ؟ و[2] كيف كان عنه ما لم يعلم به ، على وجهه ؟ هذا لا يتصور .

فان قيل : الاحاطة[3] بها على التفصيل وهي لا تتناهى[4] ولا يمكن تحصيلها . قلنا : [هذا الكلام باطلاقه تلبيس ، لأنه يقال لهم : قولكم : لا يمكن تحصيلها لمن][5] ؟ آللذي كانت عنه أو لغيره ؟ فان قلتم لغيره قلنا صدقتم ، فان الإنسان لا يدرك الأشياء كلها على التفصيل ، لأنه[6] ليس شيء منها عنه ، وإنما يعلم منها ما علم ، وكانت عنه ، فمن ضرورة العالم ، أن يعلم[7] ما يكون عنه ، ولا يستعظم علم ما لا يتناهى ، كما لا يستعظم وجوده ، وقدّر الوجود مقروناً بالعلم ، وقدره من غير تعلم ، وبغير آفة تطرأ[8] عليه ، وبغير عدم يلحقه ، أو يسبقه ، ولم تجد له نظيراً ، فلم يلف[9] منك[10] نكيرا[11] . والإنسان على قصوره ، يعلم ما كان ، وما

---

(١) ج ، ز : وكيف .
(٢) ب : — و .
(٣) ب : للاحاطة .
(٤) كذا في ب ، ج ، ز : ولعل الصواب اسقاط الواو .
(٥) ما بين قوسين ساقط من (ج) .
(٦) ب : أنه .
(٧) ب : يعلمها .
(٨) ب : نظرا .
(٩) ب ، ج ، ز : يلق وصحح في هامش ز : يلف .
(١٠) ج ، ز : مثل .
(١١) ج : تكبير . ز : تكبيرا .

هو فيه ، وما يكون باطراد العادة ، كما [1] أخبر الصادق ، أنها [2] لا تتغير وهو لم يجد[3] ذلك ، ولا كان عنه . فقدّر في الخالق المكون ، قل بواسطة أو بغير واسطة ، علم ذلك كله على الكمال ، والقوم في قصور من المعرفة عظيم ، وتخليط كثير .

وقد فاوضتهم في الأقطار والأمصار بنفسي[4] ، و[5] حضرت ذلك في مجالس الايمة والجهابذة بالشام والعراق ، فما أثبت الله لهم قدماً ، ولا رفع لهم قط علماً . ولم يتكلموا على تقية إلا بغاية الحمية ، وقوة الاعتقاد والنية ، والله يعيذنا[6] من حالهم ، ويريهم وبال أمر مآلهم ، بعزته[7] .

قال القاضي أبو بكر[8] رضي الله عنه : وقد تقدم من ذكرنا لقولهم في المفردات والبسائط اشارة ، أنبهكم فيها ، على نكتة ، فاوضت فيها عظماءهم ، فاضطررت أكثرهم في النظر إلى أن يقول[9] : ان البسيط المطلق لا يتحقق إلا في القول . وذلك أني قلت له : الاسطقصات[10] التي كان ينبغي أن يسكتوا عنها ما هي ؟ فذكرها ، قلت له : الماء بسيط أو مركب ؟ ففكر وقدر وعلم ما ألزمته[11] ، فقال : مركب ،

---

(١) ب : لكني .
(٢) ب : — أنها .
(٣) ز : كتب على الهامش : عله : يوجد .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على مفاوضة الشيخ للفلاسفة .
(٥) ج : — و .
(٦) ج : يفيدنا .
(٧) نهاية ما سقط من (د) وهو نحو ورقة .
(٨) د : قال أبي .
(٩) ب ، ج ، ز : يقولوا .
(١٠) د : الاستكسات .
(١١) د : ألزمه .

قلت له : من الرطوبة والبرودة ، قال : نعم ، قلت : فالرطب المطلق مجرداً ، والبارد المطلق مجرداً لا ينضاف إليهما شيء ، ما هو ؟ وحينئذ يتحقق لك البسيط ، قال لي : ذلك يكون في العدم ، قلت له الله أكبر ! العدم ليست له ذات ، تخبر عنها بما يعقل فيها ، وكذلك لو وضعت يدك معه في الأفلاك فلكاً فلكاً ، اضطرتهم الأدلة إلى أن يقولوا : ان أحاد جميعها بسط[1] في العدم ، فزحل إلههم الأعظم ، بارد يابس ، فقد كان كل واحد منهما بسيطاً ، فمن جمع فيه الضدين ؟ ومن ركب[2] المتناقضين ؟ فيا لله ! وللعقول التي ذهبت في تضليل !.

قال القاضي أبو بكر[3] رضي الله عنه : وأما النظر معهم في الايالة العائدة لمصلحة[4] العالم الخاص ، من البدن ، والعالم العام ، الخلق ، فهو قانون علّقوه من الشرائع السالفة[5] مبدلا ، (و ٤٠ أ) ورتبوه مشحوناً سخافة وخللا ، إذا قرأت لهم منه مسطوراً ، رأيته متهافتاً منكوراً ، أخبرني الفقيه الطرطوشي[6] ، أخبرني الباجي[7] أنه كان يوماً في باجة[8] أحمد بن هود[9] ينتظر اذنه فجالسه ابنه الملقب

---

(١) د : بسيط .

(٢) ج : + فيه . ب ، ز : + عليه .

(٣) د : قال أبي .

(٤) د : بمصلحة .

(٥) د : السابقة .

(٦) الطرطوشي : من أعظم الفقهاء المالكية الذين أقاموا بالاسكندرية تتلمذ على أبي الوليد الباجي الأندلسي وأبي بكر الشاشي ، عرف بالزهد والتدين والمعارضة للفاطميين بمصر وألف كتاب « سراج الملوك » لأحد أمرائهم . توفي سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ (العبر ج ٤ ص ٤٨) .

(٧) الباجي : سليمان بن خلف أبو الوليد التجيبي القرطبي أصولي فقيه متكلم أخذ عن أبي جعفر السمناني ، وأبي ذر الهروي . توفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨٢ (العبر ، ج ٣ ص ٢٨٠).

(٨) ج ، ز : ناخة .

(٩) أحمد بن سليمان بن محمد بن هود من ملوك الطوائف توفي سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ .

بالمؤتمن[1] ، وكان يتفلسف وجاذبه ذيل الحديث ، فقال له : هل قرأت أدب النفس لأفلاطون ؟ قال له الباجي : إنما قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . قال القاضي أبو بكر[2] رضي الله عنه[3] : الذي رأيت لأفلاطون زجر[4] النفس ، وعنى الباجي بقوله : أدب النفس لمحمد ، ما تضمنت الشريعة من قرآن وسنة ، في هداية السنن ، وايضاح السنن ، والقوم كما ذكرنا لكم ، إنما رتبوها مسارقة[5] لقوانين الشرائع ، مركبة على الشهوات واللذات ، مقرونة بمكارم حسبما تقتضيه الأهواء[6] وتميل إليه النفوس ، من غير نظر في العواقب الصحيحة المفيدة ، ولو كان على ما زعموا ، لكان الخلق عبثا ، ولما[7] كانت الخلقة حكمة ، بما رتب عليها في الحشر من العاقبة .

---

(١) المؤتمن يوسف بن أحمد تولى الملك بعد وفاة أبيه وكان مولعاً بالعلوم الرياضية وصنف كتاباً سماه « الاستهلاك والمناظر » ويبدو أنه هو الذي اختصره موسى بن ميمون في كتابه : تهذيب الاستكمال . توفي سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ (الاعلام للزركلي ج ٩ ص ٢٨٤) .

(٢) د : قال أبي .

(٣) د : – رضي الله عنه .

(٤) ج ، ز : رجز : – ويسمى الكتاب أيضاً معاذلة النفس نسب إلى أفلاطون ونحل إليه ، وأغلب الظن فيما يرى الباحثون أن هذه الرسالة ترجع إلى أثر من آثار الهرمسية ، وكاتبها ذو اطلاع على الأفلاطونية المحدثة والغنوصية . وقد نشر هذه الرسالة الدكتور عبد الرحمن بدوي (الافلاطونية المحدثة عند العرب ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٣) .

(٥) ب : مشارقة . ز : كتب على الهامش : عله مساوقة .

(٦) ب ، ج ، ز : الأهوية .

(٧) د : وإنما .

قاصمة :

ونبغت[1] طائفة كادت الدين ، وبهرجت على المسلمين ، وأرادت التلفيق بين الفلسفة والملة ، وحاولت الجمع بين الشرع المنقول ، وقضيات العقول القاصرة ، عن غاية الدليل بذواتها ، وجزمت القول بأنه لم يأت رسول[2] إلا بها ، ولا دار إلا حولها ، ورتب نظامه في سلكها ، ودار كلامه وعلمه عليها ، وجعلت تتبع ذلك فصلاً فصلاً ، حتى عقدت أبواباً في شرح هذه المقاصد ، ومن أعظم من انتدب لذلك[3] القضاة الأربعة الذين لقبوا أنفسهم اخوان الصفاء فجمعوا الخمسين رسالة ، في كل علم رسالة ، ولم يبقوا من رسوم[4] الإسلام أصلاً إلا عقدوا فيه فصلا ، وكانوا في علومهم مقدّمين ، وعلى (و ٤٠ ب) الفصاحة مقتدرين ، وبدرك المدرك عارفين ، وبالدولة معتضدين ، ومن تمكن من تصريف لسانه وبنانه ، لا ينبغي أن يستغرب ما جاء من بيانه ، فكم قائل من الحكماء :

في فمي مـــاء وهل ينـ ـطق من في فيـــه ماء[5]

وإنما يقصر بالقلوب الأصمعية[6] ، والألسنة اللوذعية ، والنفوس الأحوذية ، ما وراءها[7] من انتقاد الحساد ، وتشنيع الأعادي[8] ، فترى العالم صامتاًوما به

---

(١) ج ، ز : نبعت .

(٢) ب ، ج ، ز : + الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) د : إلى ذلك .

(٤) د : رسم . ز : كتب على الهامش : قف واحذر . وتحت ذلك : قف على رسائل اخوان الصفاء .

(٥) ج ، د ، ز : كتب في صورة نثر .

(٦) ب ، ج ، ز : الأسمعية .

(٧) ب : فاروها . ج ، ز : ما رواها .

(٨) كتب على هامش ب ، ز : الأحاد .

عي ، متماوتاً وانه لحيّ ، ولما تمكنت هذه الطائفة كما قلنا ، لم يبق فن [١] من الحكم النبوية ، والأغراض الفلسفية والأدلة الجلية والخفية ، والاشارات بعبارات غلاة الصوفية ، إلا وقد رصت عليه [٢] أبنية [٣] ، ودست فيه [٤] بلايا ، دع [٥] بلية فاذا قرأها [٦] من ليس من أهلها هلك فيها ، وإذا قرأها عالم جردها عن فاسدها ، وأقامها من مائدها ، وعدلها عن حائدها ، وردها إلى مالكها ، وواجدها .

عاصمة : قال القاضي أبو بكر [٧] رضي الله عنه : ان الله تعالى وله الحمد ، أنزل كتابه على نبيه نوراً محكماً ، هدى تبياناً ، لم يكن رموزاً ولا كناية عما لا يتوصل به [٨] إليه سامعه ، ولا يعلمه مخاطبه ، وأقام عشرة أعوام ، أو ثلاثة عشر عاماً [٩] ، أو خمسة عشر عاماً ، يجادل بالحجة جميع الكفرة ، بألف [١٠] من آي القرآن حسبما بيناه في « أنوار الفجر » فما بقي نوع من الأدلة ، ولا وجه من وجوه الحجج ، إلا وجاء بها على أوضح منهج ، وتناولت كل حجة طائفة من الملحدة ، وأصحاب الطبائع والصابئة بقدرها ، واليهود والنصارى ، والزائغين بقسطها ، على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك ، ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات ، وإذ أطلقها على ألسنتهم ، فقد نص كيف تنقض أقوالهم ، حسبما تقرر

---

(١) ب ، ج ، ز : – فن .
(٢) ب ، ج ، ز : عليها .
(٣) ب : بلية . ج ، ز : بنية .
(٤) ب ، ج ، ز : فيها . ج : عليها .
(٥) ب ، ج ، ز : نوع .
(٦) ج : أقراها .
(٧) د : قال أبي .
(٨) د : – به .
(٩) ج ، د ، ز : – أو ثلاثة عشر عاما .
(١٠) ب ، ج ، ز : بالآيات .

من الأدلة ، ومن كيفية استعمالها ، في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، وذلك (و ٤١ أ) كله بسابقة من المشيئة ، ووجوه من الحكمة ، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود ١١٩) فأبان أنه خلقهم للاختلاف ، وليرحم من شاء منهم فيخلصه عن شائبة الخلاف ، وما استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا والدليل قد اتسق ، والدين بالعلم قد استوسق ، والحرس مبثوث[١] على جوانب الملة ، لا يستطيع أحد خرقها[٢] ، لا في السماء بسلم ، ولا في الأرض بنفق ، وان اشتجر[٣] الخلق اشتجار[٤] أطباق الرأس ، عقائد وأعمالا ، وتفرقوا تعصباً واختلالا ، فمدت البدع أعناقها ، وأطلقت المبطلة[٥] ألسنتها ، فاذا[٦] كانت الأمة على حاميتها ، والولاية على حمايتها ، خلع العذار الخلق في المعاصي ، وأخذوا في طرف من البدعة .

فلما جاء الوعد الصدق بأن الدين بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، ولج في الدين لصوص ، من غير بابه ، وتعلقوا[٧] بإهابه ، ومشوا له الضراء ، وأسروا حسواً في ارتغاء[٨] ، وخاطبك كل واحد منهم بلسان القرابة ، وهو من البعداء ، وعاملك بالخلة وهو من الأعداء ، وأتاك بالداء في صفة الدواء ، ولم يخل الله قط أمته ، ولا ضيّع شريعته ، عن ذابٍّ[٩] عن حرمها ، وحامل على مستقيمها . كما

---

(١) ج : مثبوت .
(٢) د : خرمها .
(٣) ج ، ز : اشتحر .
(٤) ج ، ز : اشتحار .
(٥) ب : المبطلات .
(٦) ب ، ج ، ز : – فاذا .
(٧) د : تلففوا .
(٨) ج ، د ، ز : ارتقاء .
(٩) د : داب .

أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين[1] ، بالمعلّق من مدينة السلام ، تجاه دار الخلافة ثنا[2] أبو بكر أحمد بن علي الحافظ[3] ثنا[4] أبو بكر أحمد بن عمر الدلال[5] ثنا[6] جعفر بن محمد بن نصير الخلدي[7] ، نا[8] خلف بن عمرو العسكري[9] حدثنا سعيد بن منصور[10] ، نا عبد الرحمن بن زياد[11] ، نا شعبة[12] عن معاوية بن قرة[13] عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (لا يزال[14] ناس

(١) هو السراج البغدادي صاحب مصارع العشاق توفي سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ وكان من الحفاظ ، وعالماً بالقراءات (العبر ، جـ ٣ ص ٣٥٥ ابن خلكان جـ ١ ص ٣٥٩) .
(٢) جـ ، ز : بنا . د : انا .
(٣) ب : الحافظي . وهو أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي من حفاظ الحديث له مسانيد توفي قاضياً بدمشق سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ (العبر جـ ٢ ص ٩١) .
(٤) جـ ، ز : بنا . د : نا .
(٥) الدلال . لم نعثر له على ترجمة .
(٦) جـ ، ز : بنا . د : انا .
(٧) الخلدي : جعفر بن محمد بن نصير البغدادي الزاهد . نسب إلى محلة الخلد على شاطئ دجلة . وهو شيخ الصوفية ومحدثهم . توفي سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ (العبر ، جـ ٢ ص ٢٧٩) .
(٨) د : انا .
(٩) د : العسكري : الصواب أنه العكبري خلف بن عمرو محدث ثقة توفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ (العبر جـ ٣ ص ١٠٦) .
(١٠) أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني الحافظ توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ .
(١١) المعافري البرقي مولداً محدث ثقة توفي في القيروان سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٢ .
(١٢) شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث ، بصري توفي سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ .
(١٣) أبو اياس المدني البصري لقي ثلاثين صحابياً توفي سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ .
(١٤) جـ ، ز : تزال .

من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[1] قال القاضي أبو بكر[2] رضي الله عنه[3] : وبعد هذا فليس يخفى على ذي لب ، أن العقل والشرع صنوان .

منزلة الشرع من (و ٤١ ب) العقل[4] :

وقد قال بعضهم : ان العقل مزكي الشرع ، ولا يصح أن يأتي الشاهد ، بتجريح المزكي ، ولا بتكذيبه ، فان ذلك ابطال له . وتحقيقه[5] أن المعقول[6] على ثلاثة أقسام : واجب ، وجائز ، ومستحيل . فأما الواجب والمستحيل فلا يتعرض الشرع إلى بيان حقيقتهما ، وأما قسم الجواز فان الشرع هو الذي يتصرف فيه بأن يعيّن أحدهما ، لأنه هو[7] الذي أوعز به ، عالم الغيب والشهادة ، أما أنه يذكر الواجب ، والمستحيل في معرض الأدلة ، إذا كانا نظريين ، ويذكرهما إذا كانا ضروريين ، تمهيداً[8] لتوطيد القسمين النظريين عليهما ، وإذا لم يتناقضا ، و[9] لم[10] يتنافيا فعلى أي وجه يجمع بينهما ؟ أما أنه جاءت ظواهر ضعفت بعض قدر الخلق عنها ، فوجد السبيل من كان له حرص على الزيغ عن الشريعة بها .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير في اللفظ ، وباسناد آخر .
(٢) د : قال أبي .
(٣) د : – رضي الله عنه .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على أن العقل والشرع صنوان .
(٥) ب : والحقيقة .
(٦) ب ، ج ، ز : العقول .
(٧) د : – هو .
(٨) ب : تبيد . ج ، ز : تمييزا .
(٩) ج ، د : – و .
(١٠) ب : لن .

عاصمة [1] :

وقد نزل القرآن بها ، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، وأبلغ رسالة ربه فيها . فلو كان عند من تقدم من السلف الصالح والطالح ، والكريم واللئيم [2] ، والمؤمن والكافر ، منهم أجمعين من يشك فيها ، أو يرى [3] اشكالها ، لما وقف مؤمن في شك ، ولا سكت كافر عن طعن [4] ، ولبادر إلى الاعتراض [5] ، مع ما كان في نفسه من عداوة الشرك ، بل سلم جميعهم تسليم العالم بها ، على حالته من كفر أو ايمان ، وما اعترض كافر [6] على الرسول [7] إلا في آحاد يسيرة من الألفاظ ، لم تكن [8] من باب الاخبار عن الله ، ولو كان عندهم فيها شبهة ، أو للملحد بها متعلق ، لقام صاحبها يشدو بها ، ويشهرها ، أو لصاحب طبيعة لقال له [9] : أنت تنسب [10] الكل إلى الله ، وهو قد رد الكل إلى الطبيعة ، وأحال على الأسباب والمسببات ، وربط الحوادث بحركات الأفلاك ، أو ليهودي أو لنصراني (و ٤٢ أ) لتبادروا [11] من قريب ، وتناوشوا [12] من بعيد ، متألبين عليه في كلامه ، وقد جاءوه

---

(١) ز : كتب على الهامش : قف واستفد .

(٢) ج ، د ، ز : - و .

(٣) ج ، ز : فيرى وصحح في هامش ز : أو يرى .

(٤) د : الاعتراض .

(٥) د : - ولبادر إلى الاعتراض .

(٦) د : كافرهم .

(٧) د : + صلى الله عليه وسلم .

(٨) ب ، ج ، ز : يكن .

(٩) ب ، ج ، ز : - له .

(١٠) د : نسبت .

(١١) د : لتنادوا . ج : ليتبادروا .

(١٢) د : وتاشوا .

من الأطراف القاصية ، فناظرهم به ، أو لصاحب صنم ، لثاروا إليه يقولون له : ربك بعين ويد ورجل ، وكف ، واصبع ، وساعد ، وجنب ، ويأتي ، ويجيء ، ويضحك ، ويطأ برجله[1] ، ويمشي ، ويهرول ، وينزل ، ويخاصر[2] ، ويمل مع من يمل ، ويعطي بيدين ، وآدم مخلوق على صورته ، باطنه بباطنه[3] ، وظاهره بظاهره[4] ، فما ينكر من عبادة من تكتنفه الآفات ؟ ويأخذ كل واحد[5] منهم في طريقه ، على مذهبه ، ويجادلونه[6] بذلك كله ، أو يدعيه كل واحد إلى نفسه ، ولكنهم علموا[7] خلافه لهم أجمعين في المقاصد ، ومباينته لهم في الموارد[8] ، راداً[9] على جميعهم ، وأنه لم يأتهم بمبهم ، ولا كلمهم بتخليط ولا[10] محال ، وأن معجزته ظاهرة ، ودليله على صدقه بيّن ، فلجأوا إلى الحرب ، والاحتماء بالطعن والضرب ، والانحياز إلى دار غير داره ، أو تمسك كل واحد ببلاده ، والإسلام يعلو ولا يعلى ، وكلمة الله لا بد أن تبلغ المنتهى .

فلما درست الملة ، ونقصت الشريعة ، صارت هذه الطوائف عليه عزين ،

---

(١) ج ، ز : برجليه .

(٢) ب ، ج ، ز : يحاضر .

(٣) ج ، ز : بياطنه .

(٤) ج ، ز : يظاهره .

(٥) د : أحد .

(٦) ب ، ج ، ز : يحالوه .

(٧) ج ، ز : عملوا .

(٨) د : + وأنه .

(٩) د : راد .

(١٠) ب ، د : – لا .

ما بين مدّعين وطاعنين ، وملبسين . ومنهم من يأتي بهيئة الناصر ، ومذهبه التخذيل ، وينتدب هادياً ، ومقصده التضليل ، والحق قليل . ولم يلف[1] أحد في كتاب الله ، ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم كلمة[2] يردها العقل ، نعم ، ولا يخالفه ، في شق الأنملة[3] ، حتى يفتقر إلى التمييز بينهما ، والفصل بمحز[4] اختلافهما ، فأبت هذه الطائفة الركيكة إلا أن يكون[5] يبرز[6] فيهما[7] النزاع ، وتنزل بزعمها في الفصل بينهما منزلة الانتفاع ، في دين[8] قاصمة ، وهدم[9] قاعدة قائمة ، وليس الأمر كما زعموا ، والحمد لله . وسترى ذلك في أثناء الكلام ، عياناً ، وتتحققه برهاناً ، ان شاء الله . ومنهم (و ٤٢ ب) من حملته القحة ، وعظيم التهتك ، مع التمكن من الهزء واللعب ، على التغلغل في الباطن[10] ، فقالت[11] : ان نزول القرآن ليس على وضع تأويله[12] تنزيله[13] ، بل وراءه بحار علوم ، وكنايات عن أغراض[14] ،

---

(١) ب ، جـ ، ز : يات . وكتب على هامش (ب ، ز) : يلق .
(٢) ب ، جـ ، ز : بكلمة .
(٣) ب : الا بلمة .
(٤) ب ، جـ ، ز : لمجرد .
(٥) جـ ، ز : تكون .
(٦) جـ ، ز : تبرز .
(٧) ب ، د : بينهما . وكتب على هامش (ز) : بينهما .
(٨) ب : ذين .
(٩) ب ، جـ ، ز : وهي .
(١٠) د : – على التغلغل في الباطن .
(١١) ز : كتب على الهامش : قف على مذهب الباطنية في القرآن .
(١٢) ز : كتب فوق (تأويله) : خبر مقدم .
(١٣) ز : كتب فوق كلمة (تنزيله) : مبتدأ مؤخر . د : بتنزيله .
(١٤) ب : أعراض .

كما قدّمنا عنهم ، فيقولون : ان البقرة لها معنى على[1] غير ما يظهر[2] من التنزيل ، وان العجل أيضاً[3] له معنى أيضاً ، خلاف تنزيله ، إذ لا يصح أن يكون على تنزيله ، فان أحداً من أصحاب موسى ، ما كان ليتخذ العجل المصاغ[4] من الفضة إلهاً ، من دون الله ، يخور بحليه وجوهره ، إذ لا يخفى ذلك على من له أدنى مسكة من نظر ، فلذلك[5] وجب أن يحال[6] على معنى ، يمكن أن يقع فيه الاشتباه، ويحصل معه الاشكال ، فيرتبك فيه من يرتبك به .

وهذا مما فاوضتهم[7] في أنحائه مراراً ، ووجه الرد عليهم بشاهد[8] ، فان جدّ[9] هذا المعترض لي ، والمتكلم معي[10] ، كان يعبد حجراً يأتي به من الطريق ، كما قال أبو رجاء العطاردي[11] في صحيح البخاري قال : (كنا نعبد حجراً[12] فاذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه ، وأخذنا الآخر[13] ، فاذا لم نجد حجراً جمعنا

---

(١) ب : – على .

(٢) ب ، ج ، ز : ظاهر . وكتب على هامش (ز) : يظهر .

(٣) ب : – أيضا .

(٤) ب : – المصاغ .

(٥) ب : ولذلك .

(٦) د : + به .

(٧) ج ، د ، ز : فاوضناهم .

(٨) ب ، ج ، ز : مشاهد .

(٩) ج ، ز : جرا .

(١٠) ب ، ج ، ز : معنا .

(١١) أبو رجاء ، عمران بن ملحان العطاردي ويقال له : عمران بن تيم ، الصحيح انه توفي سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ (العبر ، ج ١ ص ١٢٩ ، صفة الصفوة ج ٣ ص ١٤٢ –١٤٣)

(١٢) د : الحجر .

(١٣) د : الذي هو خير .

حثوة[1] من تراب ، ثم جئنا بالشاة [2] فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلعنا [3] منصل الأسنة ، فلا ندع رمحاً فيه جليدة[4] ، ولا سهماً فيه حديدة ، إلا نزعناه وألقيناه) ، وكان يقول : كنت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غلاماً ، أرعى الابل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه ، فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب ، وقد وقف على ذلك بعض الصحابة ، فاعتذر بأنها كانت عقولاً كادها[5] باريها ، وليس عبادتهم العجل ، وقلبهم له إلاها ، بأغرب من قلبكم[6] أنتم ما نزّل[7] قرآناً إلى[8] ما تدعونه علماً وبياناً . ولولا أنكم لا تحتملون ما أذكره عنهم ، ولا ينبغي أن يهاج به أهل هذه الأقطار ، لأنهم لم يسمعوه ، لذكرت لكم من ذلك غريباً ، تفنون الدهر منه (و ٤٣ أ) عجباً . وجملته أنهم لا يذكرون في تأويل آي من القرآن ، ولا حديث عن الرسول معنى يرده إلى غرضه ، إلا قلبته له في معنى آخر ، حتى ان من أراد من الباطنية أن يرد جميع القرآن في علي ، فترده[9] إلى العباس العباسية وترده[10] إلى أبي بكر البكرية ، وإلى عثمان العثمانية ، ومن أراد من الاخوانية[11] أن يرد الآيات ، والآثار إلى أفعال الكواكب وتأثيراتها .

---

(١) د : حتوة .

(٢) د : بالشاء .

(٣) د : قلنا . وكتب على هامش ز : قلنا .

(٤) ب ، د : حديده .

(٥) ج : كاديها .

(٦) ب ، ج ، ز : قولكم .

(٧) ب ، ج ، ز : + الله .

(٨) ج ، ز : الا .

(٩) ب ، ج ، ز : فيرده .

(١٠) ب ، ج ، ز : ويرده .

(١١) أي اخوان الصفاء ، كما شرحه ابن باديس .

وأن ذلك عبارة عنها ردّت[1] له[2] إلى غير ذلك .

فان قال المبتدع أو الملحد : قد صح لي غرضي من أن الشرع لا تحصيل فيه ، قلنا له : لا يخلو[3] أن تتشرع به وتقبله ، فما تدعى فيه ، نبطله عليك ، حتى إذا ما انتفيت منه ، وقلت ليس بشيء ، رجعت صاغراً بالدليل إلى قيد آخر من النظر يفيدك[4] بأنه حق ، وهكذا هي حقيقة الملة ، من أراد أن يدخل فيها داخلة ، ردّ عنها إليها بأدلتها ، في غرائب من النظر ، كلها قرآنية سنية ، حسبما بيّنها الله في كتابه ، لأوليائه ، وحاج بها عن نفسه على أعدائه . و[5] في أثناء هذه العواصم سترون دستور ذلك ، وتتبينونه ، إذا لحظتموه بقلب شاهد ، ونظر جاهد ، والله أعلم .

استدراج :

ان المطلوب علمه ينقسم إلى معدوم وموجود ، وفي ذلك كلام طويل ، بيننا وبينهم ، ولكننا[6] نبني معهم ، على أنا قد وقفنا ، ها هنا ، فنقول : [الكلام معكم على وجهين : أحدهما : بما[7] يعترض في أثناء النظر ، وترديد القول ، وقد قدمنا منه جزءاً مما جرى بيننا وبينهم على صفته ، من مجازه وحقيقته .

الثاني : أن نتكلم معهم بلغة حبرهم الأول صاحب الطاء والفاء ، ومن عبّر

---

(١) ب : وردت .
(٢) ب : به . ج ، ز : – ردت له .
(٣) ج ، ز : – لا يخلو . وصحح في هامش (ز) .
(٤) د : يقيدك .
(٥) ج : – و .
(٦) ج ، د ، ز : لكنا .
(٧) ز : – بما .

عنه من سين أو راء . فنقول][1] : لا خلاف أن الوجود ينقسم إلى واحد وإلى كثير ، والواحد الذي لا كثرة فيه هو ذات الباري ، فانه لا ينقسم بالفعل[2] ولا يقبله ، فهو واحد بالامكان وبالوجود ، والقوة والفعل ، ولهذا لم يقبل[3] لواحق الكثرة ، من (و ٤٣ ب) الغيرية والتخالف ، والتقابل ، ونحوه من التساوي والتشابه ، ونحوه من[4] التساوي والتماثل ، وعدم التناهي بكل وجه ، ووجوب الوجود له ، و[5] لازم فيه باتفاق ، التقدم لا بالزمان ، ويبقى النظر بيننا وبينهم في بقية مراقب التقدم الأربعة وهو[6] الشرف والطبع والذات ، الذي ينقسم إلى قسمين : أحدهما : أن تكون به ، أو لا به ، نعم ! وهل يقال فيه : أنه موجود بالقوة ؟ فيه نظر طويل ، وهذا كله لا يوصل إليه إلا بنظر طويل ، وتفصيل لا يتأتى[7] عنه إلا ازالة[8] الحال معهم إلى الامكان ، على موافقة المطلوب ، لكن يبقى النظر الأعظم ، في أن حقيقة موجود بلا ماهية لا يقبل الكثرة كذا ، كذا ، كذا ، كما ساقوه يصح أم لا ؟ فانكم إذا قلتم : علمنا الله ، قيل لكم : موجود بلا ، ولا ، ولا[9] كما وصفتم ،

---

(١) ج : سقط ما بين قوسين . أما صاحب الطاء أو الفاء فهو أفلاطون وصاحب السين والراء هو أرسطو .

(٢) ب ، ج ، ز : بالعقل .

(٣) د : تقبل .

(٤) د : — من . قارن المقاصد ص ١٨٣ .

(٥) د : — و .

(٦) ز : كتب على الهامش : عله : وهو الزمان والشرف الخ . وليس صحيحاً لأن المؤلف يتحدث عن بقية المراتب غير مرتبة التقدم بالزمان الذي تحدث عنه وفرغ من الكلام عليه.

(٧) ب : يتأبى . د : يبالي .

(٨) ب : الا أن آلت . د : الآن ان آلت .

(٩) د : + ولا . ويقصد بذلك نني الصفات أو السلوب .

علم بماذا ؟ ولا [1] بد لكم أن تعلقوه[2] بمفهوم تطمئن به العقول ويدخل في سلك العلوم ، وليس لهم عن هذا جواب ينفع [3] ، وإلا فهذا كلامي ، وأنا حي أو ميت فاحشروه [4] وانشروه ففي قوة كل ما أوردت عليكم معشر الموحدين أن[5] تبطلوه [6] ، بيد أننا نحن بفضل الله الذي أتانا على لسان رسوله من العلم المبثوث ببركته [7] ، نقول : من أراد أن يعلم الله ، فسبيل ذلك لائحة ، وهو أن تتحقق أنه ليس مثلك ، فكل ما علمت نفسك عليها ، وقدّرتها فليس هو عليها [8] ، فان قلت : فهذا نفي محض ، قلنا هو نفي لمثلك ، وليس نفياً لصانعك وموجدك ، لأنه قد ثبت بك ومعك ومنك .

وانظروا رحمكم الله إلى[9] النبي كيف أنبأ عنه ، بأن طريق معرفته أفعاله ، فأما هو سبحانه ، فلا يستطيعه أحد ، قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أنت كما أثنيت على نفسك)[10] معناه : لا أقدر على صفتك إلا بما علمتني من صفة نفسك ، فان أردت أن تنكره لم تقدر ، وان أردت أن تمثله (و ٤٤ أ) لم تستطع ، فان أردت دركه كما وصف نفسه ، ودل عليه فعله ، أمكنك . وهذه ثلاثة أقسام

---

(١) ج : تكرر : ولا .
(٢) ز : كتب على الهامش : تعقلوه .
(٣) علق ابن باديس على هذا بقوله : بين بهذا الفصل أن طريقة الفلاسفة لا توصل إلى معرفة الله .
(٤) أي اجمعوه .
(٥) ب ، ج ، ز : – أن .
(٦) ب ، ج ، ز : يبطلوه .
(٧) ب ، ج ، ز : بركته .
(٨) ز : كتب على الهامش : قف ولا بد ، لتعرف الوصول إلى معرفة الله .
(٩) ب ، ج ، ز : أن .
(١٠) (الغزالي ، مقاصد الفلاسفة ص ٢٥٢) .

ضرورية فأنت العالم به حقاً على قدرك ، وهو العالم بنفسه كما ينبغي ، وإذا أردت الصراط المستقيم ، المبلغك إليه كما أمر ، من الاستدلال بأفعاله عليه ، فأقرب شيء إليك من أفعاله ، أنت ، فمنها فارق إليه ، واعرج [١] في درج [٢] المعارف تقف [٣] بك عنده بين يديه فتعلم إذا سلكت هذه السبيل الميثاء [٤] ، أنه [٥] قد جعل [٦] الروح فيك آية عليه ، فانك إذا أردت انكارها وجوداً ، لم تقدر عليه ، وان أردت له مثالاً لم يمكنك ، وان أقررت بها لدلالة آثارها عليها أصبت . وتحقيقه [٧] : أن الفعل لا يصدر إلا عن قادر ، وهو عبارة عمن إذا شاء فعل ، وإذا شاء لم يفعل [٨] ، وأنه عالم بنفسه ، وبكل معلوم ، إذ أنت عالم بنفسك ولم توجدها [٩] ، فضلاً عنه ، وهو عالم بغيره ، كما تعلم أنت غيرك ، وان توقفت في أنه علم واحد ، أو علوم ، فلا تبال به ، فانها مسألة نظر ، والأصح أنه واحد ، وأنه مريد لما يفعله ، إذ الفعل عن الفاعل يصدر طبعاً أو عن ارادة ، والطبع عند طا ، وصحبه ، وهما :

---

(١) ب ، ج ، ز : واخرج . وكتب على هامش (ز) في درج المعارف .

(٢) ب ، ز : دوح .

(٣) ب ، ج ، ز : يقف .

(٤) ج ، ز : الميتاء ، د : الميتا . ومعنى الميثاء : السهلة .

(٥) د : أن الله ، ج : — أنه .

(٦) د : حقل .

(٧) ز : كتب على الهامش : اعرف هذا التحقيق والتدقيق وهو أن خلق الروح في بدن الإنسان من أعظم الأدلة التي يتوصل بها الإنسان إلى معرفة الله وأنها أعلى مثال يقرب الفهم ويحقق المعرفة ، من عرف نفسه فقد عرف ربه .

(٨) د : — وإذا شاء لم يفعل . وكتب مصححاً على الهامش .

(٩) د : ولم تر حدّها .

الفاآن والسين ، هو الفعل المنفك عن العلم بالمعقول[1] . وقد اتفقنا[2] على أنه يعلم ويفعل من غير طبع وذلك هو الايثار[3] ، والقول في العلم قد تقدم .

وان نظرت في غيرك من أفعاله ، فهو من الصراط المستقيم ، لكنه محتوش[4] بثنيات ، يخاف على السالك أن يعرج[5] عليها[6] ، فيتيه بعدها .

ومن ذلك الغير : عقل ، ونفس ، وجسم ، والعقل عندهم جوهر لا ينقسم ، ولا يتركب[7] ، ولا يشاهد . والنفس تقبل التأثير من العقل ، وتؤثر[8] في الجسم . والجسم يتأثر بالنفس ولا يؤثر ، والعقل عندهم ينقسم[9] إلى بسيط ومركب ، امكانا عقلياً ووجودياً[10] ، والبسيط في الأكثر عندهم[11] ، هو الذي له طبيعة واحدة ، كالهواء ، والماء ، والمركب الذي يجمع طبيعتين (و ٤٤ ب) كالطين[12] . ولا خلاف عندهم ، في أن البسيط أصل المركب ، كالحبر[13] لا وجود له في العفص

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعله : بالمفعول وهو نفس ما ورد في المقاصد : (والطبع المحض هو الفعل المنفك عن العلم بالمفعول ، وبالفعل ص ٢٣٥) .

(٢) د : اتفقا .

(٣) كذا في جميع النسخ ولعله : التأثير .

(٤) أي اجتمعت بجوانبه طرق صغيرة ومسالك ثانوية . يقال : حتش القوم أي اجتمعوا .

(٥) ج : يفرج ، د : يعوج .

(٦) د : عنها .

(٧) ب ، ج ، ز : يركب .

(٨) ج ، ز : يؤثر . قارن (الغزالي ، مقاصد الفلاسفة ص ٢٥٣) .

(٩) د : ينقسم عندهم .

(١٠) ب ، ج ، ز : وجودا .

(١١) ج ، ز : عندهم في الأكثر .

(١٢) قارن (الغزالي ، مقاصد الفلاسفة ص ٢٥٥) فانه يكاد ينقل عنه حرفياً .

(١٣) ب ، ج ، ز : ولا .

والزاج[1] . ومن البسيط ما لا يتركب ، وهو بالعمل ببساطته[2] ولي فيه معهم كلام .

ومن أعظم ما ينظر فيه ، الأجسام السماوية ، فيقولون : انها متحركة بالإرادة ، لغرض هو شوق إلى العلوي ، للتشبه به ، لعلاقة بينها[3] وبين الأجسام يسمى عقلا ، قالوا : أو ملكاً ، ويدل عليه عدم التناهي في هذه الحركة ، أزلاً[4] وأبداً ، فلا بد لها من الاستمداد من قوة محركة ، ويستحيل أن يكون في الجسم قوة لا نهاية لها ، لأن[5] له نهاية ، فلا بد من[6] محرك مجرد عن المواد . وذلك قسمان : كتحرك المعشوق والعاشق وكما يحرك الروح البدن ، والثقل الجسم إلى أسفل . فالأول ما لأجله الحركة ، والثاني ما منه الحركة . والحركة الدورية تفتقر إلى فاعل مباشر ، تكون[7] منه الحركة ، وذلك لا يكون إلا نفساً متغيراً ، لأن العقل المجرد الذي[8] لا يتغير لا تصدر[9] منه الحركة المغيرة[10] ، فتكون[11] النفس الفاعل للحركة ، متناهي القوة ، لكونه جسمانياً ، و[12] لكنه يمده موجود ليس بجسم ، بقوته التي

(١) قارن الغزالي (مقاصد الفلاسفة ص ٢٥٥) .
(٢) ب ، ج ، ز : ببسائطه .
(٣) في المقاصد : لا علاقة بينه (المقاصد ص ٢٧١) .
(٤) ب ، ج ، ز : أولا : (المقاصد ص ٢٧٩ يكاد ينقل بالحرف) .
(٥) د : + ما .
(٦) ب ، ج ، ز : متحرك .
(٧) ب : يكون .
(٨) ج : – الذي .
(٩) ب : يصدر . المقاصد : يصدر (ص ٢٨٠) .
(١٠) المقاصد : المتغيرة . المتغير (ص ٢٨٠) .
(١١) ج ، ز : فيكون . المقاصد : + كما سبق ذلك .
(١٢) ج : – و ، المقاصد : ولكن (ص ٢٨٠) .

لا تتناهى ، ويكون[1] عرياً[2] عن المادة ، حتى تكون[3] قوته تخرج عن النهاية ، ولا يكون فاعلا للحركة ، فتكون[4] لأجله الحركة ، من حيث كونه معشوقاً[5] ، لا من حيث[6] كونه مباشراً للحركة ، ولا يتصور محرك[7] لا يتحرك بنفسه[8] إلا بطريق العشق ، فاذا [9] نظروا في الادراك للأشياء ، فقال أكثرهم : انه لا يكون إلا للحس ، بارادة حسية ، وحركية[10] ، خلاف النبات ، إذ حركته طبع ، تميّز[11] به الحيوان ، وهي حركة شوقية ، وحركة اختيارية ، فالشوقية إلى المشتهى والمكروه ، والإرادية هي الحركة في الاعضاء للتصرف[12] . والمدركة نوعان : نوع يدرك (و ٤٥ أ) الصورة المتكونة[13] بانطباعها في الهواء ، ويستمر الانطباع حتى ينتهي إلى رطوبة العين ، وكذلك السمع ، وسائر الحواس ، لهم فيه تخليط .

وإذا مشوا في ادراك المعقولات ، دخلوا في مجهلة تيه ، لا علم لهم[14] بها[15] ،

---

(١) ب : تكون .
(٢) د : بريا . المقاصد : بريئا (ص ٢٨٠) .
(٣) المقاصد : − تكون .
(٤) ب : فيكون .
(٥) المقاصد : + ومقصودا .
(٦) ب : − حيث .
(٧) ب ، ج ، ز : متحرك . وكتب على هامش (ز) عله : محرك .
(٨) ج ، ز : في نفسه . المقاصد : في نفسه (ص ٢٨٠) .
(٩) د : وإذا .
(١٠) ب : حركة . ج ، ز : وفي حركية .
(١١) ج ، ز : يميز .
(١٢) ج ، ز : المتصرفة .
(١٣) د : المتلونة . قارن المقاصد ص ٢٤٧ − ٣٥٣ .
(١٤) د : − لهم .
(١٥) د : لها .

أصلها عندهم أن الحواس كلها تنقل المتلقي لها إلى سابقة[1] الدماغ ، من قدام ، وليس للقلب في ذلك أثر ، وهي ان قبلتها ، ففي لحظة ليس لها ثبات معها ، بل تذهب عنها ، لكن ربما ألفتها إلى قوة في آخر الدماغ ، تسمى خيالية ، ثم عندهم قوة أخرى في محل من الدماغ آخر ، له تركيب يسمى[2] الفكرية ، ولهم بعدها أخرى وهمية ، يسمونها الحاكية[3] ، وهي في الحيوانات كلها . وهذه الكلمات شاركهم فيها الأطباء ، وبنوا علاجهم عليها[4] .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر[5] رضي الله عنه : قولهم : ان الذات الواحدة لا تنقسم بالفعل ، يقال لهم[6] : نعم ولا بالقوة ، فذكرهم[7] الفعل وحده ، تقصير أو تلبيس ، وأما قولهم : انه واحد بالامكان ، فجهل محض ، وإنما[8] ينبغي أن يقولوا : انه واحد بالوجوب ، واحد بالوجود ، لأن الامكان ، ما جاز سواه ، وها هنا يمتنع هذا ، وقولهم : انه واحد بالعقل ، محال ، لأن العقل لا ينظرّ إليه[9] ، وأما قولهم : لم يقبل لواحق[10] الكثرة من الغيرية إلى آخر الفصل ، فهو باطل ، بل

---

(١) ب : سالفة .

(٢) ج ، ز : تسمى .

(٣) د : الحاكمة .

(٤) المقاصد ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٥) د : قال أبي .

(٦) د ، ز : — لهم . نص المقاصد : فانه ليس منقسماً بالفعل ولا هو قابل له . فهو خال عن الكثرة بالوجود والامكان والقوة والفعل . فهو الواحد الحق (ص ١٨٣) .

(٧) د : فذكركم .

(٨) ب ، ج ، ز : — وإنما .

(٩) د : وقولهم انه واحد بالفعل ، محال ، لأن الفعل لا يتطرق إليه .

(١٠) ج : تكرر : لواحق . قارن المقاصد ص ١٨٥ .

الباري تعالى غير لخلقه ، خلاف لهم . وقولهم : التقابل ، فانه يقبله على رأيهم ، وهذا إذا كان معنوياً ، فانه سبحانه لا أول له ، والخلق له أول ، ولا يعدم ، والخلق يعدمون ، وهكذا يتقابل معهم في صفات الجلال ، هي له والكمال[1] ، والنقص للخلق ، ولا يصح سوى هذا .

وأما التقابل بمعنى التوازي ، فمحال عليه ، وكذلك التساوي والتشابه ، والتماثل ، محال عليه ، وكذلك عدم التناهي . وقولهم : ووجوب الوجود ينقض ما سبق من قولهم : امكان الوجود[2] ، كما بيناه ، وأما (و ٤٥ ب) فضل[3] التقدم ، فانه بمعنى الشرف ، واجب للباري ، ولا يقال : ان ذاته قبل الذوات ، لأنه لا يتطرق إليها القبل الزماني ، ولا قبل الطبع ، ولا شك في أن[4] كل شيء به ، ومنه ، على معنى أنه الفاعل له بقدرته ، ولا اشكال على مذهب الجميع ، لأنه لا يكون موجوداً بالقوة ، وأقوى ما فيه عليهم ، أن من ضرورته[5] خروجه إلى الفعل ، أو جواز خروجه له[6] ، وذلك محال ها هنا باتفاق ، وثبت[7] أن الإله هو الذي ليس على حال من أحوال الموجودات[8] كلها ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العقلاء منهم ومنا ، بيد أنهم لا يفون هذا الأصل حقه في التوابع . وأما العقل فانه معلوم به ، لا اشكال فيه عند أحد ، بيد أن الملحدة ، والشيعة[9] أدخلته سوق الاشتباه قصد الالتباس ،

---

(١) د : - والكمال .
(٢) ج ، ز : الوجودات .
(٣) ب ، ج ، ز : فصل .
(٤) د : أنه .
(٥) ج ، ز : ضرورياته .
(٦) د : - له .
(٧) ز : كتب على الهامش : عله : فثبت .
(٨) د : الوجودات .
(٩) د : المشغبة .

أو جهالة فطرية . وطرأ عليه أيضاً [١] استعمال العرب له في ثمراته وفائدته ، في [٢] بعض مقدماته . فصار لذلك مشكلا على من هو دخيل في لسان العرب ، وبهذا كله وجدت الملحدة السبيل إلى دخيلتها . واهل الفلسفة يطلقونه في [٣] معان كثيرة . منه عملي . وهي قوة تنشأ عنها قوة أخرى ، منطلقة إلى ما يختار [٤] من الجزئيات . وهذا فيما لا يخلو أن يكون علما أو نظراً أو إرادة . ومنها عقل هيولاني ، وهذا تهويل ، يعبرون به عن قوة في النفس صالحة لقبول ماهيات الأشياء مطلقة معراة عن موادها ، بها [٥] فارق الكامل الصبي ، والبهيمة ، وهذا أنما يرجع الى علوم مركبة على غيرها ، فالصبي يعلم ، والدابة تعلم ، لكن [٦] علماً مقصوراً ، والكامل يعلم عليه زيادة ، ومنها عندهم عقل فعال ، وهي القوة التي تعلم [٧] متى شاء عقلها ، وأحضرها بالفعل [٨] ، وهذا هو عبارة عن تجريد [٩] النظر في الخفي باستخراجه من المعلوم الحاضر ، مع الذكر له ، وليس في [١٠] شيء (و ٤٦ أ) من ذلك اشكال ، الا من عباراتهم ، والا فهي علوم كلها مرتبط بعضها بالبعض [١١] ، ويتركب على [١٢]

---

(١) ج ، د ، ز : أيضاً عليه .
(٢) د : وفي .
(٣) د : على .
(٤) د : تختار .
(٥) ب : – بها ، ج : به . وكتب الناسخ فوقها : : عله . ز : بياض مكانها . وكتب على الهامش : عله : به .
(٦) د : ولكن .
(٧) ب ، ج ، ز : – تعلم .
(٨) د : – بالفعل .
(٩) ب ، د ، ز : تجديد .
(١٠) ج ، ز : – في .
(١١) ج ، ز : بعضها مرتبط بالبعض . وكتب على هامش (ب) نفس النص .
(١٢) د : عن .

البعض ، وكلها تترتب [1] على العلوم الضرورية ، وتزيد وتنقص ، وتنسى وتذكر ، وقد بينا في غير كتاب أن العقل هو العلم بنفسه ، لا زيادة عليه ، كيفما تصرفت أحواله ، وانتظمت [2] ، لا تختلف [3] في ذلك . وأما اذا ذكروا العقل الفعال ، فتنتفخ أوداجهم ، وتغشى وجوههم قترة ، ويقولون : هو كل ماهية مجردة عن المادة ، ويقولون : انه فعال ، اذ من شأنه أنه يخرج الفعل الهيولاني من القوة الى الفعل ، باشراقه [4] عليه ، وهذا كله تركيب فاسد ، ونسبة فعل الى غير فاعل ، ولا يصح أن يكون اخراج ، ولا ادخال الا في الأجسام ، وما يستفاد من علم عن علم ، لا يقال فيه شيء من ذلك ، والمادة والصورة ها هنا عبارتان فاسدتان على حالهما من المجاز .

العلم المرتب ليفيد علما مادة ، وحصوله عنه صورة ، والتهويل بهذه الأباطيل لا معنى له ، وقد قدمنا القول في البسيط والمركب ، ولا فائدة له في اللغة العربية ، الا أن بناء : ب س ط للاتساع ، وبناء : ر ك ب للاجتماع المرتب ، فيصح لهم هذا المعنى في المركب لغة ولا يصح لهم ذلك في البسيط ، لأن معناه عندهم مفرد ينضاف عليه حتى يصير مركبا .

وأما قولهم : ان نفوس السموات تتحرك بالارادة [5] والسموات والأفلاك ، فيا سبحان الله ، أكثرهم [6] ينكرون [7] الايثار [8] والارادة للأول ، وينسبونها للثاني [9] ،

---

(١) ب : يترتب .
(٢) ب ، ج ، ز : أنيطت .
(٣) د : يختلف .
(٤) د : باشرافه . قارن المقاصد ص ٣٧٣ .
(٥) قارن المقاصد ص ٢٧١ .
(٦) د : أكبرهم .
(٧) د : ينكر .
(٨) كذا في جميع النسخ . ولعله : التأثير . ويمكن أن يقصد بالايثار الاختيار .
(٩) د : + لأن .

والثاني أغنى عنها من الأول ، وأما تفسيرهم الحركة ، أنها من[1] شوق ، فذلك خذلان ، لم يرضه اخوانهم من القدرية . وهل ينبعث الشوق الا عن نفس حية ، رطبة ، مع بلة وبنية ؟ فان ركّبوه على غيرها ، كان ذلك دعوى لا تثبت أبدا ، وما ذكروه دعوى محال ، سموها عقلا ، وزعموا أنا نحن نسميها ملكا ، فهذا كذب (و ٤٦ ب) علينا ، ولغو منهم[2] . فلم يصيبوا في وجه ، ودسوا[3] ذلك ، ليخرجوا ألفاظ الشرع الى أغراضهم الفاسدة ، وأما قولهم : انه يدل عليه [4] [عدم التناهي ، فانا لله [5] على تجويز المحال ، أي مناسبة بين[6] عدم التناهي لو ثبت ، وبين ما ما ادعوه ؟ فكيف ولا مناسبة بينهما بحال ؟ وهي في نفسها محال ، على ما أصلوه ، وما جرى في[7] جوازهم [8] هذا ، فانه هذه الحركات الدورية ، فان كانت لا آخر لها عندهم ، فلا بد أن يكون لها أول ، فقولهم : عدم التناهي أزلاً[9] وأبداً ، باطل في باطل ، وقولهم : لا بد لها من استمداد[10] من قوة محركة ، لا يصح لأن ذلك يؤدي إلى طلب ما لا ينتهي[11] فيها ، وذلك محال . فقولهم[12] : يستحيل أن تكون[13]

---

(١) د : عن .
(٢) د : – منهم .
(٣) ب : محو . ج ، ز : وبينوا . وكتب على هامش (ز) : وحسنوا أو رتبوا .
(٤) ج : على .
(٥) ب : محو . وقرأه الشيخ عبد الحميد : فانه يدل .
(٦) ج : سقط ما بين القوسين .
(٧) د : – في .
(٨) ب : حوارهم . د : جوارهم .
(٩) ب ، ج ، ز : أولا .
(١٠) د : الاستمداد .
(١١) د : يتناهى .
(١٢) ج ، ز : وقولهم . د : وقوله .
(١٣) ب : يكون .

قوة لا تتناهى[1] في جسم متناه باطل ، فان ذلك انما ينبني[2] على نسبتهم الأفعال الى الأجسام ، وهي عندنا محال لأفعال الله ، فيخلق الله قوى لا تتناهى في جسم متناه ، على التوارد ، وقولهم : لا بد من محرك مجرد عن المواد[3] ، قلنا : قولهم لا بد من محرك صحيح ، وقولهم : مجرد عن المواد ، لا ندري ما هو ، وان دريناه لم نفسره[4] لكم ، ولا معكم ، ولكنا نقول : لا بد من محرك لم يتحرك ، ولا يتحرك ، وحينئذ ، يصح أن يكون أصلا للمحركات[5] المتحركات ، وأما قولهم : ان ذلك كحركة المعشوق ، فيا سبحان الله ! يصعدون الى العلو ، ثم ينزلون الي الهاوية بخذلانهم ، أي عشق ها هنا ؟ وما يتجرد عن المواد ، لا يعشق ولا يعشق ، ولا ينزع ولا يغلق ، وقولهم : كما يحرك الروح[6] البدن ، من أفسد شيء عندهم وعندنا ، ونحن لا نسلم أن الروح يحرك البدن ، ولا يجوز ذلك عندنا عقلاً ، وأفسد منه ، وأبعد قولهم : كما يحرك الثقل الجسم ، فان ذلك لا يجوز بحال ، وليس شيء[7] من ذلك لأجله ، بل[8] انه قد يكون الشيء من الشيء ، وبالشيء ، على معنى بقدرته ، والله قد خلق ما في السموات (و ٤٧ أ) وما في الأرض جميعا صادرا منه بالقدرة ، والعلم ،والارادة . كان لبعض ملوك[9] خرسان صاحب ذمي[10]

---

(١) ب ، ز : تنتهي . ج : ولا تنتهي .
(٢) ج : ينتهي .
(٣) ب ، ج ، ز : — عن المواد .
(٤) ج ، ز : بياض مكان (نفسره) .
(٥) ب ، ج ، ز : للحركات .
(٦) د : — الروح .
(٧) ب ، ج ، ز : بشيء .
(٨) ب ، ج ، ز : بلى .
(٩) د : — ملوك . وصحح في الهامش .
(١٠) ج : ذمير .

فقال له : ان عيسى أفضل من نبيكم محمد ، بشهادة نبيكم له بذلك ، فقال[1] له الملك : وأين ؟ قال : ان محمداً أخبر عن ربه بان عيسى روح الله ، وكلمة منه ، فجعله من نفسه ، ولم يجعل ذلك[2] لمحمد ، فأرسل الملك الى بعض خواصه ، وقال : دلني على عالم خراسان ، فقال له : ما أعلمه الا أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليم[3] الصعلوكي الحنفي[4] ، تفقه بأبيه ، وحاز رياسة الدنيا ، والدين . فأرسل اليه ، وأعلمه بذلك فقال : لا بد أن يكون جواب هذا السؤال في القرآن ، ولكن يفرد لي منزل ، أكون فيه ، لا يدخل علي فيه أحد ، ففعل ذلك به ، فلما كان بعد ثلاث ، قال : أخرجوني فأخرجوه ، فقال : قد قال الله[5] : (وسخّر لكم ما في السموات ، وما في الأرض جميعاً منه) (الجاثية /١٣) فليس في[6] ذلك اختصاص لعيسى ، وقد رأيت رأسا من الملحدة كان يجهل بمسألة من الاعراب على الطلبة ، وهو أن يقول قوله : (وسخر[7] لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) على من تعود[8] الهاء ؟ فاذا رأى من بلغ معه الغاية السابقة قال له : ان كل موجود ، فهو من الوجود[9] الأول ، الثاني فاض عنه[10] ، فيضان النور من الشمس ، على سطوح الأجسام ، بالترتيب المذكور عندهم ، وان رأى عامياً

---

(١) د : قال .
(٢) ج : لذلك .
(٣) د : سليمان .
(٤) د : وقع شطب لكلمة الحنفي . وهو مفتي نيسابور . توفي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ (ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤) .
(٥) د : + تعالى .
(٦) ب ، ج ، ز : – في .
(٧) ب ، ج ، ز : خلق . وهو خطأ .
(٨) ب ، ج ، ز : يعود .
(٩) ب ، ج ، ز : الوجود . وكتب على هامش (ز) الموجود وهو الصواب .
(١٠) د : عليه . وكتب في هامش (ز) : عليه .

سلك معه مسلك الحق الذي يعده [1] مسلك العوام ، وان رأى نبيلا لم يثق به ، حقق عليه السؤال ، وشككه في المقام ، ولم يبرم معه عقدة البيان ، ولا هتك له قناع الأشكال .

قال القاضي أبو بكر [2] رضي الله عنه : قد [3] قال الله سبحانه وتعالى : (قل كل من عند الله) (النساء / ٧٨) . فأخبره بثلاثة أخبار لثلاثة معان : الأول : أنه جعل الكل من عنده ، الثاني : قال : (ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) ، الثالث : قال في عيسى : (بكلمة منه) (آل عمران / ٤٥) . فالأول عام (و ٤٧ ب) ، والثاني خاص ، والثالث خاص من الخاص ، وقد قيل : الأول في العموم قوله : (وسخر لكم [4] ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) ، والثاني : قوله : في الفوائد والمصائب : (قل [5] كل من عند الله) والثالث [6] : قوله في عيسى (بكلمة منه) ، وتحقيق القول في ذلك ، أن حرف « من » [7] أصله للغاية كما بينا في « التمحيص » و « الملجئة » ويرد له ثلاث [8] عبارات : قد يكون للجنس ، وللتسبب [9] ، وللبعضية . والثالث محال على الباري تعالى باتفاق منا ومنهم . والأول محال عليه باتفاق من الكل . فلم يبق الا الثاني ، وذلك جائز في كل شيء ، بل واجب ذلك له فيه ، وقد حققنا ذلك كله في موضوعه بما لبابه :

---

(١) د : يعتده .

(٢) د : قال أبي .

(٣) د : وقد .

(٤) ب ، ج ، ز : هو الذي خلق . وهو خطأ .

(٥) ج : قال . وهو خطأ .

(٦) د : ثالث .

(٧) د : بن .

(٨) ب : بلا .

(٩) د : للتسبيب .

ان الله [1] خلق لنا ما في السموات والأرض جميعا ، فالسماء سقف ، والأرض مها [2] والشمس ضياء ، والقمر حساب [3] ، والماء حياة ، و [4] النبات والشجر أقوات [5] ، فكل له وجه من الانتفاع لنا بجميع ذلك ،هذه صفته على الجملة والتفصيل ، وكل ذلك عند أهل السنة من الله لا شريك له ، في خلق ذلك ، ولا في شيء منه ، بل كل ذلك خلقه ، فأخلصوا له [6] العبادة ، وعاد الضمير إلى الله تعالى مقرونا بحرف « من » كما قدمنا على معنى التسبب ، للابتداء [7] المبين لافتتاح الشيء ، المقتضي لغايته [8] ، وقد [9] قال قوم يعود إلى البحر ، فالصفوية [10] يقولون : يعود الضمير على الله ويكون معناه أنه ـ سبحانه عما يقولون ـ نبه به على أن ذاته مبدأ لكل شيء ، عنه كان كل شيء ، على ترتيب [11] العلل والمعلولات [12] ، والتوليد والمولدات ، والنشوء [13] ، حالا بعد حال ، في المنشآت ، فكانت الوحدة

---

(١) ج : والله .
(٢) ب : – مهاد .
(٣) ج ، ز : حسبان .
(٤) ج ، د ، ز : – و .
(٥) ج : قوات .
(٦) د : لله .
(٧) ب ، ج ، ز : لابتداء .
(٨) ب ، ج ، ز : للغاية .
(٩) ج ، ز : – قد .
(١٠) ب ، ج ، ز : فالصوفية . ولكن نسخة (د) أصح لأن هذا الرأي رأي الفلاسفة ، ويقصد بذلك اخوان الصفاء فالصفوية نسبة إلى الصفاء ، وهذا ما جعل ابن باديس يعلق على هذه الكلمة (الصوفية) التي وردت في نسخته بأن الصواب (فالفلاسفة ، فان ما ذكره هو مذهبهم) .
(١١) ب ، ج ، ز : تركيب .
(١٢) ب ، ج ، ز : فالمعلومات .
(١٣) ج ، ز : والتنشوء . د : انتشاحا .

مبدأ للكثرة ، وقد بينّا قولهم في ذلك ، وأوضحنا سخافته ، وفساده [1] ، فيما تقدم ، وسنكرر [2] ذلك فيما بعد .

وأما الطبائعية فيقولون : ان الهاء تعود على البحر ، ومعناه عندهم : أن الله نبه عليه فقال : (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك (و ٤٨ أ) فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون [3] وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) يعني من سحاب ومطر ، ونبات وشجر ، فان المطر يصعد من البحر بتدبيرهم الذي رتبوه ، ويتصعد من [4] طريق السحاب ، وينزل بترتيب الى الأرض ، فتقبله ، ويتولد النبات ، فيكون ولدا من ازدواج الماء والأرض ، فالماء أب ، والأرض أم ، والبحر معدن ، والتصعيد كيفية [5] ، في [6] سخافة [7] لا ترضاها [8] الأنعام [9] . قد نبهنا على فساد هذا الترتيب كله ، وحققنا بطلانه ، وسنكرر ذلك ، ويتأكد ، ان شاء الله .

فكان هذا البائس يسر [10] هذه [11] المعاني [12] ، في هذه الآية ، ويلطخ بها وجوه

---

(١) ب : – وفساده على الهامش مصححا .
(٢) د : وسيتكرر .
(٣) ب ، ج ، ز : – ولعلكم تشكرون . وهو خطأ .
(٤) د : في .
(٥) ب : كبقية .
(٦) ب ، ج ، ز : من . وكتب على هامش (ب ، ز) في .
(٧) ب ، ج ، ز : سخام .
(٨) ج ، د ، ز : ترضاه .
(٩) ب ، ج ، ز : الأفهام .
(١٠) ب : سير .
(١١) ب ، ج ، ز : هذا .
(١٢) ب ، ج ، ز : المعنى . وكتب على هامش (ز) : المعاني .

الطلبة ، ولا يصرح لهم [1] بمذهب السنة ، ليوهمهم أن في بيانها معنى غريباً ، ويطوي كشحه على هذه المستكنة [2] ، فقد كشفها الله لكم ، وله الحمد والمنة . فان قيل : فقد قال صلى الله عليه وسلم : (اذا نشأت [3] بحرية ثم تشامت [4] ، فتلك عين غديقة) وقال الشاعر الجاهلي في صفة السحاب : شربن بماء البحر . قلنا : (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) (الاسراء / ١٠٨) (يضل به كثيراً ، ويهدي به كثيراً) (البقرة / ٢٦) إذا جاءنا حديث صحيح كقوله : (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم) [5] وقوله [6] (أول من رأى الشيب إبراهيم) وأمثاله ، قلتم : هذا باطل ، فإذا جاء حديث مقطوع ليست له رواية ، ولا يعرف له صاحب ، يوافقكم ، صادمتمونا [7] به ، لا تقربونا [8] في حجة لكم ، نحن أعلم بمقاصد رسولنا ، وكلام نبينا ، ولغة قومنا منكم ، معشر اليونانية والمانوية .

أما قول الجاهلي فجهل محض ، و[9] أما الحديث فمقطوع السند ، صحيح المعنى ، أذن به النبي صلى الله عليه وسلم ، في الاستدلال [10] بالعوائد ، فان من البلاد ، ما علامة مطره نشوء السحاب] هكذا ، ومنها ما يكون علامة مطره نشوء

---

(١) د : + فيه .
(٢) ج ، ز : المستكية .
(٣) د : أنشأت . والحديث رواه مالك في الموطأ في كتاب الاستسقاء .
(٤) ب ، د : تشاءمت .
(٥) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده عن أبي هريرة وقال السيوطي : (حديث صحيح) .
(٦) د : + صلى الله عليه وسلم .
(٧) د : صامتمونا . ج : صادفتمونا .
(٨) ب : ولا تعدوننا ، ج : ولا تعدلونا ، ز : ولا تقربونا .
(٩) ج : — و .
(١٠) ب ، ج ، ز : + في .

السحاب [1]] بخلافه ، وكل بلدة بريحها (و ٤٨ ب) منها بلاد تمطر بالدبور ، ومنها بلاد تمطر بالصبا ، سنة [2] الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، وصار معنى الآية : خلق لنا ما في السموات وما في الأرض للانتفاع ، وخلق الأفعال الحسنة [3] والسيئة [4] للابتلاء ، وخلق عيسى آية في الأنبياء ، وهذا يحقق في « التفسير » و « المشكلين » على الاستيفاء ، ان شاء الله [5] .

وقولهم : ان الحركة الدورية تفتقر [6] إلى فاعل مباشر . كلام باطل وضعيف ، أما ضعفه فقولهم [7] : كل حركة دورية . فيقال لهم : لا يصح اختصاص الدورية بذلك ، فان غيرها فيها كذلك . وأما كون الحركة تفتقر إلى محرك مباشر ، فباطل قطعاً ، دليلاً ، وباطل منهم ، فقد قال : ان حركة الفلك تشوق [8] ، ولا مباشرة فيها ، وأنتم ترون هذا التفاوت في التهافت ، وقولهم : ان ذلك لا يكون الا نفساً متغيرا . محال دليلا ، ودعوى نظرا [9] . وقولهم : ان العقل المجرد الذي لا يتغير ، لا [10] تصدر منه الحركة المغيرة . باطل ، لا يصدر التغيير [11] إلا ممن [12]

---

(١) ب ، ج ، ز : سقط ما بين قوسين .
(٢) ج ، ز : بسنة .
(٣) ب ، د ، ز : الحسية . وكتب في هامش (ج ، ز) عله : الحسنية .
(٤) ب : السببية . د : السنية ، ز : السيية .
(٥) ج ، ز : + تعالى .
(٦) د : تنتقل .
(٧) د : قولهم .
(٨) ج ، ز : للتشوق .
(٩) ب ، ج ، ز : بطرا .
(١٠) ب ، ج ، ز : ولا .
(١١) د : المغير .
(١٢) ج : مما .

لا يتغير ، ولا يفعل شيء مثله أبداً ، فان ذلك محال قطعاً يقيناً ، وما ركبوه من واسطة[1] العشق ، حتى يكون الفعل عنده ، كلام غث ، ما أخذ لهم ! بينما يكونون بزعمهم في برهان إذا[2] هم قد خرجوا إلى خطبة ، ومثل ، وشعر ، وخلع عذار ، وذلك عندهم بعيد من البرهان .

وأما النفس فهو عندهم بعيد[3] من الألفاظ الالهية ، وهو عندهم عبارة عن معنى يشترك فيه الإنسان ، والحيوان ، والنبات بمعنى ، [4] الانسان والملائكة السماوية بمعنى ، وهو بالمعنى الأول جسم ، وهو عندنا [5] عبارة عن ذات كل شيء موجود ، وعن الروح الذي تميز[6] به[7] الحيوان عن الموات . وما ركبوه لأنفسهم من المعاني على الأسماء فهي دعاوى ، لأنهم دخلوا في اللغة فاستعاروا لأغراضهم أسماء ، فلا (و ٤٩ أ) نبالي[8] بهم ولا نمنعهم [9] الا عما يتعلق من [10] ذلك بالشرع .

وأما الجسم ، فهو عندهم عبارة عن معان ، منها الممسوح بالأبعاد [11] الثلاثة[12] ، إما قوة ، وإما فعل ، في تفصيل بارد . وهو عندنا عبارة عن كل شيء مؤلف من

---

(١) د : وساطة .
(٢) ب ، ج ، ز : إذ .
(٣) ب ، ج ، ز : — بعيد .
(٤) ج : — و .
(٥) ج : — عندنا .
(٦) ج ، ز : يميز .
(٧) ز : — به . وكتب على الهامش .
(٨) ب : يبالي . د : تبالي .
(٩) ب : يمنعهم . د : تمنعهم .
(١٠) ب ، ج ، ز : — من .
(١١) د : بأبعاد .
(١٢) ج ، د ، ز : ثلاثة . قارن المقاصد ص ١٤٤ .

موجودين فصاعداً[١] لا تأليف فيهما[٢] .

قاصمة :

لو سمعتم ترتيب صدور[٣] الموجودات عن الاله ، لسمعتم أحاديث أم عمرو ، لا[٤] حديث خرافة ، فانه ليس لما[٥] تعتقده[٦] الكافة ، أمر دون أمر ، قال راؤهم وسينهم[٧] : غاية التحقيق في ذلك أن الثابت[٨] ، كون الأول [واحداً من كل جهة[٩] ، ولا يمكن أن يوجد[١٠] من الواحد ،الا واحد[١١]] ، فيصدر عن الأول الواحد شيء واحد ، يلزمه لا من جهة الأول[١٢] حكم[١٣] ، فيكون فيه[١٤] كغيره[١٥]

(١) ب : فصاعد .
(٢) ب ، ج ، ز : فيها . ز : كتب على الهامش : قف : حقيقة الجسم عندهم وعندنا .
(٣) د : صدر ترتيب .
(٤) ب ، ج : ولا .
(٥) ب ، ج ، ز : كما .
(٦) د : يعتقده .
(٧) ز : سيبنهم .
(٨) د : الثالث .
(٩) د : وجه .
(١٠)د : يوحد .
(١١)ج : سقط ما بين القوسين . قارن المقاصد ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .
(١٢)ب : الأزل .
(١٣)ز : كتب فوق كلمة « حكم » : فاعل يلزم . وأدخلها الناسخ في (ج) في المتن ، هكذا : (حكم فيكون فاعل ما يلزم كثرة) فأفسد الكلام بصنيعه ذلك .
(١٤)ز : – فيه . وكتبت على الهامش . ج : – فيه . .
(١٥)ب : – فيه كغيره . وكتب ذلك على الهامش . ج ، ز : – كغيره .

كثرة [1] ، ويكون ذلك مبدأ للكثير [2] ، ووجه ذلك أن الأول واجب الوجود ، وغيره ممكن الوجود ، فهو[3] بحكم[4] ما هو[5] ، ممكن ، وهو بقياس السبب ، واجب ، فيكون له حكمان فتكون الكثرة .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [6] رضي الله عنه : قلنا لهم : ان كان هذا طريق الكثرة ، فهو طريق السخافة والخذلان ، وهما أخوان ، وان قيل لهم : لا سبيل أن يكون الأول واحداً ، فان الوجود له ، لا يتجرد عن علم ، فانه يعلم ، ولا عن معان أخر ، أمهاتها عندكم [7] ، ألا يكون وجود لسواه ، الا [8] منه ، فائضاً عن وجوده بواسطة أو بغير واسطة ، لا يتكثر بغيره [9] ، ولا يتجزأ ، فكما كان الوجود الثاني كثرة ، لأنه ممكن لغيره ، كذلك يكون الأول كثرة ، لأن غيره ممكن به ، والامكان مضاف إليهما معاً ، وهذا لا[10] جواب عنه .

وإذا قلتم : انه سبب لغيره ، فأي واحد ها هنا ؟ وانما الوحدة المحضة ،

---

(١) د : – كثرة .
(٢) د : لكثير .
(٣) أي غير الأول وهو الثاني هنا ، أي العقل الأول أو المبدع الأول .
(٤) ب ، ج ، ز : محكم .
(٥) ب ، ز : – ما هو ، وكتب على الهامش في (ب) أما (ز) فقد أدخله الناسخ في المتن ونبه عليه .
(٦) د : قال أبي .
(٧) ب ، ج ، ز : عندهم .
(٨) ج ، ز : لا .
(٩) ج : لغيره .
(١٠) ج : – لا .

ما قاله أمثالهم ، من أنه ليس هنالك شيء يذكر ، ولا يقال ، ولا يضاف إليه شيء ، ولا يكون عنه[1] شيء ، فهذا[2] على[3] حاله[4] ، ربما كان وحدة[5] ، ولا يقول[6] أحد منا به[7] . وأما ما ذكرتموه فلا أعلم في الكثرة شيئاً أكثر منه (و ٤٩ ب)

فاصمة :

قالوا : صدر عن الأول عقل مجرد ، وفيه تعديد[8] بالثنى[9] كما يجب فيما قلنا ، فكان فلكاً وملكاً .

عاصمة :

قلنا[10] : وهلا كان ماء ، و نارا ، ورطوبة ، ويبوسة ؟ وبأى دليل عينتم هذا ؟ ومن أي طريق عرفتموه ؟ فلا سبيل لهم إلى[11] معرفة ذلك أبداً . قالوا : ونعني بالملك ، العقل المجرد ، وينبغي أن يحصل للأشرف[12] ، من الوصف ، الأشرف ،

(١) ب ، ج ، ز : عنده .
(٢) ب ، ز : فهذه .
(٣) ب ، ج ، ز : – على .
(٤) ب ، ج ، ز : حالة .
(٥) ب ، ج ، ز : وحده .
(٦) ب ، ج ، ز : يقوم .
(٧) ز : كتب على الهامش : قف : الوحدة المحضة .
(٨) ج : تقدير . قارن المقاصد ص ٢٨٩ .
(٩) ب ، ج ، ز : بالشيء . ولا معنى له وأقرب ما يقرأ من (د) الثني . أي كل عقل له ثان وهو الفلك . قارن المقاصد ص ٢٩٠ .
(١٠) ب : – قلنا .
(١١) ب : الا .
(١٢) د : الأشرف . المقاصد : الأشرف .

والعقل اشرف ، والوصف الذي له من الأول ، هو الوجوب ، أشرف ، ويلزم عن العقل الأول ، ثان ، ومن الثاني ثالث وفلك البروج ، ومن الثالث ، رابع وفلك زحل ، ومن الرابع ، خامس وفلك المشتري ، ومن الخامس ، سادس وفلك الشمس ، ومن السادس ، سابع وفلك المريخ ، ومن السابع ، ثامن وفلك الزهرة ، ومن الثامن ، تاسع وفلك عطارد ، ومن التاسع ، عاشر وفلك القمر ، وحصلت الموجودات الشريفة تسعة عشر ، عشرة عقول ، وتسعة أفلاك ، قلنا [1] مما [2] زاد في هذا التخليط ، ضيق المارستان ، حتى صار في كل انسان . (ما أشهدتهم خلق [3] السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ، ما كنت متخذ المضلين عضدا) (الكهف / ٥١) [4] ما هذا التبجح [5] في الدعوى ؟ امتلأت رؤوسكم هوسا ، وتمكنتم من الدولة والخلاء ، فجئتم بما حقه أن يقذف في الخلاء .

يـــا لـــك من قنبرة بمعمـــر خلا لك الجو [6] فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

من أين لكم هذا التركيب ؟ فكيف بما بعده من الترتيب ؟ ثم ما إليه من التعديد [7] ؟ ولعل هذه [8] الكواكب كلها في فلك واحد ، ولكل كوكب مجراه ،

---

(١) ب : – قلنا . قارن المقاصد ص ٢٩٠ – ٢٩١ نقل بالحرف وكذلك تهافت الفلاسفة ص ١٤٥ .
(٢) ب ، ج ، ز : فما .
(٣) ب : – خلق . وهو خطأ .
(٤) أورد الغزالي هذه الآية أيضاً ، في التهافت ص ١٤٨ .
(٥) ب ، ج ، ز : التبجيح .
(٦) ب ، ز : البر ، وكتب على الهامش مصححا . ج : الجو والبر .
(٧) ج ، ز : التعدية .
(٨) ز : – هذه . وكتب على الهامش .

ومجراه هي [1] دائرته ، وفلكه كالدار ، لكل واحد فيها مسكنه ، وليس لهم عن هذا جواب ، إلا أن يقولوا : رصدنا فأصبنا ، قلنا [2] ونحن رصدناكم [3] ، فلم تصيبوا ، وإذا رصد واحد ، لا يتحقق صدقه تبنى [4] عليه السموات والأرض . فان قيل نعرف [5] ذلك بحساب الكسوف (و٥٠أ) ، قلنا : قد بينا أمر الكسوف في موضعه بأبدع بيان ، والآن في مناظرتكم نقول : هبكم أن ترتيب مجرى الشمس والقمر على برهان حساب [6] من أين يعلم ترتيب غيره ؟ وهذا الآن نظر في الهيئة ، ولا ينال [7] كيف كانت ، وانما افتقر إليه ، ما تريدون أن تبنوا عليه ، فالدار تصلح للفجور ، وللعمل [8] المبرور ، ولا يقع التعيين [9] بدليل عقلي ، وانما يكون بالوجود ، أو بخبر الصادق ، وذلك [10] المفهوم من غرضهم : تركيب الامتزاجات من العلويات في السفليات ، فنقول [11] أولاً : تكثرون من ذكر العلو والسفل ، ونحن نقول : لا حقيقة له عندكم ، هل كان علواً أو سفلاً [12] ، إلا بواسطة الانسان ، فمن يمشي على بطنه ، أين علوه ؟ وقبل أن يوجد ذلك ، ما العلو ؟ وما [13] السفل ؟

---

(١) ب : في .
(٢) ز : – قلنا . وكتب على الهامش .
(٣) ب : رصدنا لكم .
(٤) ب : تبني ، ج ، ز : تبتني .
(٥) ب ، ج ، ز : يعرف .
(٦) ب : الحساب .
(٧) ب ، ج ، ز : نبالي .
(٨) ج ، د ، ز : العمل .
(٩) ب ، ج ، ز : ينفع التعيين . وكتب على هامش (ب ، ز) يقع .
(١٠) ج ، ز : فذلك .
(١١) د : + لهم .
(١٢) د : وسفلا .
(١٣) د : – ما .

ولم كان الأول الذي صدرت عنه هذه المعاني في العلو ؟ ولم لا يكون محيطاً ؟ وإن كان محيطاً ، فلم لم ينزل المطر من جهة الأرجل إلى الرؤوس ، ويكون النبات على رأسه ، وأصله في رأسه [1] ؟ أجروا ذلك على موجب الطبع ، حتى يظهر في أثناء ذلك كل بدع ، ثم من المسكت لهم أن نقول [2] كيف [3] قلتم : إن الشمس لا تكون سبباً لنضج الفواكه [4] إلا بشرط قوة طبيعية ، تكون في الفاكهة ، قابلة لهذا التأثير ؟ فمن الشمس كانت هذه القوة لها ، أم من غير الشمس ؟ ومن أغرب [5] محالهم ، أنهم قالوا : ان مادة الهواء قابلة لصورة النار والماء ، ولكن غلب البرد ، فكان لقبول [6] صورة الماء أولى ، فيقال لهم : الجهل بهذا الكلام أولى ، وأولى [7] لكم ، ثم أولى ، إذا طولبتم بالدليل عليه ، جفت أفواهكم ، وخرست ألسنتكم .

قاصمة :

لما رتبوا منازل الموجودات ، حتى انتهت إلى الامتزاجات ، جعلوا لها [8] في بعض المراتب استقصات ، وهي النار ، والهواء ، والماء ، والأرض ، ورتبوا لها في الامتزاجات أحوالاً وصفات مختلفة ، جعلوا بعضها كمالاً ، وبعضها نقصاناً ، وبعضها (و ٥٠ ب) خيراً ، وبعضها شراً ، ويتأتى ذلك باستعدادات ، واضافات

---

(١) ج : تكرر : وأصله في رأسه .

(٢) ب : تقول .

(٣) ب ، ج ، ز : – كيف .

(٤) مقاصد الفلاسفة ص ٣٢٩ – ٣٣٠ .

(٥) د : أغراب .

(٦) د : بقبول .

(٧) ب ، ج ، ز : – أولى .

(٨) ب ، ج ، ز : جعلوها .

كان أصلها وجود العناصر الأربعة ، المختلفات في السفليات ، ومنها ما يطلب الوسط ، ومنها ما يطلب المحيط ، ولا بد من مادة مشتركة ، لأجل أنه لا يجوز أن يكون سبب وجودها السموات وحدها ، في هذيان طويل ، هذه مقدماته [1] .

عاصمة :

ومن العجب أن الاستقص عندهم هو الجسم الأول ، فهذه الأجسام الأول أوجدت عن مثلها أو عن [2] خلافها ؟ وما الذي أوجب امتزاجاتها ؟ ولم اختلفت أحوالها وصفاتها ؟ ولم تزايدت ونقصت ؟ ومن أين تنشأت [3] هذه الاستعدادات والاضافات ؟ أعن [4] أسباب متماثلة [5] أو مختلفة [6] ؟ أضيفوا نوعاً إلى نوع ، وركبوا مثلاً على مثل ، حتى يظهر تهافتكم في كلامكم ، فيخرج من فيكم ما يكفيكم . وهذه العناصر الأربعة ، التي عينتم [7] ، هلا كانت ستة أو ثلاثة ؟ فمن أين [8] وجب هذا التعديد فيها ؟ وتعينت لها ؟ والنار جرم بسيط ، حار ، يابس ، طبعه الحركة إلى الوسط [9] ، من أين كان حاراً ، يابساً دون أن يكون رطباً ؟ والحرارة من أين جاءته ؟ وكذلك اليبوسة ؟ ولم [10] كان في قعر الفلك القمري [11] ؟ وهلا كان في

(١) د : مقدمته . قارن المقاصد ص ٢٩١ ، ٣٣٥ .
(٢) ز : – عن . وكتب ذلك على الهامش .
(٣) ب ، ج ، ز : نشأت .
(٤) ج : أعني .
(٥) ب ، ج ، ز : مماثلة .
(٦) ز : مخالفة . وكتب على الهامش : مختلفة .
(٧) ج ، ز : عنيتم .
(٨) ج : – أين .
(٩) د : الوسائط .
(١٠) ج ، ز : لما .
(١١) ب : – القمري .

مقعر فلك الشمس ؟ وكذلك قلتم : الهواء[1] حار ، رطب ، من أين جاءه هذا ؟ وهلا انقلب الأمر فيه ؟ ولم قلتم : انه يتحرك إلى تحت كرة النار ؟ وهلا كان فوقها ؟ أثبتوا ما قلتم من دعوى ، وعللوها بعد الثبوت . وقلتم : الماء جرم بارد ، رطب ، يتحرك بالطبع إلى تحت كرة الهواء ، فوق الأرض ، والأرض جسم بارد يابس[2] ، طبعه أن يكون متحركاً إلى الوسط ، نازلاً فيه . أثبتوا هذه الدعاوى وعللوها على مرتبتكم[3] ، ولم كانت الأرض جسماً[4] ، ولم يكن الماء ، والهواء ، والنار كذلك ؟ ومن أين نسبتم ذلك إلى مادة ؟ ولم جعلتم سبب وجودها معنى (و ٥١ أ) غير السموات ، ولم تحدث[5] غيرها فأحلتم فيها على العدم ؟ ومن العجب أنهم يريدون أن ينفوا البركة عن[6] الحركة ، فيقولون : انها كلمة ، هي[7] عبارة عن كمال أول بالقوة ، أو خروج من القوة إلى الفعل ، لا في آن واحد . وبالجملة فكل تغير عندهم حركة ، فهذا اصطلاح احذر[8] أن يبنى[9] معهم[10] عليه حكم[11] ، انما الحركة النقلة من جسم إلى جسم ، أو ما هو في معنى الجسم ، من الجوهر ، لا سيما وقد أدخلوا في حد الحركة الآن ، وهو عندهم كلمة يعبر بها

---

(١) ج ، ز ، د : للهواء .
(٢) ب : رطب .
(٣) ج ، ز : نيتكم .
(٤) ب : — جسما .
(٥) د : يحدث .
(٦) ب ، ج ، ز : من . وكتب على هامش (ب) : عن .
(٧) ب ، ج ، ز : في .
(٨) ج ، ز : احذره .
(٩) ب : يبني ، ج ، ز : تبني .
(١٠) ب : — معهم .
(١١) ب ، ج ، ز : حكما .

عن ظرف[1] متوهم يشترك فيه الماضي والمستقبل ، وهذه سخافة . وهو معقول ، عبارة عن الحال الكائنة التي طرأت ثم ذهبت ، والعقل يقضي بين الطرو ، والذهاب بالفصل .

نكتة القضاء والقدر :

ويقال لهم : إذا كان الأول كمالاً وشرفاً ، أو ذا[2] كمال وشرف ، وصدر عنه تسعة عشر من هذا النوع ، كما قلتم ، فما هذا النقصان ، والفساد ، والشر عن[3] غاية الكمال ، والشرف والصلاح والخير ؟ وأنتم تقولون : ان الخير فائض من المبدأ[4] الأول على كل أحد[5] ، بواسطة الذي سميتموه فلكاً ، أو[6] ملائكة ، لا سيما وهو عندكم فياض بالطبع ، قالوا : ما يخلق الشر إلا والخير فيه أغلب ، كالنار والماء ، الخير فيه أغلب من الشر ، إذ لو[7] لم يخلق زحل ، والمريخ ، والنار ، والماء ، والشهوة ، والغضب ، لبطل بسبب فقدها[8] خير كثير ، قلنا : ولم [9] لم يكن عن فياض الخير بطبعه إلا ما لا يفيض إلا خيراً ، من كل وجه كهو ، قالوا [10] : الخير المحض هو الموجود ، والذي لا يتمحض خيره وفيه

---

(١) ج ، ز : طرف .
(٢) د : ذو .
(٣) ب ، ج ، ز : من . وكتب على هامش (ب ، ز) : عن .
(٤) د : الهواء .
(٥) د : – أحد .
(٦) د ، ز : و . وصحح في (ز) : أو .
(٧) ج : – لو .
(٨) ب ، ج ، ز : فقدانها . قارن المقاصد ص ٢٩٧ – ٣٠٠ .
(٩) د : لو .
(١٠) ج : – قالوا . وترك مكانه بياضا .

شر ، ممكن ، ينبغي أن لا يوجد ، وهو ممكن ، فكأنكم[1] قلتم : لو لم تخلق[2] النار ولا زحل ، إلا بحيث لا يكون ناراً ، ولا زحلاً ، قلنا : هذا خذلان وهذيان ، ومن قال : إن قسم الخير الذي فيه شر ، غير ممكن ، قلنا : وكيف أمكن وجود خير (و ٥١ ب) فيه شر ، عن خير محض إن كان الموجود[3] بالذات ؟ فلما وجد ، بطل هذا الأصل .

قالوا : الشر في العدم ، وهو النقص عن الكمال ، قلنا[4] : الشر في وجودكم ؟ ولولاكم ما كان شر ، والعدم عندكم هو أحد مبادئ الحادث ، وهو أن لا يكون في شيء ، ذات شيء[5]، من شأنه أن يقبله ، ويكون فيه ، وليس العدم ما ذكرتم ، انما العدم أن لا يكون شيء أصلاً ، قالوا : المفيد للخير بين[6] أن يخلق المطر[7] بخيره العام . ولا يعبأ بالشر النادر فيه . الذي يلزم بالضرورة عنه . وبين أن لا يخلق المطر . فيصير[8] الشر عاماً ، وإذا قوبل هذا بذلك[9] ، علم

---

(١) ب ، ز : وكأنكم . ج : ولأنكم . وكتب على هامش (ز) فكأنكم .

(٢) ب ، ج ، د : يخلق .

(٣) ب ، د : الوجود .

(٤) ب ، ج ، ز : + وكيف أمكن .

(٥) ج : — شيء .

(٦) ز : كتب على الهامش : من ثم : عله : قالوا المفيد للخير لا يخلو بين أن يخلق.

(٧) ضرب ابن سينا مثلا بالسحاب في كتاب الشفاء ، (الإلهيات ق ٢ ص ٤١٧) وذكر أن : (الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم ، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته ، والشر بالعرض هو المعدوم ، أو الحابس للكمال عن مستحقه ، الشفاء ، الإلهيات ق ٢ ص ٤١٦) ويذكر أن الشر كثير وليس أكثرياً كالأمراض مثلاً ن . م ، ص ٤٢٢ .

(٨) ب ، ج ، ز : ليصير .

(٩) د : بذاك . قارن المقاصد ص ٢٩٨ .

قطعاً أن الخير في أن يخلق . قلنا : هذا الكلام على ركاكته ، باطل ، لأنه ترك منه قسم ، وهو أن يخلق المطر خيراً كله ، أو يخلق[1] الخير [2] دونه ، فما الذي اضطر إلى أن يخلق على حاله ؟ قالوا : وبهذا الترتيب كان القضاء والقدر ، ومنع من[3] ذكر[4] سره[5] ، لأنه[6] يوهم العوام عجزاً ، فكان الصواب أن يقال لهم : الله قادر على كل شيء ، ليوجب ذلك تعظيماً ، ولو فصل لهم لتوهموا العجز ، فهذا سر[7] القدر . قلنا[8] : هذا شر[9] القدر بالشين المعجم بالنقط الثلاث ، ليس للقدر سر[10] ، بل القضاء[11] والقدر حكم نافذ كله ، ومن[12] شر القدر[13] ونعوذ بالله منه ، خلقكم ، وخلق كلامكم هذا ، وكونكم في العالم ضلالاً ، مضلين ، بألفاظ[14] هائلة ، ومخرقة باردة ، و[15] قد قال ربنا تعالى :

---

(١) د : ويخلق .
(٢) ز : كتب على الهامش : الشر .
(٣) د : عن . ز : كتب على الهامش : عن .
(٤) د : ذكره .
(٥) ب ، ج : شره .
(٦) د : أنه .
(٧) ج : شر .
(٨) د : + لهم .
(٩) ب : سر .
(١٠) ز : شر .
(١١) ب : للقضاء .
(١٢) ز : كتب فوق « من » متعلق بخلقكم يقصد أن حرف الجر يتعلق بفعل خلقكم الذي جاء متأخراً عنه بعدة ألفاظ . كما كتب ذلك أيضاً على هامش (ج) .
(١٣) ب ، ج ، ز : — و .
(١٤) ج : — بألفاظ . وكتب على الهامش مصححا .
(١٥) د : — و .

(وكل صغير وكبير مستطر) (القمر / ٥٣) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : (أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة) [١] وقال ربنا تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (الأنبياء / ٢٣) ، أما أن علماءنا قالوا : ان الله قد [٢] أنبأنا عن صفاته العلى ، وأسمائه الحسنى ، التي منها : العزيز ، الملك ، الغفار ، المنتقم ، فجرى الخلق في صفاتهم وأفعالهم ، على مقتضى صفاته ، فلم يكن (و ٥٢ أ) بد ، لأجل كونه غفاراً من أن يكون هنالك ذنب ، ولكونه منتقماً ، أن يكون هنالك هتك حرمة ، واقتحام فاحشة . ولكونه [٣] مغنياً ، أن يكون هنالك محتاج ، ولكونه [٤] راضياً ، أن يكون هنالك خير ، ولكونه [٥] ساخطاً ، أن يكون هنالك شر ، وليس في المخلوقات صفة [٦] الا وهي تتعلق بنوع من الصفات ، فالقضاء والقدر هو تعلق المخلوقات بصفات الخالق ، والتنويع والانقسام من متعلقات الإرادة ، التي لا يؤمنون بها ، وهم لها منكرون ، وإذا كان عزيزاً ، فالعزيز هو الذي لا يرام بوهم ، وتنفذ إرادته في كل موجود ، ولا يوجد له مثل ، ولا ينحط عن المنزلة ، ولا يبالي [٧] بالعاقبة ، ولا مخلص منه ، ولا ملجأ إلا إليه ، إليه [٨] منتهى [٩] المطالب ، ولا تلحقه آفة . ويفعل ما يشاء .

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه جـ ١ ص ٢٩ - ٣٨ .
(٢) د : - وقد .
(٣) ب : بكونه .
(٤) ب : بكونه .
(٥) ب : بكونه .
(٦) د : شرفة .
(٧) د : ينال .
(٨) د : - إليه .
(٩) د : ومنتهى .

ومما ينبغي معشر الاخوان أن تعلموه [1] ، أن كل حديث في النهي عن الخوض في القدر ، لا أصل له ، وانما أحدث النهي عنه أقوام [2] مثل من أحدث القول فيه ، كأنهم قصدوا حماية الشريعة بما ليس منها ، والله غني عن العالمين ، فكيف عن الكاذبين .

عارضة :

حضر [3] عندنا بعض الطلبة ، بكتاب علق في آخره على عادة الناس مسطوراً ، هذا نصه : كلام حكمة للاسكندر [4] في الاعتبار بالأجرام العلوية : بينما الاسكندر على سرير [5] ، في صحن داره ، إذ تأمل طوالع [6] البروج ، وأوافلها [7] ، وجواري السعود في مناقلها ، وانتظام الكواكب في أقطارها وازديان فلكها ، بزينة مصابيحها ، وسير دراريها ، ولوامع شهبها ، وميز كيف وضعت في مراكزها ، ثم تقبل في مسيرها ، وتنعكس إلى [8] مغاربها ، بتدوير الفلك اياها **لا يردعه** عارض ، عن [9] مراعاته ، **ولا يقطعه** مانع ، عن دوام حركته ، **ولا يعوقه** أمر دون المضي إلى ما [10] رتب له بطبيعته ، **فقال** [11] : أيها الفلك الدوار ،

---

(١) د : تسمعوه .
(٢) ب ، ج ، ز : قوم .
(٣) د : خضر .
(٤) ب ، ج ، ز : الاسكندر .
(٥) د : سريره .
(٦) ز : كتب على الهامش : مطالع .
(٧) ب ، ج ، ز : افلها .
(٨) ج : إذا . وصححت في الهامش : إلى .
(٩) د : من .
(١٠) ب ، ج ، ز : لما .
(١١) د : — فقال .

المنبئ عن الحكمة . المنوط [1] بالأنوار المتلألئة ، والنجوم الزاهرة ، والشمس المبصرة [2] . (و ٥٢ ب) ان فضاء تظله لرحيب ، وان عالماً تؤثره لعجيب ، وان خطر ما ضمنته لجليل . وان بصراً يلمح ما وراءك لغير كليل ، وان سكاناً عصبوا [3] فيك لفي معقل منيع ، وان حادثاً يشتت أركانك ، ويخر سقفك ، ويقلقل [4] ذرى [5] بنيانك ، لفادح فظيع ، وان قيامة مبدؤها انتقاضك لعظيمة [6] الخطب . فسبحان من أبدع جوهرك من غير عنصر . وأدنى أقاصيك إلى غير علاقة . ووكد [7] أعاليك بلا سلم ، وفسح حدودك بلا احاطة ، ما أدل كرور ليلك على نهارك ، ورجوع نهارك بعد انقضاء ليلك ، على كرور أبداننا [8] بعد دروجها [9] ، وانقراضها ، وارتداد النضارة في بالي الشجر ، بعد نحولها ، واهتزاز الأرض ، واخضرارها ، بعد همودها واقشعرارها ، على ارتداد الأرواح المقبوضة في أجسامها ، بعد تمزقها [10] واضمحلالها وأدل استسرار [11] القمر واستهلاله ، وتقسيط الحساب . بين فصول الأيام على عدالة الرجعة ، وعدل حساب الكرّة [12] ،

---

(١) ب ، ج ، ز : المنوطة .
(٢) ب ، ج ، ز : النضرة .
(٣) د : غصبوا .
(٤) د : يبلبل .
(٥) ب ، ج ، ز : دار . د : درى . ويبدو أن صوابه : (ذرى) .
(٦) ب ، ج ، ز : لعظيم . وكتب على هامش (ز) : عله : لعظيمة .
(٧) ب : ركب .
(٨) د : بذاتك .
(٩) د : رجوعها .
(١٠) ز : كتب على الهامش : تفرقها .
(١١) د : استرار .
(١٢) ب : الكثرة .

فليت شعري إلى ماذا [1] تتناهى الحكمة بنا ؟ وإلى أي الحالين يؤول الأمر ؟ وعلى أيها يجب العود [2] ؟ بما [3] أريق بيننا وبين ملوك الأرض من الدماء .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه [4] : وهو بعقله [5] مولع بها ، متعجب منها [6] يدعو الله أن يفهمها له ، ويسأله أن يفتح [7] له في معرفة مقاصدها ، فأشفقت منه وخفت عليه ، وعلمت أنه بقلة معرفته ، اغتر [8] بهذا اللفظ الهائل ، الذي ليس وراءه طائل ، لكونه مختل المعاني ، معتل المباني ، فقلت في نقضه ، وبيان حقيقة التوحيد فيه [9] : أيها الفلك المدار برغمه ، لقد ضل من يسميك دائراً بزعمه ، فكيف من يعتقدك **فاعلاً** بوهمه ، هذا ، وهو يرى **عليك** أثر التسخير بادياً ، ويشاهد فيك سنن التدبير جارياً . هل أنت الا محل نيرات ، ومجرى حركات ، ولزيم تحويلات ، وضعت على المنافع (و ٥٣ أ) علامات ، فيا ليت شعري بأي معنى عززت [10] ؟ وفي أي منصب من الفاعلين تنزلت [11] ؟ أبحياتك تصرفت ؟ أم بقدرتك أوجدت ؟ أم بارادتك قدمت وأخرت ؟ وماثلت وغايرت ؟ أم بعلمك أتقنت وأحكمت ؟ هذا [12] وهيئتك لو تغيرت عما هي عليه ، لم تكن

---

(١) ج : مالا .

(٢) ب ، ج ، ز : القود .

(٣) د : فما .

(٤) د : — قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه .

(٥) د : بغفلته . ز : كتب على الهامش : عائد على البعض المذكور من الطلبة .

(٦) ب ، ج ، ز : بها .

(٧) ج : يفتحه .

(٨) د : لمغتر .

(٩) د : — فيه .

(١٠) د : غررت .

(١١) ب ، ج ، ز : نزلت .

(١٢) ج : — هذا .

في شيء مما ينسب [1] إليك . والتغير [2] عليك جائز ، فليس بينك وبين الحدث حاجز . والفاعل بالحقيقة هو الله [3] الذي تصدر عنه الأفعال ، ولا تتغير عليه الأحوال . هل ما يعتقده المغترون فيك الا ذكرة [4] خاطرة . وفكرة عابرة [5] ، لم يصحبها ترديد [6] ، ولا تثقيف [7] بقانون التسديد ، هل أنت إلا [8] ما أنت بنفسك ؟ فكيف أن تكون لنفسك ؟ فضلاً عن نسبة شيء إليك من غيرك ، فمن كان مستريباً بأفعالك . أو [9] معتقداً لجلالك . فلينظر إلى أمثالك . فانه يتحقق [10] أن الوحدانية لا توازن بمثال . ولا تعارض بالأمثال ، ولا بد منها في الاعتقاد والمقال ، وأنتم سبعة أفلاك أو تسعة . فعند من تبتغي [11] منكم النجعة ؟ والواحد من له الاختصاص ، والعبد المشترك بعيد عن الخلاص ، ولتعلم [12] أنه لو أحيل عليك بالجدال ، فوجئت بالسؤال . وطولبت بالنظر والاستدلال . لكان لك في الجواب اختلال ، ولم ينصرك اعتلال [13] . فما وراءك يا عصام ؟ أعدم أم وجود ؟ أم بحر ممدود [14] ؟ أم

---

(١) د : نسب .
(٢) ب ، ج ، ز : والتغيير .
(٣) د : – الله .
(٤) الذكرة : الشيء يجري على اللسان .
(٥) ب : عايره ، ج ، ز : غائرة .
(٦) ب ، ج ، ز : مزيد .
(٧) د : ثقفت .
(٨) ب ، ج ، ز : – هل أنت الا .
(٩) د : – أ .
(١٠) ج ، ز : تحقق .
(١١) ج ، ز : ينبغي .
(١٢) ب ، ج ، ز : ليعلم .
(١٣) د : اغتلال .
(١٤) ب ، ج ، ز : مورود .

نبات محصود [1] ؟ وأي قسم ادعيت من ذلك ، أو ادعى لك ، فقد أسلمك فيه النظر وخذلك ، ونحن وان [2] خاطبنا منك [3] من لا يعقل الخطاب ، وقاولناك كأنك ـ ولست منهم [4] ـ من ذوي الألباب ، فان لسان العبرة [5] عنك ناطق . بأنك صنيع [6] القادر الخالق .

قل لي وان كنت الغنيـ	ـي بصدق علمي عن سؤالك
ماذا أفدت [7] من الحوا	دث في كرورك وانتقالك
بل أنت فيه مسخّر	ما بين حلك وترحالك
هلا ثبت معظما	وأدرت غيرك باحتيالك
حتى يكون [8] الكل يسـ	ـعى في امتثالك لأمثالك
فالآن حين تبينت	آيات نقصك واختلالك

(و ٥٣ ب)

أمن ذلك [9] أنشئت [10] أو [11] أبدعت أو أوردت [12] أو [13] أصدرت ؟ هيهات أن

---

(١) د : مخصود .
(٢) ب ، ج ، ز : إذا .
(٣) د : – منك .
(٤) د : – منهم .
(٥) ب ، ج ، ز : الغيرة .
(٦) د : صنع .
(٧) د : أبدت .
(٨) د : تكون .
(٩) ب ، ج ، ز : ذاتك .
(١٠) ب ، ج ، ز : نشأت .
(١١) ب ، ج ، ز : – أ .
(١٢) ب ، ج ، ز : – أو أوردت . وكتب على هامش (ز) مصححا .
(١٣) ب ، ج ، ز : – أ .

تنشأ مختلفات بديعة ، عن ذات واحدة بالطبيعة ، إذ لا يغاير [1] بين المختلفات إلا الإيثار ، ولا يدل على الأعيان إلا الآثار ، فالزم قدرك ، حتى يأتي أمر الله فانه لا يغتر بك إلا الغافل اللاهي .

قاصمة :

إذا نزل القوم عن العلم الإلهي ، وهو القول في الله وصفاته ، إلى ، ما دونه ركّبوا كلامهم فيه ، على أربعة أركان هي [2] عندهم : الصورة ، والهيولى ، والحركة ، والمكان ، وقد جرت فيما مضى [3] عرضاً ، فلتذكر الآن **قصداً** ، وله عندهم ، ستة معان ، فالذي هو الآن منتحاهم في الصورة ، هي الحقيقة التي تقوم بالمحل ، وحدّه عندهم ، أنه الموجود في شيء آخر ، لا كجزء منه ، قالوا : كصورة الماء في هيولى الماء [4] ، و[5] هيولى الماء إنما تحصل [6] بقبوله الصورة الجسمية ، وهي عندهم جوهر ، وجوده بالفعل ، ولا يحصل الفعل إلا بقبوله ، والحركة عندهم كما قدمنا هي الانتقال من مكان إلى مكان ، أو [7] من صفة إلى صفة . والمكان هو السطح الباطن [8] من الجرم [9] . والزمان عندهم هو مقدار الحركة [10] من جهة التقدم والتأخر .

---

(١) ب ، ج ، ز : تغاير .
(٢) ج : عند .
(٣) ج ، ز : حصي .
(٤) ب ، ج ، ز : – الماء .
(٥) ج : – و .
(٦) ب : يحصل . قارن المقاصد ص ١٤١ – ١٤٣ .
(٧) ج : – أ . قارن المقاصد ص ٣٠٤ – ٣٠٧ .
(٨) ب : الباطل .
(٩) قارن المقاصد ص ٣١٧ .
(١٠) قارن المقاصد ص ٢٦١ .

عاصمة :

أما الصورة فهي عبارة عن حقيقة الشيء في تركيبه وتأليفه ، أو عن حقيقته في ذاته . والأول حقيقة ، والثاني مجاز . فاذا قال القوم : انها موجودة [1] في شيء لا تكون [2] جزءاً منه ، فذلك هو العرض عندنا ، ولكن ليس على العموم ، يطلق على كل عرض ، وأما قولهم : كصورة الماء في هيولى الماء [3] ، فقد تبين من تفسيرهم للهيولى [4] ، أن الهيولي جوهر وجوده بالفعل [5] ، أن ذلك يرجع إلى المعلوم في العدم ، المقدر وجوده ، وعليه يحومون [6] ، وإذا كان هكذا ، فصورة الماء هي الهيولى المقدرة قبل وجوده ، وكان مقدراً على ثلاثة أنحاء : (و ٥٤ أ) .

النحو الأول : برودة مطلقة ، والنحو الثاني ، رطوبة مطلقة ، والنحو الثالث : جرم يقوم ذلك به ، فهذا هو الجوهر ، وتقديره ، والعرض [7] ، وقيامه به ، إذا وجد ، فما هذا الهيولي في الهيولي ؟ وأغرب [8] منه [9] أنهم [10] يقولون : ان الماء [11] كان

---

(١) د : موجود .
(٢) ب : يكون .
(٣) ب : - الماء . د : شطب على « الماء » .
(٤) ب : الهيولي .
(٥) كذا في جميع النسخ : وكتب على هامش (ز) : عله بالقوة وهو الصواب الذي يسير مع السياق . قارن المقاصد ص ١٤٢ - ١٤٣ .
(٦) د : يحوبون .
(٧) ب ، ج ، ز : - العرض .
(٨) ج ، ز : أقرب .
(٩) ز : كتب على الهامش : من هذ .
(١٠) ج ، ز : - أنهم .
(١١) ب ، ج ، ز : + إذا .

عن انقلاب الهواء إليه ، فقد خرجنا عن ذلك كله ، وتهافتوا [1] فيه ، ولزمهم ما لا انفصال لهم عنه ، وأما الحركة فقد بيناها ، ولا معنى لذكرها ، على ارادة تغير الصفـات ، وإذا اصطلحوا كذلك عليهـا [2] ، لم نمنعهم [3] ، ولكن لا يكون اصطلاحهم أصلاً يركبون عليه معنى ، فان الاصطلاحات [4] لا تتركب عليها المعاني . وأما المكان فلا نمنعهم [5] منه ، ولا نبالي عنهم [6] أكثر من أنهم زادوا فيه الحاوي ، وليس من شرطه أن يكون حاوياً ، بل لو فرضنا جوهراً بين أربعة جواهر لكان كل واحد مكاناً لصاحبه ، وكان [7] المحوي منها واحداً [8] .

قاصمة :

قالوا : العرض عبارة عن معان ، أكثروا فيها ، قد أفسدناها في مواضعها [9] ، ومعولهم فيها الآن على الكمية والكيفية والكمية عرض يقوم بالجوهر ، من جهة المقدار [10] ، وهو عبارة عن كل ما يقبل التجزي . والكيفية هي [11] عندهم ، الهيئة في الأشخاص ، احترازاً عن الفصول ، وهي عبارة عن كل هيئة [12] قارة في

(١) ب : ويتهافتوا .
(٢) ب : على ذلك . ج ، ز : عليها كذلك .
(٣) د : يمنعهم .
(٤) ب ، ج ، ز : الاصطلاحيات .
(٥) د : يمنعهم .
(٦) ب ، ج ، ز : عنه .
(٧) ج : مكان .
(٨) ب ، ج ، ز : المحوى واحدا منها .
(٩) ب ، ج ، ز : موضعها .
(١٠) قارن المقاصد ص ١٦٣ .
(١١) ب ، ج ، ز : — هي .
(١٢) ب ، ج ، ز : ماهية .

الجسم ، لا توجب للجسم نسبة إلى خارج ، ولا واقعة [1] في أحد أجزائه ، احترازاً من الاضافة والوضع [2] ، وإذا قرروا [3] الحرارة والرطوبة واليبوسة ، فهي أعراض تتعاقب [4] على الأجسام ، وقد تزول البرودة عن الماء ، فلا يبطل كونه ماء ، لأن ذلك معنى [5] في الهيولي ، لا يدرك بالحواس [6] ، وقد قال قوم منهم لا يكون الماء حاراً ، لأن ذلك ابطال للطبع ، ولكن تمتزج [7] من أجزاء النار ، مع أجزاء الماء ، إلى تخليط كثير في الامتزاج ، أصله (و ٥٤ ب) عندهم أن تمتزج العناصر وهي الأصول الأول ، بحيث يفعل [8] بعضها في بعض ، وتتغير كيفيتها ، حتى تستقر [9] للكل كيفية ، متشابهة [10] فيسمى ذلك الاستقرار امتزاجاً ، بأن يكسر [11] الحار من البرودة في البارد ، وعكسه ، ونحوه الرطب واليابس ، ولا بد أن تبقى [12] الصور [13] وهي القوى الموجبة لهذه الكيفيات ، لأنها لو بطلت ، لكان ذلك فساداً ، لا مزاجاً ، وقد قال أرسطوطاليس [14] : ان قوى العناصر الفاعلة

---

(١) ب : واقفة . ج ، ز : توافقه .

(٢) ج ، ز : - والوضع . وكتب على الهامش مصححا . قارن المقاصد ص ١٦٣ .

(٣) د : قدروا .

(٤) د : تتفاوت .

(٥) ج : + ذلك .

(٦) د : بالجواس .

(٧) د : يمتزج .

(٨) ب : يفعل .

(٩) ج : تستي .

(١٠) د : مشابهة .

(١١) ج : يكسي .

(١٢) د : يبقي .

(١٣) ب ، ج ، ز : الصورة .

(١٤) ب ، ج ، ز : أرس توطاليس ، د : أرس توطالس .

باقية في الامتزاجات ، ولا يوجد امتزاج معتدل بحال[1] ، والأرض ثلاث طبقات ، والهواء أربعة[2] ، والنار واحدة .

عاصمة :

أما الكمية والكيفية فهي عبارة عن المعاني التي[3] يسأل عنها بكم ، وبكيف ، فيسأل بكم عن أشياء متألفة في الوجود المحقق أو المقدر ، ويسأل بكيف عن صفات ، تكون تلك الأشياء عليها متوحدة أو مثناة . وقولهم : انه عبارة عما يقبل التجزي ، صحيح في الجملة ، ولكن أصله لا يتجزأ ، وقولهم : الكيفية[4] عبارة عن هيئات في[5] الأشخاص ، قلنا : هذا باطل ، بل هو منطلق على ما يتشخص وما لا يتشخص ، فهم ان اصطلحوا على هذا ، لم نمنعهم ، ما لم يركبوا عليه مذهبا ، وأما قولهم : انها[6] هيئة قارة في الجسم فباطل قطعاً ، بل يصح أن تكون[7] دائمة وزائلة ، وأما قولهم : لا يوجب[8] نسبة ، لا إلى خارج ، ولا واقعة[9] في الداخل . باطل ، بل توجب[10] النسبة من طرفها[11] الداخلة والخارجة . وأما قولهم : ان البرودة قد تزول عن الماء ، فلا يبطل كونه ماء ، لأن ذلك معنى في

---

(١) قارن المقاصد ص ٣٣٥ - ٣٣٦ فهو نقل بالحرف .

(٢) قارن المقاصد ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٣) د : الذي .

(٤) ب : الكيف .

(٥) ب : - في .

(٦) ب : انه .

(٧) ب : يكون .

(٨) ب ، ج ، ز : توجبه .

(٩) ب : واقفة . ج ، ز : وافقه .

(١٠) ج ، د ، ز : يوجب .

(١١) د : طرقها . ج ، ز : طرفيها .

الهيولى لا تدركه الحواس ، فسخافة ، لأن الأعراض المتعاقبة على الجسم ، لا يزول الجسم بزوال آحادها ، وانما يزول بزوال جميعها ، فلو فرضت في الماء زوال الرطوبة (و ٥٥ أ) ، كما فرضت زوال البرودة ، ما بقي ماء . وأغرب منه في ابطال مذهبهم ، أن فرض زوال[١] البرودة يجوز ويوجد ، وفرض زوال الرطوبة[٢] لا يجوز[٣] ، و[٤] وجوده غير رطب ، محال ، فلا يصح لهم مقال[٥] . وقولهم[٦] : ان الحرارة ان[٧] زالت ، لا يبطل كونه ماء ، لأن ذلك معنى في الهيولي ، قلنا : فافرض[٨] زوال الرطوبة عنه[٩] أو[١٠] كلاهما ، وتبقى[١١] في الهيولي ، ولا يصح لكم تقدير كون الشيء على صفته في العدم بحال[١٢] ، فلا تقطعوا قلوبكم في ذلك .

وقول[١٣] من قال منهم : ان النار تمتزج مع الماء ، فيصير الماء حاراً ، قلنا على هذا الخباط : ولم لم[١٤] تكن النار باردة بهذا الامتزاج ؟ وما الذي قضى بذلك

---

(١) د : — زوال .
(٢) د : البرودة .
(٣) د : — لا يجوز .
(٤) ج : — و .
(٥) ب ، ج ، ز : — مقال .
(٦) ج : فقولهم .
(٧) د : — ان .
(٨) ج : ما فرض .
(٩) ب ، ج ، ز : عند . وكتب على هامش (ز) عنه . وعلى هامش (ب) : عنة
(١٠) ب ، ج ، ز : — أو .
(١١) ب ، ج ، ز : يبقى .
(١٢) ج : بحاله .
(١٣) ج ، د ، ز : وأما قول .
(١٤) ج : — لم .

على الماء مع النار [1] ، ولم يقض به للماء على النار ؟ .

وأما قولهم : ان العناصر الأول تمتزج فيفعل [2] بعضها في بعض . فقولوا ، من يمزجها ؟

لا تنسب المزج الى طبعهـــا [3] انك لا تدري من المـــازج
وارجع [4] إلى الله فـــان الــذي تخبر عنـــه همج هـــامج

وقولهم : انه يفعل بعضها في بعض ، كلمة باطل ، أريد بها باطل . لا فاعل إلا الله حقيقة ، ولا فاعل مجازاً [5] إلا الحيوان ، وأما عنصر [6] ، أو ماء ، أو نار [7] ، أو حديد ، فاعل [8] فلغو من الكلام باطل . ثم ما قالوا: ان كذا فعل كذا ، يعكس عليهم فيقال [9] لهم ، لم [10] كان هذا فاعلاً ؟ وهلا كان الآخر كذلك ؟ وما الفيصل بين تلك الامتزاجات في التعادل ؟ ومن المقدر لذلك الاستقرار ؟ وقولهم [11] : ان الصور تبقى ، محال ، لو بقيت الصور ، ما كان امتزاج ، وان فسروا الصورة بما ليس بمشاهد فهو باطل ، ولا يبقى مع الامتزاج

---

(١) د : – مع النار .
(٢) ب : فتفعل .
(٣) ب ، ج ، ز : غيرها . وكتب على هامش (ب ، ز) : طبعها .
(٤) ب ، ج ، ز : وراجع . وكتب على هامش (ز) عله : وارجع .
(٥) ج ، ز : على مجاز .
(٦) د : عنصرا .
(٧) د : نارا .
(٨) د : – فاعل .
(٩) د : ويقال .
(١٠) ج : ان .
(١١) ب : وأما قولهم .

صورة ، ولا هيولي لشيء من الممتزجين ، الا ما اشتركا فيه عند الانفصال ، فذلك الذي يبقى بعد الامتزاج .

وقول ارستو طاليس[١] : انه لا يكون امتزاج لمعتدل[٢] أبداً ، قلنا : وكيف لم يكن من الخير المحض اعتدال في شيء مما[٣] صدر عنه من الامتزاجات ؟ أعن عجز أم عن جهل ؟ (و٥٥ب) لقد ضل[٤] من ضلت عليه المقاصد . وقد قالوا : ان كل جسم بسيط فله شكل طبيعي ، وهو الكرة ، ومكان طبيعي ، وهو الذي يوجد به ، فان تحرك ، فانما يتحرك إلى مكانه الطبيعي[٥] ، فيقال[٦] لهم : بل شكله التربيع ولا فرق ، وان تعلقوا بهيئة الفلك ، فقد[٧] خاب من تعلق بذلك وهلك ، ثم يقال لهم[٨] : فإذا امتزج البسيطان أو البسيط ، وتركبا أو تركب ، فهل يزول ذلك الطبع ؟ فان قالوا : يزول ، قلنا : ما من حقيقة تكون[٩] لشيء تزول بمجاورته[١٠] لغيره ، وليس في العالم خلط ، وانما هو كله مجاورة ، حتى لو خلطت لبناً بماء ، لكانا منفصلين[١١] ، بل لو خلطت ماء من كوز ، بماء من كوز ،

---

(١) ب ، ز : أرس توطاليس . ج : أرس توطالس .
(٢) ج : المعتدل ، د : معتدل .
(٣) ب : فما .
(٤) ب ، ج : ذل .
(٥) المقاصد ص ٣٣٤ ، نقل بالحرف .
(٦) ج ، ز : فنقول .
(٧) ب ، ج ، ز : وقد .
(٨) د : – لهم .
(٩) ب : – تكون .
(١٠) ب ، د : لمجاورته .
(١١) ز : كتب في الهامش : قف : يشهد له قوله تعالى : (بينهما برزخ لا يبغيان) .

لما كانا إلا متجاورين ، وهذا أصل من أصول الحقائق ، ضلوا عنه ، فتاهوا ولم يهتدوا .

ثم يقال له[1] : ومن أطبعه لذلك المكان ؟ أنفسه أم غيره ؟ فان كانت نفسه ، فلم غير نفسه[2] ؟ وان كان غيره ، فدع الغير يحكمه ، ويكون ذلك الغير هو الفاعل حقيقة .

وقولهم : فان تحرك ، يقال لهم : ولم يتحرك ؟ ولا يقولون فيه ما ينفع . وقولهم : فان تحرك فانما يتحرك إلى مكانه الطبيعي ، وهذا تهافت عظيم ، يكون في موضعه بالطبع ، ثم يتحرك منه إلى مكانه بالطبع فكل موضع له بالطبع[3] الذي هو[4] فيه ، والذي[5] ينتهي إليه . والذي يمر عليه ، لا شك أنه أيضاً بالطبع ، يخرج في حال من أحواله عن الطبع ، هذه سخافات لا تعقل من أقوالهم .

قاصمة :

قالوا في الامتزاج والتكوين والفساد : ما لا يحصى من الفساد والعناد ، ولكنا نضبط منه لكم الآن جهالتين :

الجهالة الأولى :

قالوا : إذا سخنت الشمس الأرض ، بواسطة الضوء صعّدت من الرطب بخاراً ، ومن اليابس دخاناً ، وما ثخن[6] منها ــ وهو الجهالة الثانية : في باطن الأرض

---

(١) هذا التفات من الجمع إلى المفرد .
(٢) د : بنفسه .
(٣) د : — فكل موضع له بالطبع .
(٤) ب ، ج ، ز : — هو .
(٥) ب ، ج ، ز : — والذي .
(٦) د : ماء تخينين . المقاصد : عمّا يحتبس منهما . ص ٣٣٩ .

معادن ، فيتكون (و ٥٦ أ) في الجهالة الأولى ، من مادة البخار : الغيم والمطر ، والثلج والبرد ، وأشياء ذكروها ، فمتى ارتفع من الطبقة البخار [١] من الهواء إلى النار [٢] ، ثقل وتكاثف [٣] بالبرد ، وانعقد [٤] فصار غيماً .

قالوا : ويتكون من مادة البخار [٥] الريح ، و [٦] الصاعقة ، والشهب ، والكواكب ذوات الأذناب ، والرعد ، والبرق . فاذا تصاعدت ارتفعت في وسط البخار [٧] ، فهي أميل إلى جهة الفوق [٨] ، فاذا ضربه البرد ، ثقل وانتكس ، وتحامل على الهواء دفعة [٩] ، وحركه الهواء بشدة [١٠] ، فحصل الريح ، وان لم يضربه البرد ، تصاعد إلى الأثير ، واشتعل النار فيه ، وان [١١] استطال الدخان ، كان كوكباً ، منقضاً ، وان كان لطيفاً انقلب ناراً فلا ترى [١٢] فان النار تخرج عن المشاهدة ، بأن تصير ماء صرفاً ، أو تنطفئ فتصير هواء [١٣] ، وإن بقي شيء من الدخان في الغيم فتحرك بشدة صار رعداً ، فان قويت حركته صار ناراً ، وهو البرق ، وان

---

(١) ب ، د : الحار .
(٢) ج : البخار . المقاصد : ارتفع من الطبقة الحارة من الهواء إلى الباردة شيء تكاثف ص ٣٣٩ ونص المقاصد أوضح وأصح .
(٣) د : وتكاثفت . ب : – وتكاثفت أو تكاثف .
(٤) د : – و .
(٥) د ، ج ، ز : + و .
(٦) المقاصد : + و .
(٧) ز : كتب على الهامش : عله : الحار . د : البحر .
(٨) ب : للفوق .
(٩) ب : دفعه .
(١٠) نقل بالحرف من المقاصد ص ٣٤٢ .
(١١) د : فان .
(١٢) ب ، ج ، ز : يرى .
(١٣) ب : أهواء .

كان [1] كثيفاً ثقل إلى الأرض ، فصار صاعقة ، ولا يخلو برق عن رعد ، ولكن بحدة البصر يرى [2] ولا يسمع [3] ، لأن البصر يدرك بغير زمان ، والصوت لا [4] يسمع [5] ما لم يتحرك الهواء كله .

عاصمتها :

أما قولهم : إذا ارتفع البخار من الهواء إلى النار [6] ، باطل [7] ، ليس للهواء وصفان ، انما هو حار أو بارد . وقولهم : ارتفع البارد إلى الحار ، تخليط [8] ، بل يرتفع الحار إلى البارد ، لأن شأن الحار الارتفاع ، وشأن البارد الانخفاض . وأما قولهم : ثقل ، فكيف بثقل حار ؟ لقد انقلبت عليكم الأمور . وقولهم : فيتكاثف [9] أقلب ! لم يتكاثف [10] الحار بلقاء البارد ولم يتلطف [11] البارد ، بلقاء الحار ؟ وقولهم : انعقد فصار غيماً ، يقال لهم : من يمسك المتكاثف الذي شأنه الاستفال ؟ ومن جعل النار تصعد إليه ؟ والمتكاثف يثبت فلا ينزل ؟ . وأما قولهم : يكون من مادة البخار الريح لأنه إذا (و ٥٦ ب) تصاعدت ... قلنا : من أين [12] هي المتصاعدة .

---

(١) ج : - كان .
(٢) د : ترى .
(٣) د : تسمع .
(٤) ج : - لا .
(٥) ز : يسمغ . والنص مأخوذ مع شيء من الاختصار من المقاصد ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .
(٦) د : البارد .
(٧) كذا في جميع النسخ . ولعل صوابه : فباطل .
(٨) يبدو أن النص الذي اعتمد عليه من المقاصد محرف وإلا فهو ينص على نفس ما رد به عليه (المقاصد ص ٣٣٩) .
(٩) د : فتكاثفت ، ب : يتكاثف .
(١٠) د : تكاثف .
(١١) د : يطف .
(١٢) ب ، ج ، ز : - من أين .

قالوا : ارتفعت في وسط البخار . قلنا : ولم لم تنته إلى الطرف ؟ إذ هي أميل إلى جهة الفوق كما قلتم . وقولهم[1] : إذا ضربه[2] البرد ثقل . يقال لهم : فكيف يثبت[3] مع الانتكاس في مقره ؟ فالى أين يبلغ[4] ؟ وإلى أي حد انتكس ؟ ومن قدّر له هذا التقدير ، ورتبه[5] ؟ أطبع هو[6] ؟ فقولوه[7] ، أم أمر غيره ؟ فعينوه[8] . وقولهم : انه ينطح[9] الهواء[10] فتحصل الريح . قلنا : دعوى ويبطلها العيان ، نحن نشاهد الريح ولا بخار ، ولا دخان ، ولا غيم ، الا[11] الصفاء المحض ، وقد يكون الغيم أعظم ما كان حتى يظلم الأرض ، ولا يكون عليها[12] ريح ، وينجلي[13] عن غير شيء . وقولهم : ان لم يضربه البرد تصاعد إلى الأثير . ما الذي يمنعه عن ضرب[14] البرد له ؟ أعدم البرد أم يلقاه فيحول بينه وبينه حائل ؟ ومن هذا الأثير الذي يصعد عليه ؟ وربما حال بينه وبينه الوثير ، فان قالوا : وما الوثير ؟

---

(١) د : قوله .

(٢) ب ، ج ، ز : ضرب .

(٣) د : ثبت .

(٤) د : وإلى أين بلغ .

(٥) د : رتب له .

(٦) ب ، ج ، ز : – هو .

(٧) ب : تقولوه . ج ، ز : يقولوه .

(٨) ب : فعينوه . ج ، ز : فيعنوه .

(٩) ج : يطبخ . ز : بطح .

(١٠) ب ، ج ، ز : للهواء .

(١١) ج : – الا .

(١٢) ب ، ج ، ز : عنها .

(١٣) ب : تنجلي .

(١٤) ب ، ج ، ز : صرف .

قلنا لهم [١] : أبو الأثير ، خلطاً بخلط ، وتضلالاً بتضليل [٢] . وقولهم : تشتعل النار فيه . قلنا [٣] : أحطب هو؟ فان قيل بطبعه يقبل الاشتعال : قلنا : وما طبعه ؟ فان فسروه لم نعدم [٤] ابطاله مما تقدم . وقولهم : ان استطال الدخان صار كوكباً . يقال لهم : كذلك [٥] النار [٦] ، إذا اشتعلت صارت [٧] ماء ، يا حمقي [٨] ما للدخان [٩] المظلم ، وللنور المضيء انهما [١٠] ضدان طبعاً [١١] ، ووصفا ، ومشاهدة ، أسفسطة [١٢] تقولون [١٣] أم على الله تفترون [١٤] ، وقولهم : ان كان لطيفاً انقلب ناراً ، في المحال مثله .

والطامة العظمى عليهم قولهم : ان النار المتكونة [١٥] من البخار إذا كان لطيفاً تصير [١٦] ماء صرفاً . فيا [١٧] لله ولهذه العقول التي تسمع مثل هذا ، دع عنك التي

---

(١) ب : − لهم .
(٢) ب ، ج ، ز : خلط بخلط ، وتضلال بتضليل .
(٣) ب : − قلنا .
(٤) ج ، ز : يعدم .
(٥) ب ، ج ، ز : كذا .
(٦) ج : + كوكبا .
(٧) د : عادت .
(٨) ب ، ز : حمق . ج : أحمق .
(٩) ب ، ج ، ز : الدخان .
(١٠) ب ، ج ، ز : − انهما .
(١١) د : − و .
(١٢) ب ، د : السفسطة .
(١٣) ب : تقولون .
(١٤) ب : يفترون . ز : تكذبون . وكتب على الهامش : تفترون .
(١٥) د : المتكاونة .
(١٦) د : يصير .
(١٧) د : يا .

تقوله [١] . وقولهم : ان تحرك شيء من الدخان صار رعداً . قلنا : ليس الاصطكاك لبخار متفكك [٢] ، انما (و ٥٧ أ) يكون لجسم مصمت ، ثم [٣] من يحركه ؟ وإذا تحرك ، من يمسك الآخر حتى يصدمه هذا ؟ ولعله يدفعه فيندفع له . وقولهم : فان قويت حركته صار ناراً . قلنا : و [٤] لم يصير ناراً ؟ وهلا انقلب رجلاً مخذولاً عندكم ، يقول : انه فعل الله له [٥] ؟ أو ينقلب ثوراً ؟ أو ينقلب تراباً ؟ أو [٦] هواء ؟ وقولهم : ان ثقل صار صاعقة [٧] . قلنا : لا ندري ما الصاعقة ، إلا [٨] صوت حيوان أو هدم بنيان ؟ أو [٩] يقال لهم : إذا لطف صار ناراً ، فاذا كثف لم لا يصير طيناً ؟ وقولهم : لا يخلو برق عن رعد ، المشاهدة تكذبه ، فانا نرى البرق في الصحو الذي لا يكون معه غيم أبداً ، ويتقدم البرق الرعد قلب ما قالوا .

الجهالة الثانية :

فيما يتكون من المعادن في باطن الأرض ينطوي [١٠] على قاصمة ، من جملة الجهالة الأولى ، وهي أن الشمس تصعِّد من الرطب بخاراً ، ومن اليابس دخاناً ،

(١) ب ، ج ، ز : الذي يقوله .
(٢) ب ، ج ، ز : منفك .
(٣) د : — ثم .
(٤) ب ، د : — و .
(٥) ب ، ج ، ز : — له .
(٦) ب ، ج ، ز : — أ .
(٧) ج : عقله .
(٨) ب ، ج ، ز : — الا . وكتب على الهامش : عله : الا .
(٩) ب ، ج ، ز : — أ .
(١٠) د : ينبني .

إذا سخنت الأرض ، فيتكون [1] في باطنها أبخرة ، فيتصاعد من باطنها من تلك الأبخرة ، بما [2] سرى من حرارة الشمس فتنفش [3] وتتفرق [4] في الخروج من مسام الأرض الا ما يقع تحت الجبال الصلبة ، فانها لا تنفش [5] ، فاذا احتقن صار مادة للمعادن ، وإذا وجد منفذاً في شعب الجبال ، فان كان ضعيفاً ، بردته [6] حرارة الشمس ورجع [7] هواء ، وإن كان قوياً ، أو كانت حرارة الشمس ضعيفة ، ولم تؤثر الشمس فيه فيجتمع ، وربما أعانت الريح على جمعه ، بأن تسوق البعض إلى البعض حتى يتلاحق ، فإذا انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف [8] ، وعاد [9] ماء ، وتقاطر ، فيسمى [10] مطراً ، فان أدركه برد شديد جمد [11] ونزل كالقطن المندوف ، وان [12] لم تدركها [13] برودة حتى اجتمعت قطرات ثم أدركتها حرارة

---

(١) ب ، ز : فتكون . ج : - فتكون أو فيتكون .
(٢) ب ، د : لما . المقاصد : لما (ص ٣٤٠) .
(٣) ب ، ج ، ز : فتنفس . المقاصد : يتفشى (ص ٣٤٠) .
(٤) ج ، ز : وتفرق .
(٥) ب ، ج ، ز : تتنفس .
(٦) كذا في جميع النسخ . ولعله : بددته . عكس ما يأتي من قوله : فيجتمع . المقاصد : بددته (ص ٣٤٠) .
(٧) ج ، ز : صار .
(٨) ج : وتكاثف .
(٩) ج : عا .
(١٠) ب ، ج ، ز : ويسمى . المقاصد : وسمى - ويسمى (ص ٣٤٠) .
(١١) ج : جمع .
(١٢) ب ، ج ، ز : فان .
(١٣) د : يدركها .

من الجوانب فانهزمت [1] البرودة إلى بواطنها صارت [2] برداً .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [3] رضي الله عنه : لهذا وأمثاله (و ٥٧ ب) قال ربنا تعالى : (ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين) (الصافات / ١٥٦) ، قولهم : ان الشمس تفعل كذا إلى قولهم دخاناً [4] . تحكم بغير علم ، وتشهي [5] بغير نيل [6] ، وقولهم : ان تلك الأبخرة تنفش [7] . ما الذي ينفشها [8] ؟ وقولهم : تخرج [9] من مسام الأرض ، يريد من خللها ، ما من مسم [10] الا وتدخل عليه حرارة ، فكيف [11] تخرج منه برودة أو حرارة مثلها ؟ وقولهم : الا ما يقع تحت الجبال الصلبة . فمن أين لم يمنع الجبل [12] من دخول الحرارة ، ويمنع [13] من خروج البخار ؟ فان دخل عليها حرارة ، خرج عنها بخار ، ولم لا يكون [14] حر

(١) ب ، ج ، ز : فانهرقت . المقاصد : فانهزمت (ص ٣٤٠) .
(٢) ج ، ز : صار . قارن المقاصد ص ٣٤٠ .
(٣) د : قال أبي .
(٤) ب ، ج ، ز : دخان .
(٥) د : تشبه . والأفصح أن يقال : تشه .
(٦) ج ، ز : نسك .
(٧) ب ، ج ، ز : تتنفس .
(٨) ب ، ج ، ز : ينفسها .
(٩) ب : يخرج .
(١٠) ج : سم .
(١١) ب : وكيف .
(١٢) ج ، ز : لا تمنع الجبال .
(١٣) ج ، ز : وتمنع .
(١٤) ج : ولم يكن .

الشمس[1] يأخذ من الجبال[2] عمقاً بمقدار ما يأخذ من الأرض ، ويكون الواحد في النفوذ إلى باطن الأرض ، واحداً ، سهلاً أو جبلاً ؟ وقولهم : إذا اختنق صار مادة للمعادن . وكيف يكون حر الشمس مادة ، وهو واحد ، ذو طبع ، وصورة لمعان متضادة ؟ فقد بينا استحالته . ويقال لهم : حر الشمس النافذ في جوف الأرض ولّده ، فكيف يقال إذا برز إليه بردِّه ؟ وكيف يصح أن يرجع البخار هواء ، أو[3] ينقلب الحال فيه ؟ وهلا رجع ناراً أو ماء ؟ وقولهم : إذا تكاثف صار ماء . قلنا لهم : هذا البخار لا تدرون قبل ، إلى أي شيء تردونه ، تارة نارا ، أو هواء ، أو ماء ، أو معادن ، أو بروقاً ، أو غيماً ، أو رعداً ، فقولوا : انه رجع صخرة ، أو فيلاً ، أو حماراً ، أو ثوراً ، أو[4] ما هذه الخذلة[5] ؟ ألا ترون[6] مروة[7] عن هذه السخافة ؟ ومن اللطيفة[8] التي جعلت الطبيعة الباردة في ذلك الموضع ؟ ورطبت[9] تلك الطبقات ، ترتيبكم المتحكم فيه ؟ وهذه اللطيفة بسيط هي[10] أم مركب ؟ مادة أم صورة ؟ و[11] كيف ينتظم هذا كله معها ؟ فسروها وركبوا المعنى عليها ، وذلك لا يتمعنى أبداً .

---

(١) د : الحر الشمسي .
(٢) د : الجبل .
(٣) ب ، د : — أ .
(٤) ب ، ج ، ز : — أ .
(٥) ب : الحالة . ج ، ز : الجدلة .
(٦) ب : تدعون . ج ، ز : برغوث .
(٧) ب : مرة ، ج ، ز : مرت .
(٨) ز : كتب على الهامش : عله : الطبيعة .
(٩) ز : كتب على الهامش : عله : رتبت .
(١٠) ب ، ج ، ز : — هي .
(١١) د : — و .

وقولهم : ربما أدركه برد شديد . ما البرد ؟ فسروه وأي شيء (و ٥٨ أ) أوصل البرد إلى ذلك الموضع ؟ ومن جعله فيه ؟ وليس ذلك بغريب في قدرة الله ، فان الذي ركب لكم[1] هذا البرد . في كلامكم قادر على ذلك كله ، لو[2] نسبتموه إليه ، كما ينبغي ، لا كما تقولون . وقولهم : إذا[3] أدركته حرارة صار برداً . ولم لا يصير ناراً ، أو رماداً ؟ و[4] من جهالة ، في جهالة .

قاصمة :

قولهم : ان البخار إذا احتقن في الأرض كان كبريتاً ، وربما انعقد كالماء الصافي فيصير[5] ياقوتاً ، وإذا استحكم امتزاج[6] الدخان بالبخار كان نحاساً ، وذهباً ، وفضة ، ورصاصاً ، وقالوا خرافات[7] استحيي إيرادها ، جملته[8] أن كل ما عقده البرد يذيبه الحر .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر[9] رضي الله عنه : نقول لهم : أين ما كنتم تهينمون[10]

---

(١) د : – لكم .
(٢) ب ، جـ ، ز : ولو .
(٣) ب : ان .
(٤) ب ، جـ ، ز : أو .
(٥) ب : فصار .
(٦) د : المزاج . قارن المقاصد (ص ٣٤٤) .
(٧) جـ : تكرر : خرافات .
(٨) ب ، جـ ، ز : جملة . وكتب على هامش ز : عله : جملتها .
(٩) د : قال أبي .
(١٠) ب ، جـ ، ز : تهيمنون . أما هينم فمعناه : تكلم بصوت خفي ، والهينوم : الكلام الذي لا يفهم . (القاموس المحيط) .

به في لطافة المعاني ، ودقة الألفاظ ، ورقة الخواطر في الرياضيات [١] ؟ وما الذي يصير الدخان والبخار كبريتاً ؟ ولم صار ، وهذا في بقعة ، وهذا في أخرى [٢] ؟ هلا انقلبت الحال ؟ وما معنى قولكم : استحكم امتزاج البخار بالدخان [٣] ؟ والبخار عندكم ما يفيض عن رطب ، والدخان ما يفيض عن يابس [٤] ، والأرض باردة ، يابسة ، ففاض الحار [٥] [عندكم على البارد فبخره ، وعلى اليابس فدخنه ، وهلا فاض على البارد] [٦] فوقف وعجز عن تأثير [٧] فيه [٨] ؟ وهلا [٩] بلغ الحار اليابس فأحرقه [١٠] كما تفعل النار بالحطب إذا كانت يابسة ؟ وإذا بخرت أو [١١] دخنت ، وكان التأثير للحار في البخار والدخان ، فالذي [١٢] يقلب البخار لؤلؤة ، أو كبريتة [١٣] ، أو نقرة [١٤] ، أن أدمغتكم لنقرة [١٥] ، وما معنى قولكم :

---

(١) ج ، ز : الرياضيات .
(٢) ج ، ز : + و .
(٣) ج ، ز : الدخان بالبخار . ونبه الناسخ في (ز) إلى التقديم والتأخير في هذا التركيب .
(٤) د : يابسة .
(٥) د : الحر .
(٦) ج : سقط ما بين القوسين .
(٧) ب ، ج ، ز : تأثر .
(٨) ج ، ز : + وتدافعا (ز : وتدافقا) أو أثر البارد فيه ؟
(٩) ب ، ج ، ز : + إذا .
(١٠) ب ، ز : كتب على الهامش زيادة : وهلا فاض فيه .
(١١) د : – أ .
(١٢) د : – فالذي . ويبدو أنه : « ما الذي » ليستقيم الكلام . وقد كتب على هامش (ز) لعله : فما الذي .
(١٣) ب : كبريتا .
(١٤) ج ، ز : بقرة والنقرة : معدن (القاموس المحيط) ويطلق على الذباب الأسود نقرة ، وعلى القطعة المذابة من الذهب والفضة .
(١٥) النقرة : داء يصيب الشاة في أرجلها . ويطلق على المصيبة . ب ، ز : لبقرة ، ج : البقرة .

استحكم ؟ أمن ذاته وبنفسه أم بواسطة من غيره ؟ وما الذي يقعد به عن الاستحكام ويجعله عزين ؟ ومن يعارضه ؟ فلا تقولون [1] ما ينفع ، وكل حرف تنطقون [2] به فجوابه منه ، مع [3] ما تقدم ، فليرد إليه .

تكملة [4] :

قال القاضي أبو بكر [5] بن العربي رضي الله عنه : انما سردنا لكم هذا كله استدراجاً لهم [6] لتسمعوا كلامهم (و ٥٨ ب) وتكشفوا غاية عقولهم ، والطريق التي بها [7] أرادوا أن يقفوا [8] على حقائق الأشياء ، بزعمهم دون الأنبياء ، وهلا نسبوا ذلك كله إلى الله تعالى ، وقالوا انه الخالق لذلك كله ، شيئاً بعد شيء ، وطبقاً بعد طبق ، فالقوم بجهلهم رأوا تركيب شيء على شيء ، فنسبوا الثاني إلى الأول ، وذهلوا أو [9] قصدوا أن ينسبوا الثاني ، وما [10] بعده إلى ما نسبوا إليه الأول [11] ،

---

(١) د : يقولون .
(٢) د : ينطقون .
(٣) ج : – مع .
(٤) ب : بكلمة .
(٥) د : قال أبي .
(٦) ب : – لهم .
(٧) ج ، ز : أرادوا أن يقفوا بها.
(٨) ب : يقضوا .
(٩) ب ، ز : – إذ .
(١٠) د : ومن .
(١١) ج ، ز : (إلى الله تعالى وذهلوا إذ قصدوا أن ينسبوا الثاني وما بعده إلى ما نسبوا إليه الأول ، وقالوا انه الخالق لذلك كله شيئاً بعد شيء وطبقاً بعد طبق ، إلا أن ناسخ (ز) نبه إلى ما في هذا من خلط وأقام لذلك اشارة تعود به إلى استقامته . ثم ان ناسخ (ج) أعاد نفس النص الذي سبقه خطأ ، وجعله في مكانه . فزاد الكلام خلطاً .

وسموه بأسماء [1] ، وجعلوا له قوى .

فان قيل لا يصح أن يكون شيء واحد مبدأ لشيئين [2] بحال ـ قلنا : هذا هو [3] الواجب ، فلم أحلتموه ؟ فان قالوا : إلى الطبع ، قلنا : فلا يكون عن الأول إلا مثله ، وكذلك [4] يلزم في الثاني والثالث ، فمن أين جاء هذا الاختلاف ؟ فان أعادوا ذلك الكلام المتقدم من وجود التركيب بأسبابه [5] فقد تقدم الجواب عنه .

قاصمة :

نبغت طائفة تسترت بالاسلام [6] وهي تبطن [7] عقائد الأوائل [8] ، فقالت : لا يفتقر في معرفة الله ، ولا في وجوب ذلك على كل [9] أحد ، إلى شرع . وقالت مؤكدة لذلك : ان القول بأن معرفة الله تقف على الشرع ، يبطل [10] الشرع ، وذلك أن نبياً لو عرض دعواه ، وأظهر آيته ، ودعا الخلق إلى النظر في قوله [11]، والإيمان به ، وكان لا واجب إلا بالشرع ، لقالوا له : لا يجب علينا في معجزتك نظر ،

---

(١) ز : كتب على الهامش : بأشياء .
(٢) ج : الشيئين .
(٣) د : — هو .
(٤) ج ، ز : ولذلك .
(٥) د : بأسباب .
(٦) ج : كتب على الهامش : قف على قول المبتدعة والرد عليهم وإبطال حججهم .
(٧) د : يبطن .
(٨) د : الأول .
(٩) د : — كل .
(١٠) د : تبطل .
(١١) د : قبوله .

لأنه لا واجب إلا بشرع[1] ، متقرر[2] ، ولم يتقرر بعد شرعك ، ولا ظهر صدقك ، فآل إيقاف الوجوب على الشرع إلى نفي[3] الشرع . وهذه أعظم شبهة لهم ، قال علماؤنا قولاً بديعاً : إذا ظهرت المعجزة فقد دل[4] الشرع ، واستقر الوجوب ، ووجب على الخلق النظر ، والإيمان ، وليس من شرط الوجوب على المكلف فيما أوجبناه عليه من ذلك ، علمه بوجوبه ، انما الشرط تمكنه من ذلك ، وكونه بصفة من يصح (و ٥٩ أ) منه ذلك على معنى نفي الآفات المضادة للقدرة والعلم ، عنه ، ولهذا قال علماؤنا لا يصح قصد التقرب إلى الله بهذا الواجب الأول ، لأن[5] من شرطه معرفة المتقرب إليه ، ولما يحصل بعد .

عاصمة :

قال أبو بكر[6] رضي الله عنه : هذه طائفة لم تعلم العقل ، ولا عقلته ، ولا علمت الوجوب . وقد بينا أن العقل ان[7] افتقر إلى بيان ، ووقع فيه خلاف ، فامسحوا أيديكم عن أنفسكم ، انما أرادت الالباس على الخلق من أول اللوح ، فماذا[8] ترجون[9] في أثنائه من البيان ؟ أو[10] كيف تبلغون[11] إلى آخره ؟ وهم يقولون :

---

(١) ب ، ج ، ز : بالشرع .
(٢) ب : متقرر .
(٣) د : — نفى .
(٤) د : صح . ز : كتب على الهامش : صح .
(٥) ج : أن .
(٦) د : قال أبي .
(٧) د : لو .
(٨) د : فما .
(٩) د : يرجون .
(١٠) د : — أ .
(١١) د : يبلغون .

انه مشترك[١] ، من معانيه[٢] ، صحة الفطرة ، ومنها التجربة ، ومنها الوقار والسكينة ، وزادوا على[٣] اخوانهم الفلسفية ، أنه علوم ضرورية ، وعلوم نظرية ، وعملي ، وهيولاني ، وملكي ، وفعلي ، ومستفاد ، وفعال .

أما الأول فقد نسبوه[٤] إلى أرسطوطاليس[٥] ، وفرّق بينه وبين العلم وقال : انه تصورات ، ومعان تحصل للنفس بأصل الفطرة ، والعلم يحصل بالاكتساب ، فتلقفه الخليل[٦] منه ، وقال : ان[٧] العلم[٨] معرفتان مجتمعتان ، فعرفت زيداً قائماً ، حال لزيد ، وعلمت زيداً قائماً ، مفعول ثان لعلمت ، وهذا اصطلاح بارد تلقفه الخليل رسطالية ، وادعاه عربية ، ولا سبيل إليه بحال .

لأن العقل هو العلم بعينه على ما نبينه إن شاء الله . قالوا[٩] : وأما العقل

(١) ب : يشترك .
(٢) د : معاينة .
(٣) ب ، ج ، ز : عن .
(٤) ب ، ج ، ز : ينسبوه .
(٥) ب ، ج ، ز : أرس توطاليس .
(٦) أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم ، فهو عربي ذو ذكاء نافذ ، عرف باستنباط علل النحو والعروض وكانت له مناظرات مع الاباضية وله صلة بابن المقفع ويروى أنه عرف اللغة اليونانية ، وزعموا أن ملك اليونان راسله باليونانية ، ويبدو أنه تأثر في دراساته النحوية بالفلسفة اليونانية كما يبدر من كلام أبي بكر هنا ، وكما يبدر من اتصاله باللغة اليونانية وبابن المقفع الذي يعرف نحو الفارسية وتوفي الخليل سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ (الزبيدي « محمد بن الحسن » طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد ابراهيم أبي الفضل القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ ص ٤٣ - ٣٧) .
(٧) ب ، ج ، ز : - ان .
(٨) ز : كتب على الهامش : قف على مأخذ قول الخليل بن أحمد في تعريف العلم .
(٩) د : - قالوا .

النظري فقوة في النفس ، تقبل بها ماهية الأمور الكلية ، والحس يقبلها جزئية . وأما العملي[1] فهو قوة للنفس مبدأ لتحريك[2] القوة التشوقية[3] إلى ما يريده[4] من الجزئيات . وأما الهيولاني فهو كاستعداد الصبي للقبول ، وأما الملكي فهو أن ينتهي إلى حد التمييز ، حتى إذا عرض عليه شيء وجد به عارفاً . وأما الفعلي[5] [فهو الذكر . وأما المستفاد فهو ما حصل واستقر ، ولم (و ٥٩ ب) يفتقر إلى مادة . وأما الفعال][6] قالوا : فهو نمط آخر ، وهو كل ماهية مجردة عن المادة فهو من جهة ما عقل جوهر صوري ، ماهية[7] مجردة في[8] ذاتها عن علائق المادة من جهة [9] ، هي ماهية كل موجود ، وهو فعال ، لأنه يخرج الفعل[10] الهيولاني من القوة إلى الفعل ، باشراقه[11] عليه .

قال القاضي أبو بكر[12] رضي الله عنه : فما ظنك بمعلوم بين يدخل في الأشكال في هذه السوق الكاسدة ، ويباع البيوعات[13] الفاسدة ، العقل كما قال الأول :

---

(١) ج : العلمي .
(٢) غير ظاهرة بوضوح في (ب) وقرأها ابن باديس (لتحديد) .
(٣) د : التشوقية .
(٤) د : يريد .
(٥) ب : + فهو الفعال .
(٦) ب ، ج ، ز : سقط فيها ما بين قوسين .
(٧) ز : كتب على الهامش : عله : وماهية .
(٨) ج ، ز : عن . وكتب في هامش (ز) في .
(٩) د : — من جهة .
(١٠) كذا في جميع النسخ ولعل صوابه : العقل .
(١١) ج ، ز : باشرافه . (المقاصد ص ٣٧١) .
(١٢) د : قال أبي .
(١٣) ج ، ز : البيوع ، وكتب على هامش (ز) ويباع بيع البيوعات الفاسدة .

وقد ظهرت[1] فما تخفى على أحد   إلا على أحد لا يعرف القمرا[2]

وهو في لسان العرب العلم ، لا فرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت ، وما رتبه النحاة من الذات والصفات في العبارات لا ينبني عليه[3] حكم ، لأن العرب لم تنتح به ما انتحوا ، ولا أضمرت ما أضمروا ، والقوم مشكورون على ما رتبوا غير مأموم بهم[4] ، فيما قدموا[5] من المعاني وصوروا ، والخلق كما قال الله عز وجل[6] (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) (النحل /٧٨) ثم يخلق لهم العلم ، العقل ، المعرفة ، التمييز ، الادراك ، التفطن ، الذكر ، الي آخر الخطط والأسماء ، رتبة بعد رتبة ، وشيئاً بعد شيء ، وليس فيه استعداد لذلك من عند الله فيه إلا ما ينشئه[7] له ، كما ينشئه[8] في الشجر ، والحجر ، وطرف الظفر ، والأنملة ، لا يختص[9] ببنية ، ولا يلزم[10] بحالة ، فان[11] جرى شيء من ذلك على صفته ، فهي عادة ، لا[12] علة ، وحالة عارضة باتفاق ، من صنع الله

---

(١) د : بهرت .

(٢) ب : القمر .

(٣) ب ، ج ، ز : عليها .

(٤) ب ، ج ، ز : ما هو به بهم . ومعنى غير مأموم بهم أي غير متبوعين في ذلك وليسوا ايمة يقتدى بهم في هذه المسألة .

(٥) ب ، ج ، ز : قرروا .

(٦) د : سبحانه .

(٧) ب ، ج ، ز : بنسبه .

(٨) ب ، ج ، ز : ينسبه .

(٩) ج ، د ، ز : تختص .

(١٠) ج ، ز : تلزم .

(١١) د : فاذا .

(١٢) ب ، ج ، ز : ولا .

وإرادته ، لا واجبة في مخلوقاته ، ويخلق له علماً مركباً على علم يجده [1] متساوياً في ثمرته وافادته ، فيكون تجربة [2] ، فان ظهر على أقواله وأفعاله ، كان منتفعاً له ، [لأنه المقصود منه ، وان لم يظهر نفى عنه لوجهين ، قد تقدما [3]] في قوله صلى الله عليه وسلم [4] (و ٦٠ أ) : (لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن)[5] ، أحدهما كمال[6] العلم من طرفه ، والثاني نفي ذاته إذ[7] لم تظهر فائدته في تلك الحالة . فأما [8] القول بأنه علوم ضرورية [9] فانما تعلق بها المتكلمون من علمائنا ، لأنهم رأوا أنه [10] لا يبتلي الله بأوامره ونواهيه ، الا من جعل فيه ، مقدمات من علومه ، فتلك المقدمات ، لما سماها الله عقلاً ، ظنوا أنه كل[11] العقل ، ولا يلزم ذلك ، [لأن الله قد سماها علماً فقال . (ان[12] في] ذلك لآية[13] لقوم يعلمون) (النمل / ٥٢) كما قال : (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (البقرة / ١٦٤) وأما قولهم : ان النظري[14] قوة في النفس تقبل بها

(١) د : يحده .
(٢) د : فيتكون تجزية .
(٣) ج : سقط ما بين القوسين .
(٤) ب ، ج ، ز : - صلى الله عليه وسلم .
(٥) أخرجه مسلم والبخاري .
(٦) د : + قال .
(٧) د : إذا .
(٨) د : وأما .
(٩) ب ، ج ، ز : علم ضرورة . وكتب على هامش (ز) علوم ضرورية .
(١٠) ج : - أنه .
(١١) ب ، ج ، ز : كالعقل .
(١٢) في جميع النسخ : لآيات . والقراءة المشهورة لآية .
(١٣) ج : سقط ما بين القوسين .
(١٤) ب ، ج ، ز : النظر .

الماهية للأمور الكلية . فهو العلم السابق لما يكون بعده ، ويترتب عليه ، وتسميته[١] قوة مجاز لا معنى به ، وقولهم : يقبلها كلية ، والحس يقبلها جزئية . كلام فاسد ، بل يقبلها جزئية تامة إلا أنه بتدريج ، والحس يقبلها جزئية كرّة ، نعم من المحسوسات ما لا يحصل إلا كلياً ، وهو الأكثر ، وأما قولهم : ان العملي قوة هي[٢] مبدأ[٣] التشوقي[٤] . فهي دعوى ما لا يوجد ، وعبارة لا تفيد . أما قوة فلا معنى لقولها ، وأما قوله[٥] : بتحريك القوة التشوقية[٦] فكأنهم يريدون الفكر ، وهو ترديد النظر في التطلع[٧] ، والتشوق[٨] إلى المطلوب ، وهي كلها معارف وعلوم ، تجمع وترتب ، لتفيد ، وهو الذي يسمى النظر . وأما قولهم : ان الهيولاني[٩] هو الاستعداد ، فمجاز[١٠] بعيد ، لأن استعداد المحل لأن يكون[١١] عاقلاً لا[١٢] يسمى عقلاً ، إلا مجازاً بعيداً ، كما تسمى النطفة انساناً لاستعدادها للانسانية . وأما قولهم في الملكي : فانما عبروا به عما حصل من العلم ، وملكة الانسان ، فهو يتوصل به ، ويتوسل ، إلى ما وراءه . وأما قولهم : ان الفعلي هو الذكر[١٣] .

---

(١) ج : وسميته .
(٢) ب ، ج ، ز : هو .
(٣) ب ، ز : مبتدأ ، ج : المبتدأ .
(٤) ب : التسوق . د : التشوفي .
(٥) د : قوة . ج : قوله .
(٦) د : التشوفية .
(٧) ج : تكرر « التطلع » .
(٨) د : التشوف .
(٩) ب ، ج ، ز : الهيولي .
(١٠) د : مجاز .
(١١) ب ، ج ، ز : لا يكون .
(١٢) ج ، ز : ولا .
(١٣) ب ، ج ، د ، ز : الفكر . وهو خطأ كما يتبين مما سبق . ومما يأتي بعده .

فلا يصح أن يسمى فعلياً ، لأن الذكر ليس بيد[1] المرء لطول (و ٦٠ ب) الذهول عنه[2] ، فلا يرده أبداً إليه ، إلا أن يرده إليه واهبه ابتداء ، أو بسبب[3] يخلقه له ، عنده ، فالشيء بالشيء يذكر . وأما قولهم : ان المستفاد هوما لم يفتقر إلى مادة . فمعناه ما لم يحتج إلى أن يقتنص بنظر ، ولا يسعى في تحصيله .

وهذا كله يبين[4] لكم أنه علوم ، بعضها يتلو بعضاً ويتوالى مع البعض ، لا سيما على مذهبهم في تلا[5] ، وتوالى ، على ما يفسر في موضعه .

قال القاضي أبو بكر[6] رضي الله عنه : وأما قولهم : في الفعّال فذلك هو الداء العضال ، هو المبدأ الأول عندهم الذي[7] عن ذاته صدر الكل ، من عقل ، وبسيط ، ومركب ، وكرة ، ومربع ، وحار ، ورطب ، وبارد ، ويابس ، ولكن اختاروا له العقل لشرف الاسم ، دون الكثرة ، وغيرها من الأسماء ، فله ماهية في ذاته عندهم ، وهو مادة كل ماهية ، إذ يخرج الهيولي إلى الصورة والفعل ، بفيضان[8] نوره عليه ، لا بعلم ، ولا بقدرة ، ولا بإيثار ، ولا بشيء من تلك المعاني الواجبة له . وقد تبين لكم أن هذه أسماء ، لا فائدة تحتها ، وتهويلات ، لا طائل وراءها .

قال القاضي أبو بكر[9] رضي الله عنه : فإذا تقرر أن العقل هو العلم أصلاً ،

---

(١) ج : يمد .
(٢) ب ، ز : كتب على الهامش : عليه .
(٣) ب : لسبب .
(٤) د : ينبئ .
(٥) ب : يلي .
(٦) د : قال أبي .
(٧) ج : + هو . وكتب على هامش (ز) : هو .
(٨) ج : ففيضان ، د : يفيضان .
(٩) د : قال أبي .

وتقرر بيننا وبين هذه الطائفة المتسترة بغطائنا فرعاً ، بنينا عليه غرضنا معهم ، وقلنا لهم : إذا كان العقل هو العلم [١] ، أو نحو منه ، أو صفة يتأتى بها درك العلوم ، وكان الوجوب عبارة عن فعل يتعلق به الذم [٢] عندنا [٣] أو العقاب عندكم [٤] ، فأي معنى يربط أحدهما بالآخر أبداً ؟ وتحقيقه أن الوجوب ليست [٥] بصفة تقوم بالموجب ، كسائر صفات المعاني القائمة بالذوات ، وانما هو عبارة عن لزوم الفعل لفاعله ، واللزوم عبارة عن قول صدر عن الموجب الملزم ، لم تحصل [٦] فيه مثنوية ، ولا مكن فيه من تركه [٧] ، ان كان من طريق الابتلاء ، وان كان من طريق الضرورة الآدمية (و ٦١ أ) كشرب العاطش ، وأكل الجائع ، فهو عبارة عن استدعاء النفس فعلاً ، قام بذات المستدعى له ، داع إليه ، يذهب به [٨] ، ما قام به ، أو يجلب إليه ، ما ينتفع به . ومعرفة الله صفة مكتسبة بأمره ، فما لم يكن منه أمر [٩] ، لم يكن لها وجوب ، لا [١٠] سيما وهم يقولون : ان الوجوب يعرف باستحقاق العقاب ، وذلك خبر عن فعل ، يقع عقيب [١١] فعل ، وذلك لا يعلم إلا بالخبر ، أو بالعادة ، وشيء من ذلك ليس عند المكلف .

فان قيل : قد تقدم أنه يقوم بذات المكلف خاطر بأن له رباً أنعم عليه ،

---

(١) ب : — العلم .
(٢) د : الذم به .
(٣) ج ، ز : عندكم .
(٤) ج ، ز : عندنا .
(٥) كذا في جميع النسخ .
(٦) د : يجعل . ج ، ز : يحصل .
(٧) د : ترك .
(٨) ج ، ز : كتب على الهامش : عنه .
(٩) ج : تكرر : لم يكن منه أمر .
(١٠) د : ولا .
(١١) د : عقب .

وأن ذلك يعين شكره ، ويحضر [1] خاطره ، أنه ان شكره أثابه ، وان ترك ذلك أستحق عقابه ، فيستحثه عقله على تخليص نفسه ، قلنا : هذه مقدمات [2] فاسدة في ذاتها [3] ، فاسده بنقصانها . أما قولهم : انه يقوم بذات العبد ، أن له رباً ، فانه كلام ملتبس [4] ابتدئ به ، وركب عليه مثله [5] ، أما تصوير قيام هذا الخاطر بالقلب الفارغ عن أمثاله ففرض [6] محال عادة ، فان العبد [7] انما يعقل [8] عند نشأته منافعه الحسية ، وملاذه ، ووجه طرق تحصيلها بأسبابها التي تشاركه في جملتها وتفصيلها البهيمة ، وغيرها ، إذ كل نفس سواها ربها ، وألهمها فجورها وتقواها وعبر عن المنفعة بالتقوى وهي منها ، وعن المضرة بالفجور وهي منها ، بحكمة عظيمة بيناها في أماني « أنوار الفجر » .

فأما النظر في الصانع وحقيقته ، والخاطر على أصل الوجوب وصفته ، فلا ينشأ في الخاطر ابتداء في العادة بحال إلا أن يقرن بسماع أمثاله ، من أشكاله ، فيما هو عليه من أصل الفطرة ، لتوضح [9] الجادة التي يتفطن لها ، وانما يتصور هذا كله بعد ارسال الرسل ، والتعريف بالاله ، والزام الشكر ، فشاع ذلك في ألسنة الخلق ، فمن سمع بالتحقيق ، فسلك الطريق ، أفضى به إلى المورد ، (و ٦١ ب) ومن سمع التحقيق وأخطأ [10] كأمثالكم الطريق ، وقع في الهلكة . وقد يرى

---

(١) د : يحضره . ز : في الهامش : في نسخة : يخطئ .
(٢) د : مقامات ، ج ، ز : منامات . وكتب على هامش (ز) : عله : مقدمات .
(٣) د : — فاسدة بذاتها .
(٤) د : ملبس .
(٥) ج : تكرر : انه يقوم بذات العبد أن له ربا .
(٦) د : فعرض .
(٧) ب ، ج ، ز : المرء .
(٨) ج ، ز : يفضل .
(٩) د : بتوضح . وكتب على هامش (ب ، ز) : فتوضح .
(١٠) ج : وأخلصه .

بعضهم قوماً يعبدون الأصنام والحجارة ، لأنها ـ بزعمهم ـ تضر وتنفع ، فيرى بخاطر عارض بقدر[1] سماوي إلهي ، أنها[2] ليست كذلك ، فيعلو بهمته إلى فوق ، فيعبد الشعري العبور لضيائها ، أو[3] القمر ، أو الشمس . وقد يرى آخر أن هذا ليس بشيء ، أو يسمع[4] أن هنالك ديناً خيراً من هذه الأديان ، فيخرج في طلبها ، فيسمع كلاماً ممزوجاً فيقبله ، أو يعرض عنه ، وينتظر سواه ، وقد سمعنا حال قس[5] ، وورقة[6] ، وكلام لبيد[7] ، والأعشى في التوحيد ، والنابغة ، وذلك كله بأطراف من التوحيد . كانت تتعلق بهم ، مما بقي بأيدي أتباع الأنبياء عليهم السلام من مقدمات الملل[8] . وأما قولهم : انه يرى أنه يلزمه[9] شكره ، فبأي[10] شيء يرى ذلك ؟ إن قلتم : انه ينشأ له ضرورة فيلزم وجوده في جميع الخلق ، لاشتراكهم في الضروريات[11] ، أم يخطر له نظراً ، فان كررتم النظر

---

(١) ب : – بقدر .
(٢) د : أنه .
(٣) ج : – أ .
(٤) ب ، ج ، ز : سمع .
(٥) قس بن ساعدة توفي نحو ٢٣ ق هـ / ٦٠٠ وهو حكيم عربي وأسقف نجران وكان يزور قيصر الروم ويتصل به (البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٧ . الأغاني جـ ١٤ ص ٤٠ . الأعلام جـ ٦ ص ٣٩) .
(٦) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى توفي نحو ١٢ ق هـ / ٦١١ وهو نصراني وحكيم جاهلي اعتزل الأوثان وقرأ كتب الأوائل (الأعلام « ورقة » . الروض الأنف جـ ١ ص ١٢٤ – ١٢٧) .
(٧) لبيد بن ربيعة العامري توفي سنة ٤١ هـ / ٦٦١ يعتبر من الصحابة (خزانة الأدب للبغدادي جـ ١ ص ٣٣٧ – ٣٣٩ . Brock 1-23 , SI : 64
(٨) ب : الملك .
(٩) ب ، ج ، ز : يلزمهم .
(١٠) ب ، ج ، ز : فأيّ
(١١) ب ، د : الضرورات .

الأول . فقد تقدم التقصي [1] عنه . وان قلتم : انه يحمله على المنعمين من الخلق ، فما أفسده من نظر ! كيف يشبّه [2] أو يقاس ، من لا يجوز عليه الحظ ، ولا يتعلق به النفع ، والضر ، ولا تقوم به اللذة ، ولا يتكثر بالقلة ، ويطلب العوض ، على ما تناله [3] الرغبة في [4] الحظوظ [5] ، واللذة ، بالأسباب والتكثر من القلة ، ويطلب العوض ؟ و [6] هذا تشبيه فاسد ، وبهذا انطلقت صفة التشبيه على الطوائف كلها ، خلا أهل السنة . وزادت هذه الطائفة بأنها [7] عطلت في الصفات ، وشبهت في الأفعال ، فانسلت عن ربقة التوحيد .

وأما ذكرهم في الخاطرات [8] أنه ان شكر استحق ثوابه فما سبب هذا الاستحقاق ؟ هل نفس الفعل [9] ؟ فهذا محال من طريق النظر ، لأن الشكر جزاء نعمة ، فكيف (و ٦٢ أ) يستحق الجزاء على الجزاء ؟ وإن كان إنما يستحقه بالخبر منه عن ذلك ـ وتقدير سواه محال ـ فالقول به [10] محال لأنه لم يكن هنالك بعد مبلغ للخبر . وأما قولهم : ان قصر استحق عقابه . فما لم يكن سبيل إلى استحقاق الثواب [11] لا يتصور معه استحقاق العقاب ، لاتحاد الطريق .

---

(١) ج ، ز : التفصي .
(٢) ب ، ز : يتشبه .
(٣) ب : ما شأنه ، د : من شأنه .
(٤) ب : — في .
(٥) ب : الحظوضة .
(٦) د : — و .
(٧) ج : فانها .
(٨) ج ، ز : الخاطريات .
(٩) ج : والفعل .
(١٠) ب ، ج ، ز : — به .
(١١) ج : والثواب .

قاصمة :

نبغت طائفة قالت : ان المعـوّل المرجوع إليه ، هو قول الله وحكمه ، وان الموصل له إلينا واسطته [1] ، وهم رسله الذين أولهم آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه كلها دعوى [2] ، فان العقول ترشد إلى السياسة الايالية [3] ، والقوانين الحكمية ، وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق ، واصلاح [4] الأخلاق ، وتطهير الأبدان عن أوصاف النجاسات ، والقلوب عن أخلاق الدناءات ، حتى يطرد الاصلاح [5] في الباطن والظاهر ، ويستمر البقاء على العيش الطيب ، واستقامة الخاصة والعامة ، وهذه كتب الحكماء [6] ، بسيرهم في أنفسهم ، ووصاياهم لغيرهم ، تتضمن جميع ذلك ، فمن أراد النظر فيها فقد جليت له في منصتها . وكفى بعد ذلك بايضاح العقول رسلاً ، وبمقتضياتها [7] أدلة مادة [8] إلى الغنى الذي لا يصحبه فقر ، والنعيم الذي لا يقترن به كدر ، والكمال الذي لا يتطرق إليه [9] نقصان ، ولو عولنا في درك الحقائق على الأنبياء ، ما كنا نقف على حقيقة أبداً ، فانهم يقولون نحن رسل الله ، ويأتون بأفعال غريبة ، تخرج عن حد العادة ، فيتحدون [10] بها على صدقهم ، بطريق أنها فوق طوق

---

(١) ب : — واسطته .

(٢) د : دعاو .

(٣) ج ، ز : الالهية . وكتب على الهامش : الايالية .

(٤) د : صلاح .

(٥) د : الصلاح .

(٦) د : العلماء . ج ، ز : كتب على الهامش : العلماء .

(٧) ب ، ج ، ز : بمقتضاها .

(٨) ب ، ج ، ز : قادة . وكتب على الهامش مادة .

(٩) ب : لا يقترن به .

(١٠) د : يتحدون .

البشر ، يأتي الله بها على جهة العضد لهم ، والتصديق لقولهم ، وتلك الأمور الغريبة التي يأتون بها ، داخلة في طوق البشر ، محمولة اما على خاصة أدركوها ، أو على وجوه من الحيل (و ٦٢ ب) نظموها على بعد وجمعوها ، حتى انتهت إلى هذه[١] الحالة[٢] التي أشهدوها[٣] للخلق وأبرزوها ، ولو لم يكن في الدنيا إلا حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد من بعد ، ولا يجذب الذهب ، ولا هدبة الثوب [٤] ، ونحن نرى السحرة يأتون بالغرائب ، حتى ان الواحد منهم ليهزم الجيش ، ويرد الجم الغفير فلا [٥] ، ويجري الماء على الأرض سيحا ، وينزل المطر صبيا[٦] ، ويريك الجدب خصباً [٧] ، ولا يحسب[٨] في الحقائق فعله ، ولا يقبل [٩] قوله . هذا إلى ما في الوصول إلى حالة القبول من الرسول من العقاب التي لا[١٠] يقطعها بازل ، ولا يكون الفكر عنها أبداً إلا نازل ، منها معرفة حقيقة النبوة[١١] ، واثبات كلام الله تعالى الذي يترتب عليه ارسال الرسل ، جواز بعثة الله الرسل ، ومنها تعيين ما تأتي به ، فانها ان قالت ما يعلم[١٢] فلا يحتاج إليها ،

---

(١) ج ، ز : هاته .
(٢) د : الحال .
(٣) ب ، ج ، ز : شهروها .
(٤) الكلام ينقصه الجواب . واقترح ابن باديس أن يكون : لكفى في اثبات الخاصية.
(٥) ب ، ج ، ز : ويرد الجبل الصغير تلا . أما الفل فعناه منهزم ، يقال قوم فل أي منهزمون
(٦) ب ، ج ، ز : صبا .
(٧) علق ابن باديس على ذلك بقوله : هذا كذب ومبالغة ، فليس هذا من مقدور السحرة لا بالحقيقة ولا بالتخيل .
(٨) ب ، ج ، ز : تحسب .
(٩) ب ، ج ، ز : تقبل .
(١٠) ب : - لا .
(١١) د : العبوه .
(١٢) ب : نعلم .

وان قالت ما لا يعلم[1] فلا يقبل منها . مع انا رأيناهم يقولون أشياء يردها العقل ، وأكثر الخلق لا يقبلونها ، وأي فائدة في مخاطبة من يعلم أنه لا يقبل . ومنها وجه المعرفة بأنه رسول ، وقد بينا أن ذلك يعسر ، لاشتباه الأفعال ، لا سيما وأنتم تقولون : انه جائز على الله أن يعم الخلق بالضلال[2] ، فما يؤمنكم أن يكون ما يأتي[3] به الرسول سبباً لاضلال الخلق ، وقد قلتم أن للمعجزة ستة شروط ، وعلى كل شرط منها من الأشكال ما يملأ القراطيس فكيف يخلص من هذا ؟ وهذا وأنتم بعد إلى الآن ، لا تدرون هل دلالة المعجزة عقلية أو عادية ، فمتى تقطع هذه العقاب العشرة[4] ، ويرتقى[5] إلى يفاع[6] المعرفة ؟ والناس ضعفاء ، والشعوب كثيرة ، والعمر قصير ، والذي يدّعي أنه وصل قليل ، والآلات معدومة ، أو متعذرة ، والسفر طويل ، لقد أبعدتم النجعة على الخلق في المطلوب . والذي يمكّن أن ينظر الانسان في أمهات الفضائل (و ٦٣ أ) وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة [7] ، فإذا[8] حصل عليها فما وراءها مرمى ، ولا بعدها مطلب ، ولا يحتاج في ذلك إلى رسالة قد أدركها خلق دون نبي .

---

(١) ب : نعلم .
(٢) د : بالاضلال .
(٣) ب : مأتى .
(٤) ب ، ج ، ز : العشر .
(٥) ج ، ز : ترتقى .
(٦) ب : بقاع .
(٧) ب ، ج ، ز : – الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . وكتب على هامش (ب ، ز) ها هنا بياض في الأصل .
(٨) ب ، ج ، ز : وإذا .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [1] رضي الله عنه : هذا مذهب ليس عليه أحد من الخلق له حصافة [2] ، بيد أنه لما كان الابتلاء من الله بالوظائف ، أمراً تعافه النفوس ، وتقف دونه القدرة ، وتغلب عليه الراحة ، ركنت النفوس الامارة بالسوء إلى البطالة ، وكانت الجبلة مفطورة على الشهوات . وانتقاء [3] المختار بعيد عن الخلق ، وبينهم وبين كمال النظر حجاب . ركن إلى الدعة ، وتعلق بذيل العجز ، الأكثر [4] في الوجود ، الأقل في الاعتداد . وهم ـ وان كانوا لا يتظاهرون به لغلبة الاسلام ـ فانهم يبطنونه ، ولم ألق عليه مناظراً في رحلتي الا ابن عمار قاضي [5] الاسكندرية الملقب [6] بعز الملك ، والقاضي حامد بن [7] نزيل بيت المقدس ، المنتسب إلى مذهب أبي حنيفة ، والقاضي ابن الكحال [8] ولكنهم إلى الفلسفة ينتسبون [9] وعليها يعولون ، فأما الانخلاع عن ربقة الفلسفة والشريعة فلم ألمحه بحال .

---

(١) د : قال أبي .

(٢) د : خصافة .

(٣) ج ، ز : انتفاء .

(٤) د : من .

(٥) ابن عمار هو أبو عبد الله محمد بن عمار كما في (أخبار مصر لابن ميسر ، الذهبي ، العبر ج ٣ ص ٣٤١ تعليق محققه (فؤاد سيد) وفي هامش النجوم الزاهرة تعليق الدكتور الشيال انه جلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ومصدرهما واحد وهو أخبار مصر لابن ميسر الذي لم أتمكن من الاطلاع عليه ، ويبدو أنه توفي سنة ٤٨٨ هـ حين ألقى القبض عليه الأفضل شاهنشاه . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٤) .

(٦) د : هوازن . ز : كتب على الهامش هوان .

(٧) ب ، ج ، ز : بياض بالأصل .

(٨) ج : ابن الكمال .

(٩) د : ولكنه إلى الفلسفة ينتسب هؤلاء . ب ، ج ، ز : + هؤلاء .

و أنا أبين بفضل الله وجه الاعتصام من هذه الضلالات ، والتفصى [1] عن مجموع هذه الشبهات ، فنقول : ان الله تعالى قد خص هؤلاء بالذكر ، وصدهم [2] بباهر البيان ، في أكرم مورد من الكلام فقال : (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) (الأنعام / ٩١) ووجه الدلالة من هذه الآية في هذه السورة [3] الكريمة بديع مبين في كلامنا حيث وقع بترتيب برهانه وإزاحة أشكاله بإيضاح بيانه ، نخبته : أن الله تعالى أخبر أن من أنكر الرسل [4] ، لم يعلم الله حق علمه ، وأمرنا [5] بالاحتجاج عليهم بنبوة موسى التي صحت [6] بالمعجزات الظاهرة ، والبراهين الباهرة ، وهذا القول الذي نصب الله (و ٦٣ ب) تعالى [7] بيانه ، الدليل عليه ، ليس المراد به أحداً من أهل الكتاب ، لأنهم مقرون [8] بالرسل فوقعت الحجة على منكريهم ، برسل الله في أرضه إلى خلقه مذ أوجدهم إلى محمد صلوات الله عليهم وسلامه [9] ، وخص ذكر موسى لأنه أول الأنبياء ظهور آية ولأنه [10] معلوم عند عبدة الأوثان من العرب المجاورة لأهل دينه ، فان أقروا به ، فهذا مثله ، وان أنكرت العرب ومن دان دينها موسى كإنكارهم لسائر الرسل ، فمن علمكم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الأصنام ؟ فذلك محال أم غيرها فمن ؟

---

(١) د : والنفص .
(٢) د : صمدهم .
(٣) ب : – في هذه السورة .
(٤) ب : الرسول .
(٥) ب ، ج ، ز : أمر .
(٦) ز : كتب على الهامش : ضمنت .
(٧) د : – تعالى .
(٨) د : يقرون .
(٩) ز : صلى الله عليه وسلم . وكتب على الهامش : صح : صلوات الله وسلامه عليهم .
(١٠) ب : أو لأنه .

وليس إلا الله ، والتعليم[1] لا يكون إلا بواسطة ، ولا بد للوسائط أن تترقى[2] حتى تقف[3] على معلم غير معلم[4] فهو الباري ، وتعليمه ، رسالته . وقوله بعد ذلك : (تبدونها وتخفون كثيراً) (الأنعام / ٩١) بالتاء وبالياء[5] سهل المرام في التأويل ، مع قطعنا[6] أن اليهود غير مخاطبين في ذلك ولا أريدوا به[7] . والاشارة فيه[8] وجوه أقربها الآن أن الذين أنزل عليهم ، قد أنكروه مع أنه شرفهم ، وكتموه وغيروه ، فلا عجب منكم ، الذين لم ينزل عليكم ، ولا رأيتموه في أن تنكروه][9] وحينئذ يجب الاعتراض[10] ، لأنهم خرجوا عن النظر إلى التخليط ، فاقبل أنت على ربك ، وذرهم في خوضهم يلعبون ، حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون ونعطف بعد ذلك عنان القول على طريقة أخرى[11] شرعية عقلية فنقول : أما مرتبة العقل فغير منكرة في التمييز والتحصيل ، ودرك ما أعد له على الجملة والتفصيل ، في قول من وحده أو عدده ، فأما أن يكون العقل محصلاً لجميع المعلومات ، فهذه دعوى حمقى ، لا يقوم لهم قول على ساق في الدعوى ، والإيراد ، والتصوير[12]

---

(١) ب : التعلم .
(٢) د : تترى .
(٣) د : نقف .
(٤) ج : – غير معلم .
(٥) ب ، د : والتاء .
(٦) د : + على .
(٧) ب ، د : – و .
(٨) كذا في جميع النسخ .
(٩) ب : سقط ما بين قوسين وكتب على الهامش .
(١٠) ب ، ز : كتب على الهامش . الاعراض .
(١١) د : – أخرى .
(١٢) كذا في جميع النسخ ولعله : « التصدير » في مقابلة الايراد .

فكيف بالتعرض للدليل [1] ، وكل ذي علم يدعيه ، من أي العلوم كان ، يعلم (و ٦٤ أ) قطعاً أنه لم يحط العقل به من أوليته حتى كانت العلماء ، وهم الأنبياء الذين يطرقون بيانه ، ويوضحون قانونه ، وخذ علم الهيئة ، فليس في العقل [2] استقلال أن يحيط [3] بمدار الأفلاك وترتيبها ، وطلوع الكواكب وغروبها ، في مجار [4] مختلفة منها ، وتمييز المنتقل من الثابت ، وتفصيل انتقاله ، وان أدرك نفس الانتقال ، ويرى ما ذكروه قبل [5] ، كيف كانت كلها دعاوى لا برهان عليها ، حتى ان صاحب الهيئة يبرهن ، فاذا وقف عليه البرهان ، طفر [6] فقال : رصدت أو رصد [7] فلان ، فبينما نحن معه في برهان عقلي ، إذا بنا قد خرجنا معه إلى خبر تكذيبي أو كذبي .

وخذ الطبيعيات وترتيبها في النشوء [8] وضبط الاستقصات في البدء [9] ، و [10] كيف خرج منها ما خرج إلى الجسمية ، وكيف تحرك على رأيهم من الهيولي إلى الصورة ، وكيف تألفت الموجودات . وقد قدمنا عنهم في ذلك دعاوى لا أصل لها ، تصلح أن يسامر بها الملوك ، لاستجلاب شارد المنام .

---

(١) ج ، ز : + كان .
(٢) د : العقول .
(٣) د : تحيط .
(٤) ب ، ج ، ز : مجارى .
(٥) ب ، ج ، ز : قيل . وكتب على هامش (ز) : عله : قبل .
(٦) ج : طفى . أما معنى طفر فهو : وثب في ارتفاع . وطفا : ارتفع .
(٧) د : وجد .
(٨) ب ، ج ، ز : الشيء .
(٩) ب ، ز : البدو ، ج : البدن .
(١٠) د : — و .

وخذ ضبط صحة الحيوانات بقانون ، وردّه[1] بالطب[2] عند عدول[3] الأمزجة عن الاعتدال ، وإدراك النبات[4] في درجاته ، ومنافعه ومضاره ، هل يتفق في المعقول أن يدرك ذلك أحد بقضيات العقول ؟ أما أنه إذا رتب له قانون ، أو ذكر له تمثيل ، أو نصب له دليل ، أمكن أن يتوصل به إلى ما يقتضيه وضعه .

وخذ النجومي فانه يقال له : أيها الحاكم على ما يأتي بما يرى من نصبة ، ويطلع عليه[5] من رتبة ، هل علمت ذلك بتجربة استمرت بها العادة في وضع النصب ، ومقارنة الحوادث لها ؟ فهذا باطل من أربعة أوجه :

الأول : أن النصبة[6] كم مرة عادت عليك حتى تثبت[7] عليها ؟ أو قل[8] طريقاً ، حتى ترى عليه ما لم تحسب[9] تحقيقاً .

الثاني : أن يقال لهم : كيف تحكمون للعقل بادراك ما لا يدرك ؟ وتسلكونه في (و ٦٤ ب) غير مسلك ؟

الثالث : أنهم يزعمون أن النصبة لا تعود على هيئتها إلا بعد ستة وثلاثين ألف عام ، فمتى تكررت مرتين أو ثلاثاً حتى علم الترتيب عليها في كون الحوادث[10] ؟

---

(١) ب ، ج ، ز : وردوه .
(٢) ب : كتب على الهامش : (إلى الطب) .
(٣) د : عذول .
(٤) د : البنات .
(٥) ب ، ج ، ز : إليه .
(٦) د : النصبية .
(٧) ب : تبت .
(٨) ج ، ز : ملك .
(٩) ب ، د : تحتسب .
(١٠) ب ، ج : الحادث . وكتب على الهامش : الحوادث . ز : عكس ذلك .

الرابع : أن ترتيب الحوادث على الكواكب ، وتعليقها بتأثير [١] الأفلاك ، لا يليق على الجملة بما قدمناه من منعهم عن ذلك ، فكيف بترتيب الأفعال كلها على التفصيل عليها مع ما فيها من التعارض والتضاد من عمر أو [٢] كسب ؟ والعجب من ترتيبهم الاثني عشر برجاً ، على اثني عشر بيتاً ، أسكنوا فيها من الحوادث ما لا يسكن [٣] ، ونسبوا إليها ما لا ينسب [٤] . [وقد أحكمنا في المتقدم من الكلام وجه قطع الحوادث عن الأفلاك والكواكب ، حتى لا يبقى لهم [٥] متكلم إلا بدعوى ، لا برهان عليها [٦]] . ومتى تكلمت مع منجم لا تتكلم معه في وضع الأفلاك ، لئلا يرجع لك مهندساً ، فيقاتلك بغير سلاحك [٧] ، ولكن سلم له الهيئة ، ودافعه عن تعليق الأفعال بها ، فانه لا حيلة له في اثباتها .

وأما الذي زعموه من أوضاع الحكماء في السياسات ، فان أصله من الأنبياء ، وما أبانته [٨] من الشرائع ، وحثت عليه من المكارم ، وزجرت عنه من الدناءات ، بما أوضحت من القوانين ، ووضعت من المصالح ، ثم درس منها ما درس ، وبقي منها ما بقي ، فبنوا عليه ، وأضافوه إليه ، فمنه ما نقلوه على وجهه ، ومنه ما أدركوه بما وافق الأغراض ، وقام بداعية الانزجار والانتهاض ، وجرى في سنن المنى أو [٩] الهوى .

---

(١) ب ، ج ، ز : بتأثر .
(٢) د : – أ .
(٣) د : يمكن .
(٤) د : ينتسب .
(٥) ب ، ج ، ز : – لهم .
(٦) ب ، ز : سقط ما بين قوسين .
(٧) د : سلامه .
(٨) ج : وما أبا بنته .
(٩) ب ، ج ، ز : – أ .

وأما تطهير الأبدان عن الأقذار ، فأمر جبلي ، لا متعلق فيه ، لأن الرسل لم تأت لبيانه ، أما أنها حضت عليه ، وحثت ، وندبت إليه ، وألزمت[1] .

وأما تطهير القلوب (و ٦٥ أ) عن أوضار الدناءات ، فيبعد[2] أن يصرف[3] عنها وازع من الذات ، فانها مركبة في الحيوانات فطرة ، وفي هيئة[4] الانسان جبلة[5] ، وهو مركب على الغضب والشهوة والحرص[6] والغلبة ، وعلى ذلك من العقل رقيب ، وبينهما مجاذبات كثيرة ، مسلمة منا ومنهم ، وانما يكون التطهير بعمل ، هو جلاء القلوب ، وبعد الجلاء يكون الحصول بمعاملة أو[7] مقابلة ، ولا نطول معهم في أن كيفية الجلاء تكون[8] بتوقيف عن بصير مبصر ، بل نقف معهم عن[9] المقابلة ، فنقول : انها لا تكون بتنبيه حتى جعله بعضهم خاطراً ، وقد لا يخطر[10] الخاطر ، وإذا وجد قد يضعف[11] ولا يتسدد ، فلا بد من داع ، ان كان له وازع[12] ، والمجاهدات بين المتعارضات باب عظيم ، يفتقر إلى قانون طويل ، ليس من بزهم ، ولا يقوم به إلا العالم بتفاصيله وقانونه .

---

(١) أي فنعم .
(٢) ب ، ج ، ز : فبعيد .
(٣) ب : يصدر . وكتب على الهامش : يصرف . ج ، ز : كتب على الهامش : يصدف .
(٤) د : بنية .
(٥) ب ، ز : كتب على الهامش : بنية الإنسان جملة .
(٦) ب ، د ، ز : الفرس . ج : والمرس . وأقترح : الحرص .
(٧) ب ، ج ، ز : – أ .
(٨) ب ، د : يكون .
(٩) ب ، ج ، ز : على .
(١٠)د : يحضر .
(١١)ب : يضف . د : يصيب .
(١٢)د : واع .

فان قيل قد سطره أفلاطون ، وسقراط [1] ، والفاضل بقراط [2] ، قلنا : قد رأينا ما سطروا ، وطالعنا ما ذكروا ، وتحققنا أنهم[3] قد قصروا ، وعدا عليهم ما ائتمروا ، ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم ، ما ينبىء عن سخافاتهم ، اللهم تحقيقاً [4] أن ذلك لمحمول [5] على المترجم [6] ، ومحسوب في جهله أو قصده إلى التخليط ، وهم [7] قوم أخذوا [8] كلام الأنبياء وخصوصاً محمداً صلى الله عليه وسلم [9] ، الذي أوتي من جوامع الكلم بأوساطه وأطرافه ، وضم له [10] من كل جوانبه ، فبدلوه وحرفوه ، ووضعوه على قوالب أغراضهم ، فاستوضعوه ، حتى استضعفوه[11] ، وهذا لأن[12] مترجم كلامهم من اليونانية إلى العربية ، لم يتوله عدل ، بل فاسق ، بل كافر ، الا [13] مستخف مهتوك زائغ ، لا سيما وللسعادة عندهم سبيل متخذة [14] للأمجاد ، لا يدركها إلا الأفراد[15] ، وعليها من القواطع

---

(١) فيلسوف يوناني . عاش بين (٤٧٠ - ٣٩٩ ق . م.) .
(٢) بقراط الحكيم أو الإلهي ، توفي سنة ٣٥٧ ق . م . ، على الراجح .
(٣) ب : - قد .
(٤) ب : تخفيفا . ج : تحققلقا .
(٥) ب : محمول .
(٦) ب : الترحم .
(٧) ب : هو .
(٨) لا يقصد أفلاطون وأرسطو . وإنما يقصد الذين ترجموا وأخذوا بالفلسفة اليونانية بعد ترجمتها .
(٩) د : - صلى الله عليه وسلم .
(١٠) ج ، ز : له .
(١١) د : استبضعوه .
(١٢) د : وبعد الآن .
(١٣) كذا في جميع النسخ .
(١٤) ب ، ج ، ز : منجدة .
(١٥) د : أفراد .

أسداد ، سد ابن سود طريقها [١] ، وغاب ابن بيض [٢] عن تحقيقها ، ألا ترى أنهم لم يجتمعوا فيها على طاق ، ولا قامت لهم فيها دلالة على ساق ، فان تطلعوا إلى ذلك [٣] مدّعين ، فقل هاتوا (و ٦٥ ب) برهانكم إن كنتم صادقين . في كل فصل قدمناه لكم [٤] أصل في الرد عليهم ، يوضح تناقضهم ، فلا معنى للتكرار [٥] .

وأما قولهم : ان ما يأتي على أيديهم من الأفعال الغريبة لا يوثق به ، لوجودنا في الخواص أفعالاً غريبة ، فلا معنى له فإنا [٦] قد حققنا أن [٧] المعجزات لا بد أن تكون خارقة للعادة ، خرقاً يتجاوز الأوهام المتعلقة بالحيل والخواص ، مما يعلم أنها من أفعال العباد خاصة . أو لا نرى [٨] أن ابراء الأكمة ، واحياء الموتى لا ينال بحيلة ، ولا يعد في خاصة ؟ وما عرف الباري إلا بأفعاله ، التي لا يقدر عليها سواه ، فما عرف به المرسل به ، يعرف الرسول ، وهذه نكتة بديعة ، لم أزحم عليها فأفهموها واعتبروها تلفوها [٩] كذلك .

وهؤلاء [١٠] أرباب الخواص قد جمعوها من وجوهها ، وإنما هي أفعال مخصوصة ، بوجوه مخصوصة [١١] . فان قيل فقد رويتم أن في الأرض ماء ، إذا

---

(١) ج : وطريقها .
(٢) د : أبيض .
(٣) د : تطلعوا لذلك .
(٤) ب : – لكم .
(٥) د : لتكراره . ز : في الهامش : في نسخة لتكراره .
(٦) ج : فانما .
(٧) ب ، ج ، ز : – أن .
(٨) د : ترى .
(٩) ب ، ج ، ز : تلقوها .
(١٠) ز : كتب على الهامش : عله : وهو أن ليس أرباب .
(١١) د : محصورة .

جعل على الميت حيي، فان قلتم : هذا صحيح ، فان كان أدركه عيسى فهي معجزة ، فان ذلك لا يدرك إلا بتجربة جميع مياه الأرض ، ولعل ذلك كان مخصوصا بوقت ومحل . وأيضاً فان خاصة ذلك [١] العين احياء الموتى وابراء الأكمة ، وصحة الأبرص ، والأجذم ، من أين يكون [٢] ، والخواص لا تشترك أفعالها ؟ هذا ونحن لا نجعل للخاصية [٣] طبيعة في المحل ، ولا صفة تقوم به ، ولا قوة فيه . وانما نقول : ان الباري تعالى يخلق عند اقتران بعض المحال ببعض [٤] ، وبعض الأمور ببعض [٥] ، ما شاء من الأفعال المعتادة أو الغريبة .

هذا وقد اتفق العقلاء على أن الخواص مما لا يدرك بالتجربة ، وانما تنال [٦] بالعلم الالهي . وقد يرى الطبيب دواء [٧] يفعل فعلاً لا يناسبه في الذي أدرك من طبيعته ، فيقول : يفعل كذا بطبعه ، وكذا بخاصية فيه ، فيسمى [٨] خاصية ما لم يطرد له ، على [٩] قياس طبعه [١٠] . وليس هذا المقدار مما لا (و ٦٦ أ) يدخل في [١١] الآيات .

---

(١) كذا في جميع النسخ .
(٢) د : تكون .
(٣) د : الخاصة .
(٤) د : لبعض .
(٥) د : لبعض .
(٦) ب : ينال .
(٧) ب ، ج ، ز : – دواء .
(٨) ب : فسمى .
(٩) ج : – على .
(١٠) ج ، ز : طبيعة .
(١١) ج ، ز : تحت . وكتب على هامش (ز) : في . وعلى هامش (ب) : تحت .

وهبكم قلنا : انــه خاصية[1] ، فهـذا[2] أمـر خـفي انفرد الله تعالى[3] بــه[4] لعلمه[5] ، بأن خلقه فيه ، وأنزله من داره التي أعده فيها لأوليائه ، وقد يجوز أن تكون[6] آية النبي[7] اظهار[8] علم الله الخفي[9] على يد النبي ، فتكون[10] آيــة ، ولو كان نظيره خاصية .

وأما قولهم : يحتمل أن يكون ذلك حيلة ، فلا بد من خروجه من مرتبة الحيل حتى يصير في حد يفوت طوق[11] البشر ، وعقلهم ، فيخرج بذلك عن حد النظر ، وأما السحر ، فسل به خبيراً يعلمه يقيناً ورآه عياناً ، ورأى البلاء[12] به . والفتنة فيه ، ويدري قصوره عن المعجزات بدرجة أعظم مما بين الأرض والسموات ، [ويعلم بطلانه في نفسه شرعاً ، وابطاله عملاً ، كما يعلم بطلان الكفر ، في نفسه شرعاً ، وابطاله حجة[13]] .

وقد تبين أنه عند المبطلين أقسام[14] ، أعلاه التعلق بالكلام ، وأدناه الحركات

---

(١) د : خاصة .

(٢) ب ، ج ، ز : فهو : وكتب على هامش (ب ، ز) : فهذا .

(٣) د : – تعالى .

(٤) د : – به .

(٥) د : بعلمه .

(٦) ب ، ج ، ز : يكون .

(٧) ب ، ج ، ز : للنبي .

(٨) ج : واظهار .

(٩) ج : الحقيقي .

(١٠) ج ، ز : فيكون .

(١١) ج : طرق .

(١٢) ج ، ز : البلايا .

(١٣) د : سقط ما بين القوسين .

(١٤) ز : – أقسام . وكتب ذلك في الهامش .

في الأرض . بعضها على بعض في وجه . وبطريق ، على إدارتها [١] في السماء فيحدث من ذلك [٢] فعل غريب . وله بعد ذلك مراتب أحدها النفث في العقد بكلام لا يتحصل . وضع الله جميع ذلك في الأرض فتنة . كما أخبر ، وهو الصادق الحكيم [٣] .

وأي ذلك [٤] كان . فان العصمة منه على الخاطر الفاسد . أو الألد المعاند . من ثلاثة أوجه [٥] :

الأول : أنه لا بد من ارتفاع المعجزة عن حد ينال بما قلتم .

الثاني : أن السحر يختص بحال دون حال . وبشخص دون شخص . وبزمان دون زمان . والمعجزة عامة .

الثالث : ان الساحر وان رد الجيش . وخذل الجم الغفير ، فليس هذا بغريب . فكم من جيش تفرق بصيحة . وكم كتيبة تبددت بكذبة . وذلك لأن القلوب القلقة يؤثر فيها أدنى سبب . والقلوب الثابتة لا تزعزعها الجبال . فأما سحر يهزم يوم بدر قوماً لهم العدة والكراع والشبع والظهر . بقوم ليس لهم منعة إلا العري والجوع [٦] والرجلة [٧] والعزلة . لا شكة [٨] ولا شوكة ، ويجفل [٩]

---

(١) ب ، ج ، ز : على نحو ارادتها .
(٢) ب ، ج ، ز : ذلك من .
(٣) د : الحليم .
(٤) د : قدر .
(٥) د : بياض مكان (من ثلاثة أوجه) .
(٦) ب ، ج ، ز : – الجوع .
(٧) ب ، ج ، ز : الرحلة .
(٨) الشكلة بكسر الشين المعجمة : السلاح .
(٩) ب ، ج : يجعل .

العدد الكثير يوم الخندق ، ويغلب المعاندين ، ويقتل المستهزئين[1] ، ويفني الحاسدين (و ٦٦ ب) ، ويصرف جميع[2] قلوب الخلق ، ويعم الأقطار ، ويدوخ الأرض ، ويهدم الممالك ، فهو الذي يعتمد عليه ، ويستند في الحق إليه .

وأما قولهم : ان فيه اشكالات عظيمة من معرفة حقيقة النبوة . فليس عندكم شيء أبين منه ، ولا أقرب منالاً[3] ، فان الانسان من حين يولد ، إلى أن ينتهي إلى حد العقل الثاني للتمييز في المرتبة ، انما يتدرج[4] عندهم في مدارج النبوة ، والعقل التمييزي ، بالمجاورة[5] ، هو الدرجة[6] الخامسة أو[7] السادسة ، فأما أن يتمادى فيطلع إليها ، وأما أن يقع عنها ، وأما أن يقف حيث وقف به العقل . ولا بد من الترقي عندهم من[8] مرتبة هذا العقل ، وعندنا ، فأما عندهم فقوة نفسية ، ونور يسمونه الهيا ، وليس بالالهي في الحقيقة ، إذ ليس لهذا الاسم عندهم معنى يتحقق فيدرك بها جميع العلوم ، وتكون هذه الخاصية يعبر بها عن النبوة ، مدركاً لكل خاصة وعامة حتى يجعله بعضهم [وصولاً إلى الله ويجعله[9]] بعضهم اتصالاً ،

---

(١) ج ، ز : المستهترين .

(٢) ج : – جميع . وكتب ذلك على الهامش .

(٣) د : مثالا . ز : كتب على الهامش : قلت وللقرافي في كتاب الفروق تقرير مثل هذا أو نحوه فرضي الله عن علماء الأمة أجمعين في مناضلتهم وذبهم عن هذا الدين القويم المتين .

(٤) ج ، د ، ز : يندرج .

(٥) ز : المحاورة .

(٦) ج ، ز : للدرجة .

(٧) ج ، ز : – أ

(٨) د : عن .

(٩) ج ، ز : سقط ما بين القوسين .

حتى يقولوا : انه جزء من الله أو كالجزء[1]، ولقد سمعت بعضهم يقول : انه لنصف[2] الله ، وبعضهم يجعله حلولاً من الله فيه ، وبعضهم يفر[3] عن لفظ الجزء ، والبعضية إذ لا تنقسم عندهم تلك الذات ، فيعبر[4] عنه بالاتحاد .

وقد ظهر فساد هذا كله للعقلاء ، بما أغنى عن التعب فيه ، وتكلمنا نحن عليه في موضعه[5] مع[6] دناءته[7] ، وهم يشكلون بها ، ويشككون فيها ، أو[8] يخلطون ويغلطون[9] ، أو و[10] هو الحق يقولون على الله ما لا يعلمون ، وأما عندنا فأوضح مدلول عليه ، وأحق حق يقصد إليه[11] .

وأما ما ذكروه من كثرة الاعتراضات عليه ، وازدحام الشبه فيه ، فالمشرب العذب كثير الزحام ، ولولا تخليطكم ما نبس[12] أحد بما قلتم ، ولا رضي أن يتفوه (و ٦٧ أ) بما[13] تفوهتم ، وما[14] اعترض أحد قط على الرسل ، ممن كفر

---

(١) ج : – أ .
(٢) ب ، ج ، ز : نصف .
(٣) ب : ينفر .
(٤) ج : تكرر : فيعبر .
(٥) ب : موضع . ج ، ز : موضع له .
(٦) ب ، ج ، ز : – مع . وكتب في هامش (ب ، ز) : مع
(٧) ب : به دعا أنه . وكتب على الهامش : دناءته . ز : دناءاته . وكتب على الهامش : دناءته .
(٨) ب : – أ .
(٩) ب ، ج ، ز : يقنطون .
(١٠) ب : أومر .
(١١) ز : كتب على الهامش : عله : أو وأحق حق بفضل الله .
(١٢) ج ، ز : نبش .
(١٣) ج ، ز : ما .
(١٤) د : فما .

وعاند بما قلتم ، وانما قالوا : هذا سحر ، ولا تقبل منك معاندة ، أو لا نفهم ما تقول ، أو[1] لو شاء ربك لأرسل غيرك .

وأما حقيقة النبوة فليست من بابتكم[2] ، ولا يقف الأمر هناك معكم ، وهي مذكورة في موضعها لأهلها ، واختصار معناه أنها عبارة عن قول الله لنبيه : أنت رسول[3] إلى عبادي فبلغهم[4] كذا عني . وأما قولهم : ان الله لا يبعث رسولاً ، فهذا كلام لا يقوله فلسفي ، فانه عندهم[5] انما يكون ذلك من قبل نفسه ، وانما يعترض[6] بهذا القدرية ، الذين حشدوا الاعتراضات من أي قبيل كانت ، ولم يبالوا أن يقولوا ما خطر لهم من تخليط ، قصد التشغيب ، وعلى أنه ليس من الباب[7] ، فنقول[8] فيه[9] : بم علمتم استحالته ؟ أضرورة أو نظراً ؟ وتدار عليهم الأقسام المعروفة ، وهذا[10] ينبني[11] على ركن التعديل والتجوير ، فان عندنا أن للبارئ أن يكلف ويأمر بواسطة هي الرسل ، وبغير واسطة .

وأما إثبات كلام الله تعالى ، فهذا سؤال القدرية خاصة ، ليس للفلاسفة

---

(١) ب : – أ .
(٢) ب : بابكم . ج ، ز : باتيكم . وكتب على هامش (ز) :عله : بابكم .أما معنى البابة فهو الغاية ويطلق على سطور الكتاب أيضاً .(القاموس المحيط) .
(٣) د : رسولي .
(٤) ج : فبلغكم .
(٥) ج : عنده .
(٦) د : تعترض .
(٧) ب : الباري .
(٨) ج ، ز : فيقولون .
(٩) ج ، ز : لهم .
(١٠) ج : وهل .
(١١) د : يبنى .

أيضاً[1] فيه مدخل ، ولا خلاف أنه عندنا وعندهم متكلم ، وان اختلفنا[2] في تفصيل وصفه بذلك . ونكتته العقلية فيه أن من نظر إلى الخلق ، علم جواز انسلاكهم تحت أمر مطاع ، ونهي متبع ، وذلك يستند إلى آمر وناه ، وهو الخالق سبحانه ، لأن ذلك[3] ، لا يجوز لغيره ، وأما تعيين ما يأتي به فانه معلوم أنه [4] بعث ليرشد إلى الأفعال المنجية من أهوال الآخرة التي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها ، ولا يتمكن من تحصيلها ، وذلك يرجع إلى تفاصيل عاجلة في الدنيا ، وأحكام آجلة في الآخرة ، وذلك مما لا[5] يستقل[6] بــه الخاطر الذي يدّعونه[7] . وأما قولهم : ان القوم يأتون بما [8] لا يعقل فهذه جهالة قد تكلم العلماء عليها (و ٦٧ ب) ، وانما [9] أحاكمكم فيها إلى رؤسائهم وأحبارهم وفلاسفتهم على الحالين ، فانهم قد أجمعوا على أن معنى من معاني الأنبياء لا يتأتى شيء[10] منـه إلا على غاية الحكمة ، وفي نهاية المصلحة ، وان من أبدع ما يدرك بنور التطهير ما وصفت[11] الأنبياء من تنويع الصلاة إلى تلك الأفعال ، وتضعيف السجود على الركوع ، والانحطاط بواسطة الركوع إلى السجود ، ونصب[12] صلاة على نصف

---

(١) ب : -أيضاً .
(٢) د : اختلفا .
(٣) ب ، ج ، ز : - لأن ذلك .
(٤) د : - أنه .
(٥) ج : - لا .
(٦) ج : يستقل .
(٧) ج ، ز : تدعونه .
(٨) د : مما .
(٩) ب ، ج ، ز : أنا .
(١٠) ب ، ج ، ز : - شيء .
(١١) ب ، ج ، ز : ما وصف به من الأنبياء .
(١٢) ب ، ج ، ز : ونصف . وكتب على هامش (ب ، ز) : نصب .

صلاة ، وعلى أخرى ثلاثة أرباع ، وأنها في[1] تركيب[2] أدوية القلوب ، على ترتيب أدوية الأبدان ، على تناسب غريب ، وان قصد بقعة وخلع كسوة ، وكشف رأس ، وقذفا[3] بحجر ، كل ذلك على غاية الرياضة للنفس ، في[4] ترتيب التأدب ، واظهار المناحي[5] الرفيعة على الجوارح ، والاشارة بذلك كله إلى مقاصد في القلوب بديعة ، فلا تسمع[6] هذه الاعتراضات منكم لذلك[7] ، ولا من غيركم ، لأن العقول عندنا لا تحسين لها ولا تقبيح أصلاً ، ولا عند سواكم من مخالفينا اعتراض على ما تأتي به الرسل[8] من المعاني التي لا تهتدي العقول إلى تفصيلها ، وانما تتلقى[9] بالتسليم المحض لله سبحانه ، وكلنا نتلقاها بالانقياد الصرف . ثم نقول : ان قولهم هذا في وظائف العبادات من إدراك النسب في التقدير واظهار الحكم في التدبير فدعوى عريضة باردة . نعلم[10] أن[11] ذلك لا سبيل إليه ، ويأتون[12] ما بين[13] تمثيلهم لذلك[14] وبين تركيب الأدوية ، ويا

---

(١) ج ، د ، ز : – في .
(٢) ب : تركبت .
(٣) د : قذف .
(٤) ج : – في .
(٥) ج : المناجي .
(٦) د : نسمع . ز : كتب فوق « نسمع » : نائب فاعل تسمع .
(٧) ز : + أولا . وكتب على هامش (ب) زيادة : أولا .
(٨) ج ، ز : ما يأتي به الرسول .
(٩) ب : يتلقى .
(١٠) د : يعلم .
(١١) ج : – أن .
(١٢) د : يأبون .
(١٣) ج ، ز : – مابين . وكتب على هامش (ز) .
(١٤) ج ، ز : لتمثيلهم ذلك . وكتب على هامش (ز) : ما بين تمثيلهم لذلك . د : تمثيلكم .

بعد ما بين الحالين في المناسبة ، والا فكل لبيب إذا رجع إلى نفسه يجد من تركيب الأدوية ، نسباً[1] ذكرها أرباب الصناعة ، لا يقدر أن يردها إلى قانون أبداً . لولا التطويل والخروج إلى ما ليس من الباب ، لذكرت لكم منها جملة ، حتى يقال هذا الدواء يفعل مثل هذا (و ٦٨ أ) وان استويا في الوزن ، أو يفعل في مثل[2] هذا الموضع[3] كما[4] يفعل الآخر بخاصية[5] أي بما لا يعقل طريقه[6] ، ولا يعرف تعليله ، وكذلك لو فاوضتهم في قانون التشريح ، فاعترضت عليهم فيما يصورونه على طريقة التعليل ، بزعمهم ، بهتوا ، وانقطعوا .

ولقد قلت : ان القلب معلوم الشكل فلم كان على تلك الصفة ، واللون ، والمقدار ، والوضع ، والموضع[7] ؟ فهذه خمسة أسئلة[8] لم يعرف عليها جواب ينفع ، ولا فائدة لكم في ذكر الانفصال عن هذا الاعتراض ، لأنه خباط ، وإذا كان القلب[9] في صورته الجسمانية لا يدرك تأصيله ولا تفصيله ، فكيف بالقول في الصورة المعنوية وتعلقها[10] بالمعقولات ؟ فذلك أبعد لكم معشر المدعين ، فقفوا حيث وقف بكم الشرع ، ترشدوا .

---

(١) د : شيئاً .
(٢) د : – مثل .
(٣) ب : – الموصع . وكتب على الهامش .
(٤) ب ، ج ، ز : كلما .
(٥) ب : بخاصيته .
(٦) ب : تعقل طريقته .
(٧) ب ، ج ، ز : – والموضع . وكتب على هامش (ب ، ز) .
(٨) د : أسولة ، ج ، ز : أسيلة .
(٩) د : القول .
(١٠) ز : كتب على الهامش : تعلقنا .

ولقد نظرت في كتاب دقلطيانش [1] في سر الخلقة وصنعة الطبيعة [2] ، فرأيت من الخباط ما لا عين رأت ، ولا ، خطر على قلب مجنون ، وكأنه أراد أن يضمها إلى قانون بمضمار [3] العقل ، فأخرجها عن أسلوب العقل . وقبل وبعد ، فلم تنكرون في الخبر [4] ما تجدونه في النظر . وأما قولهم : لا فائدة فيها ، لأن أكثر الخلق لا يقبلها . فهو غباوة ، فان كون الحق حقاً في نفسه ، لا يؤثر فيه رد الخلق له ، ألا ترى أن كل ما تذكرون [5] من الحقائق مردود عند أكثر الخلائق ؟ أفتجعلون [6] ذلك حجة عليكم في ابطال مذهبكم ؟ فما ألزمتموه [7] يلزمكم . وأما قولهم : انه يمكن أن يكون باطلاً لما [8] يريده الله من اضلال الخلق عندكم . فهذا سؤال معتزلي ليس فيه للفلاسفة مدخل [9] ، وانما تتكلم به المعتزلة الذين لا يجوز عندهم أن يضل الله الخلق بفعل منه ولا بقصد ، والجواب عنه قد بيناه مراراً ، والذي تعولون عليه الآن أن تقولوا بأن الخبر أمننا [10] من ذلك ، بأن الله لا يضل الخلق عموماً ، ولا يضلهم على (و ٦٨ ب) أيدي الرسل ، وانما فائدة ارسالهم

---

(١) ب ، ج ، ز : فلطيانس .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون باسم : سرائر الخليقة ، وصنعة الطبيعة في الكيماء ، ولكن لم يذكر مؤلفه (كشف الظنون ج ٢ ص ٩٨٦) ، وينسب إلى أبولونيوس الطواني وهو من التراث الهرمسي وموسوعة في العلوم الطبيعية (هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، الترجمة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠١) .

(٣) د : مضمار .

(٤) ج ، ز : + على .

(٥) ب ، ج ، ز : يذكرون . ز : كتب على الهامش : عني الفلاسفة .

(٦) ب : أفيجعلون .

(٧) ب ، ج ، ز : التزموه .

(٨) ب ، ج ، ز : فيما . وكتب على هامش (ب ، ز) : لما .

(٩) د : للفلاسفة مدخل فيه .

(١٠) ج : — أمننا .

تمييز المهتدي من الضال ، حتى يهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة .

وأما قولهم : انها من العقليات أو من العادات ؟ . وهذا من الفصول التي عظمها الايمة [1] ، والأمر فيه قريب ، فان المعجزة [2] إذا جاءت على الشروط التي رتبناها في « المتوسط » [3] لا تخلو أن [4] تأتي خارقة للعادة ، خارجة عن مقدور البشر قطعاً ، فهذه دلالة بذاتها لنفسها لا تفتقر [5] إلى كونها مقارنة للتحدي ، موافقة للدعوى على الوجوه المذكورة ، وان كان مما يجري عادة ، فوجه الدلالة منها عدم المعارضة فيها ، كما لو قال : آيتي : أن لا يحرك اليوم أحد من الخلق يداً فسكنت [6] الأيدي ، غير متصرفة بحكم الارادة ، مع تعرض الارادة ، فهي تعلم قطعاً بصدقه [7] . وأما قولهم : ان المرء ضعيف . فعندكم أن أحداً لا يضعف عن هذا ، وعندنا الذي يضعف عن هذا بآفة توجب له ذلك غير مكلف به [8] ، وهذه الآفة [9] لا بد أن تكون في البدن أو في العقل فبهذين [10] يكون المرء ضعيفاً . وأما

---

(١) ب ، ج ، ز : الاله .
(٢) ج : المعجزات .
(٣) ج ، ز : التوسط . وهو كتاب للمؤلف عنوانه « المتوسط في الاعتقاد » .
(٤) ج ، ز : + تكون . وشطب عليها في (ز) .
(٥) ب : يفتقر .
(٦) ب : فسكن . د : فتكن . ويمكن أن تقرأ : فتسكن .
(٧) ب ، ج ، ز : فنحن نعلم قطعاً به صدقه . وكتب على هامش ز : « فتى » بدل «فنحن».
(٨) ج ، ز : والذي يضعف عن هذا بآفة توجب له ذلك عندنا غير مكلف به . د : والذي يضعف عندنا بآفة توجب له ذلك غير مكلف به .
(٩) ب ، ج ، ز : الآية . وكتب على هامش (ز) عله : الآفة .
(١٠) ب ، ج ، ز : فبهذا . وكتب على هامش (ز) : فبهذين .

قولهم : زاد النظر قليل[1] فليفسروا ماذا[2] يريدون[3] بـزاد النظر ، فانه مجاز ، يصلح للوعظ ، لا على طريق الدلالة ، وزاد النظر ، ان فسرناه نحن فهو عند الناس كثير كامل ، وذلك معرفة الطريق إلى المطلوب ومعرفة ترتيبه في التدريج به [4] ، و [5] الوصول إليه ، وحرزها [6] من زيادة ما ليس منها [7] ، أو نقصان ما هو منها ، وأنتم في « المنطق » بهذا تفخرون [8] ، وعليه تحومون ، وما اختل قط نظر الا من احدى هذه الطرق الثلاث ، أو [9] مجموعها ، أو اثنتين [10] منها . وأما قولهم : ان الشعوب[11] كثيرة . فلا ينبغي لهم أن يروا القذاة عندنا ، ويدعوها [12] في أعينهم جذعا ، فان شعوبكم في طريقكم أكثر ، ومطلوبكم أشكل ، وسفركم أطول ، ومطلوبكم (و ٦٩ أ) أعسر دركاً ، وهذا بين بالاختبار ، فافرضوا مسألة لأنفسكم حتى أريكم مثلها ، في مرتبتها على حالها ، وكنت أذكرها لكم ، لكن أكره تنبيههم ، والذي يتخذونه[13] دستوراً معهم[14] نكتة ، أبينها[15] لكم ، وهي[16]

---

(١) ب ، ج ، ز : قليلا .
(٢) ج : ما إذا .
(٣) ج ، ز : تريدون .
(٤) ب ، ج ، ز : + ومعرفة الأعمال الصالحة وفي التدريج به .
(٥) ج ، ز : — و .
(٦) ب ، ج ، ز : وحررها .
(٧) د : فيها .
(٨) ج : تعجزون .
(٩) ب : + من .
(١٠) د : اثنين .
(١١) ب ، ج ، ز : + فيه .
(١٢) د : يدعونها .
(١٣) ب : تتخذوه ، د : تجدونه ، ز : يتخذوه .
(١٤) يبدو أن ما بعد « نكتة » هو خبر « والذي » .
(١٥) د : اثبتها لكم .
(١٦) ب : وهو .

أنهم متى ذكروا مثالاً من مبادئ نظرهم ، فقابلهم بمثال من أوائل نظرك ، ومتى ذكروها من الثواني فاذكرها[1] كذلك من ثوانيك ، ومتى ذكروا غاية أو طويلا[2] كان ذلك جوابهم ، وأراحوك من كد النظر . وأما قولهم : ان العمر قصير فليس هذا بشيء من الدليل ، وانما هو وعظ ، والعمر وان قصر ، فالتكليف والابتلاء الذي ألزم الله العبد على قدره ، لا ينقص[3] عنه شيء منه ، وعليه أن يقوم بحق الأمر ما أرخى[4] له في الطول ، وفسح له في المهل ، وأنتم تقولون : لا دار إلا هذه ، فلو كانت له بأسرها ما كان مستوفياً أملاً ، ولا قاضياً حوجاء[5] .

وأمـا قولهم : ان الواصل قليل . فانه ينعكس عليهم[6] في الذي يدعون[7] أنه الحق ، ومطلوب ، فالواصل إليه أقل ، وهو عندكم معدوم . وأنتم تقولون : ان النبوة ممكن دركها لكل أحد ، والذي ينالها أقل من القليل . وأما[8] نحن فعندنا ممن[9] يصل إلى مطلوبه عدد رمل يبرين ومهى[10] فلسطين . وقولهم : كيف تقطع هذه العقاب الشاقة ، فينعكس عليهم ، وكذلك في قولهم : ان الآلات لقطعها ضعيفة مثله في الانعكاس ، وهذا تكرار منهم للقول ، قد بينا أنها قريبة قوية

---

(١) ج ، ز : فاذكره . د : فاذكروه .
(٢) كذا في جميع النسخ . وهو غير واضح المعنى .
(٣) ب : يغيض ، د ، ز : يفيض . وكتب على هامش (ز) عله : ينقص .
(٤) ج : أرضى .
(٥) ج : حاجة ، والحوجاء هي الحاجة يقال : مالي فيه حوجاء ولا لوجاء .
(٦) د : عليكم .
(٧) د : تدعون .
(٨) ب : إنما .
(٩) ج : فمن .
(١٠) ج : مهر .

فانما [1] العقل ، فان ادعوا آلة [2] فليذكروها . وقولهم : ان السفر طويل . بل قصير بلا خلاف فان مسافة السفر هي العمر [3] ، وما [4] أقله ! وليس [5] بعد ذهابه سفر عندنا ولا عندهم ، وانما هو مقر جنة [6] أو سقر . وأما قولهم : لقد أبعدتم النجعة في نيل الحكمة ، إلى آخر كلامهم المتقدم . فانه يقال لهم : ان الذي تقدم من كلامنا (و ٦٩ ب) في العقل والعلم يغني عن اعادته ولكنا نثني عليه طرف العنان [7] لما قد ذكروه من العنان [8] ، فنقول : ان وجه تغالطكم أو غلطكم أن الحكمة خفيت عليكم ، فزعمتم أنها قوة عقلية تتلقى [9] بها العلوم من الملأ الأعلى ، في كلام طويل ، يركبون عليه مقاصدهم [10] ، وليس للحكمة معنى إلا العلم ، ولا للعلم ، معنى إلا العقل ، إلا أن في الحكمة اشارة إلى ثمرة العلم ، وفائدته [11] ، ولفظ العلم مجرد عن دلالة على غير ذاته ، وثمرة العلم العمل بموجبه ، والتصرف بحكمه ، والجري على مقتضاه في جميع الأقوال والأفعال ، وبناء ع ق ل يقتضي أن تجرى الأفعال والأقوال على قانون ، ولا [12] يسترسل على الممكنات ، وكذلك

---

(١) ب ، ز : بابها ، ج : بابه .
(٢) ب : آية .
(٣) ب ، ج ، ز : + بلا خلاف .
(٤) ب ، ج ، ز : وأما .
(٥) ج ، ز : فليس .
(٦) د : الجنة .
(٧) أي سير اللجام .
(٨) أي المعارضة .
(٩) ب ، ج ، ز : يتلقى .
(١٠) د : تركبون عليه مقاصدكم .
(١١) ج : تكرر : وفائدته .
(١٢) ب : فلا .

بناء ح ك م مثله في اقتضاء ذلك ، وعلى هذين المعنيين يصرف[1] هذان اللفظان حيث وردا ، وإلى ذلك يرجع [2] ، قال الله تعالى[3] : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) (البقرة / ١٢٩) ، وقال : (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) (البقرة / ٢٦٩) والمعنيّ به في الأولى[4] علم الكتاب ، وفي الثانية العلم المطلق . وليس يمتنع في اللسان العربي أن يسمى العمل[5] بمقتضى العلم حكمة ، على معنى تسمية الشيء بثمرته ، وفائدته ، كما بيناه في أصول الفقه ، لا سيما وقد أعطاه لفظه ، ودل عليه وضعه[6] .

وإذا ثبت ذلك فليس يهب العلم نفسه ، ولا يكون ذلك إلا من قبل العالم الذي لا يوهب علماً ، ولا يتصور في جهته[7] طريق إلى تحصيل ما لم يكن قبل ، ولا بد للأشياء من مبادئ ، وتنتهي [8] إلى مبدأ لا [9] مبدأ قبله ، وهذا عكس النهاية ، فانه لا انقطاع لها ، والعلوم على الصفة التي بيناها [10] ، منها [11] ما يوجد من الواهب ابتداء ، ولا سبيل إلى تفصيلها ، ومنها ما يترتب على أسباب ، وترتيبها

---

(١) ب : تصرف ، ج ، ز : نصرف .
(٢) أي التصرف . ولقد حاول الشيخ ابن باديس أن يؤول ما في نسخته من « قال الله » فيرجعها إلى : « قول الله » ولكن ذلك لا يستقيم .
(٣) ب ، ج ، ز : سبحانه .
(٤) ب ، ج ، ز : الأول .
(٥) د : الفعل .
(٦) د : موضعه .
(٧) ج : جهة .
(٨) ب : ينتهي .
(٩) ج : ولا .
(١٠) ب ، ج ، ز : تتناهى .
(١١) ب ، ج ، ز : منه . وكتب على هامش (ز) : منها .

على أسبابها (و ٧٠ أ) ليس على كل وجه يتصور ويخطر ، وانما يجري ذلك على قانون مدرك بالتعليم ، ولا يعلِّم آخراً إلا واهب العلم [١] أولاً ، وإذا تأمل المنصف وضع [٢] الاعتقادات في النفس ، والأعمال في الجوارح ، وتركيب بعضها على بعض ، رأى أنه أمر لا يستقل به الآدمي ، فانه أمر [٣] موضوع في أصله على تدبير [٤] ، فالذي دبر الوضع الأول ، دبر الثاني ، وأنت إذا أضفت تدبيره إليه ، وأحلت به عليه ، مع علمك بأنه عارية فيه ، فلا بأس بذلك ، فقد أذنت [٥] فيه الشريعة ، وان أنت أعطيته الكل ، وحكمت له بأنه أدركه بذاته فقد جهلت نفسك ومن لا يعلم نفسه ، كيف يعلم غيره ؟

ومن كلام الناس الذي لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة ضالة المؤمن . يعني به العلم [٦] المكتسب ، ولما رأى الناس بعضهم يقترف ما يقرّ بضرره ويعترف [٧] ، قالوا : انه ليس بحكيم ، أي ليس بعالم لأن عمله [٨] بخلاف ما استقر في علمه ، دليل على [٩] الجهل ، بما ادعى أنه علمه . والى هذا المعنى عاد قوله صلى الله عليه وسلم [١٠] : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) [١١] حسبما

---

(١) ج : — العلم .

(٢) ب : كتب على الهامش : هذا في نسخة .

(٣) د : — أمر .

(٤) ز : كتب على الهامش : مبحث جليل في وضع الاعتقادات في النفس والأعمال في الجوارح وأنه لا يستقل به الآدمي .

(٥) ز : كتب على الهامش : يعني أن الشريعة نسبت الأفعال إلى الخلق .

(٦) ب ، ج ، ز : يعني بالعلم . وكتب على هامش (ب ، ز) : يعني به العلم .

(٧) ج : يعترف ما يقر بضرره ويقترف . ز : يقر : يقترف .

(٨) ب ، ج ، ز : علمه .

(٩) ب ، ج ، ز : — على .

(١٠) ب ، ج ، ز : — صلى الله عليه وسلم .

(١١) رواه الشيخان .

بيناه في شرح الحديث وغيره ، وأشرنا اليه آنفاً [1] ، وكيف يصح أن يكون عالماً بشيء ، يقتحم [2] خلافه ؟ كما لا يصح أن يضع [3] أحد رأس سيفه في الأرض [4] ، وذبابه بين ثدييه ، ويتحامل عليه ، وهو عالم بأنه هالك به [5] ، ولا أن يخرج عينه بيده ، ومن فعل ذلك ، فانما هو لذهاب عقله ، أو ليدفع بذلك ضرراً أشد منه ، فيكون في الأول [6] عاملا بغير علم ، وفي الثاني عاملاً بعلم ، وهذا المعنى إذا فهمته زده تقريراً [7] ، وركّب عليه ما تحتاج [8] في التفهيم [9] ، أو في النظر اليه .

وأما فضيلة [10] الشجاعة فحقيقتها [11] إنما هو ثبات [12] النفس عند حلول المصائب ، وذلك يرجع الى دوام العلم وحضوره ، فاذا كان المرء عالماً بالأمر ، وطرأ [13] عليه ما يذهله عما كان يعلمه صار (و ٧٠ ب) فعله غير محصل ، أو بعلم آخر طرأ عليه ، أو وهم لم يتعلق بالموهوم على ما ينبغي ، أو مشكل من المعنى

---

(١) ب ، ج ، ز : – آنفاً .
(٢) د : يفتح .
(٣) ج : يصنع .
(٤) ز : بالأرض .
(٥) ب ، ج ، ز : – به .
(٦) ب ، ج ، ز : الأولى .
(٧) ج ، ز : تقديرا . وكتب على الهامش : تقريرا .
(٨) ج ، ز : يحتاج .
(٩) د : التفهم .
(١٠) ب ، ج ، ز : قصية .
(١١) ب ، ج ، ز : فحقيقته .
(١٢) ج : نبات .
(١٣) ب ، ج ، ز : فطرا .

لم يتبصر وجه كشفه ، وأعجلته الحالة عن تحقيقه[1] ، فأما[2] إذا حضره[3] العلم فلا يبالي عما ينزل به ، من مصيبة ، أو يطرأ عليه من مشكل ، فانه يقابله بما عنده من الكشف والايضاح . وقد قالوا : ان الشجاعة فضيلة للقوة الغضبية ، وهذه حقيقة ، يريدون أن يركبوها على دعوى يدعونها ، وليس للغضب قوة ، ولا للحمية التي يزعمون أنها تنضاف اليها ، أو تتعاضد معها ، لا سيما على أصلهم في التوليد ، فانه أمر طبيعي ، فلم يركبون عليه ما يجري مجرى الخطبة[4] التي هي عندهم في غير طريق التحقيق والبرهان[5] ؟ وقالوا : ان التهور زيادة على اعتدال القوة الغضبية ، والجبن نقصان منها . وهذا كله كما يقول أهل بغداد : « بناء شاذوف[6] على قاذوف ليأتي منه لافوف » .

فليس لهذه[7] الأقوال كلها معنى الا نقصان العمل ، بما يطرأ من الآفات ، فيصدر العمل على[8] جهل ، فيقع بخلاف الطبق ، وخارجاً[9] عن الوفق .

وأما العفة فيعبرون على طريقتهم[10] عنها ، بأنها فضيلة في القوة الشهوانية[11] ،

---

(١) ب ، ج ، ز : تحققه .
(٢) ب ، ج ، ز : – فأما .
(٣) ب ، ج ، ز : فاذا أحضره .
(٤) ب ، ج ، ز : الحطة . وكتب على هامش (ز) . عله : اللحظة .
(٥) ب ، ج ، ز : – والبرهان .
(٦) ب : شادوف .
(٧) ج ، ز : لهذا .
(٨) د : عن . ز : في الهامش : في نسخة : عن .
(٩) ب ، ج ، ز : خارج .
(١٠) ب ، ج ، ز : طريقهم .
(١١) د : الشهوية .

وهو انقيادها للقوة العقلية ، وعدولها[1] عن زيادة الشره[2] ، وجعلوا لذلك أسباباً من الحساب في الطعام والشراب ، وحملوا تقليلها[3] على قلتها ، وتكثيرها[4] على كثرتها ، وبنوا على ذلك حكمهم وحكمهم فيها ، وليس الأمر كما زعموا ، لا سيما ورئيسهم الأعظم ـ كما قدمنا ـ يقول : ليس يوجد اعتدال بحال[5] . وإنما بناء « ع ف ف »[6] وبناء « ك ف ف » على بعض متناولات[7] بناء « ت ر ك » وذلك أن الترك[8] عبارة عن فعل ، وتحقيق الترك مما لم تعلمه[9] الفلاسفة ، ولا القدرية وإنما أدركه أهل السنة ، فتبين أن العفة ترك الأفعال القبيحة إذا علم قبحها (و ٧١ أ) وتحقق[10] مضرتها ، وهذه الألفاظ التي يستعملونها ، ليس لها عندهم أصل ، إذ لا قوة عندهم ، ولا قدرة ، وإنما هي طبيعة[11] غالبة ، ومعان مرتبة[12] ، دائرة ضرورة[13] لا[14] تتعلق[15] بايثار ، ولا تجري[16] على اختيار ، فيريدون أن

---

(١) د : عذولها .
(٢) ب : الشدة ، ز : الشرة .
(٣) د : بقليلها .
(٤) د : بكثيرها .
(٥) ج ، ز : – بحال . قارن (مقاصد الفلاسفة ص ٣٣٦) ويقصد بالرئيس هنا أرسطو .
(٦) ب ، د : – و .
(٧) ب : بنا فلا ر .
(٨) ز : كتب على الهامش : النزع .
(٩) ب ، ج ، ز : لا يعلمه .
(١٠) د : تحقيق .
(١١) ب : طبيعية .
(١٢) ب ، ج ، ز : مترتبة . وكتب على هامش ب : في (خ) زيادة : تجريبية . وكتب على هامش (ز) تجريبية بدل مترتبة .
(١٣) ب ، ج ، ز : ضرورية . وكتب على هامش (ز) ضرورة .
(١٤) ب ، ج ، ز : ولا .
(١٥) ب : يتعلق .
(١٦) ب : يجري .

يدمجوا لفظ [1] الطبيعة ، ويخرجوا لفظ القوة ، ليثبتوا [2] للجمادات قدرة ، وينفوا قدرة الفاعل الأول ، فيخلطوا ويخلطوا [3] ، وينظموا هوسهم في سلك الألفاظ العربية ، والنبوية ، تيمناً بها واسترسالاً للعامة عليها ، ويخترعوا لذلك أخباراً عن النبي صلى الله عليه وسلم [4] لا أصل لها ، تلوح بالاشارات الى أغراض يوهمون [5] أنها أمور غامضة [6] ، يقصر الخلق عنها ، فيشار الى الأفراد بها .

وأما العدل فهو عندهم عبارة عن اتساق قوى هذه الفضائل الثلاث في جهتي [7] الاباء [8] والانقياد ، على التناسب والسداد ، ويقال لهم : ليس [9] هناك قوة ولا قدرة ، والانتظام انما يكون على النظام الأسدّ الذي رتبه صاحب الشرع ، وأنتم لا تدرونه ، وحقيقة العَدل في اللغة أنه [10] مصدر ، وحقيقته في الحقيقة ، ما للفاعل أن يفعله ، فذلك هو العدالة ، وهو [11] العدل ، فلذلك كان الباري تعالى [12] بالحقيقة وحده العدل [13] ، لأنه له أن يفعل ما يشاء من تعذيب جميع

---

(١) ج ، ز : — لفظ . وكتب على هامشهما .
(٢) ب ، ج ، ز : ويثبتوا .
(٣) ج ، ز : — ويخلطوا .
(٤) د : — صلى الله عليه وسلم .
(٥) د : ويوهمون .
(٦) ب ، ج ، ز : عاصمة . وكتب على هامش (ز) عله : غامضة .
(٧) ب ، ج ، ز : جهة .
(٨) ج ، ز : الأنام .
(٩) ج : — ليس .
(١٠) ج ، د ، ز : — أنه . وكتب على هامش (ز) .
(١١) د : — هو .
(١٢) د : — تعالى .
(١٣) ج ، ز : + من أسمائه تعالى . في الهامش .

الخلق ، أو تنعيمهم ، فيكون في العـــدل أو الفضل أو[1] كليهمـــا[2] ســـواء[3] . والعدل منا هو الذي يفعل ما أمر به ، واذا تتبعت ألفاظهم التي استعاروها ، ليغروا[4] ويغروا بها في تعبيرهم عن مقاصدهم ، يخبطون[5] بها قلوب السخفاء القاصرين[6] لم تجد[7] فيها شيئاً يجري[8] على الاستقامة . فيرجـع[9] العـدل والعدالة الى العلم ارتباطاً ، لأنه اذا عمل بما علم كان عدلاً ، وقد بينا ذلك في غير موضع ، وهذه الاشارة ، تكفي في هذه العارضة .

علاقة :

أخبرني أبو القاسم بن المنفرج[10] بزقاق (و ٧١ ب) القناديل أنه سمع ابن رضوان[11] الفيلسوف يقول حين قرئت عليه صفة النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) ب ، ج ، ز : — أو .
(٢) د : كلاهما .
(٣) د : — سواء .
(٤) ب : ليعروا .
(٥) د : يخطئون .
(٦) ج ، ز : كتب على الهامش : العاجزين .
(٧) ز : كتب على الهامش : جواب إذا .
(٨) د : — يجري .
(٩) د : ويرجع .
(١٠) ج ، ز : المنفرخ . د : المنفوخ . وكتب على هامش (ج ، ز) : المنفوخ . هو من أهل القرن الخامس . ولم نعثر له على ترجمة .
(١١) علي بن رضوان بن علي بن جعفر أو الحسن رئيس الأطباء في مصر ليس له أهمية فلسفية فيما يرى القفطي واعتبره تغري بردى من كبار فلاسفة الإسلام . توفي سنة ١٠٦١/٤٥٣ (القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٤٤٣ ، النجوم الزاهرة لتغري بردى جـ ٥ ص ٦٩ ، طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٣٢٥) .

حديث هند ، وغيره : هذه الصفة لا تكون إلا لنبي ، ولا يحتاج معها في الدلالة إلى غيرها فان اعتدال الخلقة[1] يدل على اعتدال الخلق ، وانها جميلة[2] صدرت عن النور الساطع ، والحق الذي ليس عنده باطل ، وانه لم يلق في طريقه ظلمة ، ولا آفة[3] ، حتى خلص للوجود على نهاية الكمال في الصنع . وهذه نزعة[4] القوم ، فقد قال قبله ثمامة بن أشرس : ان النبوة لا تفتقر في دليلها إلى آيـة[5] خارقة للعادة ، ولا معجزة تبهر العباد ، وإنما يكون دليل صدقه اتساق كلامـه ، وعدالته في نفسه ، وجرى جميع[6] ما يأتي بـه فعلا ، أو يخبر به[7] قولاً ، على استقامة[8] ، مع أحكام ما يربطه من قانون ، ويبلغه إلى الخلق من توظيف ، وسلامته من التشبيج[9] والتناقض .

قال القاضي أبو بكر[10] رضي الله عنه : أما قول ابن رضوان فغير مرضي عند أحد ، ولا تكلم به قائل عندنا ولا عندهم ، لأن اعتدال البدن الجسماني لا يتعلق بالروحانيات عندهم ، وإنما يرتبط بها ، ويكون في منوال معها ، القلب ، وإنما أراد ابن رضوان أن يجعلها عندنا دفعة ، ونحن لا نقبلها منه ، ولا نحتاج[11] إليه فيه ، ولا معنى لها في دينه ، فصارت لغواً في حقه ، وأما قول

(١) ب : الخلق .
(٢) ب ، ج : جملة . د : جبلة .
(٣) ب ، ج ، ز : + ولا نقص .
(٤) د : نزغة .
(٥) د : آلة .
(٦) د : – جميع .
(٧) ز ، د : عنه .
(٨) ز ، د : الاستقامة .
(٩) ج ، د ، ز : التتبيح . ومعنى التتبيح اضطراب الكلام .
(١٠) د : قال أبي .
(١١) ج ، ز : لا نرتاح .

ثمامة ، فلا يساوي ثمامة[١] ، وقد بينا في كتب الأصول أن هذا الذي ذكره[٢] . هو شرط النبوة ، لا دليلها ، وإنما بنى[٣] كلامه البائس المخذول على مذهبهم . في أن النبوة مدركة بالاختيار ، وأنه الذي يضع من قبل نفسه القوانين فيرتب[٤] الأمور .

وهذا مما يعلم بطلانه قطعاً فان من نظر الى كلام محمد صلى الله (و ٧٢ أ) عليه وسلم ، وما أبان من المعاني ، وأوضح من المقاصد ، وأخبر عنه من الكوائن ، ونظم من الترتيب ، وقدر من التدبير ، ودخول جميع[٥] المعاني من جميع الخلق ، أفعالا وأقوالاً ، تحت ذلك النظام[٦] ، علم قطعاً أنه أمر يفوق طاقة[٧] البشر . وأنه لا يحصيه فيهم الا موجدهم ، ولا يرتبه لهم الا عالمهم وخالقهم . وهذه غاية في العصمة ، والحمدلله والمنة .

قاصمة[٨] :

ثم نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم أصحاب الاشارات ، جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها ، وأقروها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية ، وقعت الاشارة اليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا اليها بالفكر ،

---

(١) ج ، ز : + ابن أشرس .
(٢) د : ذكروه .
(٣) ب : يبقى . ج ، ز : يبنى .
(٤) د : ويرتب ، ز : كتب على الهامش : ويرتب .
(٥) ب ، ج : جمع .
(٦) ب : كتب على الهامش : هذا في نسخة .
(٧) ز ، د : طوق .
(٨) أول الجزء الثاني في نشرة ابن باديس .

واعتبروا منها في سبيل الذكر ، وزاحمتهم من الطوائف الأول زمرة ، لبست لبستهم ، وتكلمت كلمتهم ، ونحن نجمع بين الطائفتين في مكان ، لأنه أخصر في البيان ، وان اعترض غيرها لفقناه فيها ، وظاهر هذا القول أنهم قصدوا خيراً فأشادوا[1] علماً ، وربما تراقى الأمر بالتتبع له ، وادخال ما ليس فيه الى ما لا ينبغي منه ، ومتعلقهم في ذلك أن السلف ما زالوا يبطنون[2] مثل هذا المعنى ، ويجعلونه من باطن علم القرآن الذي قالوا فيه ان للقرآن ظاهراً وباطناً ، وحداً ومطلعاً حسبما قررناه في كتاب « قانون التأويل » . ولقد صحبت منهم كثيراً ، وفاوضتهم طويلاً ، وهم عصبة بتلك الديار ورؤوسها[3] في العلم ، وفاوضتهم ، وطلبت منهم ، وطالبتهم بالأدلة ، فتعلقوا بما قدمته من آثار السلف ، ومنهم من قال : هذا مقصود الشريعة من تأديب الخلق واصلاحهم ، بالتصريح تارة ، وبالاشارة أخرى ، فان القرآن نزل بلغة العرب ، وهذه سيرة العربية ، وما من كلام الا وهو في لسان العرب يحتمل وجوها ، ويدل على معان (و٧٢ ب) ، لا يدرك حقيقتها الا الكامل بنور العلم ، أو لا ترى ما ورد في الحديث الصحيح ، عن ابن عباس[4] أنه قال : كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف[5] ، فبينا أنا معه[6] في منزله بمنى وهو عند عمر[7] في آخر حجة حجها اذ رجع عبد الرحمن بن عوف فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لبايعت فلاناً ،

---

(١) ب : فأساءوا .

(٢) ج : يبصنون .

(٣) د : + ورؤساؤها . وكتب على هامش (ز) : ورؤساها .

(٤) عبد الله بن عباس توفي سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ .

(٥) عبد الرحمن بن عوف الزهري توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٣ .

(٦) ب ، ج ، ز : — معه .

(٧) عمر بن الخطاب توفي سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ .

فوالله ما كانت بيعة أبي بكر[1] الا فلتة فتمت ، فغضب عمر ، وقال : اني ان شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس ، وغوغاءهم ، وانهم هم الذين يغلبون على قولك[2] حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم[3] فتقول مقالة يطيروها[4] عنك كل مطير[5] ، وأن لا يعوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، فامهل حتى تقدم المدينة ، فانها دار الهجرة والسنة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً . فيعي أهل العلم مقالتك فيضعونها[6] مواضعها[7] .

قال القاضي أبو بكر[8] رضي الله عنه : فقد كان خوف سوء التأويل للقول ، وحمله على غير وجهه ، مخوفاً في الصدر الأول . قالوا :[9] ولم يكن لاشارة

(١) أبو بكر الصديق توفي سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ .
(٢) د : قربك . وكتب في هامش (ز) : قربك .
(٣) د : – وأنا أخشى أن تقوم .
(٤) د : يطيرها .
(٥) ب ، ج ، ز : – أن .
(٦) ب ، ج ، ز : فيضعوها .
(٧) أخرجه البخاري ومسلم ولفظه عند مسلم : ان مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .
(٨) د : قال أبي .
(٩) د : + لو .

القول وعبارته ، والتجاوز به الى كثير من معانيه ، الا حال النوم [1] ، وهو معدن ابصار [2] الحقائق ، وفيه يبدي الملك غامض علمه ، ويلقي الغيب على من يشاء [3] الله من عباده . وقال لي محققهم الأكبر : هذه أمثال الله في كتابه ، واشاراته [4] الى علومه ، وذكر أمثال [5] الأنوار للهدي والإيمان ، وكذلك أمثال النبات كقوله تعالى [6] : (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة) (ابراهيم / ٢٤) وذكر أمثال الماء والنار في سورة الرعد ، وما جرى على لسان النبي منها في حديث أبي موسى [7] وغيره ، وتشبيه العلم والايمان فيه بالغيث (و ٧٣ أ) ، والسامعين له بأنواع الأرض ، وأخذ القوم من ذلك أنموذجاً ، منه [8] قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها) (البقرة / ١١٤) وقالوا : ان الله نبه بذلك على أنه لا أظلم ممن خرب أركان الايمان بالشهوات ، وهي قلوب المؤمنين وعمرها بالمنى والشهوات ، وشحنها بمحبة الدنيا ، وفرغها [9] من محبة الله تعالى ، ثم قال : (ولله المشرق والمغرب) (البقرة / ١١٥) وأشار بذلك الى مشارق القلوب ، وهي نجوم العلوم التي تطوف وتسير في ظلمات المنى والشهوات ، وشموس المعارف فوقها ، فاذا طلعت

(١) ب ، ج ، ز : حوار اليوم . وكتب على هامش (ز) : إلى حال .
(٢) ب : أنصار . ج ، ز : أنصاب .
(٣) د : شاء .
(٤) ب ، ج ، ز : اشارته .
(٥) ز : في نسخة : مثال .
(٦) د : – تعالى .
(٧) عبد الله بن قيس توفي سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ .
(٨) ب ، ز : – منه . وفي الهامش : في نسخة : منه .
(٩) ج : فرعها .

بعد ذلك شموس المعارف ، خفيت النجوم الشارقة[1] قبلها ، وكل لله ومنه ، وبعضها أنور من بعض ، ومنه قول الخليل حين لاح له نجم العقل فعلم الحق فقال : (هذا ربي) (الأنعام / ٧٦) فلما زيد في ضيائه وطلع له قمر العلم فطالعه بالبيان قال (هذا ربي) (الأنعام / ٧٧) ثم أسفر الصبح ، ومتع[2] النهار ، وطلع شمس العرفان ، من برج مشرقها ، فلم يبق للطلب[3] مكان ، ولا للتجويز حكم ، ولا للتهمة قرار ، فقال : (إني بريء مما تشركون) (الأنعام / ٧٨) .

عاصمة :

فتلقفت جميع ذلك ووعيت ، وأنا الى أصل المأخذ ناظر ، وعلى أعطافه بالتفكر مائل[4] ، والذي[5] تحرر بعد تحرير الافتكار في سبيل النظر والاعتبار أن الصريح عام في الدين ، به جاء البرهان ، وعليه دار البيان ، فلا يجوز أن يعدل بلفظ عن صريح معناه الى سواه ، فان ذلك تعطيل[6] للبيان ، وقلب له الى الاشكال[7] ، فاذا تقرر الصريح في نصابه ، فالاشارة بعد ذلك الى الأمثال والأشباه ، والتنبيه[8] لوجه التشبيه[9] ، أصل عظيم في العقل ، وباب متسع في الدين ، وسبيل واضحة[10] في الشريعة ، فان كانت في الأحكام فهو باب القياس ،

---

(١) ج ، ز : اشارقة .
(٢) ب : منع . ج ، ز : طلع . ومعنى متع النهار : ارتفع قبل الزوال (القاموس المحيط) .
(٣) ب : للطالب .
(٤) ب ، ج ، ز : قابل .
(٥) د : فالذي .
(٦) ج : تفصيل .
(٧) ز : كتب على الهامش : قف وتأمل في جواب هذا العلامة ، فلله دره ما أدق فهمه . وما أعلمه وأقدره على الحجاج ، في أنه لا يجوز أن يعدل بلفظ صريح معناه إلى ما سواه .
(٨) ج : التشبيه . د : التنبه .
(٩) د : التنبيه .
(١٠) د : واضح .

وان كانت في التذكير والوعظ ، فالعبرة مباحة ، وان كانت في التوحيد ولم يذكر في معرض المثل ، فهي على حقيقتها (و ٧٣ ب) لاحظ فيها لغير [١] التنبيه بقدرة على قدرة ، وبتقديس [٢] على تقديس [٣] وان [٤] ورد على طريق المثل ، فقد مهدت قاعدته ، ومضى على محتملاته ، قال الله تعالى : (وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون) (الزمر / ٢٩) فتولى هو ضرب المثل لنفسه ، ونهانا نحن أن نضرب له من قبل أنفسنا ، فقال : (فلا تضربوا لله الأمثال ، ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) (النحل / ٧٤) وان نبهت [٥] في المواعظ والتذكير ، فذلك مع اجتناب الغلو ، وتوقي الافراط ، حتى يعود ذلك بزيادات لا تلزم ، أو [٦] ينقلب الحال [٧] ، فيجعل المذكور تبعاً ، والمنبه عليه أصلاً ، والمشار اليه مقصداً [٨] ، وأنا أضرب لكم في ذلك ثلاثة أمثال :

المثال [٩] الأول : الآية المتقدمة : (ضرب الله مثلا رجلاً) قيل [١٠] هو الكافر ، وقيل هو الصنم ، وقيل هو العاصي ، وقيل هو المقبل [١١] على الدنيا . (فيه شركاء)

---

(١) ج : بغير .

(٢) ب ، ز : تقدس . وكتب على هامش (ز) وتقديس .

(٣) ب ، ز : تقدس .

(٤) ب ، ج ، ز : فان .

(٥) ب ، ج ، ز : شبهت . وكتب على هامش (ب ، ز) تنبهت .

(٦) ب : — أ .

(٧) ب ، ج ، ز : المحال .

(٨) د : مقصوداً . وكتب على هامش (ب ، ز) : مقصوداً .

(٩) ج ، ز : المثل .

(١٠) د : — قيل .

(١١) د : كافر ، صنم ، عاص ، مقبل .

قيل الآلهة [1] ، وقيل الشياطين . و (متشاكسون) : مختلفون [2] . و (رجلا) : قيل المؤمن ، وقيل المطيع ، وقيل المقبل [3] على الله دون الدنيا [4] ، وقوله [5] : (سلماً [6] لرجل) : لله بالايمان [7] لله بالطاعة ، بالاعراض عن غيره ، (هل يستويان مثلا) فالرجل الأول ضربه الله [8] مثلا للكافر ، في قول ، وللصنم في آخر ، وللعاصي [9] في ثالث ، وبالاشارة [10] الى مقبل على الدنيا في رابع ، وقوله : (فيه شركاء) قيل الآلهة تدعيه ، وقيل الشياطين ، وقوله : (ورجلا سلما لرجل) : قيل هو مثل للمؤمن ، وقيل للمطيع [11] ، وقيل في الاشارة للمقبل [12] على الله ، للمعرض عن الدنيا ، ولا اشكال في أن المثل مضروب للمؤمن والكافر [13] ، فهو الأصل الذي بعث لأجله [14] النبي صلى الله عليه وسلم [15] ، والداء العضال ، والطاعة والمعصية منه ، والاقبال على الله والاعراض عن الدنيا ، وان كان معنى صحيحاً ،

---

(١) ج : الالاهية . د : – قيل .

(٢) د : – مختلفون .

(٣) د : المؤمن ، المطيع ، المقبل .

(٤) ب ، ج ، ز : – دون الدنيا .

(٥) ج ، د : – وقوله .

(٦) د : سالما .

(٧) ب ، ج ، ز : – لله بالإيمان .

(٨) ب ، ج ، ز : – الله .

(٩) ب ، ج ، ز : العاصي .

(١٠) ب ، ج ، ز : الاشارة .

(١١) ب ، ج ، ز : المطيع .

(١٢) ب ، ج ، ز : المقبل .

(١٣) د : للمؤمنين والكفار .

(١٤) د : لأصله .

(١٥) د : – صلى الله عليه وسلم .

فانا لا نقطع [1] على أن الآية سيقت له ، ولا ينبغي أن يكون مراداً بها ، ولكننا نقول : ان الأدلة المنصوصة من القرآن ، والسنة ، قد جاءت فيه ، فلا نفتقر الى [2] أن نقول : من ها هنا (و ٦٤ أ) نأخذه ، فانه لا خلاف بين الأمة في أن المسألة اذا وجد جوابها ، وظهر حكمها صريحاً في دليل ، لا يطلب بالتضمين [3] من غيره .

المثال الثاني : قالوا ان : قوله تعالى : (فاخلع نعليك) (طه / ١٢) الاشارة فيه الى خلع الدنيا والآخرة من قلبه [4] ، وقيل تنق [5] من [6] نوعي أفعالك . وقالوا : في قوله : (ألق عصاك) (النمل / ١٠) أي [7] لا يكون لك معتمد ، ومستند [8] غيري .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه [9] : هذه اشارة بعيدة أو قل معدومة ، فانها الى غير مشار [10] ، و [11] ما أمر بطرح النعل الا لأحد وجهين : اما لأنهما كانا من جلد غير [12] مذكى كما روي عن ابن مسعود [13] ، أو لئلا يطأ الأرض المقدسة

---

(١) د : فانه لا يقطع .
(٢) د : – إلى .
(٣) د : بالتضمن .
(٤) ب : قبله .
(٥) د : تنز .
(٦) ب ، د ، ز : عن . وكتب على هامش (د ، ز) من .
(٧) د : أن .
(٨) د : معتمداً ومستنداً .
(٩) د : قال أبي .
(١٠) ج ، ز : منشأ .
(١١) ب ، د : – و .
(١٢) ب ، ج ، ز : من غير جلد .
(١٣) عبد الله بن مسعود الهذلي توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٣ .

بنعل تكرمة لها ، كما لا يدخل الكعبة بها ، وقال الطبري [1] : لو صح حديث ابن مسعود ، لقلت به ولكن أمر بذلك كرامة ، قال القاضي أبو بكر [2] رضي الله عنه : ولو كانا [3] من جلد حمار ميت ، لم يكن في ذلك درك ، لأن الشرع بعد لم يكن قد بلغه ، وقد قيل في شرعنا يجوز الانتفاع بجلد الميتة قبل الدباغ ، فأما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ [4] ضرورة ، ألا ترى أن النبي [5] اذا سمع كلام جبريل عليهما السلام [6] معه في الوحي لا يبقى له فراغ لغيره ، فكيف مع سماع كلام الله ؟ فهذا معلوم ، و [7] لا يحتاج اليه بعبارة ، ولا باشارة ، وهي حكمة شاذة واشارة الى برودات ، أو الى [8] تعطيل بحسب المقاصد . وأما القاء العصا فقد بيّن الله تعالى [9] الفائدة فيه ، ومن يعتمد على عصا من طول القيام يقال له : انه على غير الله يعتمد ؟ هذه خرافة ، فدع عنك نهباً صيح في حجراته ، وعول على كتاب الله ومعلوماته .

المثال الثالث : قال أصحاب الاشارة : قول النبي صلى الله عليه وسلم [10] : (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة [11]) فبين النبي أن الملائكة تتنزه عن

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المؤرخ المفسر المجتهد توفي سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ .
(٢) د : قال أبي .
(٣) ب ، ج ، ز : كانتا .
(٤) د : تفرغ .
(٥) د ، ز : + صلى الله عليه وسلم . د : + كان .
(٦) ز : - عليهما السلام .
(٧) د : - و .
(٨) ب ، ج ، ز : - إلى .
(٩) د : - تعالى .
(١٠) د : عليه السلام .
(١١) أخرجه الترمذي في صحيحه بشرح أبي بكر ج ١٠ ص ٢٤٧ .

دخول[1] بيت فيه كلب من الحيوان ، أو صورة (و ٧٤ ب) من التماثيل ، وهذا حث على ابعادها ، وحض على تفريغ البيوت منها ، لتتمكن الملائكة من الدخول إلى البيوت ، لما أمرت به فيه من احصاء أعمال أ[2] و احتياط على بدن ، أو مال ، أو بركة تنزلها على ذي المنزل ، أو رسالة تؤديها إليه ، إذا كان لها صاحبا ، وذلك ، مخصوص بالرسل ، ومنهم[3] جاء أصل الحديث ، وبعد تقرير هذا فهو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد ، والغضب ، والبخل ، والخديعة ، والمكر ، وسائر الصفات الذميمة فانها تمنع من الاعمال الصالحة[4] بالتنفير[5] لها ، والاقصاء[6] لأسبابها . ما تفعله الكلاب في منازلها ، والقلوب منزل للملائكة ، ومعدن الإيمان ، ومحل التقوى ، وهي بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وذلك عبارة عن الملائكة المدبرة لها . وإذا طهرت المنازل الحسية ، عن أجسام الكلاب الحسية[7] فتنزيه القلوب عن صفات المكروه أولى ، فنقرّ[8] الحديث على ظاهره ونعبر[9] منه على طريق الاعتبار ، إلى هذا المعنى المشار إليه فنلحقه به ، ونكون عاملين بالوجهين ، موفين حق اللفظ في المعنيين . وهذا حكم الاعتبار والالحاق .

قال القاضي أبو بكر[10] رضي الله عنه : هذه قدحة خاطر ، ولمحة ناظر ،

---

(١) ب ، ج ، ز : – دخول .
(٢) ب ، ج ، ز : – أ .
(٣) د : فيهم .
(٤) د : الصالحات .
(٥) ج : بالتغيير .
(٦) ب ، ج ، ز : الافضاء .
(٧) ب : – على أجسام الكلاب الحسية .
(٨) ج ، د ، ز : فيقر .
(٩) ج ، ز : يعبر .
(١٠) د : قال أبي .

لا يحتاج إليها ، وأصلها إنما[1] هو من القوم الذين قدّمنا شأنهم في تعطيل الشرائع ، وان كل ما جاء منها وجرى في ألفاظها ، ليس على ظاهره وإنما هو كله مبني على التعبير[2] عن باطن سواه ، وغرض آخر غيره ، على معنى الكناية والرموز ، فأراد هذا القائل أن يتوسط ، فذكر[3] ذلك على هذا الوجه ، وهو معنى فاسد من وجهين ، أحدهما أنه يكاد يقطع بأن هذا لم يكن مقصوداً للنبي عليه السلام[4] . الثاني أنا[5] قد وجدنا التصريح بتطهير القلوب ، عن هذه الصفات الذميمة كلها (و ٧٥ أ) منصوصاً عليه ، فما الذي يحوجنا إلى[6] أن نأخذه على بعد من لفظ آخر بمعنى من[7] الاعتبار يبعد أو يقرب . هذا من الفن الذي لا يحتاج إليه ، وإنما هو[8] احتكاك بتلك الأغراض الفلسفية ، وهي عن منهج[9] الشريعة قصية ، كادت بها الدين طائفة خبيثة ، وقولهم : ان السلف كانوا ينبطون[10] مثل هذا المعنى فغير مسلم ، إنما[11] كانوا يستدلون بالتنبيه العرفي[12] ، أو الذي يقتضيه اللفظ من جهة اللسان . فأما الاعتبار بالمعنى الباطن الذي يجري

---

(١) د : — إنما .
(٢) ج : التغيير .
(٣) ج : بذكر .
(٤) ب : — عليه السلام ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٥) د : انه .
(٦) ج ، ز : — إلى .
(٧) ج ، ز : — من .
(٨) ج : — هو .
(٩) ب : نهج .
(١٠) ب ، ج ، ز : يبطنون . ومعنى نبط : استخرج ، ومنه استنبط .
(١١) ج ، ز : أن .
(١٢) د : العربي .

مجرى الرموز ، فلم تفعله[1] قـط ، ولا يوجـد[2] في أغراضها مـن طريق[3] صحيحة . وأما قولهم : ان هذا هو المقصود في الشريعة من التأديب والاصلاح ، فكلاّ ، إنما أدبت ، وأصلحت الخلق ، بما أذنت[4] بـه ، وصرحت ، وما اقتضاه لسان المخاطبين . وأما حديث عمر رضي الله عنه[5] فأصل صحيح ، فان الناس ما زالوا قديماً وحديثاً بأغراضهم الفاسدة ، يقلبون القرآن ، ويبدلون ما سمعوا من النبي عليه السلام[6] كما قال عنهم : (يحرفونه من بعد ما عقلوه) (البقرة / ٧٥) وكانوا يقولون للنبي عليه السلام[7] : (راعنا) (البقرة / ١٠٤) وأنتم ممن يبدل كلام الله[8] ، ولا تتأولونه[9] كما يجب ، وتضعونه في غير موضعه . وأما أمثال الهدى والأنوار ، والشجر ، والماء ، والنار ، فأمثال معقولة ، ضربها الله ، ففهمها[10] من خوطب بها عنه ، وقد أوضحناها[11] في « أنوار الفجر » وفي « قانون التأويل » بنهاية البيان .

وأما الذي ذكروه[12] من الآية التي في قوله : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) (البقرة / ١١٤) فقد تقدم الجواب عن[13] مثله ، فان المراد به المساجد ذوات

---

(١) ج ، ز : يفعله .
(٢) ب ، ج ، ز : يوخذ .
(٣) د : طرق .
(٤) ب ، ج ، ز : أدبت .
(٥) د : – رضي الله عنه .
(٦) ب ، ج ، ز : – عليه السلام .
(٧) ب ، ج ، ز : – عليه السلام .
(٨) د : + عز وجل .
(٩) ج : تتناولونه .
(١٠) ب : فقهها .
(١١) د : أوضحنا هذا .
(١٢) د : ذكره .
(١٣) ب : عنه .

الساحات المتخذة للصلوات ، وقلوب المؤمنين معروف حالها ، مبينة بأكثر من هذا البيان ، في مواضعها ، ولا يحتاج[1] إلى ذلك فيها ، ولا يدل ذلك اللفظ عليها ، وكذلك القول في آية المشرق والمغرب هو نص (و ٧٥ ب) في الجهات ، وما تتردد[2] عليه أحوال القلوب ، ويجري في خواطر الصدور ، معلوم بدليله ، منصوص في كثير من آي توحيد القرآن كقوله : (انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك / ١٤) فأخبر[3] أنه كله من خلق الله ، وأنه به عالم ، فهو لله خلق ، وقد يكون له تصديقاً ، وقد يكون به تكذيباً ، وقد يكون له محموداً ، وقد يكون منه مذموماً ، وهذا كله له خلق[4] ، وقضاء وقدر ، وقد دللنا عليه في موضعه ، وأفسدنا قول اخوانهم[5] القدرية ، الذين اتفقوا معهم على هذه البلية[6] .

وأما نازلة الخليل عليه السلام فهو خطب عليهم جليل ، وأمر عندنا شريف جليل ، وقد بيناها في التفسير ، ونكتة القول فيها أن شأن ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه[7] ، كما شرح[8] المفسرون ليس فيه قطع بصحة ، ولا دفع ممكن ، وبعد سردها اختلف العلماء في المعنى على أربعة أقوال :

الأول : (هذا ربي) في ظني ، لأنها حال نظر واستدلال .

الثاني : أنه اعتقد ذلك .

الثالث : أنه كان طفلاً .

---

(١) ب ، ج ، ز : نحتاج . د : — و .

(٢) ب ، ج ، ز : يتردد .

(٣) د : وأخبر .

(٤) د : وهو كله خلق .

(٥) ج : أخواتهم .

(٦) ب : كتب على الهامش : هذا نصف الكتاب .

(٧) ب : عليه السلام .

(٨) ب ، ج ، ز : شرحها : وكتب على هامش (ب ، ز) : شرحه .

الرابع : أنه قالها[1] منكراً لعبادة[2] الأصنام على قومه . فأما من قال : انه قالها في حال النظر والاستدلال ، فليس طريق من طرق النظر يفضي في ابتدائه ، ولا في انتهائه ، ولا في أثنائه ، إلى أن الكوكب[3] رب مدبر[4] ولو وقع النظر بالناظر على أنه[5] مدبر ، ما أزاله[6] منه أنه آفل ، لأنه يظن[7] أنه ربما كان تدبيره وربانيته في أفوله وطلوعه[8] .

وأما من قال : انه اعتقد ذلك ، فكذلك يلزمه ما قدمناه في حال النظر والاستدلال المتقدمة . وقول من قال : انه كان طفلاً حين خروجه من الغار الذي خبأته أمه فيه ، خوفاً من القتل عليه ، فأخبر[9] بذلك عن بشاعة[10] قصور النظر ، ان كان نظراً[11] ، أو عن فساد الاعتقاد ان كان لذلك معتقداً . وأما قول من قال : انه كان منكراً ، (و ٧٦ أ) فصحيح حسن ، فان ابراهيم بعثه الله[12] بين قوم عامة ، يعبدون الأصنام التي ينحتون[13] ، فان[14] تخصص منهم أحد ، تعلق بالعلويات ، ورأى أنها أشرف من هذه الأرضيات ، في ظاهر الحال ، فخرجت

---

(١) ب : قاله . ج ، ز : قال .

(٢) ب : عبادة .

(٣) ج ، ز : الكواكب .

(٤) ب : — مدبر .

(٥) ج ، ز : اله .

(٦) ج ، ز : أرا له .

(٧) د : — يظن .

(٨) د : طلوعه وأفوله .

(٩) د : فاحترز .

(١٠) ج : شباعة .

(١١) ج : عن نظر .

(١٢) ج ، ز : — الله .

(١٣) ج ، ز : يتخذون .

(١٤) د : فاذا .

الخواطر الحائرة [1] ، بالمقادير [2] ، فكل [3] أحد الى كوكب ، وقمر ، وشمس ، وكان منهم خاصة ، يرون أن هذه الكواكب الزاهرة ، في الأفلاك الدائرة ، هي الفعالة ، ويرجعون اليها بعبادتهم وتقديسهم ، وطلباتهم ، فلما اصطفاه الله بخلته ، وأدبه [4] بتكرمته ، ورباه بتربيته لأوليائه ، وأنبيائه [5] ، بأن كره اليهم الأباطيل ، وطهر نفوسهم عن الأضاليل . وهذا يقين [6] ، فانك قد ترى ، وسمعت ، بأن القلوب تختلف في الاعتقادات ، فاذا كان هنالك من يربأ بنفسه عن باطل ، الى آخر ، يرى أنه أشرف منه ، يدركه [7] بفكره ، فكذلك [8] فاعلم أن الله يطهر من يشاء من عباده ، فيستله [9] ويصطفيه ، فيكون سلالته ومصطفاه ، ولا يمكن من قلبه الا الحق ، وأنشأه على أكمل صفة ، بين أنقص قوم ، كشف [10] له عن ملكوت السموات والأرض ، وأراه تدبير الحملة والتفصيل ، وجرد له أديمهما [11] ،

---

(١) د ، ج ، ز : الجائزة . وكتب على هامش (ز) عله : الحائرة .
(٢) د : بالمقادر .
(٣) ب : كل ، ج ، ز : بكل .
(٤) د : وأذنه الله .
(٥) د : لأنبيائه وأوليائه .
(٦) ب : بقبن . ز : بيقين .
(٧) د : يدرك .
(٨) ب ، ج ، ز : وكذلك .
(٩) د : فيسله .
(١٠) هذا جواب فلما اصطفاه الله . وما بين ذلك جمل معترضة كما نبه إلى ذلك الشيخ ابن باديس .
(١١) ب ، ج ، ز : أديمها .

حتى[١] أدرك لئيمها[٢] وكريمهـا[٣] ، وخيرهمـا[٤] وشرهمـا[٥] ، واطلـع في جملة ذلك على الشمس ، والقمر ، والنجوم في السموات ، والجبال ، والشجر ، والبحار في الأرض ، ليكون[٦] من الموقنين . وبعـد هـذا[٧] ذكر[٨] ما جرى له في الكواكب بقوله[٩] جل وعز[١٠] : (فلما جن عليه الليل) (الأنعام / ٧٦) فأخبر[١١] أن ذلك كان بعد اطلاعه على الملكوت ، وهو تصريف المخلوقات من الملك بحكم الملك المطلق ، وبطل أن يكون ذلك ظناً[١٢] واعتقاداً ، ووجب أن يكون احتجاجاً ، فقال لقومه جميعاً أو[١٣] أشتاتاً : (هذا ربي) اما على التنزيل في المناظرة والتقدير[١٤] ليرتب عليه ما بعده من الدليل . واما على طريق الانكار ، والأول أقوى في طريق[١٥] النظر ، وأظهر ، بما[١٦] يدل عليه الكلام في الآية فلما

---

(١) ز : ختى .

(٢) ب ، ج ، ز : لئيمها .

(٣) ب ، ج ، ز : كريمها .

(٤) ب ، ج ، ز : خيرها .

(٥) ب ، ج ، ز : شرها .

(٦) د : لتكون .

(٧) د : ذلك .

(٨) ج ، ز : – هذا ذكر .

(٩) د : لقوله .

(١٠) د : – جل وعز .

(١١) د : وأخبر .

(١٢) د : أو .

(١٣) ب ، ز : – أ . ج : – أو أشتاتاً .

(١٤) د : التقريب .

(١٥) د : – طريق .

(١٦) ب : بما يسبب المحو .

أفل (و ٧٦ ب) قال للمتكلم معه : (لا أحب الآفلين) . تقدير [١] الكلام : انه قد ذهب ، وأنت تسجد له ، اذا طلع ، ولا تسجد له اذا أفل ، فالذي يراه ويراك في كل وقت أولى بالسجود له . وقال للذي سجد للقمر : (هذا أكبر) جرماً من ذلك ، وأظهر فعلاً ، ولا سيما ان كانت له مقثوة [٢] فانه لسخفه يعبر بها [٣] ، فلما غاب عنه قال له مثل ما قال للأول ، وزاد أنه لو دام على المقثوة لأفسدها ، فقد زال الآخر الذي [٤] هو أكبر جرماً [٥] منها [٦] ، وأكثر فعلاً فيها ، فاياه فاعبد ، فلما أفلت قال : ما هذا الباطل ؟ لا [٧] سجود لمصرّف محكوم ، على مقدار معلوم ، متداول مع غيره ، معاقب له ، بينهما برزخ لا يبغيان ، دل على أنهما محكومان . وما قدر هؤلاء الثلاث في جنب سائر المكونات من السفليات والعلويات ؟ ومع أنكم تقولون : ان الشمس دون زحل في المرتبة وان زحلاً قد حاز [٨] العلو ، فما هذه الآراء المتهافتة ، التي لا يضم نشرها رأي [٩] ، ولا يحيط بأخبارها وعي ؟ ارجعوا بعبادتكم الى الذي دبر الكل ، وفطر الجميع ، ولا تشتغلوا بالوسائط [١٠] ، فليس لها حكم ، وانما هي أمثالكم

---

(١) ب ، ج ، ز : تقرير .

(٢) ز : كتب على الهامش شرح للمقثوة : أي سانية مزروعة بالقثا . ب : مقثؤة . والأحسن أن يكون رسمها هكذا : مقثأة ، ويمكن أن تضم فيقال مقثؤة بضم الثاء ، وهو موضع القثاء بكسر القاف وضمها ، وهو الخيار .

(٣) ب ، ج ، ز : يستحقه لغبريها .

(٤) ب ، د : – الذي .

(٥) ب ، ج ، ز : – جرما .

(٦) كذا في جميع النسخ ولعله (منه) لأن القمر مذكر كما نبه إلى ذلك ابن باديس في تعليقه .

(٧) د : – لا .

(٨) ب ، د : جاز .

(٩) د : برأي .

(١٠) ب : بالبسائط .

في التسخير والتقدير ، فأفردوه بالعبادة دونها ، ولا تشركوا [1] به أحداً . ويعضده قوله : (وحاجة قومه) (الأنعام / ٨٠) وقوله : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) (الأنعام / ٨٣) فانها بأبصار ، وعلمنا قطعاً أنها كانت محاجة لا شكاً [2] . فأما جواز اعتقاد الأنبياء للباطل ، والكفر قبل البعث [3] ، فكما يعلم [4] أن الله على كل شيء قدير ، يعلم [5] قطعاً ، أنه قد أمّنهم من ذلك ، وأخبر أنهم مطهرون عن ذلك في الأزل [6] . قيل للنبي [7] متى وجبت لـك النبوة ؟ قال [8] : وآدم بين الروح والجسد ، وبين [9] الماء والطين . خرجه الترمذي وصححه ، وهو صحيح باللفظ الأول . فان قيل : هذه الاستدلالات ظنية ، فانه ليس يمتنع [10] أن يكون (و ٧٧ أ) صبياً ، ويشكل عليه الأمر ، فكذلك لا يبعد أن تكون [11] دلالة الحدوث عنده أكثر من دلالة الجسمية وأظهر ، لا [12] سيما وكان محبوساً في غار لأمه ، خوفاً من ملك زمانهم ، يعيش من طرف أصبعه [13] ، وذكره لرؤية [14] ملكوت السموات والأرض ، يجوز أن يكون الله ذكر حال نهايته ثم

---

(١) د : معه .
(٢) د : شك .
(٣) ج ، ز : البعثة .
(٤) ب ، ج ، ز : نعلم .
(٥) ب ، ج ، ز : نعلم .
(٦) د : الأول .
(٧) ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٨) ج : فقال .
(٩) د : – وبين .
(١٠) ج ، ز : بممتنع .
(١١) ج ، ز : يكون .
(١٢) ب ، ج ، ز : ولا .
(١٣) ب ، ج ، ز : أصبعيه .
(١٤) ز : لرؤيته .

رجع الى بدايته . قد قلنا[1] القول القطعي ، بغاية البيان كما تقدم ، وليس ما ذكره الله بينا ، ظناً — وهذا لا تفهمه الأعاجم — ان الله تعالى قال مخبراً عن الخليل أنه قال لأبيه : (أتتخذ[2] أصناماً آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) (الأنعام / ٧٤) فلم يخبر عنه بشك فيها ، ثم نظر فاستيقن ، وانما أخبر عنه بتوحيد ظاهر ، وقول بيّن ، ثم عطف عليه فقال : (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض) (الأنعام / ٧٥) أي أنا أريناه وجه الحق في الأصنام الأرضية ، كذلك نريه وجه الحق في الأجسام العلوية ليكون من الموقنين ، ولم يخبر أنه أراه أجسامها ، وانما أخبر أنه أراها اياه ، فرآها ملكوتاً مدبرة مسخرة ، ومن كان محبوساً في غار لا يرى في الليل ، ولا في النهار فيخرج منه فيرى الكواكب لا يخطر بباله أن له رباً ، فكيف أن يجعله كوكباً ؟ ولا شك أنه سمع[3] من أنيسه في الغار أحاديث الأخيار والأشرار . وما يقال : انه تحدث به عنه ، وعن أمثاله ، من أنه يخرب الملك ، فسمع أن هنالك ملكاً يخرب هذا الملك ، فتعلق[4] وهمه به ، فاذا خرج ورأى الكوكب لا يخطر بباله عادة ، قطعاً ، أنه المدبر ، حتى يسمع منه ركزاً ، و[5] يلقي اليه أحد ذكراً . وقوله : ان الباري ذكر حاله في نهايته ثم رجع الى ذكر بدايته . قلنا : ذلك محتمل لولا قوله : (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض) ويؤكد ذلك قوله : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) (الأنبياء/٥١–٥٢) القصة الى آخرها ، فأخبر عنه بقول نظار

---

(١) د : قدمنا .

(٢) أخطأ النساخ فكتبوا الآية هكذا : (أتعبد أصناما) في النسخ الأربعة .

(٣) د : إلا أنه قد سمع . ج : أن سمع .

(٤) د : ويتعلق .

(٥) د : أو .

(و ٧٧ ب) حكيم ، ثم أخبر عنه بأنه كما أتاه رشده في الأصنام ، كذلك[١] يريه في المستقبل آيات العلويات ، فكشف له عنها عيانا ، كما في الأثر ، أو دلالة ، وكان الاستدلال بالتغير أقوى من التقرر ، لأن المتغير مخلوق مربوب ضرورة ، اذ التغير لا يخلو أن يكون من قدم الى قدم أو من قدم[٢] الى حدث ، أو من حدث الى قدم أو من حدث الى حدث ، والأقسام الثلاثة محال[٣] كما بيناه في كتب[٤] الأصول ، فلم يبق الا القسم الرابع ، وهو أنه يتغير من حدث الى حدث ، وذلك المقصود . والذي يعضد دلالة الخليل[٥] في الاستدلال بالحدوث و[٦] يمهد لكم اليقين[٧] ، أنها[٨] أقرب ، وأبلغ[٩] ، من المساحة[١٠] والتشكيل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال ، وذكر ما يفعل من الآيات ، وما يظهر على يديه من المعجزات ، حتى احياء الموتى ، قال : مهما يكن من شيء ، فانكم تعلمون أن الدجال أعور ، وأن ربكم ليس بأعور . في حديث أعور عين اليمين . وفي حديث أعور عين الشمال[١١] . تختلف عليه صفات النقص ، وتتوارد[١٢] ، ويلحقه التغيير ، فهذا ينفي عنه الالهية قطعاً ، وهذا بالغ لمن وفق لفهمه ، وبالله التوفيق .

---

(١) ب ، ج ، ز : نريه .
(٢) ب ، ج ، ز : – أو من قدم .
(٣) ب ، ج ، ز : والكل محال .
(٤) ب ، ج ، ز : كتاب .
(٥) د : + عليه السلام .
(٦) ب : – و .
(٧) د : القين .
(٨) ب ، ج ، ز : فانها .
(٩) د : أبلغ وأقرب .
(١٠) د : المساجة .
(١١) ز : في حديث أعور الشمال وفي حديث أعور عين اليمين .
(١٢) ب ، ج ، ز : – وتتوارد .

قاصمة :

وقد بينا في غير موضع أن الكائدين للاسلام كثير ، والمقصرون فيه كثير ، وأولياؤه المشتغلون[١] بــه قليل[٢] ، فممن كاده[٣] الباطنية ، وقد بينا جملة أحوالهم . وممن كاده[٤] الظاهرية[٥] ، وهم طائفتان : احداهما[٦] : المتبعون[٧] للظـاهر في العقائد والأصول[٨] . الثانية : المتبعون للظاهر في الأصول ، وكلا[٩] الطائفتين في الأصل خبيثة[١٠] ، وما تفرع عنهما خبيث مثلهما[١١] ، فالولد من غير نكاح لغية ، والحية لا تلد الا حية[١٢] ، وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد ، هي في طرف التشبيه ، كالأولى في التعطيل ، وقد بليت بهم في رحلتي (و ٧٨ أ) وتعرضوا لي كثيراً دون بغيتي ، وأكثر ما شاهدتهم بمصر والشام وبغداد ، يقولون[١٣] : ان الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته ، وبمخلوقاته منا ، وهو معلمنا ، فاذا أخبرنا

---

(١) د : المستقلون .

(٢) ز : كتب على الهامش : قف وتأمل : ليس بعد هذا البيان والتحقيق بيان ، كما قيل : لا عطر بعد عروس .

(٣) و (٤) : كاد .

(٥) ز : كتب على الهامش : قف لتعرف وتتحذر أعاذنا الله وعصمنا .

(٦) ب ، ج ، ز : – احداهما .

(٧) ب ، ج ، ز : المتبع .

(٨) يرى الشيخ ابن باديس وجوب حذف كلمة الأصول لأنه رأى تكراره في الطائفة الثانية ، ويبدو أنه قد غاب عنه ما يقصد بالأصول هنا وهي الأحكام أو أصول الأعمال التي تبنى عليها الفروع الفقهية .

(٩) ب : كل .

(١٠) ج ، ز : خبيثان .

(١١) ب ، ج ، ز : وما تفرع عنه خبيث مثلها .

(١٢) ب ، د : الحية .

(١٣) ج : ويقولون .

بأمره آمنا به ، كما أخبر ، واعتقدناه ، كما أمر . وقالوا حين سمعوا : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (البقرة / ٢١٠) (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (الفجر / ٢٢) (فأتى الله بنيانهم من القواعد) (النحل / ٢٦) (وينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا)[١] ، أنه يتحرك وينتقل ، ويجيء ويذهب من موضع الى موضع ، ولما سمعوا قوله : (الرحمن على العرش استوى) (طه / ٥) قالوا : انه جالس عليه ، متصل به ، وأنه أكبر بأربع أصابع ، إذ لا يصح أن يكون أصغر منه ، لأنه العظيم ، ولا يكون[٢] مثله ، لأنه (ليس كمثله شيء) (الشورى / ١١) فهو أكبر من العرش بأربع أصابع . ولقد أخبرني[٣] جماعة من أهل السنة بمدينة السلام[٤] ، أنه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، الصوفي ، من نيسابور[٥] ، فعقد مجلساً للذكر ، وحضر فيه كافة الخلق ، وقرأ القارئ : (الرحمن على العرش استوى) . قال لي أخصهم : فرأيت — يعني[٦] الحنابلة — يقومون في أثناء المجلس ويقولون : قاعد ، قاعد بأرفع صوت ، وأبعده[٧] مدى[٨] ، وثار اليهم أهل السنة من أصحاب القشيري ، ومن أهل الحضرة ، وتثاور[٩] الفئتان ، وغلبت العامة ، فأجحروهم[١٠] المدرسة النظامية ، وحصروهم فيها ، فرموهم بالنشاب ، فمات منهم قوم ،

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
(٢) د : – يكون .
(٣) د : أخبرتني .
(٤) ج : – بمدينة السلام .
(٥) د : نبشاغور .
(٦) د : بعيني .
(٧) ب ، ج ، ز : أنفده .
(٨) ز : شكل على أنه « مدا » .
(٩) ج : تثاوروا .
(١٠) ج ، ز : فأحجزوهم .

وركب زعيم الكفاة ، وبعض الدارية ، فسكنوا ثورتهم ، وأطفوا[1] نورتهم[2] ، وقالوا : انه يتكلم بحرف وصوت ، وعزوه إلى أحمد بن حنبل[3] ، وتعدى بهم الباطل ، إلى أن يقولوا : ان الحروف قديمة ، وقالوا : انه ذو يد ، وأصابع ، وساعد وذراع ، وخاصرة ، وساق ، ورجل ، يطأ بها حيث شاء ، وانه يضحك ويمشي ويهرول ، وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء[4] ، رئيس الحنابلة (و ٧٨ ب) ببغداد ، كان يقول إذا ذكر الله تعالى ، وما ورد من هذه الظواهر في صفاته ، يقول : ألزموني ما شئتم فاني ألتزمه إلا اللحية والعورة ، وانتهى[5] بهم القول إلى أن يقولوا : ان أراد أحد أن يعلم الله ، فلينظر إلى نفسه[6] فانه[7] الله بعينه ، إلا أن الله[8] منزه عن الآفات قديم[9] لا أول له ،

---

(١) ب ، ج ، ز : طلوا .

(٢) ب : ثورتهم . ج : تورتهم . ز : تورهم .

(٣) إمام أهل السنة ، توفي سنة ٤٢١ هـ / ٨٥٥ (الذهبي ، العبر ، جـ ١ ص ٤٣٥ ، مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي ص ٤٠٩) .

(٤) ب ، ج ، ز : الحسن وهو تحريف . وهو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي ، فقيه ومحدث ، توفي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ (الذهبي ، العبر جـ ٣ ص ٤٤٣ ، مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي ص ٥٢٠) وفيه ذكر أنه كان يملي الحديث بجامع المنصور (طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى وهو ابنه ص ١٩٣ - ٢٣٠) حيث ذكر أنه ألف في الرد على الكرامية والاشعرية والباطنية والمجسمة ، وكتاب ابطال التأويلات لأخبار الصفات ، وغير ذلك من المصنفات وبين أن مذهب الحنبلية قائم على نفي التشبيه والتعطيل ، واثبات الصفات وعدم التأويل .

(٥) ب ، ج ، ز : فانتهى .

(٦) ب : في الهامش : ذاته .

(٧) ب ، ج ، ز : فان . وفي هامش (ز) : فانه .

(٨) ج ، ز : - إلا أن الله .

(٩) ب ، ج ، ز : - قديم .

دائم لا يفنى ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله خلق آدم على صورته) [1] وفي رواية (على صورة الرحمن) وهي صحيحة ، فلله الوجه بعينه لا ننفيه [2] ، ولا نتأوله[3] الى محالات لا يرضى بها ذو نهى . وكان رأس هذه الطائفة [4] بالشام أبو الفرج الحنبلي[5] بدمشق ، وابن الرميلي [6] المحدث ببيت المقدس ، والقطرواني بنواحي نابلس ، والفاخوري بديار مصر ، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفراء [7] ، وكل منهم ذو أتباع من العوام ، جماً غفيراً [8] ، عصبة [9]

---

(١) أخرجه الشيخان وأما الحديث بلفظ : الرحمن فقد ذكر المحدثون أنه روي بالمعنى وأوردوا فيه عللاً قادحة .

(٢) ج : تنفيه .

(٣) ج : تناوله .

(٤) ز : كتب في الهامش : قف لتعرف رؤوس غلاة الظاهرية . أعاذنا الله من الزيغ بمنه وفضله .

(٥) هو عبد الواحد بن محمد بن علي أخذ الفقه على أبي يعلى ، وبث مذهب أحمد بن حنبل بالشام كان أصولياً مجتهدا ، توفي سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٤ (العبر ، جـ٣ ص ٣١٢)، ويذكر أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة أنه كانت له وقعات مع الأشاعرة وأنه ظهر عليهم بالحجة في مجالس أمراء الشام ، وكان من دعاة الحنابلة ، منكراً لتأويل أخبار الصفات (الطبقات جـ ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩) .

(٦) هو مكي بن عبد السلام أبو القاسم بن الرميلي المقدسي محدث حافظ استشهد بالقدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ (العبر ، جـ٣ ص ٣٣٤) .

(٧) محمد بن أبي يعلى ، توفي سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ (الذهبي جـ ٤ ص ٦٩ . مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٥٢٩) وكتب في النسخ ب ، ج ، ز : أبا الحسن والتصحيح من المناقب ، والعبر ، ويذكر الذهبي أنه كان كثير الهجوم على الأشاعرة . وهو صاحب طبقات الحنابلة .

(٨) ب ، ج ، ز : غفرا .

(٩) د : غصبة .

عصية [1] عن [2] الحق ، وعصبية [3] على الخلق . ولو كانت لهم أفهام ، ورزقوا معرفة بدين الاسلام ، لكان لهم من أنفسهم وازع ، لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعموم البطلان لكلماتهم . ولكن الفدامة [4] استولت عليهم ، فليس لهم قلوب يعقلون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل [5] . ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الاسفراييني [6] أنه خرج يوماً على أصحابه مسروراً فسألوه ، فقال : ناظرت اليوم عامياً فظهرت عليه . فقيل له : وأنت تظهر على الايمة ، فكيف تفرح بالظهور على العوام ؟ فقال : العالم يرده علمه ، وعقله [7] ، ودينه ، والعامي [8] لا يرده فهم ، ولا يردعه [9] دين ، فغلبته نهزة [10] ونادرة .

قال القاضي أبو بكر [11] رضي الله عنه : وأنبئكم بغريبة أني [12] ما لقيت طائفة الا وكانت لي معهم وقفة في مقالاتهم ، عصمني الله بالنظر بتوفيقه منها (و ٧٩ أ)

---

(١) د : عصبة .

(٢) د : على .

(٣) د عصبة ، ج : عصيبة .

(٤) ز : كتب على الهامش : قال في القاموس : الفدم : العي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة تفهيم . انتهى المراد منه .

(٥) اقتباس من القرآن .

(٦) ب ، ج ، ز : الاسفرايني . وهو توفي في سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ .

(٧) د : يرجعه إلى عقله .

(٨) ج : والعام .

(٩) د : يزعه .

(١٠) د : نزهة .

(١١) د : قال أبي .

(١٢) ب : – وأنبئكم بغريبة أني . ج ، ز : أتيتكم .

الا الباطنية والمشبهة ، فانها زعنفة [1] ، تحققت [2] أنه ليس وراءها معرفة . فقذفت نفسي كلامها من أول مرة . وسائر الطوائف لا بد أن يقف الفكر عقلاً وشرعاً من أي وجه طلبت الدليل حتى يرشده [3] العقل والشرع ، الى مأخذ النجاة ، وقد كان صاحبنا أبو منصور ساتكين [4] التركي نزيل الثغر ، وأبو محمد عبد العزيز [5] قاضي البسكرة [6] في ديـــار [7] المشرق معنـــا [8] ، ولقد كانا أوتيا فهماً ، ورزقاً ، ذكاء ، ونبلا ، فغلبت [9] عليهما صحبة ابن المناني ، فاختارا [10] مذهب [11] القدرية ، ولقد دخلت اليه ، وسرّ بي ، وسألني عن اعتقادي ، فأخبرته ، فقال لي : ما منعك من اعتقاد الحق ، من مذهب أهل التوحيد ، يعني نفسه ، وأصحابه من القدرية . وهو مذهب مستند من ابن الفرج ، الى أبي [12] الحسين ،

---

(١) د : رغمة .
(٢) د : + و .
(٣) ب : يرشد .
(٤) د : سالكني . وهو ساتكين بن أرسلان مالكي له مقدمة في النحو كان مقيماً بالقدس توفي سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ (تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٤٢) .
(٥) ب ، ج ، ز : عبد الغني . وكتب في هامش (ب ، ز) عبد الغني .
(٦) د : النبكره .
(٧) ب : بديار .
(٨) د : معاً في ديار المشرق .
(٩) ج ، د ، ز : فغلب .
(١٠) د : فاختاروا .
(١١) د : مذاهب .
(١٢) ج : ابن .

الى عبد الجبار ، الى أبي هاشم الى[1] الجبائي[2] الى آل[3] علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4] ، الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعلمت أنه قد تبطن الباطن ، ولصق بأهل البيت ، وأخذ مذهب القدرية سترة خلاف[5] أبيه[6] رضي الله عنه ، الذي كان يسميه القاضي أبو بكر بن الطيب[7] « مؤمن آل فرعون » . اذ كان حنفي الفروع ، أشعري الأصول .

وما[8] رئي قط بخراسان ، ولا بالعراق[9] حنفي[10] الا معتزليا ، أو كراميا ، خلا ما وراء النهر ، ببلخ[11] ، فانهم الى منقطع[12] المعمور سنية[13] ، على أوفى طريقة في الحق ، وقمت عنه ، وتركته ، وكان فحلا من فحول الفقه ، سمعت كلامه في جامع المنصور مع الشاشي في مسألة القضاء على الغائب ، فرأيت رجلاً قد أحكم الأدلة في مسائل الأحكام ، وحكمها على الطريقة العراقية .

---

(١) ب ، ج ، ز : – إلى .
(٢) ج ، ز : – الجبائي .
(٣) ب ، ج ، ز : – آل .
(٤) د : – رضي الله عنه .
(٥) ج ، ز : بخلاف .
(٦) أبوه هو : محمد بن أحمد بن محمد أبو جعفر القاضي السمناني ، توفي سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ (ابن عساكر ، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٩ . عبد القادر الحنفي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية جـ٢ ص ٢١) .
(٧) الباقلاني صاحب التمهيد ، توفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ .
(٨) ب ، ج ، ز : لا . وكتب على هامش ب ، ز : ما .
(٩) ب ، ج ، ز : العراق .
(١٠) د : حنفياً . وكتب على هامش ب ، ج ، ز : حنفياً .
(١١) د : بلخ .
(١٢) د : مقطع .
(١٣) ب : – سنية .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [1] رضي الله عنه : وقبل وبعد ، فينبغي [2] أن تعلموا أن هذه الطائفة [3] في حفظ ظاهر هذه الأخبار ، لا يقال : انها بنت قصراً ، أو [4] هدمت مصراً ، بل هدمت الكعبة ، واستوطنت البيعة ، وحذار [5] أن تنشؤوا معهم دليلا ، ولا تستأنفوا معهم من الكلام نقيراً ولا فتيلاً [6] ، فليسوا لذلك [7] أهلاً ، ولا ينجع فيهم أن ينشر ذلك معهم ، الا أن تدخل اليهم من بابهم ، وهو أيسر طريق اليهم في الكشف لضلالهم ولا تلتزم معهم مذهباً الا أن تبطل رأيهم ، ولا يظهر لك اعتقاد الا رد الكلام الى القرآن والسنة ، وما أجمعت عليه هذه الأمة ، وهو قد خالفوا الكل ، فالمهم افساد مقالتهم ، وبيان ضلالتهم ، فيقال لهم : ما لكم أصحاب الا اليهود ، فانها ألفت [8] في التوراة : حين خلق الله السموات والأرض ، ذكر فيه أنه خلقها في ستة أيام ، واستراح يوم السبت ، فكذبهم الله في قوله فقال : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (ق / ٣٨) ، فأخذوا لفظ الراحة بظاهره ، وهو اعفاء النفس من كد التعب ، بعد تسخيرها فيه ، واعتقدته بحاله فكفرهم الله ، وكذبهم .

---

(١) د : قال أبي .

(٢) ب ، ج ، ز : ينبغي .

(٣) ب : الطريق ، ج ، ز : الطريقة .

(٤) ب ، د : - أ .

(٥) د : حذاراً .

(٦) د : فتيلاً ولا نقيراً .

(٧) بداية سقوط نحو أربعة أوراق من (د) .

(٨) ز : أنفت .

ثم نعطف عنان القول فنقول : قوله : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أنتم قد قلتم : انه أكبر من العرش مقداراً ، كيف يشتمل[1] عليه ظل الغمام ؟ وكيف يأتي الحق مع الخلق يوم الفصل أو يأتي البنيان وهو أكبر من العرش ، والعرش أكبر من السموات والأرض ؟ وقوله (الرحمن على العرش المستوي) يقال لهم : قال الله : (ثم استوى على العرش) ما العرش ؟ وما معنى استوى ؟ وينبغي أن تعلموا كلكم أنتم وهم قبل وبعد أن بناء « ظ ه ر » مفيد في العربية لكل شيء خرج عن حد الخفاء والجهل الى العلم ، كان من المحسوس يخفى على البصر والسمع وسائر الحواس ، أو من المعاني يخفى[2] على العقل . فاحذروا من يأخذ الظاهر فيجعله في حد الباطن بتأويله له ، أو يحكم بظاهر على معنى هو خفي ، فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة[3] معان : معنى الرحمن ، ومعنى استوى ، ومعنى العرش ، فأما الرحمن فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام . وأما العرش فهو في العربية لمعان فأيها تريدون ، وكذا استوى عليه ، يحتمل[4] خمسة عشر معنى في اللغة ، فأيها تريدون ؟ أو أيها تدعون ظاهراً منها ؟ ولم قلتم : ان العرش ها هنا المراد به مخلوق مخصوص ؟ فادعيتموه على العربية والشريعة ، ولم قلتم : ان معنى استوى ، قعد أو جلس ؟ فتحكمون باتصاله به ، ثم تقولون انه أكبر منه من غير ظاهر ، ولم يكن عظيماً بقدر[5] جسمي حتى تقولوا : انه أكثر[6] أجزاء منه . ثم

---

(١) ب : يشمل .
(٢) ز : كتب على الهامش : خفي عن العقل .
(٣) كذا في جميع النسخ .
(٤) ب : ولفظ استوى معه محتمل .
(٥) ز : بقدرن .
(٦) ب : أكبر .

تحكمكم[١] بأنه أكبر منه بأربع أصابع ، تحكم لا معنى له . وكنت أقضي عجبا من هذه النازلة حتى وردت من المشرق سنة خمس وتسعين[٢] فرأيت غريبة مغربية دفعها[٣] اليّ عبد الله [٤] بن منصور القاضي ، فيها كلام لبعض منتحلي صناعة الكلام بالمغرب يقول فيها : ان الباري في جهة ، وانه فوق العرش ، وان العرش هو الذي يليه من مخلوقاته ، فرأيت قوما ، قد استولت عليهم الغفلة ، وغلبهم الجهل ، حتى قالوا : ان الباري يحاذي المخلوقات ، والذي أوقعهم في ذلك ، أنهم رأوا أحاديث ليست بصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم عدد السموات فذكرها حتى انتهى الى السماء السابعة ، قال فيه[٥] : (والعرش فوق ذلك ، والله فوق ذلك)[٦] . وسمعوا القدرية يقولون : ان الله في كل مكان ، وتكاثرت في ذلك الأقوال من المؤالف والمخالف ، فأنكروا ذلك عليهم ، وقالوا : ان أطلق لفظ في هذا المعنى فالذي ينطلق أنه على العرش وسامحوا[٧] في « فوق » لأنه بمعنى علا وجل ، وردوها[٨] في الحديث المذكور آنفا ، ثم جاءت طائفة ركبت عليه ، فقالت : انه فوق العرش بذاته وعليها شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد[٩] فقالها

---

(١) ب : تحكمهم .

(٢) أي سنة ٤٩٥ هـ .

(٣) ز : في الهامش : عله : رفعها .

(٤) ب ، ز : كتب على الهامش : في نسخة : عبد الملك .

(٥) ب : فيها .

(٦) سند الحديث فيه عبد الله بن عميرة ، الذي قال فيه البخاري : لا يعرف له سماع من الأحنف الذي أدعى أنه سمع منه وقال الذهبي فيه جهالة (البيهقي الأسماء والصفات ص ٣٩٩) .

(٧) ز : وسامحوه .

(٨) ب ، ز : كتب على الهامش : عل صوابه : وأوردوها .

(٩) القيرواني ، توفي سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ (العبر ، جـ ٣ ص ٤٣) .

للمعلمين فسدكت بقلوب الأطفال والكبار[1] ، ثم جاء هذا الثاني[2] فقال : وأنا ماذا أزيد مما يظهر منزلتي بأن أقول : وهو الذي يليه من مخلوقاته يعني ليس بينه وبينه موجود ، وهو يحاذيه ، وجعل يفيض في المحاذاة والجهة ، وما يفيض بكلمة صحيحة ، ولم يتفق بعد أن أنكر[3] على أهل بغداد ، وبين أضلاعي هذا الداء فنفيت[4] عنهم المسألة ، وأوردتها ، وأصدرت ، وأمليت وجمعت . ولبابه : ان الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه شرعاً وعقلاً ، وان كان في ذلك تفصيل حققناه في موضعه ، ونحن نعلم قطعاً أنه كان موجوداً قبل ايجاده العالم كله ، على اختلاف أصنافه ، ثم خلقه مثنى وفرادى ، فلم تتغير له صفة ، ولا حدثت له اضافة ، محدثة[5] ، أو صفة مخلوق[6] ، وهو مدلول عليه ، ثابت دليلاً وعلماً ، واجعل العرش مخلوقاً مفرداً أضعاف المخلوقات فهو مخلوق ، فان صفته بعد خلقه في ذاته ، كصفته قبل خلقه ، لم تتغير له ذات ولا قامت بذاته منه صفة لم تكن . فان شيئاً من المخلوقات لا تتغير[7] للباري سبحانه به صفة ولا ذات . فاذا ثبت هذا فقوله : (الرحمن على العرش استوى) ان علمنا معناه علما آمنا قولاً ، ومعنى ، وان لم نعلم معناه ، قلنا كما قال مالك : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة) فكيف بتفسير[8] تعلقه بالله ، لا يقال :

---

(١) ز : في الهامش : قف وانظر مقالة ابن أبي زيد في عقيدة الرسالة .
(٢) ب : – الثاني .
(٣) ب : نكر .
(٤) ز : كتب على الهامش : فثنيت .
(٥) ز : + آفة في الهامش .
(٦) ب : مخلوقة .
(٧) ب : يتغير .
(٨) ب : كتب في الهامش : نفسر . ز : كتب في الهامش : يفسر .

انه بدعة بل أشد من البدعة عنده ، فكيف لو سمع من يقول : ان الله فوقه ؟ فكيف بمن يعين فوقية الذات ؟ فكيف بمن يقول : انه[1] يحاذيه ويليه ؟ تباً له . والحديث الذي فيه : والله فوق ذلك ، لا حجة فيه لأن في الحديث بعينه ، وقد عدد الأرضين أيضاً ، حتى[2] ذكر الأرض السابعة ، ثم قال : (والذي نفسي بيده لو دليتم حبلاً لهبط على الله)[3] ولم يقتض ذلك أنه تحت الأرض . فان قيل : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ[4] حين حكم في بني قريضة بأن يقتل مقاتلهم ، وتسبى ذراريهم : (لقد حكمت فيهم[5] بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة)[6] قلنا : لم يصح ، ومع حاله ، فلا متعلق فيه ، لأن قوله : (من فوق سبعة أرقعة) حرف جر يتعلق بحكمت[7] أو بحكم المصدر المتصل ، لا بقوله : (الملك) فافهموا ذلك فهو من الصناعة ، وقد استوفينا بيانه في « الاملاء » و « المشكلين » .

وأما قوله : (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا) فان الحركة والانتقال وان كان محالاً عليه عقلا ، فانه يلزمهم على محالهم أن يكون محالاً ، فانهم قد قالوا : انه أكبر من العرش بمقدار يسير ، فكيف ينزل إلى السماء وهو أكبر من جميعها ؟ أي حتى[8] بحمله تعالى على الوجهين ، ولم يفهموا أن النبي إنما

---

(١) ز : كتب على الهامش : هو .
(٢) ز : كتب على الهامش : حين .
(٣) أورده البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٠ وضعفه .
(٤) استشهد يوم الخندق ٥ هـ / ٦٢٦ .
(٥) ج ، ز : – فيهم .
(٦) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري في باب مرجع النبي (ص) من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة .
(٧) كذا في جميع النسخ .
(٨) ب ، ز : كتب على الهامش : حين . ب ، ج : يحمله .

خاطب بذلك العرب والفصحاء اللّسن ، وقد ثبت فيها أن التنزيل [١] على الوجهين نزول حركة ، ونزول احسان وبركة ، فان من أعطاك قد نزل اليك [٢] الى درجة النيل المحبوبة عندك عن درجة [٣] المنع المكروهة ، كما أنه نزل من وده [٤] لك [٥] عن حال البغضاء والاعراض عنك ، وهو نزول حقيقة في بابه ، كما أن نزول المرء عن الجبل الى السفح حقيقة في بابه ألا ترى الى قول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب الأكرم [٦]

وقال عمر رضي الله عنه في الاسلام ، (ما ينزل بعبد مسلم من منزل شدة) وهو معنوي ، لا حركة فيه ولا انتقال ، وفائدته أن الكريم اذا حل بموضع ، ونزل بأرض ، ظهرت فيها أفعاله ، وانتشرت بركته وبدت آثاره [٧] ، فما بث الله من رحمته من السماء [٨] الدنيا على الخلق في تلك الساعة عبر عنه بالنزول فيه ، عربية صحيحة [٩] .

وأما قولهم : انه يتكلم بحرف وصوت فهو معنى أصلته القدرية لقولها بخلق القرآن ، وان الله خلق في الشجرة كلاماً فهمه موسى كما يفهم كلام الانسان ، فجرى أولئك على فصل من البدعة فاسد الأصل ، معلوم المعنى . فلما جاءت هذه الطائفة ، ووجدت [١٠] القول بخلق القرآن كفراً ، أقروا الحرف والصوت ،

---

(١) ب ، ز : كتب على الهامش : النزول .
(٢) ب ، ز : اشارة إلى أن « اليك » أثبتت في بعض النسخ وأسقطت في الأخرى .
(٣) ب ، ز : كتب على الهامش : مرتبة .
(٤) ج ، ز : ودك .
(٥) ز : له . ج : – له .
(٦) ب : المكرم .
(٧) ب : أثارته .
(٨) ج : سماء .
(٩) ب ، ز : كتب على الهامش : فصيحة .
(١٠) ج : وجدت .

وأنكروا الخلق ، وقضوا بقدم الحرف والصوت ، فجاءوا بما لا يعقل ، ولا هو في حد النظر والمجادلة ، ولهم ظواهر لا أصل لها في الصحة ، ليس فيها ما يعول عليه ، ولا ثبتت صفة به[1] أمثله : حديث عبد الله بن أنيس[2] : (يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيناديهم بصوت) ذكره البخاري في التراجم مقطوعاً . ومعناه أن مناديه ذو صوت ، ليس هو الذي له الصوت صفة . وقد يضاف الى الباري[3] ملكه كما تضاف[4] اليه صفته ، فما جاز عليه حمل الاخبار عنه ، على الصفة ، وما كان غير جائز ، حمل الاخبار عنه به على الملك ، والا ففي الخبر : (ينادي بصوت) وليس فيه يتكلم بصوت . فلم تركتم الظاهر ، وجعلتم الكلام والصوت واحداً ، وهما قد وردا في موطنين ؟ وبين الكلام والنداء ما بين السماء والأرض . وقد قال في حديث القيامة بعينه : (فيأتيهم في صورة ثم يأتيهم في صورة[5] أخرى) أفيحمل[6] ذلك على أن الله يتبدل وينتقل ويتحول ؟ تعالى الله عن ذلك ، فكما أن ذكر الصورة محمول على المعنى ، كذلك النداء بصوت محمول على المعنى . فان قالوا بالصورة والصوت والتعبير بالحوادث ، لم يكونوا من أهل القبلة ، وحكم بخروجهم أصلا وفرعاً من[7] الملة ، ولم يفهم هذه الحقيقة أحد ، فهم البخاري[8] رحمه الله فانه قال : باب قول الله تعالى : (ولا تنفع

---

(١) ج : — به .
(٢) عبد الله بن أنيس الجهني حليف الأنصار ، شهد العقبة ، توفي سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢ .
(٣) ب ، ز : كتب على الهامش : الملك .
(٤) ج ، ز : يضاف .
(٥) ج ، ز : صفة . وكتب على هامش (ز) : صورة .
(٦) ج ، ز : فيحمل .
(٧) ب ، ز : كتب على الهامش : عن .
(٨) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري صاحب الصحيح ، ولد سنة ١٩٤ هـ / ٨٠٩ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ .

الشفاعة عنده الا لمن أذن له) (طه / ١٠٩) الآية . ويذكر عن جابر بن عبد الله[١] عن عبد الله بن أنيس أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) ثم قال عن أبي سعيد [٢] الخدري بالسند الصحيح قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : يا آدم يقول : لبيك وسعديك فينادي بصوت ، أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً الى النار) فبيّن سبحانه أن المنادي عنه غيره لقوله : (ان الله يأمرك) والحمد لله .

وأما أحمد بن حنبل فانما أبى أن يقول : ان القرآن مخلوق ، وحمله الظالم على أن يناظره ، وقال له : القرآن شيء أو غير شيء فان قلت : انه غير شيء فقد[٣] كفرت ، وان قلت انه شيء فقد قال الله انه[٤] (خالق كل شيء) (١٠٢/ الانعام) فهل يدخل القرآن فيه أم لا ؟ فأبى أن يناظره حتى لا ينزل الحق والباطل[٥] في منزلة سواء ، ولو جاء القائل ان القرآن مخلوق الى أحمد بن حنبل مجيء المسترشد لأرشده وأجابه . ولما نزل منزلة القدرة[٦] ، وعضده السلطان ، سكت عنه لئلا يقع منه ما يفتتن به الملك والناس ، ورأى فداء الدين بنفسه فكانت منزلة سنية لم تكن لأحد في الاسلام . وقد ورد في الصحيح حديث صحيح : (اذا قضى الله في السماء أمراً سمعت الملائكة كهيئة السلسلة على الصفوان فيخرون

---

(١) ابن عمرو بن حرام الأنصاري من أهل بيعة الرضوان ، توفي سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ .
(٢) سعد بن مالك الأنصاري ، فقيه صحابي ، توفي سنة ٧٤ هـ / ٦٩١ .
(٣) ب : – فقد .
(٤) ب : – انه .
(٥) ج ، ز : الباطل والحق .
(٦) ز : كتب على الهامش : عله : القدرية .

سجداً ، حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ، ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، فيقولون : الحق الحق) فتعلق به بعض هؤلاء المبتدعة ، وقالوا[1] : هذا نص في أن كلام الله صوت ، وقد بيناه في شرح الحديث وغيره . وتحقيق القول فيه ان الله تعالى أوحى الى رسوله إذا قضى الله ، ولم يقل تكلم الله ، ولا اذا قال الله . والقضاء في اللغة والشرع يرد على معان كثيرة ، وقد يحتمل أن يكون المعنى اذا قال الله بواسطة ، ففهم عنه تكلم اليهم ، فيغشون لثقل قوله على الملائكة كما قال[2] : يغلب النبي ثقل القول فيغشى عليه . كأنه الجرس ، وهو نحو من السلسلة على الصفا ، وبعض الملائكة أقوى من بعض كما أن بعض الآدميين أقوى من بعض ، فقوة جبريل في الملائكة على القبول من الله يناسب قوة محمد صلى الله عليه وسلم في الآدميين على قبول القول من جبريل ، ولو كان كلام الله صوتاً ، لما كان صوت جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم كالجرس ، وكلام الله لجبريل كالسلسلة لا يصح بهذا التقدير ، نعم ، ولا كالرعد ، ولا أعظم منه . وأما كونه له يد ويمين فانه له[3] ، ثابت قطعاً ، اذ هو نص القرآن وكذلك ذو عين ، فانه ثابت قطعاً ، ولما جاء في القرآن كلاهما قال علماؤنا المتقدمون أن اليدين صفة ثابتة في القرآن ليس لها كيفية ، وحملها المتأخرون من أصحابنا على القدرة . والذي قال في آدم (لما خلقت بيدي) (ص / ٧٥) قال : (تبارك الذي بيده الملك) (الملك / ١) وقال : (بل يداه مبسوطتان) (المائدة / ٦٤) وقال : (والسموات مطويات بيمينه) (الزمر / ٦٧) وفي الحديث الصحيح (وكلتا يديه يمين)[4] والذي خلق به آدم ويطوي به السموات هو الذي به الملك ،

---

(١) ب ، ز : قال .

(٢) ز : كتب على الهامش : كان .

(٣) ز : – له ، في بعض النسخ كما أشار الناسخ .

(٤) رواه مسلم .

وهو يقبض به الأرض . في البخاري : يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه . وذكر الحديث وذلك كله عبارة عن القدرة ، وضرب الله اليد[1] مثلا اذ هي آلة التصرف عندنا ، والمحاولة ، فانهما المراد هنا[2] ، وأوضح[3] العلم لنا منا ، وذلك تصديق قوله : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات / ٢١) وأما بعض أصحابنا فقد قال : ان معنى قوله : (والسموات مطويات بيمينه) أي[4] بقسمه أن يفني الخلق ، فقول ضعيف ، وإنما هي كناية عن القدرة كما بينا . وهبك وجد[5] للقسم ها هنا محتملا ، فماذا يصنع[6] بذكر اليمين في الحديث الصحيح .

وأما ذكر الكف فلم يرد في القرآن ، ولكنه ورد في الحديث الصحيح ، ولعلمائنا نكتة بديعة ، وذلك أنه ما جاء في القرآن من أحوال الصفات الثابتة نقلا قطعاً ، قالوا : انها صفات لا تتأول ، وما جاء في أخبار الآحاد أولوها ، ولم يوجبوا لله منها[7] صفة . وقوله : (ان الصدقة تقع في كف الرحمن)[8] كلام صحيح يشهد له القرآن والسنة ، فان الله تعالى يقول في كتابه : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) (٢٤٥ / البقرة) فعبر عن نفسه الكريمة بالمستقرض ، فمن دفع اليه شيئاً فقد وقع ما دفع في كف المستقرض كما أنه قال : (فلم

---

(١) ج ، ز : اليك .
(٢) ز : كتب على الهامش : لنا .
(٣) ج : واضح .
(٤) ز : – أي . وكتب على الهامش أنه موجود في نسخة أخرى .
(٥) ج ، ز : وجدت .
(٦) ج ، ز : تصنع .
(٧) ب : كتب على الهامش اشارة إلى أن هذا اللفظ وجد في نسخة .
(٨) أخرجه البخاري ومسلم .

تعدني)[1] أفيكون[2] المرض صفة ، ولا شك[3] في أنه لا يكون ، كذلك الكف .

وأما الساعد فليس في حديث صحيح ، وكذلك ذكر الذراع ، فلم يصح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أكثر من غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً ، وأن ضرسه مثل أحد ، وأن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة) وهو صحيح . وقال : (ولو أن رصاصة مثل هذه — وأشار الى الجمجمة — أرسلت من السماء الى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً ، الليل والنهار قبل أن يبلغ قعرها أو أصلها . فأما ذكرها مضافاً الى الجبار فباطل ، وأراد بساعد الله ان صح الذي ينتقم الله به ، كما أن سيف الله الذي ينتقم به من الكفار[4] ويستوفي به القبض ، وأراد بالذراع مملوكة كبيرة المساحة فأمر أن يذرع بها ما عنده من المساحة ، فانه كما قال : (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) (الحج / ٤٧) و (كخمسين ألف سنة) [5] (المعارج / ٤) فالأزمنة[6] تكون عنده في طول المساحة ما يشبه به[7] فيأمره [8] بمقدار يناسبه .

وأما ذكر الأصابع فصحيح ، ولكن لم ترد مضافة اليه ، وانما ورد : (أنه

---

(١) ز : يعدني .
(٢) ز : في الهامش : في نسخة : فيكون .
(٣) ز : يشك .
(٤) ب ، ز : الكفر . في هامشهما : في نسخة: الكفار .
(٥) ينتهي ما نقص من (د) ولكنه كمل في ورقة (١٣٠ ب) .
(٦) د ، ز : في الأزمنة .
(٧) د : له .
(٨) ب ، ز : أشير إلى أنه في بعض النسخ : فيأمر له .

يضع السموات على أصبع والأرضين[1] على أصبع ثم يهزهن)[2] الحديث ، ولا ينكر أن يكون لله أصابع ، ولكن ليست صفات له ، ولا متصلة له[3] ، ولا يقتضي الظاهر ذلك ، فلا نرده[4] باطناً فيضيفوها[5] الى الله ، وقولوها مطلقة كما جاءت تكونوا آخذين بالظاهر . والمعنى فيه أن الجامع[6] للمخاطب الأصابع ، فضرب له المثل به . فاحفظوا[7] نكتة بديعة وهي أن الشرع جاء باليدين واليد والكف والأصابع ، وقل بالساعد[8] والذراع مفردات فلا تصلوها ، وتجعلوها عضواً ، وتضيفوها وتركبوها[9] بعضها الى بعض فانكم تخرجون عن الظاهر الى باطن التشبيه والتمثيل الذي نفاه عن نفسه ، فما فرق لا يجمع ، وما جمع من صفاته العليا[10] لا يفرق .

وأما ذكر القدم والرجل فصحيح ، وردا مضافين الى الله[11] ، وأما الساق فلم يرد مضافاً اليه ، لا في حديث صحيح ولا سقيم ، وانما قال الله : (يوم

---

(١) د : الأرض .

(٢) رواه البخاري في الصحيح عن آدم بن شيبان .

(٣) ب ، ز : – له . وكتب على الهامش ما يشير إلى أنها مثبتة في نسخة أخرى .

(٤) ج ، ز : ترده . د : تردوه .

(٥) ج ، د ، ز : فتضيفوها .

(٦) ب ، ج ، ز : كتب على الهامش ما يشير إلى أنه قد زيد في نسخة أخرى : للمتفرق المأخوذ المخاطب (د) + نفس النص في المتن .

(٧) ب : واحفظوا .

(٨) ب : الساعد .

(٩) د : تركبوا .

(١٠) د : العلية .

(١١) د : إليه .

يكشف عن ساق) (القلم / ٤٢) ما الساق ؟ وأي ساق ؟ ولمن [1] من ذوي [2] السوق ؟ وأما الوطء بالقدم فلم يرد في حديث صحيح ، أما أنه ورد في الحديث الضعيف [3] و (آخر [4] وطأة وطئها الله تعالى بوج [5]) يعني الطائف [6] ، اشارة الى أنها آخر غزوة انتقم فيها من الكفار ، وذلك مشهور في لسان المخاطبين بالقرآن ، قال الشاعر :

وطئنـا [7] وطيـا على حنـق   وطـى [8] المقيـد ثابت الهـرم

ولا يبعد أن يكشف عن ساق من يقول : انه ذو ساق ، ومن الذي يمنعهم أن يقولوا : انه هذا الساق ؟ قال الشاعر [9] :

عجبت من نفسي ومـن اشفاقهـا [10]   ومن طرادي [11] الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها

وأما حديث المخاصرة [12] فضعيف ، وهو في اللغة مأخوذ من خصر [13] وقد

---

(١) د : + لمن .
(٢) ب ، ج ، ز : – لمن .
(٣) د : الظاهر .
(٤) ج ، ز : أمر .
(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦١ – ٤٦٢ .
(٦) وقيل واد بالطائف .
(٧) د : ووطئتنا ، ز : في الهامش : في نسخة : وطأننا .
(٨) أو : وطء .
(٩) د : العربي .
(١٠) ج ، ز : أسقامها .
(١١) ب ، د : طراد .
(١٢) د : الخاصرة .
(١٣) د ، ز : خ ص ر .

تكون[1] الجارحة ، وقد تكون[2] من المخصرة وهي العصا ، المعنى ، يعطيه ما يعتمد عليه ، أ[3] و يدنيه منه بالمنى[4] والأمان ، حتى يكون بمنزلة من خاصر الملك . ثم يقال لهم : قوله (يضع السموات على أصبع ، وتقلب[5] القلوب بأصابع الرحمن) من أين لكم أن أصابع الوضع المطلقة هي أصابع التقليب المضافة اليه ؟ ثم انه قال ، (ولتصنع على عيني) (طه / ٣٩) وقال : (تجري بأعيننا) (القمر / ١٤) من قال لكم : انها عينان ؟ وقال : (بيدي) (ص/٧٥) و (يدي) (الحجرات / ١) من قال لكم : انها أيدي ؟ فان قيل قوله : (والسماء بنيناها بأيد) (الذاريات / ٤٧) قلنا[6] : اتفقت الأمة على أنها لا ياء فيها[7] ، فلا سبيل إلى[8] أن يكون[9] جمع يد ، ثم يقال لكم : لم لا[10] تصلون بين القدم والرجل والساق والخاصرة والجنب ؟ . والجنب عبارة عن جهة القصد ، لأنه قال : (فرطت في جنب الله) (الزمر / ٥٦) ولا يكون ذلك أبداً الا من جهة[11] طاعة ، لا تفريط في الجارحة[12] منا[13] ، ولا في الصفة منه

---

(١) ب : يكون .
(٢) ب : يكون .
(٣) ب : - أ .
(٤) ج ، د ، ز : بالمن .
(٥) ب ، د : ويقلب .
(٦) ب : تنافيها . ج ، ز : بناء .
(٧) د : فلها .
(٨) ب ، ج ، ز : - إلى .
(٩) ب : تكون .
(١٠) د : - لا .
(١١) د : - من .
(١٢) ج ، ز : الخارجة .
(١٣) ب ، ج ، ز : منك .

سبحانه — ثم تصلون[1] الاصبع بالكف ، بالذراع والساعد ، وتجمعون[2] صورة فرقها العقل والشرع ؟ ان هذا لهو الكفر العظيم ، والخسران المبين . ثم[3] الوطء هو وضع القدم بنقل[4] ، وليس الباري ذا أجزاء تنتقل[5] ، فان قيل ففي الحديث : (ان العرش ليئط به أطيط الرحل براكبه) قلنا : هذه باء السبب ، والمخلوقات كلها تئط به أي من أجله ، فان قيل : أجمعت الأمة على أن أصابع الوضع هي أصابع تقليب القلب ، قلنا : أجمعت الأمة على أنها ليست هي . فان قيل عمن ؟ قيل له : وقل أنت عمن ؟ وتحقيق المسألة أن أحداً لم يقل قط ان الأصابع والكف صفة ، و[6] انما اختلفوا فيما جاء به[7] القرآن . فأما ما جاء من طريق الآحاد ، فلا يثبت العلماء بها[8] صفة ، وإنما اقتحم ذلك هذه[9] الطائفة العوجاء[10] وأما الضحك والفرح فحديث صحيح ، ولكن أجمعت الأمة على أنها ليست بصفات ، وانما الضحك عبارة عما يكون من فضله ، ويفيض من عطائه ، كما يقال : ضحكت الأرض اذا أبرزت زينتها . قال[11] أبو نصير :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق   موزر بعميم النبت مكتهل

وقال آخر :

---

(١) د : يصلون .

(٢) د : يجمعون .

(٣) د : — ثم ، + و .

(٤) ب . ج ، ز : بثقل . (ز) : في الهامش : في نسخة : بنقل .

(٥) د : تستقل .

(٦) ب ، ج ، ز : — و .

(٧) د : في .

(٨) ز : في الهامش : في نسخة : به .

(٩) ج ، ز : — هده . وأشير في (ز) إلى أنه قد أثبت ذلك في نسخة أخرى .

(١٠)د : الغوغاء .

(١١)د : وقال .

غمـر الرداء اذا تبسـم ضاحكـاً علقـت لضحكتـه[1] رقـاب المال

والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول والا فيقال[2] لهم : علام[3] تقولون : انه يفرح ويمشي ويهرول ، ويأتي وينزل ؟ فهل يجوع ويعطش ويمرض ويحتاج ويعرى ؟ فان قالوا : لا ، قلنا : فقد قال : (عبدي مرضت فلم تعدني . جعت فلم تطعمني ، عطشت فلم تسقني) وفي رواية : (استكسيتك فلم تكسني)[4] فيقول : فكيف[5] يكون ذلك وأنت رب العالمين ؟ يقول : كان ذلك بعبدي فلان . ولو فعلت به ذلك لوجدتني عنده ، في حديث طويل ، هذا معناه . فان قالوا : لا نقول بهذه لأنها آفات ، وهذه صفات . قلنا لهم بل هي جوارح . وأدوات وهي كلها نقص وآفات ، فان هذه الجوارح[6] كلها انما وضعت للعبد جبلة لنقصه يتوصل ، ويتوسل بها الى قصده ، ومن له الحول والقوة ؟ . وانما هو اذا أراد شيئاً قال له كن فيكون بلا[7] آلة له[8] ولا جارحة ، فكما أضاف هذه الألفاظ الجوارحية[9] عندنا الى نفسه ، كذلك (و ١٣٢ أ) أضاف البيت والدار اليه ، فهل بيته الذي هو الكعبة على قدره أو أكبر منه ؟ وهل يدخله أم لا ؟ وداره هل يسكنها أو يدخلها ؟ وأنتم معشر الغافلين أو قل الجاهلين وان صرمتم فأصب[10] بالضالين الكافرين مقتل الخطاب الصحيح فيهم :

(١) د : بضحكته . ز : في نسخة : نصحكته .

(٢) ب . ج . ز : الاقبال . وفي هامش (ج ، ز) : صوابه : والا يقال لهم .

(٣) د : له هل .

(٤) ج : تكسيني .

(٥) ب . د : وكيف .

(٦) ج : جوارح .

(٧) د : فلا .

(٨) ب : كتب في الهامش فلا آلة عنده . د : عنده .

(٩) ج : الجارحية .

(١٠) ب ، ج . ز : ان رصرمتم فأصب .

الأرض كلها لله ، والمساجد لله ، والكعبة بيت الله ، والجنة دار الله ، وإذا أراد الله أن يشرف بيتاً أو داراً ، أو آدم أو عيسى قال : انه منه ، وله ، وبيده كان ، والى جنبه يقعده ، وعلى عرشه ينزله معه ، وكل ملك له ، ويده [1] ورجله وقدمه ، وذراعه وساعده ، ولا سيما اذا تصرف في طاعته ، ألا ترى الى [2] قوله في الحديث الذي رويتم : (فساعد الله أشد ، وموساه أحد) فجعل له ساعداً وموسى . والاضافة واحدة والكل صحيح المعنى حق .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم [3] : (ان الله خلق آدم على صورته) فقد تكلمنا على الحديث في مواضع ، وأملينا فيه ما شاء الله أن يملى [4] ، ولم يتفق لأحد فيه [5] من الجمع ما اتفق لنا . ولبابه أن أصل القول ، معناه ثلاثة أوجه الأول : أن يكون المراد به صورة الرحمن . الثاني : أن المراد صورة آدم نفسه . الثالث : أن المراد صفة [6] صورة العبد الملطوم [7] الذي جاء الحديث على سببه ، حين لطم وجهه فقال : (اجتنبوا الوجه فان الله خلق آدم على صورته) فرجع [8] الثلاثة الأقوال الى اثنين وهما أن يعود الضمير الى آدم أصلا أو تبعاً ، أو يعود الى الله [9] ، فان قلنا : انه يعود الى آدم كان معناه : أكرمه فان أباك على صورته ، وكان ذلك أوعظ له من أن يقول له [10] : فانك على صورته ، لأن المرء يمكن [11] أن يمتهن

---

(١) د : فيده .
(٢) ج : في .
(٣) د : صلى الله عليه وسلم .
(٤) د : تملي .
(٥) د : فيه لأحد .
(٦) ب . ج . ز : – صفة .
(٧) د : المظلوم .
(٨) د : وترجع .
(٩) د : + تعالى .
(١٠) د : – له .
(١١) ب : ممكن .

من نفسه ما لا [1] يمتهن من أبيه ، فان الموجود اذا أشبه من له حرمة عندك راعيت شبهة جبلة [2] وشريعة [3] ومروءة [4] ، (و ١٣٢ ب) ألا ترى إلى قول القائل [5] :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

وقال الآخر [6] :

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم اذ صار [7] حظي منك [8] حظي منهم

وان قلنا يعا د الضمير [9] الى الله كان معناه تشريف العضو بأن فيه طرق العلم كلها ، البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، وفيه شروط [10] قيام العقل بالقلب ، أو هو محل العقل ، على اختلاف غير ضار [11] في الدين ، ولا يصح أن يكون آدم ، ولا أحد على صورة الرحمن باجماع ، واذا بطل الظاهر ، فلا معنى لاعتقاد المحال الذي يبطله العقل في الباطن ، فان العقل يزكي الشرع [12] ، والشاهد بعدالته [13] ، ومن المحال أن يأتي الشاهد بجرحة المزكي وتكذيبه ، فان ذلك عائد

---

(١) ب ، ز : – ما لا .
(٢) ج ، ز : حمله .
(٣) د : شرعة .
(٤) د : صورة .
(٥) ج ، ز : هو العربي . د : قول العربي .
(٦) ج : قول الآخر ، ز : قول آخر . د : وقال .
(٧) ز : في نسخة : كان .
(٨) ز : في نسخة أخرى : مثل .
(٩) ج ، ز : – الضمير . د : وان قلت له يعود إلى الله .
(١٠) د : شرط .
(١١) ز : في نسخة : ضائر .
(١٢) د : مزك للشرع .
(١٣) ج ، ز : يعدله .

بابطال قوله . وقد بينا ما كان يقوله أبو يعلى بن الفراء الحنبلي : انه يلتزم في صفة الباري كل شيء الا اللحية والفرج ، فانظروا نبهكم [١] الله الى هذا المفتري [٢] على الشريعة في جنب الله تعالى ، ويقال له : فأين [٣] التزام الظاهر ؟ وأين صفات المعاني من العلم والقدرة [٤] والكلام والارادة ، والحياة [٥] والسمع والبصر ؟ وإذا ثبتت [٦] الجوارح الظاهرة [٧] فأين الباطنة من القلب ونحوه ؟ فان [٨] قال : هذه صفات نقص . يقال له : تكون صفات كمال بأن تذهب [٩] عنها الآلام واللذات ، والقاذورات ، كما ذكر تعالى عن صفات أهل الجنة ، وكما فعلتم في الجوارح الظاهرة ، وإذا بلغتم الى [١٠] هذا المقام فاحمدوا الله على ما وهبكم من العصمة عن هذه البدعة [١١] بل الكفر الصراح [١٢] . ومن استطاع على التأويل ، وفهم المعنى فبها ونعمت ، ومن قصر نظره التزم الايمان ، ونفي التشبيه ، واعتقد تقديس الرب [١٣] عن الآفات والنظير ، ولا [١٤] تصفوه الا بما صح ، ولا تنسبوا اليه الا

---

(١) ب ، ز : في نسخة : ثبتكم الله . د : تبتكم .
(٢) د : الافتراء .
(٣) د : أين .
(٤) د : — والقدرة .
(٥) د : الحياء .
(٦) د : ثبت .
(٧) د : — الظاهرة .
(٨) د : وان .
(٩) ب ، د : يذهب .
(١٠) ج ، ز : — إلى .
(١١) د : البدع .
(١٢) ب ، ج ، ز : — بل الكفر الصراح .
(١٣) د : الباري .
(١٤) د : فلا .

ما ثبت ، فأنتم [1] تعلمون أنه لا يقبل على أحد (و ٣٣ أ) من الخلق الا العدل ، فكيف [2] تقبلون على ربكم ، من لم يعرف [3] عينه ، ولم تثبت عدالته فيضاف اليه ، ويحكم به عليه . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب على ثلاث [4] مراتب ، المرتبة [5] الأولى [6] : مـا [7] ورد من الألفاظ كمال محض ليس للآفات والنقائص فيه حظ ، فهذا يجب اعتقاده . الثانية : ما ورد وهو نقص محض ، فهذا ليس لله فيه [8] نصيب فلا يضاف اليه [9] الا وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة كقوله : (عبدي مرضت فلم تعدني) وما أشبهه .

الثالثة : ما يكون كمالا ، ولكنه يوهم تشبيهاً . فأما الذي ورد كمالاً محضاً كالوحدانية والعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ، والاحاطة والتقدير والتدبير ، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ، ولا توقف . وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص كقوله : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) (الحديد / ١١) وقوله : (جعت فلم تطعمني [10] ، وعطشت) فقد علم المحفوظون ، والملفوظون ، والعالم ، والجاهل ان ذلك كناية ، وأنه واسطة عمن تتعلق [11] به هذه النقائص ،

---

(١) د : وأنتم .
(٢) ج ، ز : وكيف .
(٣) ب ، د : تعرف .
(٤) ب : ثلاثة .
(٥) ب ، ج ، ز : – المرتبة .
(٦) ب ، ج ، ز : الأول .
(٧) د : فما .
(٨) د : فيها .
(٩) ج ، ز : إليها .
(١٠) د : – فلم تطعمني .
(١١) ج ، ز : يتعلق .

ولكنه أضافها الى نفسه الكريمة المقدسة ، تكرمة لوليه ، وتشريفاً ، واستلطافاً للقلوب وتليينا[1] . وهذا أيها العاقلون[2] تنبيه لكم على ما ورد من الألفاظ المحتملة ، فانه ذكر الألفاظ الكاملة المعاني السالمة ، فوجبت له ، وذكر الألفاظ الناقصة ، و[3] المعاني الدنيئة فتنزّه[4] عنها قطعاً ، فاذا جعلت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه ، وللنقصان بوجه ، وجب على كل مؤمن حصيف[5] أن يجعله كناية عن المعاني التي تجوز عليه ، وينفي[6] عنه ما لا يجوز عليه ، فقوله في اليد والساعد والكف والاصبع عبارات[7] بديعة (و ١٣٣ ب) تدل على معان شريعة ، فان الساعد عند العرب عليه كانت تعول[8] في القوة والبطش والشدة ، ألا ترى[9] الى قول الزبير[10] وقد ضرب ، فأبان المضروب وفصله وتجاوز الى ما تحته فقال له قائل : ان هذا السيف[11] فقال : ما هو السيف[12] ، انما هو الساعد ، ولهذا قال النبي[13] في حديث أبي الأحوص[14] عن أبيه فيجدع هذه فيقول : ضرر[15] ،

---

(١) د : تبيينا .
(٢) د ، ز : الغافلون .
(٣) د : — و .
(٤) ب ، ج ، ز : فترة .
(٥) ج ، ز : خصيف .
(٦) د : تنفي .
(٧) ج ، ز : عبارة .
(٨) ج : تقول .
(٩) د : ترون .
(١٠) الزبير بن العوام ، استشهد سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ .
(١١) ب ، ز : في نسخة : لسيفا .
(١٢) ز : في نسخة : بالسيف .
(١٣) ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم . د : + عليه السلام .
(١٤) سلام بن سليم أبو الأحوص . توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ .
(١٥) د : فتقول : ضربنا .

ويقول[1] بحيرة فساعد الله أشد ، وموساه أحد)[2] تهديداً[3] له على ما أتى من الفعل القبيح ، وتحذيراً له من النقمة والجزاء . وأضاف الساعد الى الله ، لأن الأمر كله لله ، كما أضاف الموسى اليه . وكذلك قوله : (ان الصدقة تقع في كف الرحمن) عبر بها عن كف المسكين ، تكرمة له ، حتى لقد قال بعضهم : ان قوله : (اليد العليا خير من اليد السفلى) المراد باليد العليا[4] يد[5] السائل المعطى[6] الآخذ لهذا المعنى ، وأضافها اليه تكرمة ، كما قال : (ناقة الله) (الشمس / ١٣) وأمثاله كثيرة . وقد بينا ذكر الأصابع وحكمته في ذكر التقليب به [7] ، وما يقلب بالأصابع [8] ، يكون أيسر وأهون ، ويكون أسرع ، فأراد الباري أن يهون عند قدرته ، مقدار السموات والأرض[9] والمخلوقات ، وأراد في جعل[10] القلب بين أصبعين ، الاشارة[11] بذلك الى سرعة تقليبه[12] وخفائه وحقارته ،

---

(١) د : تقول .
(٢) أورده البيهقي في الأسماء والصفات بلفظ آخر : هل تنتج ابل قومك صحاحاً آذانها فتعمد إلى الموسى فتقطع آذانها وتقول هي بحر ، وتشقها أو تشق جلودها وتقول هي حرم فتحرمها عليك وعلى أهلك ؟ قال قلت : نعم ، قال : فكل ما أتاك الله لك حل ، وساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك (الأسماء والصفات ص ٣٤٢) .
(٣) ب : في نسخة تسديداً . ب ، ج ، ز : تشديداً .
(٤) ج : – باليد العليا . ز : بيد .
(٥) د : – يد .
(٦) د : العطى .
(٧) د : – به .
(٨) د : – بالأصابع .
(٩) د : الأرضين .
(١٠) ج ، ز : وأرى أن في جعل .
(١١) د : اشارة .
(١٢) ب ، ج ، ز : تقلبه .

وهو والمخلوقات سواء في هوان [1] ذلك عنده ، وحقارته [2] بالاضافة الى قدرته . وقيل كنى بالأصبعين عن اللمتين لمة من الملك له في الايعاد بالخير ، وتصديق الحق ، و [3] من الشيطان لمة في الايعاد بالشر والتكذيب بالحق . وأما الذراع فقد بينا بأنه انما ورد مطلقاً غير مضاف الى الله [4] ، قال الله سبحانه : (ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) (الحاقة / ٣٢) والحديث الذي فيه [5] بذراع الجبار ، لم يصح ، كما قدمنا (و ١٣٤ أ) ، وانما الصحيح في اسناده عن أبي هريرة [6] : (غلظ جلد الكافر أربعون ذراعاً) [7] مطلقاً غير مضاف ، فلا يلتفت الى حديث الاضافة .

عاصمة :

مما يتعلق بهذا ويستذكر به ، وجرى فيه توقف وغلط ، أحاديث يعارض

(١) ب : حقارة .
(٢) ج : – وهو والمخلوقات سواء في هوان ذلك عنده وحقارته .
(٣) د : – و .
(٤) ز : كتب على الهامش : قلت الذي يظهر لهذا العبد الضعيف وهو المخلص الواضح الذي ليس بعده توقف ولا اشكال ، وذلك أن خطاب الله لخلقه ، والتعبير على شؤونه سبحانه وتعالى يلزم أن يكون على أسلوب مخاطباتهم ومعاملة بعضهم لبعض ، كما يلزم أيضاً في بيان شؤونه وافهامهم اياها ، أن تكون على نحو صفاتهم البشرية من جميع الوجوه لأن كيفية المخاطبة تكون ولا بد تابعة لحال المخاطب في ادراكه وعقله وعلمه ومعهوداته وإلا لو لم يكن الأمر كذلك لتعطلت الشرائع والأحكام وانسد باب المعارف الدنيوية والأخروية لأن الله جل جلاله وتنزه وتعالى ، ذاته لا تشبه الذوات ، وصفاته ليست كصفات الخلق في الكم والكيف وأفعاله لا تشبه أفعال المخلوقات . وبهذا والحمد لله تندفع جميع الاشكالات والحمد لله أولا وآخراً .
(٥) ب ، ج ، ز : – فيه .
(٦) توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ (العبر ، جـ ١ ص ٦٣) .
(٧) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٢ .

ظاهرها المقتضى بالعقل ، لا تتعلق بالباري ولا صفاته ، ولكنها تتعلق بما أخبر عنه من المعاني ، وقد سبق بيانها [1] بأن [2] العقل والشرع صنوان ، وأن العقل مزكي الشرع ، ولا يجرح الشاهد المزكي ولا يكذبه ، فان ذلك ابطال له . وأحكام العقل ثلاثة واجب وجائز [3] ومستحيل ، فأما الواجب والمستحيل فالشرع لا يثبتهما ولا ينفيهما ، لأنه لم يأت لبيان المحسوسات والضروريات ، وإنما جاء لتعيين جائز أو تبيين حكم ابتدائي [4] ، وعلى الواجب والمستحيل بنى الشرع الأدلة ، وبهذا وقع [5] احتجاجه ، واليها في النظر كان مرجع البيان [6] منه ، فاذا جاء ما ينفي العقل ظاهره فلا بد أيضاً من تأويله ، لأن حمله على ظاهره محال ، فيكون غير مفهوم والشرع لا يأتي به ، فلا بد من تأويله . والأخبار على ثلاثة أقسام [7] : متواتر وهو قليل بل عزيز . ومستفيض وهو كثير . وآحاد ، وهو جملة أخبار الشرع ، وفي القرآن من التواتر ما يغني ، والمستفيض والآحاد اذا جاءا في الآثار ، يرد الآحاد جماعة ، منهم مالك رضي الله عنه في مواضع تعارضها [8] أصول الشرع . والقدرية لا تلتفت اليها . ولكنها تتناقض فيها ، وقد بينا حقيقة الأخبار في كتب الأصول ، ونحن نورد من ذلك أمثلة مختلفة المباني .

خبر :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة ان

---

(١) ز : في نسخة : بيانه .
(٢) ز : في نسخة : فان .
(٣) د : جائز وواجب .
(٤) ب ، د : ليعين جائزاً ، أو يبين حكماً ابتلائياً .
(٥) ب : في نسخة : وبها أوقع .
(٦) ج ، ز : كان في النظر مرجع البيان .
(٧) ز : في الهامش ، في نسخة : أضرب .
(٨) د : يعارضها .

الشيطان لا يتمثل بي)[1] فهذا يعلم قطعاً أنه لا يرى ذات النبي [2] لوجهين : أحدهما أن ذاته لا تدرك في اليقظة فضلاً عن المنام . الثاني أنه يراه في صورة تخالف صورته الكريمة . فدل على أن هنالك محذوفاً تقديره : من رأى مثالي فقد رآني ، أي يكون ذلك دليلاً على أنه رأى الحق ، كما قال في رواية أخرى : (فقد رأى الحق) اذ الشيطان وان لعب بالانسان في يقظته أو[3] منامه ، فلا يلعب به بواسطة النبي ، فكان ذلك المثال الذي يرى في المنام ، هو مثال النبي ضرب عنه حقاً .

وقد سألت دانشمند[4] عن الرجل يرى النبي في المنام فيقول له : كان كذا ، أو افعل كذا ، مما يوافق الحق ، أو يخالف ما روى عنه ، أو ما يقتضيه القياس فقال لي : ذلك لا يوجب حكماً ، ليس بشك في حقيقة المثال ، وتصديق الرؤيا ، ولكن لأن الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه لا يوثق به في تحصيل ما رأى ، فان المستيقظ قد يفوته التحصيل ، ويذهب عنه الوعي ، بغفلة ، أو ذهول ، أو نسيان ، فكيف بحال النوم ؟ انتهى قوله .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : وقد بينا أن الرؤيا أوهام ، أو حقيقة ادراك ، على الاختلاف في ذلك . وعندي أنه حقيقة ادراك ، ولكن الملك يضرب بها المثل ، وذلك مختص بحالة النوم تصرف فيه الأشياء عن ظواهرها ، وتجري الكنايات والمجازات البعيدة فيها ، باذن صاحب الشريعة ووضعه ، كما أنه منع الكنايات في بيان التوحيد ، ووضع الأحكام وجرى كل على حكمه وبابه .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) هنا يبدأ النقص في (د) .

(٣) ب : – أ . ز : على الهامش : في نسخة : أو .

(٤) ب : نشمند . ج : ذانشمند . كلمة فارسية بمعنى عالم العلماء . ز : كتب في الهامش : قف على سؤاله لشيخه أبي حامد الغزالي .

خبر :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم الساعة)[1] قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه فقد أخبر الله أنه خلق العرش والكرسي والقلم واللوح ، وأمر القلم فكتب فاختلفت ها هنا خمسة معان : المعنى الأول : العرش ، ولا خلاف بين المصلين أن العرش مخلوق جسم محدث عن أول سابق بعدم[2] ، ولكنهم اختلفوا هل هو عبارة عن المخلوقات أجمع أم عن مخلوق أعظم منها قدراً ، وأعلى منها مكاناً ، والصحيح أنهما جميعاً صحيحان موجودان .

المعنى الثاني : الكرسي ، وقد اختلف الناس فيه فمنهم من قال : انه العلم ، وقيل : انه موضع القدمين[3] ، ومعناه أن العرش منصوب كهيئتي الدست ، والكرسي ، موجود تحته كهيئة الكرسي الموضوع للملك في الدنيا يرقى الى الدست عليه ، ويضع اذا جلس قدميه فيه ، وهي جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه ، ولم يرد في هيئته حديث يعول[4] عليه ، فلا يلتفت اليه أما أنه من الجائز أن يكون كذلك والله[5] أعلم بوجه الحكمة في خلقه ، اذ لا يصح بحال من المعقول أن يكون مقراً له ، ونحن لا نعلم الحكمة في خلق الذر ، فكيف أن نعلم[6] الحكمة في خلق العرش والكرسي ، فلا معارضة بين القولين ، فيجب الايمان بالورود

---

(١) رواه أبو داود في كتاب القدر .

(٢) ب : لعدم .

(٣) ب : القدس .

(٤) ب : نعول .

(٥) ب ، ز : في نسخة : ربنا .

(٦) ج : تعلم .

والتجويز للمعنيين ، واعتقاد وجوب سعة العلم للكل ، وتنزيه الرب عن الحلول والاتصال ، ونكون حينئذ من الراسخين بفضل الله . المعنى الثالث ، القلم ، ليس يمتنع أن يكون جسماً مؤلفاً ، ولا خلاف بين الأمة أنه كذلك ، وقد تظاهرت الأخبار والآثار أنها أقلام ، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح ، صريفها في ليلة الاسراء ، في العلو الأعلى ، ويحتمل أن يكون أول مخلوق قلما واحداً ، فكتب ، ثم خلقت سائر الأقلام بعده ، ويحتمل أن يكون قوله : (أول ما خلق الله القلم) عبارة عن الجنس لا عن الواحد ، والظاهر عندي أنه واحد خلقت بعده أقلام سواه ، والله أعلم .

المعنى الرابع ، أنه قال له : اكتب ، قد بينا في « قانون التأويل » وجه الحاجة الى الكتابة ، وفضل الله فيها على الخلق ، وما يدفع من مضرتهم ، ويرفع من حاجتهم ، ولما قال في الحديث (فقال له اكتب) دل على أن هنالك مكتوباً فيه ، وهو المعنى الخامس عبر في آية باللوح [1] وفي آخر [2] بالرق المنشور ، ويحتمل أن يكون [3] لفظين لمعنى واحد ، ويمكن أن يكونا لفظين لمعنيين ، والظاهر أنهما واحد له اسمان ، بل له أسماء المذكور منها هذان الاسمان ، وعند الانتهاء الى هذا المقام قالت طائفة : ان هذه [4] عبارة عن انتقاش المعلومات في قلوب العالمين ، وعبر عنه بالقلم والكتب مجازاً ، اذ معنى الكتابة تثبيت صور العلوم ، وذلك كله ثابت في قلوب العالمين فعبر [5] به [6] عنه . وهذا المعنى وان كان جائزاً

---

(١) ج ، ز : في حديث بأنه اللوح .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وصوابه : أخرى ، بناء على أنه وصف للآية .

(٣) كذا في النسخ الثلاثة (ب ، ج ، ز) وصوابه : يكونا .

(٤) ب ، ز : في نسخة : هذا .

(٥) ج ، ز : في نسخة : فعبروا .

(٦) ب ، ز : + به في نسخة .

في ذاته صحيحاً في وجوده ، فلا نقف بالقول فيه ، بل نقول : انه مكتوب في جسم بجسم[1] ، وفي مؤلف بمؤلف ، ويكون ذلك كله من خلق الله وحكمه ، وحكمته بأن كتبه محسوساً ومعقولاً ، وجعله بالمعنيين موصولاً . وإذا كان كل ذلك جائزاً فهذا هو الظاهر ، فان الله قال : انه أول ما خلق ، القلم ، وقال له اكتب ، ولم يكن هنالك[2] عالم ينتقش في قلبه معلوم ، فعبر عنه بأنه مكتوب ، وانما خلق ما خلق ، وكتب ما كتب ، ثم أنشأ الخلق أطواراً ، وعلمهم بالقول البيان ، وبالقلم الكتاب ، وأخبر عن الوجهين بقوله : (الرحمن علم القرآن خلق الانسان ، علمه البيان) (الرحمن / ٣) وبقوله : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) (العلق / ٤) وقد زاد بعضهم بأن هنالك[3] دواة ، وجعلها مذكورة في قوله : (ن والقلم) (القلم / ١) وهذه دعوى من غير برهان ، فان المداد مادة لنا في تصوير القلم لما يكتبه في وجه اللوح ، وكتاب قلم الله ، لا يحتاج الى مادة ، أما أنه لو ثبت طريق وجودها لقلنا به ، وان لم يثبت فقد استغني عنه .

تكملة :

وتبقى ها هنا نكتة ، وهي أن كتابه يحتمل أن يكون بخلاف كتابة الخلق ، ويحتمل أن يكون مثلها ، فقد روى الترمذي[4] وغيره عن عبد الله بن عمر[5] أن

---

(١) ج ، ز : بجسم في جسم .

(٢) ب ، ج : هنالك .

(٣) ز : هناك .

(٤) أبو عيسى محمد بن عيسى توفي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ .

(٥) توفي سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ .

النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً على أصحابه ، وفي يده كتابان فقال عن الذي في يده اليمنى : (هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل [1] على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً [2] ، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل [3] آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال بيديه ، فنبذهما ثم قال : فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة ، وفريق في السعير) ولو أراد أحد أن يكتب أسماء أهل بلد في قراطيس تسع بيته ، ما وسعت فيه ، فكيف كفه ؟ ولكن كتابة الباري على ما تقتضيه قدرته [4] . وخذوا [5] دستوراً في كلامه العربي ، الذي نظمه لرسوله الأمي الذي أتاه جوامع الكلم [6] ، وأنزل عليه القرآن معجزاً للخلق ، فذكر قصة نوح في خمس وعشرين آية ، أملينا عليكم فيها خمسمائة مسألة ، وذكر قصة موسى في تسعين آية ، أملينا عليكم فيها ثمانمائة مسألة ، وأفرد ليوسف سورة ، أملينا عليكم فيها ألف مسألة . وليس يقدر أحد من الخلق على أن يجمع في قدر ذلك من الحروف ، مقدارها من العلوم ، فاذا شاهدتم هذه القدرة في المؤلف بين أظهركم ، فماذا تستغربون من أمر فيما غاب عنكم ، فقدر نفسك على أن الأقلام أجسام تكتب في الألواح [7] فوق السموات بصرير ، وتصريف ، وتقدير ، وتصوير ، وأن ذلك المكتوب

---

(١) جـ ، د ، ز : أحيل .

(٢) ب : – أبداً .

(٣) جـ ، د ، ز : أجل .

(٤) رواه الترمذي في صحيحه جـ ٨ ص ٣٠٨ .

(٥) جـ ، ز : وجدوا .

(٦) ب : الكلام .

(٧) جـ ، ز : ألواح . وكتب على هامش (ز) : في نسخة : ألواح .

ينكتب في قلوب الملائكة ، وينتقل منه الى قلوبنا ، ويثبت بصفته في كل موضع بحسب حاله والكل جائز مقدور . والحديث [1] فيه صحيح مأثور .

خبر :

ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يؤتى يوم القيامة بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف على الصور بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة فيشرئبون ينظرون ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيشرئبون ينظرون ، فيقال لهم : أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا [2] هو الموت فيذبح ، ثم ينادي منادي يا أهل الجنة خلود ، فلا موت ، ويا أهل النار خلود ، فلا موت ، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة ، والبقاء ، لماتوا فرحاً ، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء ، لماتوا ترحاً) .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : لما سمع الناس هذا الحديث ، من ذهاب الصدر الأول ، قالت طائفة : لا نقبله ، فانه خبر واحد ، وأيضاً فانه جاء بما يناقض العقل ، فان الموت عرض ، والعرض لا ينقلب جسماً ، ولا يعقل فيه ذبحاً ، ولما استحال ذلك عقلاً ، وجب أن يمنح الحديث رداً . وقالت طائفة أخرى : ان كان ظاهره محالاً ، فان تأويله جائز ، واختلفوا في وجه تأويله على أقوال قد بيناها في كتاب « المشكلين » ، أصلها [3] قولان : أحدهما ان هذا مثل ، كما لو رأى أحد ذلك في المنام في زمان وباء ، فيقال له : هذا الوباء قد زال ، ويقع في قلبه في المنام ، أن ذلك هو الوباء ، وأنه بذبحه يرتفع عن المكان الذي هو فيه . وهذا له رونق ، وربما [4] تلفق وتنمق ، وآخر الأمر

---

(١) ج ، ز : الخبر .
(٢) ج ، ز : – هذا .
(٣) ج ، ز : أصلهما .
(٤) ج : فما .

لا يستمر ولا يتحقق .

الثاني : أن الذي يؤتى به متولي الموت ، وكل ميت يعرفه ، فانه تولاه [1] ، فاذا استقرت المعرفة به ، أعدم لهم ، العدم الذي عهدوه ولو شاء ربنا [2] لخلق لهم العلم بذلك ضرورة ، ولكنه رتب لهم هذه القصة بهذه الحكمة ، ويعبر عن المتولي لذلك الشيء باسم ذلك الشيء [3] قال فصيحهم :

يا أيهـا الراكـب المزجـى [4] مطيته سائـل بني أسد ما هذه الصـوت
وقل لهـم بادروا بالعـذر والتمسـوا قولاً يبريكم انـي أنـا [5] المـوت

والذي يعضد هذا التأويل ، ويحققه [6] قوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه) (النور / ٣٩) فأخبر عن جزائه [7] بذاته الكريمة ، فكذلك يخبر عن الموت بمتوليه فاعلموا ذلك ، وقد مهدنا القول مستوفى في تفاصيل الخبر ، في كتاب « المشكلين » بما لبابه : ان خروج الروح من الجسد ان لم يكن موتاً ، اذ [8] كان الموت لا يكون حياة الا برجوعه الى الجسد ، فاذا ذبح الكبش ، ولم

---

(١) ب : يتولاه .
(٢) ز : في نسخة : ربك .
(٣) ب : وقال .
(٤) ج ، ز : المرصى .
(٥) ج : أنني .
(٦) ج ، ز : وتحقيقه .
(٧) ز : كتب على الهامش : في نسخة : جوابه .
(٨) ج : إذا .

تخرج [1] روحه ، فلا يرى أحد الموت ، وان رآه بعد خروج روحه ، فلم تذبح [2] الموت ، وان رآه وقد خرج بعضه فليس بموت ، والموت في حقيقته لا يتبعض ، وان توقفنا في الروح هل يدخل أو يخرج [3] ، وان قال : أرى مقدماته ، عاد الى المجاز ، وأهل القيامة لم تبق [4] لهم غريبة لم يروها ، ولا عادة منخرقة الا عايثوها ، فانهم رأوا الأجسام الثقال تعلو ، وعاينوا في الصراط الأجسام الثقال تمشي على المحدد [5] الدحض [6] ثابتة ، وتجري كجري الخيل ، وتسير سير الريح ، وتخطو خطو البرق ، وأحسوا بالظمأ قد ارتفع من شرب الحوض ، ورأوا العرق يسيل [7] ، فيأخذ [8] كل انسان عرقه على مقدار [9] ذنوبه ، فيكون الشخصان متجاورين كخبزة النقي [10] ، وأحدهما قد غرق في العرق ، حتى شرق ، وجاره قد بلغ الى نصف ساقه ، ورأوا المقسطين على كراسي في الهواء قعوداً [11] الى غير ذلك من عظم الآيات ، وأعظم منه الحياة بعد الموت ، والقيام من الرفاة الى الحياة ، فقد تحققوا الحياة أولا ، وثالثاً ، والموت ثانياً ، فلا سالف الا وقد حصل عندهم

---

(١) ب : يخرج .
(٢) ب : يذبح .
(٣) ج ، ز : هل يخرج أو يدخل .
(٤) ج ، ز : يبق .
(٥) ب : المجوز . ز : في نسخة : الحد .
(٦) ز : الدخض .
(٧) ج ، ز : تسيل .
(٨) ز : كتب على الهامش : عله : يخوض .
(٩) ز : قدر .
(١٠) ب : النني .
(١١) ب : قعود .

في باب كان ، وسحبوا عليه ذيل العرفان ، فلو ذبح لهم الموت قبل البعث لقال من رآه ولم يمت : اني قد استرحت من الموت ، وإنما يرى الموت قد ذبح ، وهو قد ذبح قبل ذلك ، وقطع آراباً ثم عاد حياً ، فكيف يمتنع عنده أن يعود الموت بعد الذبح حياً ؟ فكيف يئس [1] بذبحه مع تجويز عوده ؟ فأنى لهم نفس مطمئنة ؟ أم كيف يتحققون الخلود في نار أو جنة ؟ هيهات ليست الحقائق في هذه الطرائق ، ولا تنال المعاني بالأماني ، ولا تؤخذ التحف من الصحف ، وانما هي منقولة من الفؤاد الى الفؤاد ، بواسطة اللسان والآذان ، ونبذ المحال ، بشد الرحال ، واعمال المطي ، الى المكان القصي ، وملاحظة الأعيان بالعيان ، وتحقيق القول في ذلك أن الروح تخرج [2] من الجسد في الدنيا على أنواع . تجمعهما حالتان : احداهما [3] أن تنتفض البنية ، وتنفك الرتبة ، والثانية أن تزهق الروح والبنية بحالها ، من وقص أو رفس ، ومع عمل من الآدمي كالخنق ، ولدم القلب ، ورض الانثيين ، وغير ذلك من الأنواع الخفي على الناس وجه اتصالها بالموت ، والموت وان اعتقده المعتقدون خروج الروح من الجسد ، وأن الروح جسم لا بد له من منفذ لصفته [4] المذكورة ، فاذا وقع الخنق ، فمن أين تخرج [5] والمنفذ مستد ؟ وان قال : هو جسم لطيف . قلنا : اللطيف والكثيف له محله ، وسبيله بصفته ، والذي يدل عليه أن الريح التي هي شبيه [6] الروح في الحروف

---

(١) ب : يأنس .

(٢) ج ، ز : يخرج .

(٣) ج ، ز : أحدهما .

(٤) ب ، ج ، ز : لضيقته . وكتب على هامش (ز) في نسخة : لصفته .

(٥) ج ، ز : يحرج .

(٦) ج ، ز : نسيب .

تأليفاً ، وفي الاشتقاق وزناً ، وتصريفاً ، وفي الكيفية ظناً وتخميناً ، اذا سدّ[1] عليها المنفذ ، لم يكن لها مخرج ، ولقد روى أن الخزنة فتحت على عاد[2] منفذ الريح في مسلك محصور مثل حلقة الخاتم ، وعتت ، حتى فعلت ما فعلت بقدرة من مكنها فتمكنت . فأفاد أنه لا يكون سلوكها إلا على مسلك بقدر فعلها ، ومن يظن الروح لها دخول وخروج كدخول الأجسام وخروجها في المعتاد فيها ، هيهات له هيهات المدى ، بل له معنى بديع يبرزه النظر ، ويشهد له الخبر ، فان قيل : فقد روي أن يحمى ذبح أو نشر ولم يمت : قلنا أخبار من[3] غير أحبار ، ولو صحت لقلنا : انه ذبح ثم أحيي ، وقد أحيي بعد الموت في الدنيا جماعة ، ولابن البهاء[4] كتاب فيهم ، كبير مفيد ، وقد يمكن أن يذبح الحي فلا يموت ، فان قيل : فحركة المذبوح بعد الذبح ، ما هي ؟ قلنا لهم : هي عندهم مستعارة ، وحقيقتها نبينها ان شاء الله تعالى[5] .

فان قيل : فكيف يأكل أهل الجنة من لحم حيوانها أمع[6] بقاء الحياة ؟ فقد روي أنه يقع بين أيديهم مشوياً . قلنا : ويجوز أن يكون مع ذلك حياً سوياً ، ويلقم وهو يتكلم ، وكما الشواء[7] من غير استواء ، كذلك يؤكل حياً مع الاستواء[8] ، وسقطت الذكاة لأن الجنة ليست بدار تكليف ، ولما سقطت

---

(١) ج : شد .

(٢) جـ : – عاد .

(٣) ب ، ز : في نسخة : عن .

(٤) ب : ابنها . والصحيح أنه ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد (+ ٢٨١ هـ / ٨٩٤) وكتابه يسمى : « من عاش بعد الموت » مخطوط (الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٦٠) .

(٥) ب ، ز : – تعالى .

(٦) ب : مع .

(٧) ب : انشئوا .

(٨) ب : من غير اشتواء .

الذكاة ، سقطت متعلقاتها والله أعلم . وطريقة الكلام في المسألة المتقدمة أن الله يخلق لهم العلم اليقيني ، في دار اليقين ، بأن الموت لا يعود أبداً . ولو خلق لهم هذا العلم ابتداء دون ذبح شيء لكان ذلك واقعاً موقعه ، ولكنه بحكمته جعله مخلوقاً منوطاً بسبب ، كما كان عند العلم اليقيني في الدنيا ، أن من ذبح أو مات لا يعود فيها أبداً ، فرتب لهم سبحانه شيئاً يشبهه ، حتى يكون العلم الثاني على ما رتب عليه العلم الأول ، وثبت[1] (و ٧٩ ب) في نفوسهم العلم بالمراد كما أثبته من قبل ، وكان عود الحياة بعد الموت الأول بخبره ، كذلك يكون امتناع العود الى الموت الثاني بخبره ، وتطمئن نفوس أهل الجنة بالخلود ، ويزيدهم قوله لهم[2] : أحل عليكم رضائي[3] فلا أسخط بعده أبداً . ويقع اليأس لأولئك ، وتطبق[4] عليهم النار ، وينفذ[5] الحكم ، ويقع الفصل ، ويظهر الوعد الصدق ، والله يختم لنا ولكم بالحسنى برحمته .

خبر :

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأنبياء ليلة الاسراء رؤيا عين ، لا رؤيا قلب ، في المنام ، وذكر فيه أنه رأى جميع الأنبياء في السماء ، ورأى موسى عند قبره يصلي مع أنه رآه في السماء ، وروي أنه رآهم في المسجد الأقصى ، وصلى بهم[6] ، ورأى عيسى يهادي بين رجلين كأنما خرج من ديماس[7] ورأى ،

---

(١) د : انتهاء ما سقط وهو يوازي من ص ٢٢ إلى ٥٥ جـ ٢ من طبعة ابن باديس .

(٢) د : — لهم .

(٣) ب : رضواني .

(٤) جـ : تصبق .

(٥) د : ينفد .

(٦) ب ، جـ ، ز : معهم .

(٧) جـ : كتب على الهامش : قوله : ديماس هو الحمام .

أو قال كأني [1] أنظر الى يونس يلبي ، وتجيبه الجبال ، وعليه عباءتان قطوانيتان ، ولأجل هذا قال جماعة : بأن الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان مناماً ، فأنكروا صحيحاً جائزاً ، لأنه تعذر عليهم ثقيل يعلو ، وميت [2] يحيا من طريق العادة ، واطمأنت به نفوس العلماء فان اعتلاء الثقيل كنزوله ، وإذا نزل جبريل مع خفته [3] جاز أن يعلو محمد مع ثقله ، والذي يمسك السموات بغير عمد ، والأرض معها بغير أمد محدد [4] ، يجوز في حكمته [5] ، ويتيسر في قدرته أن يعلو بالثقيل الى ذلك المنتهى ، ويجوز أن يحيي له الأنبياء فيردهم [6] الله الى هيئتهم ، ويريهم [7] اياه في مواضع مختلفة [8] ، وفي أوقات متباينة ونحن انما نتكلم مع أهل الملة ، ومن يتوجه الى القبلة ، فان [9] تكلم معنا سواهم ، رجعنا معه الى الأصل المتقدم ، ويجوز أن يقول النبي [10] في يونس : كأني أراه يلبي كما تقول أنت اليوم [11] : كأني بالنبي محمد [12] في (و ٨٠ أ) عزفة [13] في حجته ،

---

(١) ج : – كأني .

(٢) ج ، ز : سببت . وكتب على الهامش : عله : ميت .

(٣) د : ثقله .

(٤) ب ، ج ، ز : مجدد .

(٥) د : حكمه .

(٦) د : ويردهم .

(٧) ب : فريهم . ج : فيرهم .

(٨) ب ، ج ، ز : – و .

(٩) ب : + من .

(١٠) د : + صلى الله عليه وسلم .

(١١) د : – اليوم .

(١٢) د : + صلى الله عليه وسلم .

(١٣) د : بعرفة .

والناس حوله ، وأسامة رديفه[1] ، لأنك قد تحققته ، والأول[2] في جهـة النبي[3] أصح إذ[4] قال : رأى ، وهو[5] جائز إذ[6] قال : كأني .

خبر :

ومن ذلك قوله في حديث الكسوف : (رأيت الجنة والنار في عرض هذا[7] الحائط ، ودنت ، فأردت أن أتناول منها عنقوداً) فقد علمنا أن عرض الحائط لا يتسع[8] لأقل[9] حائط بالمدينة ، فكيف للجنة ؟ وانما أراد أنه رآها في جهة القبلة ، وهذا مما لا يؤمن به القدرية أبداً ، لأن الرؤية عندهم انما هي اتصال الأشعة من نور البصر الى المرئي[10] على خطوط مستقيمة أو معوجة بحسب اختلاف المناظر ، وهي بواطل قد بيناها في غير موضع من كتبنا . وإنما الرؤية ادراك يخلقه الله تعالى[11] ، يجوز عندنا أن يجعله في الرأس والرجل والخد والظفر ، وان كان أجرى

---

(١) د : ردفه .

(٢) جـ : الأولي .

(٣) د : + صلى الله عليه وسلم .

(٤) د : إذا .

(٥) د : هذا .

(٦) جـ ، د : إذا .

(٧) د : – هذا .

(٨) د : يسع .

(٩) د : لحمل .

(١٠) د : المرء .

(١١) د : – تعالى .

العادة أن يكون في المقلة . فالمعنى في الحديث[1] أن الله[2] خلق لرسوله[3] الادراك ، وهو في عرض الحائط ، وخطر بباله أن يتناول منها عنقوداً ، فلو حاول ذلك لأخذه ، كما قال ، لأنه قد كان ألقى في نفسه أو سمعه ، أنه ان شاء أن يتناول تمكن[4] ، وليس من شرط التمكن اللمس ، بل بمد[5] يده وارادته يأتي ذلك[6] الى يده من مكان بعيد بل بارادته[7] وحدها . وهذا كله وان كان خلاف العادة ، فانه مقتضى القدرة ، ولما بعد ذلك عند القدرية ، قالوا : صقلت له صفحة الحائط فتمثلت له الجنة والنار ، في ذلك الجسم الصقيل . فيا[8] عجباً لهم هذا خلاف العادة ، مما تقتضيه القدرة ، وليست القدرة في صحة ما يتعلق بها من الجائزات موقوفة على ما قالوه من الصقل[9] خاصة ، بل هي جائزة في الصقل والنقل[10] ، وإذا جاز صقل الحائط فلا يرى (و ٨٠ ب) فيه[11] الجنة ممن قابله الا محمد[12] ، جاز أن يخلق له الادراك وحده بها . ويحتمل أن يكون قوله : (رأيت

---

(١) ب ، ج ، ز : – في الحديث .

(٢) د : + تعالى .

(٣) د : + محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) د : ويمكن .

(٥) ب ، ج ، ز : يمد .

(٦) د : ذلك يأتي .

(٧) ب : ارادته .

(٨) د : ويا .

(٩) ب ، ج ، ز : الصقيل .

(١٠) ب ، د : التفل .

(١١) د : فيها .

(١٢) د : + صلى الله عليه وسلم .

الجنة والنار في عرض الحائط) أي مستقرب يوازي في القرب عرض الحائط بما اطلع عليه منها ، وألقى اليه من التمكن[1] بها ، وإذا أمكن المرء من البعيد صار قريباً ، كما أنه اذا لم يمكن ، كان أبعد من السماء ، وان كان مصاقباً له ، وهذا لا يخفى على ناظر منصف ، يعضده ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به ، وقال لقريش : (كنت البارحة في بيت المقدس[2] فقالوا له : صفه لنا ، قال : فكربت كربة لم يصبني قط مثلها ، فأراني[3] الله اياه عند دار أبي جهم ، فطفقت أنظر إلى بابه[4] ، وأخبرهم عنه) فان كان نقل[5] رؤية[6] ، فقدرة وآية ، وان كان خلق له الادراك حتى صار في التبيين له ، كأنه قريب منه ، كقرب دار أبي جهم فآية ، والكل جائز ، وربنا عليه قادر .

قال القاضي أبو بكر[7] رضي الله عنه : وبعد هذا ، أخبار كثيرة هذا دستورها ، وقد يضاف اليها بالجهل ، ما ليس له أصل كقولهم : (أول ما خلق الله[8] العقل[9] فقال له[10] أقبل) الحديث . وهذا لم يصح ، ولو تعدل راويه[11]

---

(١) د : التمكين .

(٢) ب : في القدس .

(٣) ب : وأراني .

(٤) د : آياته .

(٥) جـ ، ز : يقل .

(٦) د : ولم يرده .

(٧) د : قال أبي .

(٨) ب : + تعالى .

(٩) د : + أو خلق الله العقل . ز : كتب على الهامش : قلت لعل المراد بالعقل هنا هو محل العلم أو النور الذي يكون به ادراك العلوم .

(١٠) د : – له .

(١١) د : راوية . جـ ، ز : رواته .

لكان له وجه بأن يخلقه في محل ، ويكون الخبر عنه صحيحاً معقولاً ، وقد بينا أنه العلم ، فاليه يرجع معناه ، وعليه يتركب المراد به . وبقيت بعد ذلك معضلة وهي أن القيامة يوم عظيم فيه أعلام وأحكام ، وأجسام [١] . فقد روي [٢] في الحوض والصراط أحاديث صحيحة ، وأما [٣] الميزان فانما ذكر في القرآن ، وانفرد القرآن بذكر الميزان والوزن ، وانفردت [٤] السنة بذكر الصراط والحوض . أما أنه روي عن (و ٨١ أ) أنس [٥] أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (أحب أن تشفع لي يوم القيامة ، قال : أنا فاعل قال : قلت : يا رسول الله أين أطلبك ؟ قال : أطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فان لم ألقك على الصراط ، قال : فاطلبني عند الميزان ، قال : فان لم ألقك عند الميزان ، قال : فاطلبني عند الحوض) والحديث لم يصح ، بل أنه ثبت في الأحاديث الصحاح [٦] في الشفاعة [٧] : (أخرجوا من النار من في قلبه دينار ، نصف دينار ، شعيرة ، ذرة) وذلك مما لا يعرف الا بالوزن ، فكأنه نبه بالسنة على ما صرح به [٨] القرآن [من أمر الميزان ، وصرح في السنة بما نبه به في القرآن] [٩] من أمر الصراط والحوض ، فلما كان هذا الأمر [١٠] هكذا ، اختلف الناس في ذلك ، فمنهم من قال : ان

---

(١) ز : توجد « أجسام » في نسخة .

(٢) د : ورد ، ز : في نسخة : ورد .

(٣) د : فأما .

(٤) د : وتفردت .

(٥) أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله ، توفي سنة ٩٣ هـ / ٧١١ .

(٦) د : في .

(٧) ج : — من الشفاعة .

(٨) ج : — به .

(٩) ب : سقط ما بين القوسين .

(١٠) د : أمر .

الأعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان ، وشاهين في قبان ، ويجعل في الكفتين صحائف الحسنات والسيئات ، ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب علمه بها ، وصفة أعمال عباده لها . وانبنى ذلك على التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح ، وأن الله يفعل ما يشاء ، ولا يترتب عليه حكم في فعل يناسب عملاً من أعمال[1] أهل الدنيا ، وانما هو الخبر كما جاء والحكم لله العلي الكبير كما أراد . وتعارضت آيات الوعد والوعيد ، وجرى فيها ما بيناه في غير موضع ، ومنهم من قال — وهم المبتدعة — انما يرجع الخبر عن[2] الوزن الى تعريف الله سبحانه[3] العباد بمقادير أعمالهم . ونقل الطبري[4] وغيره عن مجاهد[5] أنه كان يميل الى هذا القول ، فان كان هذا النقل عنه صحيحاً ، انه لمزلة قدم ، وفاتحة لمن يرى قلب الألفاظ لغير ضرورة[6] ، مع امكان حملها على ظاهرها ، وليس يمتنع أن يكون الميزان ، والوزن على ظاهره ، وانما يبقى النظر في كيفية وزن الأعمال ، وهي أعراض ، فها هنا يقف من وقف ، ويمشي على هدى[7] (و ٨١ ب) من مشى ، فمن كان رأيه الوقوف ، فمن الأول ينبغي أن يقف ، ولئن[8] أراد المشي ليجدن سبيلاً ميثاء[9] ،

---

(١) ب : – أعمال .

(٢) د : على .

(٣) د : – سبحانه .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير ، توفي سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ وكان من المجتهدين . (العبر ، جـ٢ ص ١٤٦) .

(٥) مجاهد بن جبير أبو الحجاج من كبار المفسرين ، توفي سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ .

(٦) ب ، جـ ، ز : صورة . كتب على هامش (ز) عله : ضرورة .

(٧) جـ : هذا .

(٨) د : لمن .

(٩) جـ ، ز : ميتاء . د : بينا .

فانه يجد ، هنا هنا ثلاثة معان : ميزاناً ، ووزناً ، وموزوناً ، وكل واحد [منها معلوم ، وبعضها مرتبط ببعض ، لا يصح أن ينفرد [1]] [2] [منها واحد عن الآخر] [3] للملازمة التي يقتضيها اللفظ ، ويقضي بها العقل ، قال [4] الله تعالى : (والوزن يومئذ الحق) (الأعراف / ٨) فعلمنا أن هنالك وزناً ، وقال : (فمن ثقلت موازينه) (الأعراف / ٨) فعلمنا أن هنالك ميزاناً نصاً ، وموزوناً نصاً [5] لأنه قال : (موازينه) بعد قوله : (فمن ثقلت) فاقتضى ثقلاً في ميزان ، وذلك هو الموزون فصارت الثلاثة كلها في القرآن ، واقتضى ذلك موزوناً يخف تارة ، ويثقل أخرى ، فيخف الميزان به [6] ويثقل ، ولم يبق الا تعيين الموزون . وقد ورد في الحديث الصحيح أنه يوزن عمله من ايمانه ومن حسناته [7] ، وبه يخرج من النار ، كما أن بعمله السيء دخلها ، فاذا ثقلت السيئات ودخل النار ، روعي له عند الخروج الايمان من ذرة الى [8] شعيرة الى دينار ، ولو روعي له ذلك في الوزن الأول ، ما دخل النار لرجحانه له [9] ، ولكنه تأخر ، اما لوزن السيئات ورجحها ، و[10] اما لأنه مدخر [11] للخروج من النار ، وقد بينا ذلك في موضعه من « المشكلين »

---

(١) ب : يفرد .

(٢) ج : سقط ما بين القوسين .

(٣) د : سقط ما بين القوسين .

(٤) ب ، ج ، ز : فقال .

(٥) ب ، ج ، ز : تكرر : نصا .

(٦) ب : — به .

(٧) د : خيره .

(٨) ب : — إلى .

(٩) د : — له .

(١٠) ج : — و .

(١١) ب ، ج ، ز : مؤخر .

فدل صحيح هذا الخبر ، على أن أعمال الجوارح توزن وبها [1] ينجو من العذاب ، أو يقع فيه ، وأنه يخرج بما في قلبه من الإيمان [2] ، اذ الأعمال تضعفه ، فاذا بقي له [3] مقدار [4] ذرة ، عصم من الخلـود بـه . ومن مشى في طريق الوزن وتتبـع [5] ألفاظه وجده صحيحاً في كل لفظة [6] ، حتى اذا بلغ الى تعيين الموزون ، ولم يتبين له ، لا ينبغي أن يرجع القهقرى ، فيبطل بأن يبقى ما تقدم على حقيقته [7] وصحته ، ويسعى [8] في تأويل هذا ، وتبيينه [9] . (و ٨٢ أ) وانما يكون الرجوع في قياس الخلف النظري [10] في المعقولات على الوجه الذي بيناه في أبواب النظر ، فلا نقول [11] إذا [12] لم نعلم [13] عين الموزون ، يسقط الكل ، وإنما وجب الرد في قياس [14] الخلف ، لابتناء [15] بعض المقدمات على بعض ، وأما ها هنا فألفاظ صحيحة ،

---

(١) د : فيها .

(٢) د : ايمان .

(٣) د : لهم .

(٤) د : مثقال .

(٥) ب ، ج ، ز : تبع .

(٦) د : لفظ .

(٧) ج : حقيقة .

(٨) د : سعى .

(٩) د : وتبينه .

(١٠) د : – النظري .

(١١) د : يقول .

(١٢) د : إذ .

(١٣) د : يعلم .

(١٤) د : القياس .

(١٥) د : لانثناء .

ومعان صائبة[1] ، وامكان موجود ، فينبغي اذا عرض في أثناء ذلك التعذر أن يفرد بالنظر . وإذا ثبت هذا ، قلنا : قد ثبت أن أعمال العباد مكتوبة في صحائف تنشر له ، فيقع الوزن في الصحائف ، ويخلق الله فيها[2] الثقل ، والخفة على حسب عمله بها ، وهذا كله مبني على أصل يخالف[3] فيه الفلاسفة والقدرية ، التي فرت من الوزن لأجله ، وذلك لأن الثقل والخفة عندهم ، انما هو بكثرة الأجزاء وقلتها ، وعندنا[4] بما يخلقه الله فيها ، فجرت العادة في الدنيا بأن يتبع الثقل كثرة الأجزاء ، والخفة قلتها ، فاذا خرق العادة ارتبط الثقل والخفة بخلقه ، وزمان القيامة زمان خرق العادة عندنا وعندهم ، ومجاهد لا يحتاج معه الى هذا[5] بل يلزمه الأمر من أول كرة ، لمساعدته لنا في عموم القدرة ، وهذا[6] ربط به الثقل والخفة في الدنيا ليجعله سبيلا الى معرفة الخلق بالمقدار والمقدار في الآخرة انما يكون بمادة عمله من الأعمال ، لا بثقل ولا بخفة فيها ، لأنها ليست بأجزاء ، وقد فعل الله[7] سبحانه في الدنيا فعلا من ربط الثقل ، والخفة بكثرة الأجزاء ، عايناه وأخبرنا أنه يفعل في الآخرة غيره ، والقدرة عامة ، فوجب[8] التصديق للخبر اذ[9] لا بد من الرجوع الى علمه بها باتفاق منا ، ومنهم أجمعين . فان

---

(١) د : صحيحة .

(٢) ب : فيه .

(٣) د : تخالف .

(٤) د : + إنما هو .

(٥) د : مدا .

(٦) ز : في نسخة : – هذا .

(٧) د : – الله .

(٨) ز : في نسخة : توجب .

(٩) ب : إذا .

قيل فيعلمهم ، فأي حاجة الى الميزان ؟ قلنا نصب الميزان ليس[1] (و ٨٢ ب) لحاجة ، ولا نصب الصراط لحجة ، وانما ذلك لحكمة ليرى الخلق عيانا ، ما كان أخبرهم عنه برهاناً ، وللعيان تأثير لا بد منه في الدنيا والآخرة ، كما أخبر به ، فلا ترجعوا عن الظاهر الى الباطن ، ولا تحترسوا في[2] أمر لا بد لكم منه ، في كيفية أحوال الأعمال في الآخرة ، فانه قد ثبت من تصورها صوراً ، وتشكلها أشكالاً ، ما لا مدفع فيه لأحد . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن البقرة وآل عمران ، معاً ، يأتيان يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو كأنهما خرقان ، من طمر صواف تظلان صاحبهما ، والسورة لا تأتي ، والحروف[3] والأصوات لا تتشكل ، والخبر قد صح ، وتأويل من قال يأتي ثوابها كلام متسور لا علم عنده ، فيرسل[4] عذبة[5] لسانه ، في الذي ليس من شأنه بما لا تتحصل[6] حدوده ، ولا يثبت وجوده ، وانما يحمل على معان ، منها أن الصحيفة التي قرأ فيها ، أو كتب الملك فيها ، قراءته تظله[7] ، أو ينشىء الله[8] له غمامة يقال : هذه سورتك التي كنت تقرأ .

فان قيل : فهذا هو الثواب . قلنا : نعم ، ولكن ليست الغمامة السورة[9] ،

---

(١) د : ليس نصب الميزان .

(٢) د : من .

(٣) ب ، ج ، ز : - والحرف .

(٤) ب ، ج ، ز : فيرعد به . كتب على هامش (ز) : في نسخة : فيرسل .

(٥) ب ، ج ، ز : - عذبة .

(٦) ب ، د : يتحصل .

(٧) ب : تطلبه .

(٨) د : - الله .

(٩) د : والسورة .

ولم يرد تسميتها ثواباً ، فكيف يخبر [1] عما يشكل بما يشكل ، وانما كان يقول : يأتي ثوابها ، لو قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، فيفسر ، وأما تفسير المشكل والمحتمل بمشكل محتمل ، فما [2] لا يجوز شريعة ، ولا يصح عربية .

خبر :

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر : آخر [3] أهل النار خروجاً من النار ، فقال : (يؤتى مثل الدنيا وعشرة أمثالها وذلك أقل أهل الجنة منزلة) ، فلما سمع قوم هذا عظم ذلك عندهم [4] لوجهين خطأين أحدهما : جهلهم بعموم قدرة الله ، وعلمه ، وسعة مخلوقاته قياساً على أنفسهم ، وقصراً (و ٨٣ أ) لخواطرهم القاصرة عن منتهى العلوم [5] . الثاني اعتقادهم أن الجنة [6] هي السموات وهي لا تتسع [7] لهذا ، وكيف وهي من الدنيا ؟ فذلك أبعد .

قال القاضي أبو بكر [8] رضي الله عنه : فقال لي أبو حامد الغزالي : انما يؤتى مثل الدنيا في القيمة والقدر ، لا في المساحة ، وقيد شبر من الجنة خير من الدنيا ، بغير حصر بمثل [9] ، ولا بعشرة أمثالها ، ولا بأكثر من ذلك ، كما يقال :

---

(١) ج : الخبر ، د : تخبر .

(٢) د : ما .

(٣) ب : أخير .

(٤) د : عندهم ذلك .

(٥) د : المعلوم .

(٦) د : الجنات . وكتب على هامش (ز) في نسخة : الجنات .

(٧) د : تسع .

(٨) د : قال أبي .

(٩) د : مثل .

هذه الياقوتة خير من ألف مثقال ، لا في الوزن ، ولكن في القيمة والمنفعة ، لأنها تساوي بالتقويم أكثر من ألف . فقلت : هذا المذكور ، يؤتى مثل الدنيا في [1] عشر مرات مساحة وقيمة ، فان القيمة لا تنحصر ، اذ نصيف حورية ، خير من الدنيا ، والقدرة متسعة للمساحة والقيمة جميعاً ، والخلاء يحتملها ، فافرض ما شئت في العدم ، وأخرجه الى الوجود ، جاز عقلا ، وصح ، اذا خلق وجودا [2] وقد روي عن ابن عباس أنه قال : (ليس في الجنة من الدنيا الا الأسماء) وليس هذا باخراج لها من حد المحسوس الى المعقول ، كما تقوله الفلاسفة ، وانما هو للفرق [3] بينهما من أوجه كثيرة أحدها : أن الجنة لا تفنى ، والدنيا تفنى ، والجنة لا تستحيل ولا تتغير ، والدنيا ، بخلافها [4] ، والجنة لا آفة فيها ، والدنيا كلها آفات [5] من لغو ، وهمّ ، وغول ، وملل [6] ، وغل ، وحسد ، ومنازعة ، وكل ما يكدر نعم الدنيا ، فالجنة منزهة عنه ، في ذات وصفات وأفعال . وبذلك تم النعيم ، وكمل الأخذ [7] ، وطاب العيش . والدنيا ما يكون فيها ينشأ بتركيب وتدريب ، وترتيب ، والجنة انما يقول العبد فيها للشيء [8] كن فيكون ، وكل شيء في الدنيا ينفع ويضر [9] ، والجنة منفعة بجميع ما فيها ، لا مضرة معها ،

---

(١) د : – في .

(٢) ب : وجودان .

(٣) ب ، ج ، ز : الفرق .

(٤) ج ، د ، ز : بخلافه .

(٥) د : آفة .

(٦) ب : ملك . د : هلك .

(٧) د : الأمر . ز : في نسخة : الأمر .

(٨) ب : لشيء .

(٩) د : يضر وينفع .

فهذه سبعة وجوه أصول ، بله ما يتبعها من أعظم [1] التفصيل . وبالجملة (و ٨٣ ب) فاذا [2] أردت أن تعقل أمرك في الجنة فتصور نفسك وقدرها في جنتك ، مع من تحب من أهلك لا ينقصك أمل ، ولا يتوقع حول [3] ، وما تمنت نفسك وصل اليك ، وما كرهته من شيء دفع عنك ، واجتمع عندك الأمران : نيل كل مطلوب على العموم ، والأمن من كل مرهوب على العموم ، ورضى ربك ورؤيته أعظم من أن تقدر لذته ، أو تتصور ، واقرأ اذا أردت أن تعلم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (السجدة / ١٧) .

قاصمة :

قد سبق أنه انقسم حال السامعين لكلام الله الى من جعله كله باطناً ، وآخر جعله كله ظاهراً ، وأن الذي جعله ظاهراً ، بدأ بالباريء وصفاته فقال [4] فيها ما تقدم ، وقمنا بفرض البيان فيه [5] ، بما أمكن ، وعصمنا البيان فيه [6] بما عصمناه به ، وهنالك [7] من تعلق به في مسائل الأحكام خاصة وجعله الدليل على الأحكام وحده ، وأسقط الاستنباط ، لأنه مستغنى عنه ، قال : لأن [8] الله لم يبق حكماً الا نص عليه ، ولا مشكلاً الا بينه وأرشد اليه ، فلا يؤخذ حكم الا منه ولا

---

(١) د : عظيم ، ج ، ز : عظم .

(٢) ب : إذا .

(٣) د : تتوقع حولا . ج ، ز : تتوقع حول .

(٤) د : وقال .

(٥) د : من فرض فيه .

(٦) د : — فيه .

(٧) ج ، ز : تهالك . وكتب في هامش (ز) في نسخة : هنالك .

(٨) ب : ان .

يوجد بيانه الا فيه ، والحكم بالرأي ، والقول بالقياس ضلال [1] في الدين ، وعدول عن سنن المرسلين ، ومشاقة لله ولرسوله [2] وللمؤمنين ، وهي أمة سخيفة ، تسورت على مرتبة ليست لها ، وتكلمت بكلام لم تفهمه ، تلقفوه من اخوانهم الخوارج ، حين حكم علي ، رضي الله عنه [3] يوم صفين فقالت : لا حكم الا لله ، وكان أول بدعة لقيت في رحلتي كما قلت لكم ، القول بـالباطن ، فلما عدت وجدت القول بالظاهر [4] قد ملأ المغرب بسخيف [5] كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم [6] نشأ وتعلق بمذهب الشافعي [7] ثم انتسب (و ٨٤ أ) الى داود [8] ، ثم خلع الكل ، واستقل بنفسه ، وزعم انه امام الأمة يضع ويرفع ، ويحكم لنفسه ، ويشرع [9] ، وينسب الى دين الله ما ليس فيه ، ويقول على [10] العلماء ما لم يقولوا ، تنفيراً للقلوب [11] عنهم وتشنيعاً عليهم [12] ، وخرج [13] عن طريق

---

(١) د : + كله ، ج ، ز : + كلها .

(٢) ب ، ج ، ز : رسوله .

(٣) د : — رضي الله عنه .

(٤) د : بالباطن .

(٥) ب ، ج ، ز : سحيف . وكتب على هامش ب ، ز : في نسخة : بسخيف .

(٦) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ذو معرفة واسعة بالكتاب والسنة وبالعلوم العربية والفلسفية والديانات والملل ، توفي سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن ادريس إمام الشافعية توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ .

(٨) داود بن علي أبو سليمان الأصبهاني فقيه ظاهري ، توفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٧ .

(٩) د : يتشرع .

(١٠) ب ، ج ، ز : عن .

(١١) ب : ينفر القلوب .

(١٢) ج : عنهم .

(١٣) ب : خروجاً .

الشبهة في ذات الله وصفاته فجاء بطوام قد بيناها في رسالة « الغرة » واتفق له أن يكون بين أقوام لا نظر[2] لهم الا المسائل[3] ، فاذا طالبهم بالدليل ، كاعوا ، فتضاحك مع أصحابه منهم[4] ، وعضدته الرياسة ، بما كان عنده من أدب ، وشبه[5] كان يوردها على الملوك مع عامتهم[6] ، فكانوا يحملونه حفظاً لقانون الملك[7] ، ويحمونه لما كان يلقى اليهم من شبه البدع والشرك . و[8] في حين عودتي من الرحلة ، ألفيت حضرتي منهم طافحة ، ونار ضلالهم[9] لافحة ، فقاسيتهم مع غير أقران ، وفي عدم أنصار ، الى حساد يطأون عقبي ، فيدوسون ذيلي ، فاذا دنوا[10] عدموا[11] جانبي[12] ، فتارة تذهب لهم نفس[13] ، وأخرى تنكسر لهم ضرس[14] ، وأنا ما بين اعراض أو تشغيب بهم ، ولم يكن هنالك

---

(١) ب : + فيه . د : + به .

(٢) د : بصر .

(٣) د : بالمسائل .

(٤) د : – منهم .

(٥) د : شبهة .

(٦) د : عاميتهم .

(٧) د : الملوك .

(٨) د : – و .

(٩) ب : بياض مكان : ضلالهم .

(١٠) د : رثوا .

(١١) ز : في نسخة : عزموا .

(١٢) ب ، ج ، ز : حافتي .

(١٣) ب ، ج ، ز : نفسي .

(١٤) ب ، ج ، ز : ضرسي .

من يقف الأمر ، على حد المناظرة ، فينصر [1] الحق ، ويظهر الصدق ، فداريت [2] الأنام ، ودارت الأيام ، وقد كان جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه « نكت الاسلام » فيه دواهي فجردت عليه نواهي ، وجاءني برسالة « الدرة » في الاعتقاد ، فنقضتها برسالة « الغرة » والأمر أفحش من أن ينقض ، وأفسد [3] من أن يفسد ، اذ ليس له ارتباط ، ولا ينتهي الى تحصيل ، يقولون لا قول الا ما قال الله ، ولا نتبع [4] الا رسول الله ، فان الله لم يأمر بالاقتداء بأحد ، ولا بالاهتداء بهدي بشر ، ولا بالانقياد الى أحد .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [5] رضي الله عنه : اعلموا أرشدكم الله الى طريق التعليم ، ويسر لكم أسباب التفهيم ، أنا قد مهدنا في « النواهي » عن (و ٨٤ ب) الدواهي » وجه الرد عليهم [6] وطريق الدخول اليهم ، ويجب أن تتحققوا أنهم ليس لهم دليل على قولهم [7] ، ولا حجة على رأيهم ، وانما هي سخافة ، في تهويل . فأنا أوصيكم بوصيتين : احداهما [8] : ألا [9] تستدلوا عليهم ، الثانية [10] : وأن

---

(١) د : فينظر .

(٢) ب ، ج ، ز : فدربت .

(٣) ب ، ج ، ز : ما فسد . وكتب على هامش (ز) بخط مخالف : وأفسد .

(٤) د : يتبع .

(٥) د : قال أبي .

(٦) ب ، ج ، ز : عليه .

(٧) د : عقولهم .

(٨) ب ، ج ، ز : أحدهما .

(٩) ب ، ج ، ز : لا .

(١٠) ب ، ج ، ز : — الثانية .

تطالبوهم[1] بالدليل ، فان المبتدع اذا استدللت عليه شغب عليك ، واذا دعوته الى الاستدلال لم يجد اليه سبيلا ، فان الله تعالى[2] لم يجعل له[3] على الباطل دليلا[4] . فأما قولهم : لا قول الا ما قال الله فحق ، ولكن أرني ما[5] قال الله . وأما قولهم : لا حكم الا لله ، فغير مسلم على الاطلاق ، بل من حكم الله أن جعل[6] الحكم لغيره ، فيما قاله ، وأخبر به ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الثابت من الحديث : (واذا حاصرت أهل حصن فطلبوا أن ينزلوا اليك ، فلا تنزلهم على حكم الله ، فانك لا تدري ما حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك)[7] وهذا نص في مسألتين بديعتين احداهما : أنه يجوز أن يقال : ان[8] الحكم اليّ فيك شرعاً ، والثانية — وتقوّي الأولى — أن حكم الله لا يعلم الا بقوله ، وما لم يقل فيه شيئاً لنا[9] ، فلا نتركه دون حكم ، ولكنا نحكم فيه بما يقتضيه النظر في أمثال أحكامه وأشباهها ، والا فكان قوله : (ولكن أنزلهم على حكمك) بمعنى أنفذ فيهم ما تشتهي وما تريد . وإنما أفاد بهذا هذه المسألة[10] البديعة ، وهو

---

(١) ب : ولا تطالبوهم . ج ، ز : وطالبوهم .

(٢) ب ، ج ، ز : — تعالى .

(٣) د : — له .

(٤) د : ذليلاً .

(٥) د : أرى بما .

(٦) ب : يجعل .

(٧) نقل هذا النص (من ٦٧ — ٦٩ من طبعة ابن باديس) الذهبي في تذكرة الحفاظ ، (ط . الهند ١٣٣٤ هـ جـ٣ ص ٣٢٤) وعلق على ذلك بقوله : ان أبا بكر بن العربي هضم معارف ابن حزم هضمه حقه في معارفه ص ٣٢٧) .

(٨) ب : — ان .

(٩) د : — لنا .

(١٠) ج ، ز : الملة .

أنه لا يقول المجتهد : هذا حكم الله ، وانما يقول : هذا فرضي في عملي وعلمي .

وأما قولهم : ان الله لم يأمرنا بأن نقتدي بأحد [1] ، ولا نهتدي بغيره فكذبوا على الله ، وعلى رسوله [2] ، فانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي ، عضّوا عليها بالنواجذ) وأمر بالاقتداء بسنة الخلفاء[3] ، كما أمر (و ٨٥ أ) بالاقتداء بسنته ، وانما يقتدى [4] بالخلفاء فيما[5] لم يكن عنه فيه نص ، والا فما كان فيه منه النص ، لا ينسب الى الخلفاء ، وهذا قاطع في أنه صلى الله عليه وسلم ، لم ينص على كل مسألة ، اذ لو نص عليها ، لما كان للخلفاء سنة غيرها ، ويقال لهم أيضاً : قد صح أنه قال : (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) وهذا كالأول في الاقتداء بهما فيما لم يكن فيــه عن النبي[6] نص . وقد[7] قال صلى الله عليه وسلم : (اهتدوا بهدي عمار) . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدها في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب [8] ، وأفرضهم زيد بن ثابت [9] ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل[10] ، ألا وان لكل أمة أميناً ، وان أمين هذه الأمة

---

(١) د : – بأحد .

(٢) د : + عليه السلام .

(٣) ج : تكرر : بسنة الخلفاء .

(٤) د : نقتدي .

(٥) د : ما .

(٦) د : + صلى الله عليه وسلم .

(٧) ب : – قد .

(٨) أبو المنذر الأنصاري سيد القراء توفي سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ .

(٩) أبو خارجة المقرئ الفرضي توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ .

(١٠)الأنصاري الخزرجي توفي سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ .

أبو عبيدة بن الجراح [1] ولو كان كل الشريعة نصاً ، ما تفاوت فيه هؤلاء الجلة ، ولكان [2] دركه عندهم سواء ، كما تقول أنت وشيعتك : ان كل أحد يدركه ، ويستغني عن كل أحد فيه .

وغريبة [3] أمرهم أنهم يقولون : لا رجوع الا الى النص عن الله وعن رسوله ، وهي كلمة مخترعة ، لم تجر على [4] لسان أحد قبل الشافعي أخذتها منه الشيعة ، فقالت : ان النبي نص على عليّ في الامامة والخلافة على الأمة ، وكان ابن حزم أولاً قد تعلق بمذهب الشافعي سترة [5] متهكماً مدة ، ثم فضح نفسه بمذهبه آخراً ، وتعلق بكلمات من لدنه منها النص . فيقال لهم : بأي نص تردون الأمر الى النص وهم لا يجدونه أبداً ، وتحقيق القول في ذلك ، أن الله أنزل كتابه محكماً ، ومتشابهاً ، وأوعز الى نبيه [6] بأن يبين [7] للناس ما نزل اليهم ، ولو كان مبيناً ، يدركه كل أحد ، لما كان [8] محلاً للبيان ، فامتثل ما أمره الله به ، والبيان على أقسام (و ٨٥ ب) كثيرة ، عند العلماء ، ولكل واحد [9] طريقة في العبارة عنه . فأما طريقة الأصوليين فقد أثبتناها في مواضعه [10] مقتدين بغيرنا فيها .

---

(١) عامر بن عبد الله بن الجراح توفي سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ .

(٢) د : ولكن .

(٣) د : غزيبة .

(٤) د : في .

(٥) ب ، ج ، ز : سَترة .

(٦) د : + صلى الله عليه وسلم .

(٧) ج ، ز : بأني مبين .

(٨) ب ، ج ، ز : + له .

(٩) ب : أحد .

(١٠) ج : موضعه .

وأما المحدثون الذين تتعلق[1] بحبلهم ، وتزعم أنك تتفيأ بظلهم[2] فهو عندهم على عشر[3] مراتب ، الأولى[4] : بيان التصريح ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (ان الزمان قد استدار كهيئته[5] يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات[6] ذو القعدة ، وذو الحجة ورجب مضر[7] الذي بين جمادى وشعبان) الثانية : قال البراء[8] : أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، ويدي أقصر من يد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال : أربع[9] لا تضح[10] بهن : العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها ، والعجفاء التي لا تنقى) . الثالثة : قال سمرة بن جندب[11] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسمين عبدك أفلح ، ولا نجيحا ولا رباحا ولا يسارا[12]) ، وانظر ألا تزيد[13] عليّ . الرابعة : قول النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) ب : تعلق .

(٢) د : لظلهم .

(٣) ب ، ج ، ز : عشرة .

(٤) ب : الأول .

(٥) ز : كهيئة .

(٦) د : - ثلاثة متواليات .

(٧) ز : مض .

(٨) البراء بن معرور أول من بايع النبي ليلة العقبة ، توفي في السنة الأولى للهجرة وهناك البراء بن عازب ، توفي سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ .

(٩) ب ، ج ، ز : أربعة .

(١٠)د : لا يضحى .

(١١)سمرة بن جندب الفزاري من أهل بيعة الرضوان توفي سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ .

(١٢)رواه مسلم عن سمرة وقال السيوطي صحيح . (الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٨) وفي جميع النسخ أثبتت الأسماء مرفوعة (نجيح ، رباح ، يسار) .

(١٣)د : تريد .

أيما رجل أعمر عمرى له ولعقبه من بعده ، فانها لمن[1] يعطاها لا ترجع الى صاحبها أبداً . لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المواريث . الخامسة : قام رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فسأله[2] عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أو كلكم يجد ثوبين[3]. السادسة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، قيل يا رسول الله ما الهرج ؟ قال هكذا بيده ، وحرفها ، يريد القتل . السابعة : قال رجل في حجة الوداع : ذبحت قبل أن أرمى ، فأومأ بيده وقال : لا حرج . الثامنة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى نقاتل أقواماً[4] عراض الوجوه ، ذلف[5] الأنوف صغار العيون ، كأن وجوههم المجان المطرقة . التاسعة : جاء أبو بكرة[6] والقوم ركوع ، فركع دون الصف ثم مشى ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال : أيكم الذي ركع دون الصف ثم مشى ؟ قال أبو بكرة[7] : أنا يا رسول الله ، قال : زادك الله حرصاً ولا تعد . العاشرة : سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الرطب بالتمر فقال : (أينقص[8] الرطب اذا يبس ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا اذن) .

---

(١) د : لم .

(٢) د : فسألهم .

(٣) ب : ثوبي .

(٤) د : قوما .

(٥) ب ، ز : دلف .

(٦) و (٧) ب ، ج ، ز : أبو بكرة . وهو نفيع بن الحارث أو ابن مسروح ، توفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ (طبقات خليفة بن خياط ص ٥٤ ، الذهبي ، العبر ، ج ١ ص ٥٨) .

(٨) د : أتنقص .

فانظروا رحمكم الله الى بيان النبي صلى الله علية وسلم للأحكام على درجات ، وأين النص من هذه المراتب ؟ يزيده ايضاحاً أن النبي صلى الله عليه وسلم صح أنه قال : (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) وقد اختلفا في مسائل قطعاً ، منها الحد ، وتفصيل التفضيل في العطاء ، ولا يمكن الجمع بينهما ، في الاقتداء ، فأين النص ؟ ولكم أبين هذه المسألة لا لهم ، ومن الاقتداء بهم أن يرى الفقيه منكم ، أن كل واحد منهم لم يرجع الى صاحبه ، ولا نظر[1] كل واحد[2] الا لما[3] يقتضيه اجتهاده ، وكذلك فعل[4] سائر الصحابة دونهم ، وكذلك فعل التابعون ، وكذلك فعل مالك ، والشافعي ، فليقتد بهما في ذلك ، ومن الاهتداء بهدي عمار ، أن فقهه كان فيما اذا عارضه أمران ، أحدهما أشد من الآخر ، وأكثر احتياطاً في الدين ، أخذ به ، وهذا صحيح منه[5] فاقتدى به مالك ، وجماعة ، فرأوا اذا تعارض الدليلان[6] أن يؤخذ بالأشد والأحوط منهما ، ومن الاقتداء بعمر أن لا يقبل حديث النبي[7] من كل راو[8] ، فتراه[9] قد رد على أبي موسى حديثه ، وطلب منه البينة عليه . ومن الاقتداء بعلي ، وهو أحد

---

(١) ب ، ج ، ز : ينظر .

(٢) د : أحد .

(٣) ج ، ز : بما .

(٤) ج ، ز : + في .

(٥) د : عنه .

(٦) ب : دليلان .

(٧) د : + صلى الله عليه وسلم .

(٨) ج : راي .

(٩) ج : فيراه . د : فتراه .

الخلفاء أنه كان لا يرى رأي أبي بكر ولا عمر [1] في الحد ، فقد تعارضوا ، فكيف يكون الاقتداء ؟ فعلى قولهم (و ٨٦ ب) ما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل اليه [2] ، ولا أحال الا على مشكل ، ومن الاقتداء بعمر ، ألاّ يمكن الناس من أن يقولوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذيعوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى يحتاج اليها ، وان درست ، وهذا لحكمة [3] بديعة ، وهي أن الله قد بين المحرمات والمفروضات في كتابه ، وقال تعالى : (لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) (المائدة / ١٠١) وثبت عنه أنه قال : (ان [4] الله أمركم بأشياء فامتثلوها ، ونهاكم عن أشياء فاجتنبوها ، وسكت لكم عن أشياء رحمة منه ، فلا تسألوا عنها) وقد اتفقت الصحابة على جمع القرآن لئلا يدرس ، وتركت الحديث يجري مع النوازل ، وأكثر قوم من الصحابة التحديث [5] عن النبي صلى الله عليه وسلم فسجنهم [6] عمر ، فلو درس ما درس من الحديث الوحداني ، لما أثر في الشريعة ، فانه كان يبقى مسكوتاً عنه ، فيكون عفواً ، وما ضمن [7] الله الحفظ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما ضمنه [8] للقرآن . على الاختلاف [9] أيضاً بين العلماء في تأويل قوله : (انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون) (الحجر / ٩) فإنا نقول لهم : ليس المراد بالذكر ها هنا القرآن [10] .

---

(١) ب ، ج ، ز : - لا .

(٢) د : - ما أنزل إليه .

(٣) ب ، ج ، ز : وهذه الحكمة .

(٤) ج : وأن .

(٥) ب : الحديث ، ج ، ز : التحدث .

(٦) ج ، ز : فشجرهم .

(٧) و (٨) ج : صمن .

(٩) د : اختلاف .

(١٠) هكذا في جميع النسخ ولعله : الحديث .

وانما هو النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الدين أو القرآن ، وانما حفظ النبي صلى الله علية وسلم بقوله : (والله يعصمك من الناس) (المائدة / ٦٧) وحفظ الدين بقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا) (المائدة / ٣) وحفظ القرآن بأن الصحابة وفقوا لنسخه ، وضبطه ، وارسال الأمهات الى أمصار المسلمين به [١] ، ولو كان المراد به الحديث [٢] لكان أول من يبادر بذلك الصحابة رضي الله عنهم ، حين قالوا لأبي بكر [٣] أيان [٤] استحر القتل بالقراء يوم اليمامة : يا أمير المؤمنين أدرك القرآن وما جاء اليه أحد (و ٨٧ أ) قال [٥] له : أدرك حديث رسول الله [٦] . وأنت ترى حديث النبي يأتي في كل زمان وعلى يد كل شيخ واحداً بعد آخر ، فلعل حفظه هو [٧] هكذا ، ولكن فيه أن الأحكام تجري على بابها ، ولا ينتظر بها [٨] الأحاديث حتى اذا وجدت على شرطها ، وتبينت [٩] البيان [١٠] الشافي المراد فيها ، ومنها ، لم يحل لأحد أن يتعداها ، وسنزيده [١١] بياناً ، والله أعلم . يحققه أنهم يقولون على الاجماع .

---

(١) د : الإسلام .

(٢) د : القرآن .

(٣) د : لعمر .

(٤) ب ، ج ، ز : – أيان . ج ، ز : حين .

(٥) ج : قالوا .

(٦) د : النبي .

(٧) ب ، ج ، ز : – هو .

(٨) د : فيها .

(٩) د : بينت .

(١٠) د : الجواب .

(١١) ب : + لا . ج ، ز : لا يستزيده .

ولا اجماع عندهم الا للصحابة خاصة ، ولا يسمع اجماع الصحابة الا بأن ينقل عن كل واحد منهم ، وهذا مما لم يوجد ، فاذا [1] قالوا هم : لا حكم الا بنص : قلنا : ولا نص على من ترك النص . وهذا القول أصح [2] ، لأنه [3] به قال [4] جماعة من العلماء ، والذي قالوه ما قال به [5] أحد قط ، والاختبار [6] في ذلك كله يكشف الحقيقة ، فان قائله أجهل الجهال ، وأضل [7] الضلال ، فاذا طالبتهم [8] بنص فذكروه ، وجدت الاحتمال يتطرق اليه ، ضرورة ، فاذا عارضتهم [9] فيه ، لم يجدوا ملجأ ، وذلك يبين بتتبع [10] مسائل لهم ، وهي كثيرة ، فلا نكلمهم [11] فيما ساعدهم [12] عليه الشافعي ، أو أبو حنيفة [13] فانهم يتكلمون بحجتهم [14] ،

---

(١) د : وإذا .

(٢) د : صح .

(٣) ب ، ج ، ز : لأن .

(٤) د : قال به .

(٥) د : قاله .

(٦) د : الاختيار .

(٧) ب ، ج ، ز : أو أضل .

(٨) د : طالبتم .

(٩) د : عارضتم .

(١٠) ب : بأن تتبع . ج ، ز : بأن يتتبع .

(١١) د : تكلمهم .

(١٢) د : يساعدهم .

(١٣) ب ، ج ، ز : وأبو حنيفة . وهو : – النعمان بن ثابت فقيه العراق ، توفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ (الذهبي ، العبر جـ ١ ص ٢١٤ – ٢١٥) .

(١٤) كذا في جميع النسخ .

ويتقوون بهم [1] ، وإنما نتكلم [2] معهم فيما ينفردون به ، فترى [3] الفضيحة المعجلة [4] وما سلكوا في الظاهر الا سبيل اخوانهم من اليهود ، فانهم قيل لهم : لا تصطادوا يوم السبت . فسكّروا الأنهار في أوائلها ، فلما كان في يوم الأحد أمكنهم الحوت ، فان الحوت قبل ذلك كان يأتي يوم السبت ، ولا يأتي في سائر الأيام ، فأخذوا بظاهر الأمر ، فسدوا [5] أفواه الأنهار ، فلم يجد الحوت منفذاً فصادوه [6] ، فعوقبوا ، ولم يعدلوا عن ظاهر ما أمروا حين تركوا المفهوم من ذلك ، وهو تفويت الحوت ، وكذلك اخوانهم الروافض ، قالوا : لا تكون الامامة الا بالنص من النبي على أن فلاناً خليفتي ، وهذا باطل قطعاً ، ليس لهم في ذلك حديث يعول عليه .

مسألة :

(و ٨٧ ب) قال أهل الخبال [7] : لو أن رجلاً بال في ماء دائم ، لم يتوضأ منه ، ولو جرى فيه من بول في مجاورته ، لم يمتنع الوضوء به ، [وكذلك لو غاط فيه لم يمنع [8] من الوضوء به] [9] . فانظروا رحمكم الله الى هذا الهوس في الدين ،

---

(١) كذا في جميع النسخ .

(٢) د : يتكلم .

(٣) ب : فنرى .

(٤) د : معجلة .

(٥) د : فشدوا .

(٦) ب ، ج ، ز : وصادوه .

(٧) ب ، ج ، ز : الخيال .

(٨) ب ، ز : يمتنع .

(٩) ج : سقط ما بين القوسين .

والاعتداء على الشريعة ، والاستخفاف بحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم . ان كان المتبع لفظ الشارع بعينه فقد قال : (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل به)[1] . فهذا يقتضي بظاهره ، أن يقتصر[2] المنع على البائل دون غيره ، ويقتضي أنه لو بال[3] في كوز ، وصبه فيه أن لا يمنع ذلك من وضوئه[4] منه ، ويقتضي أنه لو بال فيه قطرة من بول ، لم يتوضأ به ، ولو غاط فيه رطلاً لم يمتنع من الوضوء به ، فانظروا[5] الى ما يؤدي اليه مذهبهم ، ويعطيه غرضهم ، كبر كلاماً يخرج من أفواههم ، ان يقولون[6] الا محالاً على الشريعة ، وافتراء وقبل وبعد ، فليقولوا ما شاءوا ، وليخرجوا دقائق[7] « المحلى » بالحاء المهملة ، فعندنا فيه نقطة واحدة فوق حائهم ، وأخرى[8] تحت جيمنا فتجلى[9] به ما يقتضي أن يكون كتابهم متروكاً لا يلتفت اليه .

قال القاضي أبو بكر[10] رضي الله عنه : وقد كنت أتتبع لكم مسائل داود مسألة مسألة ، الا أن[11] ابن حزم لا يبالي عن داود ، ولا عن سواه ، فأكون

---

(١) د : — به .

(٢) ب : نقصر . جـ : يقتضي .

(٣) د : ان بال .

(٤) د : وضوء .

(٥) ب ، جـ ، ز : فانظر .

(٦) ب : لن يقولوا .

(٧) د : بفائق .

(٨) جـ ، ز : اجترى .

(٩) ب : فيحلى . د : فيجلى .

(١٠) د : قال أبي .

(١١) جـ : — أن .

ضارباً معه في حديد بارد ، ولكني أذكر لكم دستوراً تقهرونه به قهراً ، بأن تقولوا له : قال الله تبارك وتعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (البقرة / ٤٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتموني أصلي) وحفظنا صلاته فعلا ، وما أمر [١] به غيره قولاً [٢] ، وبقي علينا من نسي تكبيرة الاحرام ، أو القراءة [٣] أو الركوع ، أو السجود ، أو الجلوس ، أو السلام ، أو اثنتين من ذلك ، ماذا عليه ؟ أيجزيه [٤] أم لا يجزيه ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم (و ٨٨ أ) قد نسي وسجد في موضع ، فهل كل موضع مثله أم لا ؟ وما سجد فيه من ترك السجود وقد رفع الله عنّا قطعاً ما نسينا فيه أو أخطأنا ، فلا يقولون [٥] شيئاً يقوم على ساق أبداً ، لأنهم لا يجدون في كل حرف نصاً ، وكذلك القول في أبواب الشريعة كلها منها [٦] .

مسألة :

هي أشدها [٧] ، قول ابن حزم : ان الله قادر على أن يتخذ ولداً وأن يخلق الهاً اذا شاء ذلك وأراده ، بقوله : (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما

---

(١) ج : أمرنا .

(٢) ب : - قولا .

(٣) ج : والقراءة .

(٤) ج : يجزيه .

(٥) ب ، ج ، ز : تقولون .

(٦) ب ، ج ، ز : - منها .

(٧) ب ، ج ، ز : أشد .

يخلق ما يشاء) (الزمر / ٤)[1] فانظروا الى هذه الداهية العظمى ، كيف جهل الجائز من المستحيل في العقل والمعقول المفهوم من الكلام دون ما لا يعقل ، فان هذا الكلام ليس له معنى مفهوم ، اذ قوله : هل يقدر الله أن يتخذ ولداً ، ليس يفهم ، لأن الله هو الذي لا يتصور أن يكون له ولد ، ولا يمكن ، فاذن ، معنى ذلك من قول القائل : هل يقدر الله الذي لا يصح أن يوجد[2] منه ولد ، على أن يكون له ولد ، فنقض آخر الكلام أوله ، فلم يكن له معنى معقول في نفسه فيستحق به جواباً ، و[3] كذلك قوله : هل يقدر الله على أن يخلق[4] الهاً . لأن الله هو الذي لا يصح أن يكون معه اله سواه ، فنقض آخر الكلام أوله[5] ومن ينتهي الى هذا الحد ، فقد سقطت مكالمته . وقال منتهكاً[6] للشريعة ، مستخفاً بطرق[7] الملة أن من ترك الصلاة متعمداً حتى خرج وقتها ، فقد سقط عنه فرضها ، ولم يتوجه عليه خطاب بها ، وقد رأى أصول الشريعة ثابتة في الذمة تقضى متى تعذر عملها ، من صوم ، وزكاة ، وحج ، فهلاّ ارعوى ، ولم يغو فيمن غوى ، ولا ضبح[8] على الدين وعوى . فان قيل فقد قال الله تعالى : (ان الصلاة كانت

---

(١) قال ابن حزم : وكذلك من سأل : هل الله قادر على أن يتخذ ولداً ؟ فالجواب أنه تعالى قادر على ذلك ، وقد نص عز وجل على ذلك في القرآن قال الله تعالى : لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء) ... (الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ١٨٢ – ١٨٣) .

(٢) ب : يوخذ .

(٣) د : – و .

(٤) ب : + ولد .

(٥) د : + فلم يكن له معنى معقول في نفسه فيستحق له جوابا .

(٦) د : مهتكا .

(٧) ب ، ج ، ز : بطرف .

(٨) د : ضج .

(و ٨٨ ب) على المؤمنين كتاباً موقوتاً) (النساء / ١٠٣) فربطها بوقت ، كما ربطها بطهارة ، فاذا زال رباطها [١] ، سقط الأمر بها . الجواب عن ذلك من خمسة أوجه الأول : أني [٢] أعظكم بواحدة تكشف خفاء المسألة ، وتهتك سترها ، وترفع حجابها ، وهو أن تناقشوهم في الألفاظ حتى لا يتمكنوا [٣] من أن يخرجوا [٤] عنها الى المعاني ، فانهم تجدهم [٥] لا يتبعون لفظاً ، ولا يصح ذلك لبشر [٦] ، فبم يرون [٧] أنهم مهتدون وهم ضالون ؟ قوله تعالى : (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) فلفظ موقوت [٨] ، مفعول من الوقت ، التقدير : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً مفعولاً في وقت ، ولا شك [٩] في أن كل عبادة وعمل شرعي موقوت [١٠] ، فتفسيرهم مرتبط بوقت ، لا يقتضيه اللفظ ، فان لفظة مفعول لا تقتضي [١١] الارتباط بوقت ببنائه ، ولا بمعناه . الجواب الثاني : ليس بناء وقت من الزمان خاصة بل هو موضوع لكل محدود ، قد قال في الحديث الصحيح : (وقّت النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ، ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة . ولأهل نجد قرن المنازل) فاستعمل التوقيت في الأمكنة ليبين أنه لفظ موضوع

---

(١) ب ، ج ، ز : ربطها .

(٢) ب ، ج ، ز : ان .

(٣) ب ، ج ، ز : حتى تتمكنوا .

(٤) ج ، ز : تخرجوا .

(٥) د : بخذلتهم .

(٦) ب ، ز : بيس . وكتب على هامش (ز) ليس ، ج : بليس .

(٧) ب ، ج ، ز : ترون .

(٨) ج : موقوتا .

(٩) د : — في .

(١٠) ب : موقوف .

(١١) د : وان مفعولا لا يقتضى .

للتحديد والتعيين في الأقوال والأعمال ، كانت لوقت ، أو لمكان ، أو لوصف . الجواب الثالث : ان قوله : (موقوتاً) يفيد أن الوقت شرط من شروطها ، كالقبلة ، وستر العورة [1] ، والطهارة ، وكل شرط منها كلها اذا فقد لا يمنع من فعلها باجماع ، فكذلك فقد [2] الوقت ، وليس في هذه الشروط كلها أحاديث ، يتعلقون بها ، وانما هي كلها ثابتة بالقياس . الجواب الرابع : نقول : ان النبي (و ٨٩ أ) صلى الله عليه وسلم قد أبان الحقيقة ، وأوضح سواء الطريقة ، في نوم أصحابه عن الصلاة بحضرته [3] في ثلاثة أحوال ، عرضت لهم معه : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها) [4] ويفعلها [5] في قضائها حين لم يفعلها معهم في وقتها ، وقد تساوى معهم في الترك ، وان كانوا قد اختلفوا في سبب الترك ، وقد بينا فيما سلف من كلامنا أن ما يعرو [6] رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المعاني التي هي جبلة الآدمي [7] هي بركة على الأمة ، فانها لهم فيما يصيبهم سلوة ، ولاتباعهم له في ذلك أسوة ، وقد تفطن لذلك حبر [8] الأمة فيما روى عنه الايمة قال مسروق [9] عن ابن عباس : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فعرسوا من الليل قال : فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس .

---

(١) د : كالنية وستر العورة واستقبال القبلة .

(٢) د : بعد .

(٣) ب : لحضرته .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٥) ب : بفعله . ج ، ز : يفعله .

(٦) ب ، ز : يعدو . ج : يعد .

(٧) د : الآدمية .

(٨) د : خير .

(٩) مسروق بن الأجدع الهمداني صاحب ابن مسعود توفي سنة ٦٣ هـ / ٦٨٣ .

قال : فأمر بلالاً فأذن ثم صلى ركعتين فما يسرني أن لي [١] بها الدنيا وما فيها) [٢]
قال علماؤنا لما كان [٣] في ذلك من التبيان [٤] لمن عراه بمثل ما عراه ، وشغله عن طاعة ربه ، أي [٥] شغله حتى أذهله وأنساه ثم عاد [٦] الى ذكراه ، ولو كان قوله : (موقوتاً) مربوطاً بوقت مخصوص معين ، لم تكن [٧] في غيره ، واقعة موقعها ، لأن ذلك يبطل ارتباطه بها . فان قيل ذلك الوقت الذي ربطت به انما يعلم من قبله فجعله [٨] معيناً للعالم ، وجعله [٩] للذاهل أو النائم [١٠] وقت الذكر . قلنا : قد بينا أن اللفظ لا يقتضي ذلك ، ولا يعطيه الاشتقاق . وقد بينا أن الشريعة لا تخص بذلك ، كل عمل محدود ، لا بد له من وقت ، الا أنه قد يكون مطلقاً ، وقد يكون معيناً بحسب ما قامت عليه أدلة الشريعة من صلاة . وزكاة ، وصوم ، وحج وفرض ونفل . والجواب الخامس : أنه لم تزل [١١] الأمة من عصر الصحابة متفقة على أن من ترك (و ٨٩ ب) الصلاة بأي وجه تركها حتى يخرج الوقت الذي يقولون ، انه يلزمه قضاؤها أبداً من نسيان أو سهو ، أو

---

(١) د : — أن لي .
(٢) أخرج أحمد في مسنده الحديث . ولكنه لم يأت بقول ابن عباس فيه .
(٣) د : — كان .
(٤) ب ، د : النسيان .
(٥) د : + شيء .
(٦) ج : عاده .
(٧) ب : يكن .
(٨) ج ، ز : فيجعله .
(٩) ج ، ز : يجعله .
(١٠) ب ، ج ، ز : والنائم .
(١١) ب : يزل .

نوم . واختلفوا في المغلوب على عقله بالاغماء والجنون وقد توجلت تلك الأقطار الكريمة ، ودخلت تلك[1] الأمصار العظيمة ، وجبت الآفاق القاصية نيفاً على عشرة أعوام ، فما رأيت أحداً تفوه بهذا الكلام ، ولا وجدته مسطوراً في كتب أيمة الاسلام ، ولو أن أهل بلدنا[2] اذ سمعوها تفلوا[3] عليها ، ولم يلفتوا[4] اليها اذناً ، ولا قلباً ، ولا ليتا[5] ، لماتت . انما اختلفت العلماء قديماً وحديثاً فيمن ترك الصلاة متعمداً هل يكون بذلك كافراً ؟ فقال أحمد بن حنبل ، وابن حبيب[6] من المشاهير : هو كافر ، لألفاظ وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر)[7] وهذا قول صريح في حديث صحيح ، ولو لم يعارضه سواه ، لقلنا به ، ولكن صدنا عن ذلك معان : المعنى الأول : ان لفظ « كفر » قد يرد في الشريعة بمعنى أشرك ، وخرج عن الملة ، وقد يرد بمعنى لم يشكر حق النعمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء : (اني رأيتهن[8] أكثر أهل النار . قالوا[9] بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرهن

---

(١) د : – تلك .

(٢) د : بلادنا .

(٣) د : ثفلوا .

(٤) ب ، جـ ، ز : يلتفتوا .

(٥) صفحة العنق .

(٦) عبد الملك بن حبيب مفتي أهل الأندلس صاحب الواضحة في الفقه ، توفي سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ . (الذهبي ، العبر جـ ١ ص ٤٢٧ – ٤٢٨) .

(٧) رواه الترمذي عن بريدة ولفظه : العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر .

(٨) ب ، جـ ، ز : رأيتكن .

(٩) د : قال .

قيل أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن الاحسان ، ويكفرن العشير لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم أسأت اليها يوماً واحداً[1] ، قالت ما رأيت منك خيراً قط) ، وقد يرد بمعنى ستر لقوله صلى الله عليه وسلم (أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر) قيل : ستر نفسه عمن يجب عليه اظهارها له ، وقيل : انه كالأول في أنه كفر نعمة سيده ، أي لم يشكرها كنحو قوله : (واشكروا لي ولا تكفرون) (البقرة / ١٥٢) فجعله من الكفر الذي هو ضد الشكر ، لا ضد الايمان الذي هو (و ٩٠ أ) توحيد الله . المعنى الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أخرجوا من النار من[2] في قلبه مثقال ذرة من ايمان) . المعنى الثالث : أن عبادة[3] روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة ، من جاء بهن لم يضيع[4] منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند[5] الله عهد أن[6] يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن ، فليس له[7] عند الله عهد[8] ، ان شاء عذبه ، وان شاء غفر له)[9] وهذا نص قاطع ، فان الكافر لا يكون في مشيئة المغفرة بما أخبر به عن ذلك سبحانه .

---

(١) ب ، ز : - يوماً واحداً . وكتب في الهامش : أنه أثبت في نسخة أخرى .

(٢) ب : ممن .

(٣) عبادة بن الصامت أبو الوليد الخزرجي قاضي القدس ، توفي سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ .

(٤) ب ، جـ ، ز : يضع .

(٥) ز : في نسخة : على .

(٦) جـ : - أن .

(٧) جـ : - له .

(٨) جـ : عهداً .

(٩) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة .

درجة :

أما أن العلماء اختلفوا في قتله اذا ترك الصلاة عمداً ، فقال أبو حنيفة : لا يحل [1] اراقة دمه ، لكنه يؤدب على استخراج هذا الحق منه بالسوط ، وان أدى ذلك الى تلف نفسه . وقال مالك والشافعي يقتل في آخر الوقت . قال متأخرو علمائنا ، لا يقتل ضربة بالسيف ، ولكنه ينخس بالحديد حتى تفيض نفسه ، أو يقوم بالحق الذي عليه من فعلها ، وبهذا أقول . قال أبو المعالي : لا أرى أن يسفك دم امرىء مسلم على ترك الصلاة بغير نص من [2] كتاب الله [3] ، ولا سنة ، ولا قياس جلي تناط بمثله المحظورات والذي حمل على ذلك أبا المعالي [4] نكتة فارغة ، تعلق بها أهل ما وراء النهر من أصحاب أبي حنيفة [5] وهي عسيرة [6] المبدأ ، ولكنها سهلة المنتهى ، قالوا : ان الشريعة لم تبح قط [7] دما بترك المفروض [8] كالوضوء والصوم والزكاة والحج ، وانما أباحت [9] الدم بفعل المحظور كالزنى والقتل والحرابة . والذي انتهى اليه التحقيق في ذلك ، المتفق عليه [10] ما أوردناه

---

(١) د : تحل .

(٢) ج ، د ، ز : — من .

(٣) ج ، د ، ز : — الله .

(٤) ب ، ج ، ز : حمل أبو المعالي على ذلك .

(٥) د : ح .

(٦) ب : عسرة .

(٧) د : — قط .

(٨) ب . ج . ز : مفروض .

(٩) د : اباحة .

(١٠) د : — المتفق عليه .

في « مسائل الخلاف » . لبابه يتحصل في ثلاثة مسالك . المسلك الأول : منع الوضوء والصوم ، وارتكاب اباحة دم من تركها متعمداً . فأما الحج فهو على غير (و ٩٠ ب) الفور عند قوم ، فلا يتحقق فيه الترك المتفق عليه . وأما الزكاة فمقصودها الأوكد وهو أخذ المال ممكن ، وتبقى النية وهو الركن الثاني فليس [١] يمتنع في الشريعة استقلال الأمر بأحد ركنيه ، وقد بيناه في « مسائل الخلاف » ، فلا نطول به [٢] في هذه الاشارة . المسلك الثاني : أنا نقول لهم : قد اتفقنا على قتله الا انكم [٣] قلتم يقتل بالسوط ، وقلنا يقتل بالحديد ، والحقوق تستخرج بالحديد ، كما تستخرج بالسوط ، ألا ترى أنا نستخرج حق الله في الاسلام من المرتد بالحديد . المسلك الثالث : أن قوله صلى الله عليه وسلم : (من ترك الصلاة فقد كفر) وهذا وان لم يفد حقيقة الكفر ، فليفد جزاء [٤] الكفر ، لئلا يبقى اللفظ عارياً عن احدى فائدتيه وهي الحقيقة أو المجاز [٥] . فان قيل : فكيف نقول [٦] في الأمثلة التي استشهدتم بها وهي قوله في النساء ، وفي العبد الآبق ؟ قلنا : ليس هنالك حق [٧] يستخرج بالفعل المؤدي الى تلف النفس ، بخلاف مسألتنا فانا اتفقنا على أنه يستخرج منه هذا الحق ، وان أدى الى تلف نفسه واراقة دمه ، وان اختلفنا في صفة ذلك .

---

(١) د : وليس .

(٢) ب ، ج ، ز : — به .

(٣) ب : — الا أنكم .

(٤) د : جزء .

(٥) ب : والمجاز .

(٦) د : كيف تقولون .

(٧) ج : + حتى .

درجة :

فأما تخصيص التارك متعمداً [1] بدليل على وجوب القضاء وقد قدر الله تعالى [2] أنه لا بد من النظر في ذلك مع هذه الطائفة الركيكة ، فنأخذ ذلك من وجوه : أحدها : أنا نقول : ان الأمة أجمعت [3] أيام عصر السلف الأول على وجوب قضاء الصلاة على المتعمد فلا يراعى ما طرأ في هذه الأوقات المغيرة [4] التي طرأت عليها البدع المضلة ، ولقد كان أهل البدع لا يتحدثون بمثل هذه الطامة حتى أجراها الشيطان بقضاء الله وقدره على لسان من أجراها لتكون زيادة في الاضلال (و ٩١ أ) . ولو راعينا كل خلاف يطرأ ، لما استقر الدين على قاعدة . الثاني : ان داود وأصحابه الذين أحدثوا بدعته لا يختلفون في قضاء المتعمد لترك الصلاة ، وذلك منصوص في كتبهم ، فانظروها هنالك . الثالث : أن من الثابت انعقاد الاجماع على أنه من ثبت في ذمته شيء لا بد أن يخرج عنه ، ومن تعينت عليه عهدة لا غنى من [5] أن يتفصى عنها . وهذا متعمد [6] قد لزمته الصلاة ، وثبتت [7] في ذمته فلا يخرجه عنها [8] الا أداؤها على حكم كل حق ثبت في الذمة . فان قيل هي [9] حق مؤقت أو مربوط بوقت ، فقد سبق الجواب عنه [10] ، على

---

(١) د : معتمداً .

(٢) د : - تعالى .

(٣) ب ، ج ، ز : - أجمعت .

(٤) د : المغبرة .

(٥) ج : لا غنى من .

(٦) ج ، د ، ز : متعمداً .

(٧) ب : ثبت .

(٨) ب : عنه .

(٩) ب ، ج ، ز : - هي .

(١٠) ب ، ج ، ز : - عنه .

أنه يبطل بالصوم فانه مربوط بوقت ، ويقضي تاركه متعمداً ، وربط الصوم بوقته أعظم من ربط الصلاة بوقتها . فان قيل : قد زال وقت الأداء ، فلا يجب القضاء ، الا بأمر ثان . قلنا : ليس لآخرها حد الا فعلها .

جواب آخر : انا نقول : اذا توجه الأمر بالفرض ، لم ينج المكلف من ذلك الا فعله ، كان ذلك مذكوراً في وقت ، أو مطلقاً ، ولا نقول : ان الأداء والقضاء غيران ، الأداء هو القضاء ، والقضاء هو الأداء ، شرعاً وعربية . وانما ذكر الفرق بينهما المتأخرون من أصحابنا اصطلاحاً . وهذه الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء آخراً ، لما احتاجوا اليه من البيان لا يجوز بناء الأحكام الشرعية عليها . وانما تبنى الأحكام الشرعية على قول الله أو قول [١] الرسول ، أو العربية [٢] التي نزل القرآن بها ، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها . الرابع : أنا نتعلق بظواهر الأحاديث التي يزعم الجاهلون القائلون بذلك ، انها لهم . وهي ستة أحاديث :

الحديث الأول : قوله : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها . لا وقت لها الا ذلك) [٣] فأخبر (و ٩١ ب) النبي [٤] أن من نام عن صلاة ، أو نسيها [٥] ، أو تركها ، أنه يصليها متى ذكرها . والنسيان في العربية قسمان : أحدهما ذهول ، والآخر تعمد ، وذلك أشهر من أن يدل عليه . فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها متى تركت [٦] بغير عقل كالنوم ، أو بعقل كالذهول والعمد .

---

(١) ب ، جـ ، ز : وقول .

(٢) جـ : والعربية .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد ولفظه واحد إلا قوله : (لا وقت لها إلا ذلك) فانه عند الرواة الثلاث : (لا كفارة لها إلا ذلك) .

(٤) د ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٥) د : — أو نسيها .

(٦) د : تركها .

أنه يجب قضاؤها ، ألا ترى أنه لم يقل من سها ، وذكر من نسي ، ليستوفي البيان صلى الله عليه وسلم وقال : (اذا ذكرها) فالذاهل يذكر بعد ذلك فيلزمه وقت الذكر ، والمتعمد ذاكر أبداً فيلزمه أبداً ، اذ هي[1] مرتبة على الذكر ، فمن وجد منه[2] الذكر لزمته[3] حتى يفعل[4] [وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا يقولن احدكم نسيت آية كذا بل هو نسي) وذلك لقوله : (أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) . (طه / ١٢٦)] [5] .

الحديث الثاني : قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له رجل أو امرأة : ان فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً[6] أو أمي[7] وأنه[8] لا يستطيع أن يحج ، أفأحج عنه ؟ قال : (أرأيت لو كان على أبيك أو أمك دين ، أتقضيه قال : أو قالت : نعم ، قال : فدين[9] الله أحق أن يقضى) فبين[10] أن كل حق الله في ذمة العبد لا يخرجه عنه الا فعله ، فان عادوا الى ذكر الوقت قلنا لهم : قد بينا فساده .

الحديث الثالث : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (شغلونا عن الصلاة

---

(١) ب ، ج ، ز : وهي .
(٢) د : — منه .
(٣) د : لزمت .
(٤) د : تفعل .
(٥) د : سقط ما بين القوسين .
(٦) ب ، د ، ز : — شيخاً كبيراً .
(٧) ب : وأمي .
(٨) د : — وأنه .
(٩) د : دين .
(١٠) د : فتبيّن .

الوسطى ، صلاة العصر ، حتى غابت الشمس ، ملأ الله بيوتهم [١] وقبورهم ناراً) [٢] ثم قضاها بعد غروب الشمس ، ولم يكن تركها سهواً ، وانما كان اشتغالاً بالحرب والتدبير لها ، والاحتراس من غرّة المشركين .

الحديث الرابع : روي في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخندق لأصحابه : (سيروا الى قريضة ولا يصلين أحد منكم الا فيها) فساروا ففاجأتهم [٣] العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نبلغها ، وقال بعضهم : لم يرد رسول الله هذا منا ، وصلوا ، فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم (و ٩٢ أ) الطائفتين التي صلت والتي أخرت الصلاة عن وقتها متعمدة وقضت ، ولو كانت مقصورة الوجوب على الوقت ، لا فعل لها الا فيه لبيّن لهم ذلك ، وأعلمهم أن ما أتوا به بعد خروج الوقت تكلف .

الحديث الخامس : قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما ثبت وصح : (أنه سيكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها [٤] ، قال : فنصليها معهم ؟ قال : نعم) ولم يقل : ان الصلاة لا تفعل الا [٥] في وقت مخصوص .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال — وهو الحديث السادس — : (ليس التفريط في النوم ، انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى دخل [٦] وقت الأخرى) [٧] وهذا نص في أن المفرط حتى يخرج الوقت يصلي ، ولكنه يكون

(١) ب ، ج ، ز : قلوبهم .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن علي .
(٣) ب ، ج ، ز : ففاتهم .
(٤) د : ميقاتها .
(٥) ب : — الا .
(٦) د : يدخل .
(٧) رواه النسائي والترمذي وصححه بلفظ آخر .

مفرطاً . وهذا القدر كاف لكم في المسألة . والذي أراه ألا يكلّم [1] قائل هذا الا بالاستتابة [2] ، أو بالقتل لمخالفة اجماع الأمة . والله أعلم .

مسألة :

ومن أعظم ما جاء [3] من التخليط قول ابن حزم : والقرآن كلام الله تعالى وهو علمه ، ويعبر بالقرآن ، و [4] بكلام الله عن خمس مسميات يعبر بذلك عن علم الله ، وعن المسموع في المحاريب ، قال الله [5] : (حتى يسمع كلام الله) (التوبة / ٦) وعن المحفوظ في الصدور ، قال الله تعالى [6] : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (العنكبوت / ٤٩) وعن المكتوب في الصحف ، قال الله تعالى : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) (البروج / ٢١) وقال : (فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) (عبس / ١٦) ونهى عليه السلام عن أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو . وعن المعاني المفهومة من التلاوة . وكل [7] هذه الأربعة اذا أفردت ، وعبر عنها بالصوت والخط ــ حاشا لله [8] ــ فكل ذلك مخلوق . واذا عبر عن علم الله فهو غير مخلوق ، فكل ما وقع من ذكر فرعون ، والكفار ، والسموات (و ٩٢ ب) ، والأرض ، في القرآن فكل ذلك مخلوق . وإذا أطلق جملة فهو

---

(١) ب ، ج ، ز : نكلم .
(٢) ب ، ج ، ز : القتل .
(٣) د : + به .
(٤) ب ، ج ، ز : — و .
(٥) د : — الله .
(٦) د : — الله تعالى .
(٧) د : فكل .
(٨) د : الله .

غير مخلوق . قال الله تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) (الأنعام / ١١٥) وهذا يدل على أنه غير مخلوق . وقال : (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) (يونس / ١٩) فصح يقيناً أنه أراد علمه السابق . فعلمه[١] هو كلامه وهو غير مخلوق . وقال : (وتمت كلمة ربك) (هود / ١١٩) وقال : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) (الكهف / ١٠٩) فدل على أن الذي تم[٢] ، غير الذي لا ينفد ، والذي ثم[٣] هو ترتيبه لمقادير ما خلق . وقول الله غير كلام الله ، والبرهان أن التكليم[٤] فضيلة قال الله تعالى : (منهم من كلم الله) (البقرة / ٢٥٣) والقول رذيلة . قال الله تعالى : (اخسئوا فيها ولا تكلمون) (المؤمنون / ١٠٨) [٥] .

قال القاضي أبو بكر[٦] رضي الله عنه : ما لهذا مثل[٧] الا كما قال الشاعر :

وخلا الغبي بما[٨] يضلل نفسه ... كفراً كفعل الأسخط[٩] المتهوج

عبثاً يرد مقاله بمقاله ... فعل الجهول على الطريق الأعوج

هذا الكلام من تخليطه . قوله : كلام الله هو علمه . لا عقل ولا شرع ، من أين أخذ هذا ؟ أدلة العقول تنفيه ، والشرع لم يرد به ، ثم قال : يعبر بكلام الله عن

---

(١) د : – هو .
(٢) ب ، ج ، ز : ثم .
(٣) كذا في جميع النسخ . وصوابه : تمّ .
(٤) د : التكلم .
(٥) ذكر ذلك ابن حزم في : (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ٧ – ١٢) .
(٦) د : قال أبي .
(٧) ب ، ج ، ز : مثلا .
(٨) ب ، ج ، ز : بها .
(٩) ب : الأمحط . ج ، ز : الأمخط .

خمس[1] مسميات : عن علم الله ، وعن المسموع في المحاريب ، والمسموع في الدور[2] ، والمسموع في السفر[3] ، والمسموع في الكتيبة[4] إذا تلا القرآن هنالك أحد ، كلام من يكون ؟ ثم قال : وعلى[5] المحفوظ في الصدور ، قال لقوله : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) [ولا يصح أن تكون ذات القرآن الذي هو كلام الله آيات[6] ثم قال][7] (في صدور الذين أوتوا العلم) فان حفظه من لم يقرأ العلم كالصبي الصغير والعجوز والأعرابي الفدم . هل هو محفوظ في صدره أم لا ؟ والله لم يقل : الا في صدور أهل العلم[8] (و ٩٣ أ) ، فلا يزد هو عليه[9] ، ولا يجعل الخصوص عموماً . فانه جهل محض بالطريقة ، وخروج[10] عن الظاهرية ، ثم قال : وعن المكتوب في المصحف لقوله : (في لوح محفوظ)[11] واللوح المحفوظ هو عند الله ، وليس بصحف[12] . وقال تعالى : (فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) يعني ما[13] بأيدي الملائكة ، فالذي يقتضيه القرآن أنه في صحف

---

(١) ج : بخمس .
(٢) ز : في الأذن .
(٣) ج : – والمسموع في السفر .
(٤) ب ، ج ، ز : الكتب .
(٥) د : عن .
(٦) ب ، ز : آية .
(٧) ج : سقط ما بين القوسين .
(٨) ب ، ج ، ز : في صدور الذين أوتوا العلم .
(٩) ب ، ج ، ز : يرد عليه .
(١٠) ج ، ز : خروجاً .
(١١) ج : – و .
(١٢) د : بمصحف .
(١٣) د : – ما .

الملائكة . فأما في صحف بني آدم أو [١] ألواحهم ، فيفتقر فيه الى [٢] نص . فان قالوا [٣] : وأي [٤] فرق بينهم ؟ هذا مثل ذلك . قلنا : هذا قياس والحاق وتقدير وتشبيه ، وتنظير ، وأين أصلك في أنه لا شيء الا قول الله ، وقول الرسول ؟ وأما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو . فمتى كان ذلك الوقت مصحف يسافر به ؟ وقد كتب هو صلى الله عليه وسلم بالقرآن الى الروم وهم أنجاس . وإذا كان في صدور الرجال ، وحملوا الى أرض [٥] العدو . فكيف هذا ولا يحمل المصحف ؟ والرجال المؤمنون أعظم حرمة . وقد قال بعض الناس : لا يغزو العلماء . قال : ويعبر بالقرآن عن المعاني المفهومة من التلاوة . ومن قال له هذا ؟ وأين وجده ؟ في كتاب الله ، أو في سنة رسول الله [٦] ؟ وأنى له ، أن [٧] الآيات يراد بها المعاني ؟ ولعلّ يراد بها الألفاظ . ثم قال : وكل هذا اذا عبر به عن غير الله ، مخلوق ، وإذا عبر به عن الله ، غير مخلوق ، فكيف [٨] تكون الحروف التي يكتب بها الله ، ويعبر بها عنه غير مخلوقة ، فاذا عبر بها عن غيره تكون مخلوقة ، وكلاهما موجود عن عدم ؟ . وهذا الكلام [٩] ينفيه العقل والشرع ، ولا يرضى أن يتكلم به معتوه . وقوله : ان كلمات الله قد تمت ، بمعنى مقاديره ، وكلماته التي لا تنفد [١٠] غير

---

(١) د : - أ .

(٢) ب : + دليل .

(٣) ب ، جـ ، ز : قال .

(٤) د : - و .

(٥) د : - أرض .

(٦) د : رسوله .

(٧) جـ : إنما قال بل الآيات . ز : ان قال بل الآيات . د : إنما قال من الآيات .

(٨) د : وكيف .

(٩) د : كلام .

(١٠) جـ : + عن .

مخلوقة[١] . سخافة ، وكلمات (و ٩٣ ب) الله على حقيقة واحدة تعالى أن يكون منها شيء مخلوقاً[٢] أو من صفاته العلى[٣] ، أو من أسمائه الحسنى . ثم قال : وقول الله غير كلام الله . وهذه سخافة قالتها المعتزلة ، ولكن بطريقة معلومة من العربية سلكوها ، ومن البدع[٤] معقولة ذكروها[٥] يصح أن تسمع فيرد[٦] عليها . وأما هذا الذي قال : من[٧] أن كلام الله فضيلة ، وقوله رذيلة . فهذا خذلان لا[٨] ينتهي إليه جهلة النسوان .

يا لك ذا[٩] من جعل[١٠] بمرحض خلا لك الجب فدحرج وارحض
ولفها من قذر وحيّض[١١]

مسألة غريبة :

وهي أن الله سبحانه قال : (والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة) فأوجب الكفارة بالعود بعد الظهار ، فقال البائس داود : ان[١٢] معنى ذلك : يظاهر مرة أخرى بلسانه ، ولم يحتشم من العربية[١٣] ، ولا

---

(١) ب ، ج ، ز : مخلوقاته .
(٢) ب ، ج ، ز : شيئاً منها مخلوقاً . د : منها شيء مخلوق .
(٣) ب : تعالى .
(٤) د : البدعة .
(٥) ب ، د : ذكروها معقولة .
(٦) د : ويرد .
(٧) ب ، ج ، ز : — من .
(٨) د : ولا .
(٩) ب ، ج ، ز : — ذا .
(١٠) د : جفل وصححت بخط آخر .
(١١) ب ، ج : لم يكتب هذا في صورة شعر .
(١٢) ب : — ان .
(١٣) د : اللغة .

من الله ، ولا من رسوله[1] ، ولا من الناس ، وأنا أكلمه لكم[2] ظاهرياً ، حتى أبرزه لكم برياً[3] ، من المعرفة عرياً . قال الله : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) فنزل معه منزلة فنقول : أخبرني يا داود ، كيف الظهار الذي أخبر الله عنه ؟ هل هو قول بالجنان أم قول باللسان ؟ وجئني بذلك[4] نصاً عن[5] النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح أو سقيم ، ولن تجد ذلك أبداً ، وأخبرني يا داود عن صفة ترتيبه في الاعتقاد ، وفي نظم الحروف عن النبي صلى الله عليه وسلم[6] ، أو عن أحد من الصحابة . وهذه مسألة قد استرحنا معك فيها ، فانها ليست باجماع ، فاذا عين ما عين[7] أو قال ما قال ، قيل له : و[8] من أين تقول ذلك ، وأنت لا تتكلم إلا بنص ؟ ولا سبيل أبداً إلى[9] أن تتكلم بحرف مما تقوله[10] إلا[11] وفيه من الله قول ، أو رسوله ، فان زاد على قول الله أو قول رسوله ، حرفاً فزد أنت حرفين (و ٩٤ أ) .

منزلة أخرى[12] :

انا نقول لك في الظهار إنه قول الرجل لزوجته في تشبيه ظهرها بظهر أمه ،

---

(١) د : + صلى الله عليه وسلم .
(٢) د : – لكم .
(٣) د : قوياً .
(٤) ب ، ج ، ز : بنص .
(٥) ب ، ج ، ز : من .
(٦) د : – صلى الله عليه وسلم .
(٧) ب : – ما عين .
(٨) د : – و .
(٩) ب : – إلى .
(١٠) ب : نقوله .
(١١) د : – الا و –
(١٢) د : + أين .

هل هو قول محدد[1] أو أي قول كان ؟ بأي صيغة[2] ظهر منه وورد ؟ فان[3] قال : هو مثل قوله : أنت عليّ كظهر أمي . قيل له : بل هو قوله : أنت علي مثل ظهر أمي أو أنت[4] ظهر أمي تكون[5] عليّ[6] أو بطنك عليّ كظهر أمي ، أو فرجك أو جملتك كظهر أمي ، أو يسقط الظهر من أمه ، و[7] يجعله في الزوجة ، ويقول[8] ظهرك عليّ كأمي . وهذا هو صريح القرآن فيلزمه أي يجعل الظهار شيئاً غير هذا ، ولو قال : انه ظهرك علي كظهر أمي كان أميل إلى قرب[9] القرآن ، وينبغي[10] أن يقال له : انه إذا قال ظهرك ، فمن حرم عليه بطنها أو سائر أعضائها ، وهو يقول : لو طلق يدها لم تطلق ، وان قال : تطلق وقع في أشد من ذلك ، وأطم ، وطولب بالدليل ، فان رام أن يتعلق بالاجماع لم يجده إلا من الفقهاء ، ولا قدر لهم عنده ، وإنما الاجماع الذي يرى ، اجماع الصحابة .

ويجب أن تعلموا أن البخاري ومسلماً[11] لم يدخلا في الظهار حرفاً واحداً من

---

(١) د : مجرد .
(٢) ج ، ز : صفة .
(٣) د : وان .
(٤) ج ، ز : وأنت .
(٥) ج ، ز : دون .
(٦) ج ، ز : – علي .
(٧) ب ، د : أمي .
(٨) ب : أو .
(٩) ج : أقرب .
(١٠)د : ويبقى .
(١١)أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح في الحديث ، توفي سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ .

الحديث . أما أن[1] الأيمة ادخلوا منها جملة فذكر أبو داودْ ، والطبري حديث خويلة[2] : قالت : ظاهر مني زوجي ، وذكرت نزول القرآن ، وروى الترمذي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ظاهر من امرأته ، وروى أبو داود أن رجلا جعل امرأته كظهر أمه ، وهذا أقرب الألفاظ إلى التفسير [3] ، فانه لم يذكر أحد منهم لفظه ولكن ظاهر هذا يقتضي أن نقول[4] : امرأتي كظهر أمي ، فينبغي أن يقتصر[5] يا داود عليه ، ولئن فعلت ذلك لنقولن لك : هل[6] جعلها بقوله ، أو باعتقاده ذلك فيها ؟ فان قيل : ومن أين علمت ذلك ؟ قلنا : قال لها : اعتقدت فيك ألا أعلوك ، كما لا أعلو أمي ، أو قال لها : فرجك كفرج أمي .

منزلة أخرى : (و ٩٤ ب)

ثبت عن الترمذي وغيره أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له[7] : يا رسول الله : ظاهرت من امرأتي ، فوقعت عليها قبل أن أكفر ، قال وما حملك على ذلك يرحمك الله ؟ قال : رأيت خلخالها في ضوء القمر ، قال له[8] : فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك به . فأعلمه ببقاء كفارة الظهار عليه ،

---

(١) ب ، ج ، ز : – أن .

(٢) ب : خولة .

(٣) ب ، ج ، ز : التقصير .

(٤) ب ، ج ، ز : يقول .

(٥) ج : تقتصى .

(٦) ج : + لك موثقة . ز : كتب على الهامش : في نسخة : لك موثقة .

(٧) د : – له .

(٨) ب : – له .

وان[1] كان قد وطئ ، وبقي النظر في العود الذي أحال عليه[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ، ولم يثبته[4] فيرجع[5] إليه ، فنقول[6] : ان الله سبحانه قال : (ثم يعودون لما قالوا) (المجادلة / ٣) وأنت لم يتعين لك بعد قولهم الذي يرتبط به الحكم ، فترى[7] أن يكون العود إليه ، هل هو قول القلب أم قول اللسان ؟ وما صفة ذلك القول ؟ أو رأيت ان قاله ثم نسيه وأنت قد عينته ؟ وان قلت[8] : أخذ بالعموم فيه . فكل قول يكون ذلك فيه[9] ، أقول به مهما كان فيه ذكر الظهر . قلنا له : ويكون فيه ذكر الظهر[10] فيهما جميعاً أو[11] في الزوجة وحدها ، أو في الأم[12] وحدها .

منزلة أخرى :

يقال له : أرأيت ان لم يعد لما[13] قال ، ولا كلم الزوجة ؟ فليس له ما يقول

---

(١) ب ، ج ، ز : إنما .
(٢) ج : عليه .
(٣) د : – صلى الله عليه وسلم .
(٤) د : يبينه . ج : يتثبته .
(٥) د : فنرجع .
(٦) ب ، ج ، ز : فيقول .
(٧) د : فنرى . وكتب على هامش (ز) : عله : فترى يكون .
(٨) ز : في نسخة : قال .
(٩) د : يكون فيه ذلك فيه .
(١٠) د : الظهار .
(١١) ب ، ج ، ز : – في .
(١٢) ج : الأيام .
(١٣) ب : بما .

مما فيه أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وانظروا رحمكم الله الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي وقع على امرأته [١] المظاهر منها قبل أن يكفر : (لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به) وقال للآخر الذي وقع على امرأته قبل أن يكفر : (أعتق رقبة أو أطعم) ولم يقل له : عد لما قلت ، لأنه قد رآه عاد لما قال ، ومعنى الآية قد بيناه في « الأحكام » [٢] وتحقيقه : أنه لما قال : (ثم يعودون لما قالوا) أنهم لا يعودون اليه لأنه لما قال لها : أنت [٣] علي كظهر أمي ، قد قال : انه لا يطأها ، فلما عاد الى الوطء لزمته الكفارة ، أو الى التمسك بالزوجية ، أو الى العزم [٤] على ما بيناه هنالك والله أعلم . (و ٩٥ أ) أي [٥] ، وهكذا فخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق الله ، وتنخل [٦] من ذلك كله ، المعنى المطلوب وهو تنزيل الشريعة منازلها ، وتوفيتها مقاديرها ، وعصمها بعواصم من مطالبيها [٧] أو أعدائها [٨] ، حتى قام عمود الدين على أسه ، واطرد نصره [٩] على رسه ، واتسق بنيانه برصه ، ورأى المطالب [١٠] الأعظم أن مداخل الالحاد لا تتحد ، فعدد لها بعد ذلك سبلا [١١] من الباطل ، أسلك [١٢] فيها أمماً ، ونصل [١٣] إليها عصباً ،

---

(١) د : المرأة .
(٢) هو كتابه : أحكام القرآن .
(٣) ب ، ج ، ز : لأنه لو قال أنت .
(٤) ج ، ز : الغرم .
(٥) د : – أي .
(٦) ب ، ز : ينحل ، ج : ينجل .
(٧) ب ، د : مطاليبها .
(٨) ب ، ج ، ز : وأعدائها .
(٩) ب ، ج ، ز : نظره .
(١٠) ب ، ج ، ز : الطالب .
(١١) ج ، ز : سبيلاً .
(١٢) ب ، ج ، ز : سلك .
(١٣) د : نضل .

وجرّ [1] اليها خلقاً كثيراً .

أصلها [2] :

بعد [3] أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد أكمل له [4] ولنا دينه ، وأتم عليه وعلينا [5] نعمته ، كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا) (المائدة / ٣) وما من شيء في الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح ، والدار الآخرة ، فهي دار الله الكاملة . قال أنس : (ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا نفوسنا) [6] واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبي بكر ، فكانت موتة [7] النبي صلى الله عليه وسلم ، قاصمة الظهر [8] ، ومصيبة العمر . فأما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة . وأما عثمان فسكت . وأما عمر فأهجر [9] وقال :

---

(١) ب ، ج ، ز : جرى .

(٢) ج ، د ، ز : اتصل الكلام فيها ولم يجعل « أصلها » شبه عنوان وضبط في (د) أصلها على أنه فعل ماض فاعله المطالب . واخترنا هنا أن نجعله عنواناً أي أصل هذه السبل الالحادية ومداخل الباطل وهو ما سيذكره بعد من الفتن وأنواع الدس التي سببت وقعة صفين وغيرها .

(٣) من هنا يبتدئ النص الذي نشره الشيخ محب الدين الخطيب السلفي المعاصر معتمداً فيه على ما نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس (+ ١٣٩٠ / ١٩٧٠) .

(٤) د : لناوله .

(٥) د : علينا وعليه .

(٦) أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد بلفظ : قلوبنا (العواصم من القواصم ط . محب الدين الخطيب ص ٣٧) د : ثرب .

(٧) ج ، ز : موت .

(٨) د : قاصمة من الدهر .

(٩) ب : فأهجز .

(ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما وعده الله كما وعد موسى ، وليرجعن رسول الله [1] فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم) [2] . وتعلق بال العباس [3] وعلي بأمر أنفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وسلم [4] ، فقال العباس لعلي : (اني أرى الموت في وجوه بني عبد المطلب ، فتعال حتى نسأل [5] رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الأمر فينا علمناه) [6] . وتعلق بال [7] علي والعباس [8] بميراثهما ، فيما تركه النبي [9] من فدك ، وبني النضير ، وخيبر (و ٩٥ ب) واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين ، وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد [10] بالجرف .

عاصمة :

فتدارك الله الاسلام والأنام ، وانجابت [11] انجياب الغمَام ونفذ وعد الله ، باستئثار رسول الله ، واقامة دينه على التمام ، وان كان قد أصاب ، ما أصاب من الرزية [12] الاسلام — بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان اذ [13] مات النبي

---

(١) ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٢) أخرجه البخاري وأحمد في المسند .
(٣) العباس عم النبي ، توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ .
(٤) د : – صلى الله عليه وسلم .
(٥) ج ، ز : نسايل .
(٦) أخرجه البخاري وأحمد .
(٧) ج : بآل .
(٨) ب : العباس وعلي .
(٩) د : + صلى الله عليه وسلم .
(١٠) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي توفي سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ .
(١١) أضاف محب الدين الخطيب (الغمة) . ص ٤١ .
(١٢) ج : + في .
(١٣) ب : إذا .

غائباً في ماله بالسنح [1] فجاء الى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها ، وفيه مات النبي صلى الله عليه وسلم ، فكشف عن وجهه ، وأكب عليه يقبله وقال : (بأبي أنت [2] وأمي يا رسول الله [3] طبت حياً وميتاً ، والله لا يجمع الله عليك الموتتين . أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها [4] ثم خرج الى المسجد والناس فيه ، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا ، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد ، أيها الناس [5] من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) ثم قرأ : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) (آل عمران /١٤٤) فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة ، كأنها لم تنزل الا ذلك اليوم [6] . واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون ، فقالوا : نرسل اليهم يأتوننا ، فقال أبو بكر : بل نمضي [7] اليهم ، فسار اليهم المهاجرون منهم [8] أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا [9] الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً يكثر ، ويصيب منه : نحن الأمراء وأنتم (و ٩٦ أ) الوزراء ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الأئمة من قريش) [10] ، وقال : (أوصيكم بالأنصار خيراً أن تقبلوا من

---

(١) ب : بالسنخ . ج : بالنسخ . ز : بالنسح .
(٢) ب ، ج ، ز : – أنت .
(٣) د : – يا رسول الله .
(٤) ب : قدمتها .
(٥) د : فمن .
(٦) أورده البخاري في صحيحه .
(٧) ب ، ز : نمشي .
(٨) د : فيهم ، ز : في الهامش : في نسخة فيهم .
(٩) د : وتراجعوا .
(١٠) أخرجه البخاري وأحمد والطيالسي في مسنده .

محسنهم ، وتتجاوزوا[1] عن مسيئهم[2]) وان[3] الله سمانا الصادقين ، وسماكم المفلحين ، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيث ما كنا فقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة / ١١٩) الى غير ذلك من الأقوال المصيبة ، والأدلة القوية ، فتذكرت الأنصار ذلك ، وانقادت اليه ، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال أبو بكر لأسامة : أنفذ لأمر رسول الله . فقال له[4] عمر : كيف[5] ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ؟ فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل[6] نساء أهل المدينة ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له عمر وغيره : اذا منعتك[7] العرب الزكاة فاصبر[8] عليهم . فقال : والله لو منعوني عقالاً[9] كانوا يؤدونه[10] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه[11] والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة[12] . قيل له[13] : ومع من تقاتلهم ؟ قال : وحدي ، حتى تنفرد سالفتي ، وقدم الأمراء على الأجناد ، والعمال في البلاد ، مختاراً لهم ، مرتئياً فيهم ، فكان ذلك من

---

(١) ب ، ج ، ز : تجاوزو .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .
(٣) ب : ان .
(٤) ب ، ج ، ز : – له .
(٥) د : وكيف .
(٦) د : خلاخل .
(٧) د : إذ منعت .
(٨) د : اصبر .
(٩) د : عناقاً . وهي رواية .
(١٠) د : يؤدونها .
(١١) د : – عليه + والله لقاتلتهم .
(١٢) د : الصلاة والزكاة . وهو رواية .
(١٣) ب ، ج ، ز : – له .

أسد [1] عمل ، وأفضل مقدمة للاسلام [2] ، وقال لفاطمة وعلي والعباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا نورث ما تركنا ، صدقة) [3] فذكر الصحابة ذلك ، وقال : سمعته يقول . (لا يدفن نبي الا حيث يموت) [4] وهو في ذلك كله رابط الجأش ، ثابت العلم ، والقدم في الدين . ثم استخلف عمر ، فظهرت بركة الاسلام ، ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين ، ثم جعلها عمر شورى فأخرج عبد الرحمن بن عوف [5] نفسه من الأمر ، حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم ، فقدم عثمان ، فكان عند الظن به ، ما خالف له [6] عهداً ، ولا نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ، ولا خالف سنة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (و ٩٦ ب) أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد ، وبأن [7] له الجنة على بلوى تصيبه ، وهو وزوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مهاجر بعد ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . دخل به في باب : أول من [8] . . . وهو علم كبير جمعه الناس [9] . ولما صحت أمامته قتل مظلوماً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ما نصب حرباً ، ولا جيش عسكراً ، ولا سعى الى فتنة ، ولا دعا الى

---

(١) ب ، ج ، ز : أشد .
(٢) غير محب الدين الخطيب النص اجتهاداً منه فكتب (عمله وأفضل ما قدمه للإسلام) وهو في جميع النسخ كما أثبتنا . ولكنه لم ينبه إلى ما عمله في النص (ص ٤٧) .
(٣) أخرجه البخاري .
(٤) رواه مالك في الموطأ .
(٥) الزهري توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ .
(٦) د : — له .
(٧) د : أن .
(٨) يريد : المصنفات التي ألفت في الذين كانوا الأوائل في الأعمال الجليلة ، في تاريخ الإسلام ، حيث يعقدون فيها أبواباً خاصة بكل عمل تاريخي فيقولون مثلاً : أول من أسلم ، أو أول من هاجر .
(٩) ج : — الناس .

بيعة ، ولا حاربه [1] ولا نازعه من هو من اضرابه ، ولا أشكاله ، ولا يرجوها لنفسه . ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان ، فكيف في عثمان رضي الله عنه ؟ وقد سموا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء ، حيل [2] بينهم وبينها . فوعظوا ، وزجروا ، وأقاموا بحمص [3] عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [4] يؤنبهم ويؤدبهم [5] ، حتى تابوا ، وأرسل بهم الى عثمان فتابوا ، وخيرهم ، فاختاروا التفرق في البلاد فأرسلهم ، فلما سار كل الى ما اختار أنشأوا الفتنة وألّبوا [6] الجماعة ، وجاءوا اليه في جملتهم . فاطلع عليهم من حائط داره ، ووعظهم وذكرهم ، وورعهم عن دمه ، وخرج طلحة [7] يبكي ، ويورع الناس ، وأرسل علي ولديه ، وقال الناس لهم [8] : انكم ارسلتم الينا ، أقبلوا الى من غير سنة الله ، فلما جئنا ، قعد هذا في بيته ، يعنون عليا ، وخرجت أنت تفيض عينيك ، والله لا برحنا حتى نريق دمه . وهذا قهر عظيم وافتيات على الصحابة ، وكذب في وجوههم ، بهت لهم ، ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة [9] ، ولنصروه في لحظة ، وانما جاء القوم مستجيرين [10] متظلمين ، فوعظهم فاستشاطوا ، فأراد

---

(١) د : حارب .
(٢) د : حين .
(٣) ب ، ج ، ز : — بحمص .
(٤) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مات بحمص سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ وقيل سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ (النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٣١) .
(٥) ب : — يؤنبهم ويؤدبهم . ج ، ز : فوبخهم وتوعدهم .
(٦) ب : ألفوا .
(٧) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ في وقعة الجمل قتله مروان . (الذهبي ، العبر جـ١ ص ٣٧) .
(٨) د : إليهم .
(٩) ب : الصحابة .
(١٠) د : مستنجزين .

الصحابة اليهم [١] ، فأوعز اليهم عثمان ألا يقاتل أحد بسببه أبداً ، فاستسلم وأسلموه برضاه ، وهي مسألة من الفقه كبيرة ، هل يجوز للرجل أن يستسلم أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه ؟ (و ٩٧ أ) واذا استسلم ، وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره أن يدافع عنه [٢] ، ولا يلتفت الى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها . فلم يأت عثمان منكراً ، لا في أول الأمر ، ولا في آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكر . وكل ما سمعت من خبر باطل ، اياك أن تلتفت اليه .

قاصمة :

قالوا معتدين [٣] متعلقين برواية كذابين : جاء عثمان في ولايته ، بمظالم ومناكير ، منها : ضربه لعمار [٤] حتى فتق أمعاءه ، ولابن مسعود [٥] حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه ، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه ، وفي حرق المصاحف ، وحمي الحمى ، وأجلى أبا ذر [٦] الى الربذة ، وأخرج الى الشام أبا الدرداء [٧] ، ورد الحكم [٨] بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبطل سنة القصر

---

(١) كذا في جميع النسخ . (إلا أن الشيخ محب الدين غيره إلى « الهم » أي طعنهم دون أن يشير إلى ذلك . والظاهر أن النص كما هو مثبت والمقصود منه أنهم أرادوا القيام إليهم ومدافعتهم عن عثمان . (ص ٦٠) .

(٢) د : عليه .

(٣) ب ، ج ، ز : مبعدين وكتب على هامش (ز) في نسخة مفترين . وغيرها الشيخ محب الدين الخطيب إلى : متعدين . ولم يشر إلى ذلك (ص ٦١) .

(٤) عمار بن ياسر استشهد في وقعة صفّين سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ .

(٥) عبد الله بن مسعود الذهلي توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ .

(٦) أبو ذر الغفاري ، واسمه جندب توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ .

(٧) أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري توفي بدمشق سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ .

(٨) الحكم بن أبي العاص بن أمية توفي سنة ٣١ هـ / ٦٥١ وهو عم عثمان وابن عم أبي سفيان .

في الصلوات في السفر ، وولي معاوية ومروان [1] ممن لم يكن [2] من أهل الولاية ، وأعطى مروان خمس أفريقية ، وكان عمر يضرب بالدرة ، وضرب هو بالعصا ، وكتب مع عبده على جهله كتاباً الى ابن أبي سرح [3] في قتل من ذكر فيه ، وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر ، ولم يحضر بدراً وانهزم [يوم حنين ، وفر] [4] يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان ، وولى الوليد بن عقبة [5] وهو فاسق ليس من أهل الولاية ، ولم يقتل عبيد الله بن عمر [6] بالهرمزان [7] الذي أعطى السكين لأبي لؤلؤة [8] وحرضه على عمر حتى قتله [9] .

عاصمة :

هذا كله باطل سنداً ومتنا . أما قولهم : جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل .

---

(١) مروان بن الحكم كان كاتب سر عثمان توفي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤. وأضاف الشيخ محب الدين الخطيب عبد الله بن عامر بن كريز وزعم أنه سقط من الأصل والواقع أنه لا يوجد في جميع النسخ . (ص ٦٢) .

(٢) ب ، ج ، ز : لم يكن .

(٣) عبد الله بن أبي سرح توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ (حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٧) .

(٤) سقط ما بين قوسين من طبعة محب الدين (ص ٦٢) .

(٥) الوليد بن عقبة بن أبي معيط توفي سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ .

(٦) عبيد الله بن عمر بن الخطاب توفي سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ (النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٢).

(٧) الهرمزان قتل سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ .

(٨) أبو لؤلؤة المجوسي قاتل عمر ، قتل سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ .

(٩) تصرف محب الدين الخطيب فأخر قوله : (وكتب مع عبده على جهله كتاباً إلى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه) وختم به التهم الموجهة إلى عثمان وقال انه : رتب التهم وأجوبتها على نسق ولكن جميع النسخ جاء النص فيها على النحو الذي أثبتناه (ص ٦٢) وهكذا فعل فيما بعد في ترتيب الرد على التهم فقدم وأخر صفحات بأكملها . مع أن جميع النسخ تخالف ما قام به من الترتيب الذي اعتقد أنه أقرب إلى النص وهو بعيد عنه .

وأما ضربه لعمار وابن مسعود ، ومنعه عطاءه فزور ، وضربه لعمار افك مثله ، ولو فتق [1] امعاءه ما عاش أبداً . وقد اعتذر عن ذلك العلماء [2] بوجوه ، لا ينبغي أن يشتغل بها ، لأنها مبنية على باطل ، ولا ينبني حق على باطل ، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال [3] فان ذلك لاآخر له .

وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى (و ٩٧ ب) ، وان كان وجدها كاملة ، ولكنه أظهرها [4] ، ورد الناس اليها ، وحسم مادة الخلاف فيها ، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه ، حسبما بيناه في « كتب القرآن » [5] وغيرها . روى الايمة بأجمعهم أن زيد بن ثابت [6] قال : (أرسل اليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال [7] أبو بكر : ان عمر أتاني [8] فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر) [9] . قال زيد : قال لي [10] أبو بكر : انك رجل

---

(١) د : فزور وافك ولو فتق .
(٢) د : العلماء عن ذلك .
(٣) د : الخبال .
(٤) جـ : أخرها .
(٥) أي المصنفات التي ألفها أبو بكر بن العربي في التفسير وما يتصل به كقانون التأويل ، وأحكام القرآن وأنوار الفجر والمشكلين أي مشكل القرآن ومشكل الحديث .
(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري المقرئ توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ .
(٧) د : قال .
(٨) طبعة محب الدين : أتانا . ولم ينبه على أنه تابع في ذلك بعض الروايات من كتب الحديث . (ص ٦٧) .
(٩) أورده البخاري وأحمد وغيرهما من أيمة الحديث .
(١٠) ب ، جـ ، ز : — لي .

شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ، ما كان أثقل عليّ مما أمروني [1] به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال [2] عمر [3] هذا والله خير فلم يزل أبو بكر [4] يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف [5] ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي [6] خزيمة الأنصاري [7] لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (التوبة / ١٢٨) حتى خاتمة براءة [8] ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة [9] بنت عمر حتى قدم حذيفة بن اليمان [10] على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع [11] حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك (و ٩٨ أ) هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب

---

(١) د : أمرني . وفي رواية : كلفاني وأمراني . (الرزاز ، تاريخ واسط ، ص ٢٨١) .
(٢) د : قالوا .
(٣) د : — عمر .
(٤) د : — أبو بكر .
(٥) وفي رواية : من الرقاع والأكتاف والعسب . والكتف عظم عريض المنكب يكتب عليها والعسيب جمع عسب عبارة عن جريدة النخل (الرزاز ، تاريخ واسط ص ٢٨١) .
(٦) طبعة محب الدين : — أبي .
(٧) ذو الشهادتين قتل في معركة صفين ٣٨ هـ / ٦٥٨ (الاصابة ت ٢٢٤٧) ، وقعة صفين ص ٤١٣ .
(٨) ج : — براءة .
(٩) حفصة بنت عمر العدوية أم المؤمنين توفيت سنة ٤١ هـ / ٦٦١ وقيل ٤٥ هـ / ٦٦٤ .
(١٠) حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ . ج ، د ، ز : اليماني .
(١١) ب ، ج ، ز : فحدثه .

اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير [١] ، وسعيد بن العاص [٢] ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام [٣] فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف [٤] الى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف [٥] أن يحرق . قال ابن شهاب [٦] : (وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت [٧] سمع زيد بن ثابت ، قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا الصحف ، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدنا [٨] مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (الأحزاب / ٢٣) فألحقناها في سورتها في المصحف [٩]) وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها [١٠] — بالحاء المهملة أو الخاء [١١] المعجمة وكلاهما

---

(١) قتل سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ وكان ذا شجاعة وفروسية .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص يقول الذهبي : أقيمت عربية القرآن على لسانه . توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ .

(٣) المخرومي المدني توفي سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ .

(٤) ب : المصحف .

(٥) ب : ومصحف .

(٦) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله توفي سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ .

(٧) الأنصاري أحد الفقهاء السبعة توفي سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ .

(٨) ب ، ج ، ز : فوجدناها .

(٩) أخرجه البخاري في الصحيح .

(١٠) ج ، د ، ز : خرقها أو حرقها .

(١١) د : والخاء .

جائز — اذا كان في بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد[1] سلم في ذلك الصحابة كلهم . الا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة ، فقال : (أما بعد فان الله قال : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) (آل عمران / ١٦١) واني غال مصحفي ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل) وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه ، فلما لم يفعل ذلك له[2] ، قال ما قال ، فأكرهه عثمان على دفع[3] مصحفه ، ومحا رسومه ، فلم تثبت[4] له قراءة أبداً ، ونصر الله عثمان ، والحقّ ، بمحوها من الأرض .

وأما نفيه[5] (و ٩٨ ب) أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل . كان أبو ذر زاهداً ، وكان يقرع عمال عثمان ، ويتلو عليهم : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) (التوبة/٣٤) الآية ويراهم يتسعون في المراكب ، والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره[6] من الصحابة وهو الحق[7] : إن ما أديت زكاته فليس بكنز ، فوقع بين أبي ذر ، ومعاوية كلام بالشام ، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطريق فقال له عثمان : لو اعتزلت ، [معناه : أنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ،

---

(١) كذا في جميع النسخ ويبدو أن صوابها : فقد . اصلحها الشيخ محب الدين ولكنه لم ينص على ذلك . (ص ٧١) .
(٢) د : — له .
(٣) ب : رفع .
(٤) ب : يثبت .
(٥) د : بعثه .
(٦) د : سواه .
(٧) د : — وهو الحق .

فإن للخلطة شروطاً[١] ، وللعزلة مثلها . ومن كان على طريق أبي ذر ، فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة][٢] . فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً ، وترك جلة فضلاء . وكل على خير ، وبركة ، وفضل . وحال أبي ذر أفضل ولا تمكن لجميع الخلق . فلو[٣] كانوا عليها لهلكوا ، فسبحان مرتب المنازل ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر ! فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة[٤] بالمدينة حتى استشهد ، فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم ، لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقع بين ابن ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق[٥] من الكلام بما لم يكن[٦] يقوله في زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشي من[٧] العامة أن تثور منهم فتنة . فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد ، وأمور لا يحتملها[٨] الناس كلهم ، وإنما هي مخصوصة ببعضهم فكتب إليه عثمان كما قدمنا : أن يقدم[٩] المدينة . فلما قدم اجتمع إليه الناس فقال لعثمان : أريد الربذة فقال[١٠] له : افعل . فاعتزل ، ولم يكن يصلح له إلا ذلك ، لطريقته . ووقع بين أبي الدرداء[١١] ومعاوية كلام ، وكان أبو الدرداء

---

(١) ج ، ز : شروط .
(٢) د : سقط ما بين قوسين .
(٣) د : ولو .
(٤) د : ستة .
(٥) د : ينطلق .
(٦) ج ، ز : – يكن .
(٧) ز : في نسخة : عن .
(٨) د : يحملها .
(٩) ب ، ج ، ز : تقدم .
(١٠) د : قال .
(١١) عويمر بن زيد الأنصاري توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ وكان قاضياً بدمشق .

زاهداً فاضلاً [1] قاضياً لهم ، فلما اشتد في الحق ، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها (و ٩٩ أ) عزلوه ، فخرج إلى المدينة . وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين ، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال . وأبو الدرداء ، وأبو ذر [2] براءة [3] من [4] عاب [5] وعثمان بريء وأعظم براءة ، وأكثر نزاهة . فمن روى أنه نفي ، وروى سبباً [6] فهو كله باطل .

وأما رد الحكم فلم يصح . وقال علماؤنا في جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال [7] لأبي بكر وعمر ، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه ، فلما ولي قضي بعلمه في رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان أباه ، ولا لينقض [8] حكمه .

وأما ترك القصر [9] فاجتهاد ، إذ [10] سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ، وفعلوا ذلك في منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أدّت إلى اسقاط الفريضة فتركها مصلحة [11] خوف الذريعة ، مع أن جماعة العلماء قالوا : إن المسافر مخير بين القصر والاتمام ، واختلف في ذلك الصحابة .

---

(١) د : — فاضلاً .
(٢) د : وأبو ذر وأبو الدرداء .
(٣) كذا في جميع النسخ وقد صححها محب الدين هكذا : بريئان ولم يشر إلى ذلك . (ص ٧٧) .
(٤) ج ، ز : ممن .
(٥) العاب كالمعاب والمعيب : الوصمة (القاموس المحيط) .
(٦) د : — وروى سبباً .
(٧) أي قال عثمان . (محب الدين الخطيب ، ص ٧٧) .
(٨) د : ليبغض .
(٩) ز : كتب على الهامش : أي في الصلاة .
(١٠) د : أو .
(١١) ب ، ج ، ز : — مصلحة .

وأما معاوية فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان ، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد فأقره عمر ، لتعلقه بولاية أبي بكر ، لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره . فانظروا إلى هذه السلسلة[١] ما أوثق عراها ، وأقدر سردها[٢] ، ولن يأتي[٣] مثلها بعدها أبداً .

وأما عبد الله بن كريز[٤] فولاه كما قال ، لأنه كريم العمات والخالات .

وأما تولية الوليد بن عقبة ـ فلأن[٥] الناس على فساد في[٦] النيات أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات ، فذكر الاسفرائنيون[٧] أنه إنما ولاه للمعنى الذي تكلم به . قال عثمان : ما وليت الوليد لأنه أخي ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول (و ٩٩ ب) الله صلى الله عليه وسلم ، وتوأمة أبيه ، وسيأتي بيانه إن شاء الله . والولاية اجتهاد . قد عزل عمر[٨] ، سعد[٩] بن أبي وقاص[١٠] ، وقدّم أقل منه درجة .

---

(١) د : المسألة .

(٢) انتظام الحلق في السلسلة أو غيرها ، ويطلق على جودة سياق الحديث . (القاموس المحيط) . ب ، ج ، ز : ترك بياض مكان : سردها .

(٣) ب ، ج ، ز : + أحد .

(٤) عبد الله بن عامر بن كريز توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ على أصح الروايات (الذهبي ، العبر ج ١ ص ٦٧) . ب ، ج ، ز : ابن أبي كريز .

(٥) ب ، ج ، ز : فان .

(٦) ب ، ج ، ز : — في .

(٧) ب ، ج ، ز : الأسفرائيون . وأصلحه محب الدين هكذا : الافترائيون . ولكنه لم يشر إلى ذلك كعادته .

(٨) ج : عمن .

(٩) ب ، د : سعيد .

(١٠) أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص الزهري توفي سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ .

وأما اعطاؤه خمس أفريقية لواحد ، فلم[1] يصح ، على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس ، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده ، وأن عطاءه لواحد جائز[2] . وقد بينا ذلك في مواضعه .

وأما قولهم : انه ضرب بالعصا ، فما سمعته ممن أطاع ولا عصا ، وإنما هو باطل يحكى ، وزور ينثى ، فيا لله وللنهي .

وأما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما سمعته ممن فيه تقية [3] ، وإنما هي إشاعة منكر ، ليروي [4] ويذكر ، فيتغير بها [5] قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه ، ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً ، فلم ينكره [6] الصحابة عليه ، إذ رأت جوازه ابتداء ، أو لسبب اقتضى ذلك ، وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام .

وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر ، وبيعة الرضوان ، فقد بين عبد الله بن عمر ، وجه الحكم في شأن البيعة ، وبدر ، وأحد . وأما [7] يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله [8] صلى الله عليه وسلم ، ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح ، وإنما هي أقوال ، منها أنه

---

(١) د : فلا .
(٢) ب ، ج ، ز : وأما اعطاؤه لواحد جائز .
(٣) د : بقية .
(٤) د : ليرى .
(٥) ب : – بها .
(٦) د : تنكره .
(٧) ب : – يوم .
(٨) د : النبي .

ما بقي معه إلا العباس وابناه عبد الله ، وقثم[1] ، فناهيك بهذا[2] الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد[3] عفا الله عنه ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون . خرّج البخاري : (جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله ، فقال : لعل ذلك يسوؤك (و ١٠٠ أ) ، قال : نعم ، قال : فأرغم الله أنفك ، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله ، قال : هو ذاك[4] بيته أوسط بيوت النبي . ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ، قال : أجل ، قال : فأرغم الله أنفك ، فانطلق[5] فاجهد علي جهدك) وقد تقدم في حديث بني الإسلام على خمس زيادة فيه للبخاري[6] في علي وعثمان . وقد أخرج البخاري[7] أيضاً من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب[8] ، قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا[9] : هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا[10] : عبد الله بن عمر ، قال : يا بن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ، قال : تعلم

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب توفي سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ وقد وقفت على قبره في سمرقند سنة ١٩٦٧ .

(٢) د : – قد .

(٣) د : من هذا .

(٤) د : لك .

(٥) د : انطلق .

(٦) د : للجبائي .

(٧) د : الجبائي .

(٨) عثمان بن عبد الله بن موهب الأعرج أبو عبد الله توفي سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ (طبقات خليفة بن خياط ص ٢٧٣ ، وابن حجر تهذيب التهذيب ، جـ ٧ ص ١٣٣) .

(٩) د : قال : صحيح البخاري : قالوا .

(١٠) د : قال .

أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم ، قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال ابين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته زينب[1] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً ، وسهمه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان (وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان)[2] إلى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده ، وقال : (هذه لعثمان) ثم قال ابن عمر : اذهب بها الآن معك .

وأما أمر الحمى فكان قديماً ، فيقال : إنه عثمان زاد فيه لما زادت الرعية . وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة .

وأما امتناعه من قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل . فإن[3] كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمر في أوله ، وقد قيل : ان الهرمزان (و ١٠٠ ب) سعى في قتل عمر ، وحمل الخنجر ، وظهر تحت ثيابه ، وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله ، وأيضاً فإن أحداً لم يقم بطلبه ، فكيف[4] يصح مع هذه الاحتمالات كلها ، أن ينظر في أمر لم يصح .

وأما قول القائل في مروان ، والوليد ، فشديد عليهم ، وحكمهم عليهم بالفسق . فسق منهم . مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة ، والتابعين ، وفقهاء

---

(١) ب : - زينب .

(٢) ب ، ج ، ز : سقط ما بين القوسين .

(٣) د : وان .

(٤) ب ، ج ، ز : وكيف .

المسلمين . أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي[1] روى عنه . وأما التابعون فأصحابه في السن[2] وإن كان جازهم[3] باسم الصحبة في أحد القولين . وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار خلافه[4] ، والتلفت[5] إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته . وأما السفهاء من المؤرخين ، والأدباء ، فيقولون على أقدارهم .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً في قوله : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة) (الحجرات / ٦) فإنها في قولهم نزلت فيه ، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مصدقاً[6] إلى بني المصطلق فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم خالد بن الوليد[7] ، فتثبت في أمرهم ، فبين بطلان قوله ، وقد اختلف فيها ، فقيل نزلت في ذلك ، وقيل في علي ، والوليد في قصة أخرى ، وقيل أن الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رؤوسهم ، وبرّك عليهم الا هو ، فقال : إنه كان على رأسي خلوق ، فامتنع من مسه فمن يكون في هذا السن يرسل مصدقاً ؟ و بهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية . فكيف[8] يفسق رجل يتمثل هذا الكلام ؟ فكيف رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) أبو العباس سهل الأنصاري آخر من مات من الصحابة بالمدينة سنة ٩١ هـ / ٧٠٩ .
(٢) ج : السر .
(٣) ب : حارهم . د : ما رسم .
(٤) ب ، ج ، ز : خلافته .
(٥) ج : والتفت .
(٦) ب : — مصدقاً .
(٧) خالد بن الوليد المخزومي توفي سنة ٢١ هـ / ٦٤١ .
(٨) ب ، ج ، ز : وكيف .

(و ١٠١ أ) وأما حده في الخمر . فقد حدّ عمر ، قدامة بن مظعون[١] على الخمر وهو أمير وعزله . ثم قيل له[٢] : صالحه ، وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة . وقد قيل لعثمان : انك وليت الوليد ، لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال : بل لأنه ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حكيم البيضاء جدة عثمان ، وجدة الوليد لأمهما ، أروى المذكورة ، وكانت[٣] أم حكيم توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه ؟ وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب ، أو مع غلامه ولم يقل أحد قط[٤] إنه كان غلامه – إلى[٥] عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره بقتل حامليه[٦] ، فقد قال لهم عثمان : اما أن تقيموا شاهدين[٧] عليّ بذلك[٨] ، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت ، وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ، وينقش على خاتمه . فقالوا : تسلم لنا[٩] مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه لكان ظالماً ، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه ، وآخذه إن كان له أخذه[١٠]

---

(١) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ . (طبقات خليفة بن خياط ص ٢٥) .
(٢) كذا في جميع النسخ وأصلحه محب الدين : قيل انه . ولم يشر إلى ذلك .
(٣) ب ، ج ، ز : – وكانت .
(٤) د : قط أحد .
(٥) د : إلا بني .
(٦) ج ، ز : حامله .
(٧) د : شهيدين .
(٨) ب ، ج ، ز : على ذلك .
(٩) د : إلينا .
(١٠) ب ، ج ، ز : – ان كان له أخذه .

والممكن لمن يأخذه بالحق [١] . ومع سابقته وفضيلته [٢] ، ومكانته ، لم يثبت عليه ما يوجب خلعه ، فضلاً عن قتله . وأمثل ما روى في قصته أنه بالقضاء السابق ، تألب عليه قوم ، لأحقاد اعتقدوها ، ممن [٣] طلب أمراً فلم يصل إليه ، وحسد حسادة أظهر داءها [٤] ، وحمله على ذلك ، قلة دين ، وضعف يقين ، وإيثار للعاجلة [٥] على الآجلة ، وإذا نظرت إليه دلك صريح ذكرهم [٦] ، على دناءة قدرهم [٧] ، وبطلان أمرهم ، كان الغافقي المصري أمير القوم [٨] ، وكنانة بن بشر التجيبي [٩] ، وسودان بن حمران [١٠] وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي [١١] (و ١٠١ ب) وحكيم بن جبلة [١٢] من أهل البصرة ، ومالك بن الحارث الأشتر [١٣] في طائفة ، هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم [١٤] ، وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم

---

(١) د : أو الممكن لأخذه بالحق .
(٢) د : فضله .
(٣) ج : فمن .
(٤) ب ، ج ، ز : حساده وأظهروها . وأشير في هامش (ب ، ز) إلى أنه يوجد في نسخة أخرى العبارة التي أثبتناها .
(٥) ب ، ج ، ز : العاجلة .
(٦) ج : — ذكرهم .
(٧) ب : قلبهم وصححها محب الدين ، ولم يشر إلى ذلك (ص ١١١) . د : قلوبهم .
(٨) الغافقي بن حرب العكي يمني الأصل . قتل في سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ط . بيروت ١٩٦٥ جـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩) .
(٩) من الذين اتهموا بضرب الخليفة عثمان . توفي سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ (الطبري جـ ٦ ص ٥٨ — ٦٠) وقيل قتل سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ .
(١٠) أغلب الظن أنه قتل يوم الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٦ .
(١١) من الذين كانوا مع علي في صفين . قتل سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ .
(١٢) قتل يوم الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٦ .
(١٣) هلك في طريقه إلى مصر سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ .
(١٤) ب : بعد بهم ، وفي هامش (ز) : بعديهم .

عثمان بالاجتهاد ، وصاروا في جماعتهم عند معاوية ، فذكرهم بالله ، وبالتقوى ، لفساد الحال ، وهتك حرمة الأمة ، حتى قال له زيد بن صوحان [1] يوماً ـ فيما يروى ـ : كم تكثر علينا من الأمرة [2] ، وبقريش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها ، وقريش تجار . فقال له معاوية : (لا أم لك ، أذكرك بالإسلام ، وتذكرني بالجاهلية ، قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع ، ولا يضر ، اخرجوا عني) [3] . وأخبره ابن الكواء بأهل الفتنة في كل بلد ، ومؤامراتهم فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل إليه بأشخاصهم عليه ، فأخرجهم معاوية . فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فحبسهم ووبخهم ، وقال لهم : اذكروا لي [4] ما كنتم تذكرون لمعاوية [5] . وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء ، حتى تابوا بعد حول ، وكتب [6] إلى عثمان بخبرهم ، وكتب إليه أن سرحهم إليّ ، فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرأوا مما نسب إليهم فخيرهم حيث يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة ، وبصرة ، ومصر ، فأخرجهم ، فما استقروا في جنب[7]ما ساروا حتى ثاروا . وألبوا ، حتى انضاف إليهم جمع ، وساروا إليه ، على أهل مصر : عبد الرحمن بن عديس البلوي [8] ، وعلى أهل

---

(١) قتل في وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ .

(٢) د : بالامرة .

(٣) الطبري : جـ ٥ ص ٨٦ .

(٤) ب ، جـ ، ز : — لي .

(٥) الطبري جـ ٥ ص ٨٧ .

(٦) د : فكتب .

(٧) ب : جنب . جـ ، ز : خبث . وكتب على هامش ب ، ز : في نسخة : حيث .
د : — ما .

(٨) عبد الرحمن بن عديس بن عمرو البلوي شهد فتح مصر ، قتله اعرابي بحمص لما علم أنه من قتلة عثمان سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ (السيوطي ، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٩٨) .

البصرة : حكيم بن جبلة العبدي[1] ، وعلى أهل الكوفة : الأشتر مالك بن الحارث النخعي[2] . فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ، فاستقبلهم عثمان ، فقالوا ادع بالمصحف ، فدعا به ، فقالوا : افتح السابعة[3] – يعني يونس – فقالوا له[4] : اقرأ ، فقرأ ، حتى انتهى إلى قولـه[5] : (الله اذن لكم (و ١٠٢) أم على الله تفترون) (يونس / ٥٩) قالوا له : قف . قالوا له : أرأيت ما حميت من الحمى ؟ اذن الله لك[6] أم على الله افتريت ؟ قال : امضه ، إنما نزلت في كذا ، وقد حمى عمر ، وزادت الإبل ، فزدت . فجعلوا يتبعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم ، حتى قال لهم : ماذا[7] تريدون ؟ فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً : ان المنفي يقلب[8] ، والمحروم يعطى ، ويوفر الفيء ، ويعدل في القسم ، ويستعمل ذو[9] الأمانة والقوة . فكتبوا[10] ذلك في كتاب ، وأخذ عليهم ألا يشقوا

---

(١) ب ، جـ ، ز : – العبدي .
(٢) ب : – النخعي .
(٣) ب ، جـ ، ز : التاسعة . قارن (الطبري جـ ٢ ص ١١٧) ويونس يأتي ترتيبها السابعة في مصحف ابن مسعود (محب الدين الخطيب ص ١٢٤ ت « ٤ ») ونسخة (د) تتفق مع ما ورد في الطبري .
(٤) ب ، جـ ، ز : – له .
(٥) د : أتى على قوله .
(٦) د : لك الله .
(٧) د : فما .
(٨) ب ، جـ ، ز : يعلب . وكتبها محب الدين : يعاد . اجتهاداً منه ، ولكنه لم ينبه إلى ذلك ، رغم أن الشيخ ابن باديس اقترح نفس اللفظة (يقلب) في الهامش . محب الدين ص ١٢٥ . ابن باديس ص ١١٨) وشهدت نسخة (د) لاقتراح ابن باديس .
(٩) ب : ذوو .
(١٠) د : كتبوا .

عصا ، ولا يفرقوا جماعة ، ثم رجعوا راضين ، وقيل أرسل إليهم علياً فاتفقوا على الخمس[1] المذكورة ، ورجعوا راضين . فبينما هم[2] كذلك ، إذا راكب يتعرض لهم ، ثم يفارقهم مراراً[3] ، قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ، ففتشوه فاذا هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه ، إلى عامل مصر ، أن يصلبهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، فأقبلوا حتى قدموا المدينة ، فأتوا علياً ، فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه قال : والله لا أقوم معكم . قالوا له[4] : فلم كتبت[5] إلينا ؟ قال : والله ما كتبت[6] إليكم ، فنظر بعضهم إلى بعض ، وخرج علي من المدينة ، فانطلقوا إلى عثمان ، فقالوا له : كتبت فينا كذا قال لهم : اما أن تقيموا اثنين من المسلمين أو بيّنة ، كما تقدم ذكره . فلم يقبلوا ذلك[7] منه ، ونقضوا عهده ، وحصروه . وقد روي أن عثمان جيء إليه بالأشتر فقال له : يريد القوم منك ، اما أن تخلع نفسك ، أو تقص[8] منها ، أو يقتلوك . فقال[9] : أما خلعي فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض ، وأما القصاص فصاحباي قبلي لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدني .

---

(١) د : خمس .

(٢) د ، ز : فبيناهم .

(٣) ج : فراراً .

(٤) ب : – له .

(٥) د : كتب .

(٦) د : كتب . ورواية خليفة بن خياط : كتبت (تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ١٤٦) والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط في رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه باسناده .

(٧) د : – ذلك .

(٨) ج : تقتص .

(٩) د : قال .

وروي أن رجلاً قال له نذرت دمك (و ١٠٢ ب) . قال له : خذ جنبي[1] فشرط فيه بالسيف شرطة[2] أراق منه دمه ، ثم خرج الرجل ، وركب راحلته ، وانصرف في الحين ، ولقد دخل عليه ابن عمر فقال : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون اخلع نفسك أو نقتلك ، فقال له : أمخلد أنت في الدنيا ؟ قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا . قال : هل يملكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص الله عنك[3] ، فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه ، أو قتلوه . وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد ، وحفر بئر رومة ، وقول النبي حين رجف بهم أحد ، وأقروا له به في أشياء ذكرها . وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم ، وقال : أفيكم ابنا محدوج[4] ؟ أنشدكما الله ، ألستما تعلمان أن عمر قال : ان ربيعة فاجر أو[5] غادر ، وإني والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر[6] ، وإنما مهر أحدهم عند طنبه[7] ، وإني زدتهم في غزاة واحدة خمسمائة حتى ألحقتهم بهم ؟ . قالوا : بلى . قال : أذكركما الله ، ألستما تعلمان أنكما أتيتماني ، فقلتما : ان كندة آكلة رأس ، وان ربيعة هي الرأس ، وان الأشعث بن قيس[8] قد أكلهم

---

(١) ب : جبتي . د : جبيني .
(٢) ب ، ج ، ز : شرطة بالسيف .
(٣) د : عليك .
(٤) ج ، ز : محروج .
(٥) ج ، ز : إذ ..
(٦) أي سواء في الفريضة والسهم .
(٧) ب ، ج ، ز : طسه . والطني : الفجور ، والتهمة . وفي رواية خليفة بن خياط : طنبه . وهو : سير يوصل بوتر القوس . (تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ١٤٩) .
(٨) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي أبو محمد توفي سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ . (العبر ، ج ١ ص ٤٦ ، دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ١٦) .

فنزعته واستعملتكما ؟ قالا : بلى . قال : اللهم انهم[1] كفروا[2] معروفي ، وبدلوا نعمتي ، فلا ترضهم[3] عن إمامهم ولا ترض[4] إماماً عنهم .

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة[5] قال : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة ، إلّا كف يده وسلاحه ، ثم قال : قم يا بن عمر ـ وعلى ابن عمر سيفه متقلداً ـ فاجر بين الناس ، فخرج ابن عمر ، ودخلوا فقتلوه . وجاءه[6] زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار (و ١٠٣ أ) بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله ، مرتين[7] قال : لا حاجة لي في ذلك كفوا . وقال له[8] أبو هريرة[9] : اليوم طاب الضرب[10] معك . قال : عزمت عليك لتخرجن . وكان الحسن بن علي[11] آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين[12] ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومروان ، فعزم عليهم في وضع سلاحهم ،

---

(١) ب : انهما .
(٢) ج ، ز : كفرا .
(٣) ج ، ز : ترضيهم .
(٤) ج ، ز : ترضي . نفس النص ورد في تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ١٤٩ .
(٥) عبد الله بن عامر بن ربيعة ، روى عن النبي ، وتوفي سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ (طبقات خليفة ابن خياط ص ٢٣٥) .
(٦) ب : جاء .
(٧) يقصدون بذلك أنهم نصروا النبي المرة الأولى ، وينصرون عثمان المرة الثانية . ولا يقصد بذلك تكرار العبارة كما فهم الشيخ ابن باديس (جـ ٢ ص ١٢٠) .
(٨) د : — له .
(٩) توفي أبو هريرة سنة ٥٧ هـ / ٦٧٦ ، وقيل ٥٩ هـ / ٦٧٨ (العبر ، جـ ١ ص ٦٢ — ٦٣).
(١٠) د : طاب أم ضرب . على لغة حمير .
(١١) توفي الحسن بن علي بالمدينة سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ .
(١٢) استشهد بكربلاء سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ .

وخروجهم ، ولزوم بيوتهم ، فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا ألا[1] نبرح ، ففتح عثمان البــاب ، ودخلوا عليه في أصح الأقــوال ، فقتله[2] الموت[3] الأسود ، وقيل أخذ ابن أبي بكر[4] بلحيته وذبحــه رومان[5] ، وقيل رجل من أهل مصر يقال له حمار ، فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله (فسيكفيكهم الله) (البقرة ١٣٧) فإنها[6] فيه ما حكت[7] إلى الآن .

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت : غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالغل[8] المصفى ، ومصتموه[9]

---

(١) ب ، جـ ، ز : لا . وهذه الروايات والنصوص كلها أوردها خليفة بن خياط في تاريخه (جـ١ ص ١٥٠ – ١٥٤) .

(٢) د : فقله .

(٣) ب ، جـ ، ز : المرء . وتتفق (د) مع ما ورد في تاريخ الطبري حيث عبر عن ذلك بالموت فقال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود (الطبري جـ ٤ ص ٣٨٤) وذكر خليفة بن خياط أنه رجل من بني سدوس يقال له : الموت الأسود (تاريخ خليفة بن خياط جـ١ ص ١٥٢) .

(٤) محمد بن أبي بكر الصديق قتل سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ .

(٥) رومان رجل من بني أسد بن خزيمة . وليس محرفاً كما قال محب الدين حيث وضع مكانه كنانة بن بشر بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحريف (ص ١٣٥) انظر (تاريخ خليفة بن خياط جـ١ ص ١٥٣) .

(٦) جـ : فاندا .

(٧) جـ ، ز : حالت .

(٨) ب ، جـ ، ز : العبد . وأصلحه الشيخ محب الدين ب : القند . ولعله : الذهب . لأنه قد ورد في تاريخ ابن الأثير في شأن عثمان : (كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء . جـ٣ ص ٢٠٧) وأما ما ورد في (د) من : الغل فيطلق على النوى المختلط بالقت (القاموس المحيط) وفي تاريخ ابن الخياط « كالقلب » (جـ١ ص ١٥٤) .

(٩) جـ : مصنتموه . د : موصتموه .

موص[1] الاناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه . قال مسروق : فقلت لها : هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم[2] بالخروج عليه فقالت عائشة : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سواداً في بياض . قال الأعمش[3] : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وقد روي أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر .

قال القاضي أبو بكر[4] رضي الله عنه : فهذا أشبه ما روي في الباب ، وبه يتبين ، وبأصل المسألة ، وسلوك[5] سبيل الحق ، أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين[6] ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك ، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة . وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها ، هل يلقى (و ١٠٣ ب) بيده أو يستنصر ، وأجاز بعضهم أن يستسلم ، ويلقي بيده اقتداء بفعل عثمان ، وبتوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الفتنة .

قال القاضي أبو بكر[7] رضي الله عنه : ولقد حكمت بين الناس ، فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى لم يك[8] يرى[9] في الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب[10] ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا ،

(١) الموص : الغسل بالأصابع .
(٢) ب : تأمريهم . ج ، ز : تأمرهم .
(٣) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي توفي سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ .
(٤) د : قال أبي .
(٥) ب : وأصل المسألة سلوك . ج ، ز : بأصل المسألة سلوك .
(٦) ب : عشرون .
(٧) د : قال أبي .
(٨) د : تلك .
(٩) ج ، د ، ز : ترى .
(١٠) ب ، ج ، ز : الغضب

وألبوا ، وثاروا إليّ ، واستسلمت لأمر الله ، وأمرت كل من حولي ألا يدفعوا عن داري ، وخرجت على السطوح بنفسي ، فعاثوا علي ، وأمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار . وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصية[1] النبي[2] صلى الله عليه وسلم ، المتقدمة[3] . الثاني الاقتداء بعثمان . الثالث سوء الأحدوثة التي[4] فر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد[5] بالوحي . فان من غاب عني ، بل من حضر من الحسدة معي ، خفت أن يقول[6] : ان الناس مشوا مستعينين به[7] ، مستغيثين له ، فأراق دماءهم .

وأمر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية ، فانه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد . وروى أنه قال له في المنام : ان شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة . وقد انتدب[8] المردة والجهلة إلى أن يقولوا : ان كل فاضل من الصحابة كان عليه ساعياً[9] ، مؤلباً ، وبما جرى عليه راضياً ، واخترعوا كتاباً فيه[10] فصاحة وأمثال ، كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي ، وذلك كله مصنوع ، ليوغر[11] قلوب المسلمين ، على السلف الماضين ، والخلفاء الراشدين .

---

(١) ج ، ز : وصاءة . د : وصاة .
(٢) ز : في الهامش : في نسخة : المهدي .
(٣) ب : المهدي .
(٤) ج : تكرر : التي .
(٥) ج : تكرر : المؤيد .
(٦) د : يقولوا .
(٧) ب ، ج ، ز : مستعينين به .
(٨) ب : انتدبت .
(٩) ب : مشاغباً . ج ، ز : شاغباً .
(١٠) ب ، ج ، د ، ز : كتباً فيها . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : كتاباً فيه .
(١١) د : لتوغر .

قال القاضي أبو بكر[1] رضي الله عنه[2] : فالذي تنخّل[3] من ذلك أن عثمان (و ١٠٤ أ) مظلوم ، محجوج بغير حجة ، وأن الصحابة برآء عن دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه ، ولقد[4] ثبت زائداً[5] إلى ما تقدم عنهم ، أن عبد الله بن الزبير ، قال لعثمان : أناّ معك في الدار عصابة مستبصرة ، ينصر[6] الله بأقل منهم ، فأذن لنا ، فقال : اذكّر الله رجلاً أراق لي[7] دمه أو قال دماً . قال[8] سليط بن أبي سليط[9] : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها[10] . وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان في الدار ، فقال : أعزم على كل من رأى أن لي[11] عليه سمعاً وطاعة ، إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه . وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير ، وابن عمر ، ومروان ، كلهم شاك في السلاح ، حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ، ولزمتم بيوتكم[12] . فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى في قدره ما مضى ،

---

(١) د : قال أبي .
(٢) ب ، ج ، ز : – رضي الله عنه .
(٣) ب ، ج ، ز : ينحل .
(٤) ج : قد .
(٥) ج ، ز : زايلا .
(٦) د : مستنصرة بنصر . وفي تاريخ ابن خياط : عصابة مستبصرة ينصر الله (ج ١ ص١٥٠)
(٧) في تاريخ خليفة بن خياط : في .
(٨) د : وقال .
(٩) سليط بن أبي سليط بن عبد الله بن عمرو استشهد سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢ (تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٢٣٥) .
(١٠) ب ، ج ، ز : أقطارنا . وفي تاريخ خليفة بن خياط : أقطارها (ص ١٥٠) .
(١١) د : – لي .
(١٢) تاريخ خليفة بن خياط (ج ١ ص ١٥٢) .

علم أن الحق ألا [1] يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة . مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاث [2] كالرابع قدراً ، وعلماً ، وتقى ، وديناً ، فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع [3] بعقد البيعة لعلي ، لجري على من بها من الأوباش ، ما لا يرقع خرقه ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضاً عليه ، فانقاد إليه ، وعقد [4] له البيعة طلحة فقال الناس : بايع علياً يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر .

فإن قيل بايعا مكرهين . قلنا : حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما ، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد بهما البيعة [5] وتتم ، ومن بايع [6] بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً ، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الإمام . وأما (و ١٠٤ ب) من قال : يد شلاء وأمر لا يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع . ولم يكن كذلك . فإن قيل فقد قال طلحة : « بايعت واللج [7] على قفيّ » [8] قلنا : اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في « القفا » لغة : « قفي » [9] كما يجعل في « الهوى » « هوى » وتلك لغة [10] هذيل لا قريش ، فكانت كذبة لم تدبر . وأما قولهم : « يد شلاء » لو صح

---

(١) ب ، ج ، ز : لا .

(٢) د : الثلاثة .

(٣) د : الانتزاع .

(٤) ج : وانعقد .

(٥) ب ، ج ، ز : البيعة بهما .

(٦) د : تابع .

(٧) في جميع النسخ : اللحِ . وصوابه : اللج . وهو السيف . وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم ينبه إلى ذلك . (ص ١٤٤) .

(٨) ج ، ز : قفا .

(٩) ج ، ز : في .

(١٠) د : بلغة .

فلا متعلق لهم فيه . فان يداً شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه ، وقد تم الأمر على وجهه ، ونفذ[1] القدر بعد ذلك على حكمه ، وجهل المبتدع ذلك ، فاخترع ما هو حجة عليه . فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هذا لا يصح[2] في شرط البيعة إنما[3] بايعوه[4] على الحكم بالحق ، وهو أن[5] يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم ، فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام .

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة[6] ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد ، وسواهم من نظرائهم . قلنا : أما بيعته[7] فلم يتخلف عنها أحد[8] ، وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهادية[9] . فاجتهد كل واحد[10] ، وأعمل نظره ، وأصاب قدره[11] .

---

(١) د : نفد .
(٢) د : لا يصح هذا .
(٣) ب ، ج ، ز : وإنما .
(٤) ب ، ج ، ز : يبايعونه .
(٥) د : وهذا بأن يحضر .
(٦) الأنصاري اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب ، توفي بالمدينة سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ .
(٧) ج : بيعة .
(٨) ب ، ج ، ز : – أحد .
(٩) د : اجتهاد .
(١٠) د : واحد .
(١١) د : قدرته .

قاصمة :

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلي ، استأذن طلحة والزبير علياً في الخروج إلى مكة . فقال لهما علي : لعلكما تريدان البصرة والشام ، فأقسما ألا يفعلا ، وكانت عائشة بمكة . وهرب عبد الله بن عامر ، عامل عثمان على البصرة إلى مكة ، ويعلى (و ١٠٥ أ) بن أمية [١] ، عامل عثمان على اليمن ، فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم . واجتمعت بنو أمية ، وحرضوا على دم عثمان . وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة ، أربعمائة ألف درهم ، وأعطى لعائشة « عسكراً » جملاً اشتراه باليمن بمائتي دينار ، فأرادوا الشام فصدهم ابن عامر ، وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية . ولي بالبصرة صنائع ، ولكن إليها ، فجاءوا إلى ماء الحوأب [٢] . ونبحت كلابه . فسألت [٣] عائشة [٤] فقيل لها : هذا الحوأب ، فردت خطامها عنه . وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [٥] ، التي تنبحها [٦] كلاب الحوأب) [٧] فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء [٨] الحوأب [٩] ، وخمسون رجلاً إليهم . وكانت أول شهادة زور ، دارت في الاسلام .

---

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة توفي سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ .

(٢) الحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية سمي بها ماء قريب من البصرة . ج ، ز : الجؤب .

(٣) ج ، ز : وسألت .

(٤) د : - فسألت عائشة .

(٥) ب : الأزب . ج : الأز . ز : الأزبب . د : الأرنب . والأدبب . أي الأدب وهو كثير وبر الوجه .

(٦) ج ، ز : ينبحها .

(٧) ج ، ز : الجؤب .

(٨) ج ، ز ، د : الماء .

(٩) ب ، ج ، ز : بغير .

وخرج علي إلى الكوفة ، وتعسكر الفريقان والتقوا ، وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة : ما تطلبون ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي ، والطالب لغير[1] الحق . والتقى علي والزبير ، فقال[2] له علي : أتذكر[3] قول النبي صلى الله عليه وسلم لي : أنك تقاتلني ؟ فتركه ، ورجع ، وراجعه ولده ، فلم يقبل ، وأتبعه الأحنف[4] من قتله . ونادي علي طلحة من بعد ، ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قتل[5] الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم[6] يقول : (اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله) وأنت أول من بايعني[7] ونكث .

عاصمة :

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا اشكال فيه ، ولكن لأي شيء خرجوا ؟ لم[8] يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله [9] ، وكلام المتعصب غير مقبول [10] ، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الإسلام ، واستنقاص

---

(١) ب ، ج ، ز : بغير .
(٢) د : وقال .
(٣) د : تذكر .
(٤) أبو بحر الأحنف بن قيس التميمي السعدي . توفي سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ .
(٥) ج ، ز : قاتل .
(٦) د : — صلى الله عليه وسلم .
(٧) ج : يأمني .
(٨) ب ، ج ، ز : ولم .
(٩) د : تنقله .
(١٠) ب ، ج ، ز : لا يسمع . ب : في الهامش : زيادة « غير مقبول » في نسخة .
ز : في الهامش : في نسخة : غير مقبول .

الصحابة (و ١٠٥ ب) فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلي ، لأمر ظهر لهم . وهو [١] أنهم بايعوا لتسكين النائرة [٢] ، وقاموا يطلبون الحق . ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان . ويمكن أنهم خرجوا لينظروا [٣] في جمع طوائف المسلمين وضم تشردهم [٤] ، وردهم إلى قانون واحد ، حتى لا يضطربوا فيقتتلوا ، وهذا هو الصحيح لا شيء سواه ، وبذلك وردت صحاح الأخبار .

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة ، وضعيفة . أما بيعتهم كرهاً فباطل ، وقد [٥] بيناها [٦] . وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان . وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف ، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة . ويمكن أن يجتمع الأمران ، ويروى أن في تغيبهم قطعاً [٧] للشغب [٨] بين الناس ، فخرج طلحة ، والزبير ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم [٩] ، رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم ، فيرعوا [١٠] حرمة نبيهم ، واحتجوا عليها [١١] بقول الله تعالى [١٢] : (لا خير في كثير

---

(١) د : وهم .
(٢) ب ، ج ، ز : الثائرة .
(٣) ب ، ج ، ز : — لينظروا .
(٤) ب ، ج ، ز : نشرهم .
(٥) ب ، ج ، ز : قد (بسقوط الواو) .
(٦) غير محب الدين الخطيب هذه اللفظة إلى : بيناه . دون أن يشير إلى ذلك .
(٧) ب ، ج ، ز : قطع . د : يروا أن في تعيينهم قطعاً .
(٨) ج : الشغب .
(٩) د : — رضي الله عنهم .
(١٠) د : ويرعوا .
(١١) د : — عليها .
(١٢) د : — تعالى .

من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (النساء/١١٤)
وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح ، وأرسل فيه ، فرجت المثوبة ،
واغتنمت الفرصة [١] ، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها . وأحس [٢]
بهم أهل البصرة ، فحرض من كان فيها [٣] من المتألبين على عثمان الناس [٤] ،
وقال : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه ، فبعث عثمان بن حنيف [٥] ، حكيم
بن جبلة ، فلقي طلحة والزبير بالزابوقة [٦] ، فقتل حكيم ، ولو خرج مسلماً ،
مستسلماً لا مدافعاً ، لما أصابه شيء ، وأي خير كان له في المدافعة ؟ وعن أي
شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ، ولا ولاة ، وإنما جاءوا ساعين في
الصلح ، راغبين في تأليف الكلمة (و ١٠٦ أ) ، فمن خرج إليهم ، فدافعهم [٧] ،
وقاتلهم ، دافعوه [٨] عن مقصدهم ، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد .
فلما وصلوا إلى البصرة ، تلقاهم الناس بأعلى المربد [٩] ، مجتمعين ، حتى لو رمي
حجر ، ما وقع إلا على رأس إنسان . فتكلم طلحة ، وتكلمت عائشة رضي الله

---

(١) ب ، د : القصة .
(٢) جـ ، ز : أحسن .
(٣) ب ، جـ ، ز : بها .
(٤) ب ، جـ ، ز : للناس . وأصلحها محب الدين بـ : « الناس » . ولم يشر إلى ذلك . (ص ١٥٢) .
(٥) مات في آخر خلافة معاوية (خليفة بن خياط ، الطبقات ص ١٣٥) .
(٦) مكان قرب البصرة وقعت فيه مناوشات من معركة الجمل (القاموس المحيط) ب ، جـ ، د ، ز : الرابوقة . ويقول خليفة بن خياط أنها مدينة الرزق بحضرة كلاء البصرة (تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ١٦٠) .
(٧) ب ، جـ ، ز : ودافعهم .
(٨) ب : دافعوا . جـ : دافعوهم .
(٩) مكان قرب البصرة طرأت عليه عدة تطورات . (محب الدين الخطيب ص ١٥٤) إذ كان سوقاً للابل ثم سوقاً لمفاخرات الشعراء ثم حياً من أحياء البصرة ، ثم أصبح خراباً .

عنهما [1] ، وكثر اللغط ، وطلحة يقول : انصتوا ، فجعلوا يركبونه ، ولا ينصتون [2] ، فقال : أف ، أف ، فراش نار [3] ، وذباب [4] طمع [5] ، وانقلبوا عن غير بيان . وانحدروا إلى بني نهد ، فرماهم الناس بالحجارة ، حتى نزلوا الجبل ، والتقى طلحة ، والزبير ، وعثمان بن حنيف [6] عامل علي ، على البصرة ، وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة ، والمسجد ، وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة ، حيث شاءا [7] ، ولا يعرض بعضهم لبعض [8] ، حتى يقدم علي . وروى أن حكيم بن جبلة ، عارضهم حينئذ ، فقتل بعد الصلح . وقدم على البصرة ، وتدانوا ليتراءوا [9] ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجر [10] بينهم [11] الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء [12] ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا تقف الحال على بيان ، ويخفى [13] قتلة عثمان . وأن واحداً في جيش يفسد تدبيره [14] ، فكيف بألف ؟

---

(١) د : – رضي الله عنهما .

(٢) ب ، ج ، ز : يتصنتوا . وأصلحها محب الدين بـ : « يتصنتون » ولم يشر إلى ذلك .

(٣) د : ثار .

(٤) د : ذبان .

(٥) د : طبع .

(٦) عثمان بن حنيف بن وهب توفي بعد ٤١ هـ / ٦٦١ .

(٧) ج ، ز : شاءوا .

(٨) د : بعضاً .

(٩) د : ليترايوا .

(١٠) ج ، ز : استحر .

(١١) ب ، ج ، ز : – بينهم .

(١٢) ب : البوعاء . ج ، د : النوعاء . ز : البوعاء . وأما البوغاء فهي حمقى الناس ، والاختلاط . ويطلق أيضاً على التربة الرخوة (القاموس المحيط) .

(١٣) ج ، ز : تخفى .

(١٤) ج ، ز : بتدبيره .

وقد روي أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف ، على طلحة ، قال : لا أطلب [1] أثراً بعد عين ، ورماه بسهم فقتله . ومن يعلم هذا ، الا علام الغيوب ، ولم ينقله ثبت ؟ وقد روي أنه [2] أصابه سهم بأمر مروان ، لا [3] أنه رماه . وقد خرج كعب بن سور [4] بمصحف منشور بيده ، يناشد [5] الناس أن لا يريقوا [6] دماءهم ، فأصابه سهم غرب فقتله ، ولعل طلحة مثله . ومعلوم أن عند الفتنة ، و [7] في ملحمة القتال ، يتمكن أولو الإحن والحقود ، من حل العرى ، ونقض العهود ، وكانت آجالاً حضرت ، ومواعد [8] انتجزت .

فإن قيل : فلم خرجت (و ١٠٦ ب) عائشة [9] وقد قال النبي [10] لهن في حجة الوداع : (هذه ثم [11] ظهور الحصر) ؟ قلنا : حدّث حديثين [12] امرأة ، فإن أبت فأربعة . يا عقول النسوان ! ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان . فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه ، كأنكم لا تفهمون ، (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) (الأنفال / ٢٢) . وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب [13] ،

---

(١) ب ، ج ، ز : نطلب .
(٢) ب : — أنه .
(٣) د : — لا .
(٤) كعب بن سور قتل يوم الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٦ .
(٥) ب ، د : أن يريقوا .
(٦) ج : تكرر : أن عند الفتنة .
(٧) ج : — و .
(٨) ج : قواعد . وجعلها محب الدين « مواعيد » . ولم ينبه إلى ذلك . (ص ١٥٩) .
(٩) ج ، ز : + رضي الله عنها .
(١٠) ب ، ج ، ز : — النبي . + صلى الله عليه وسلم .
(١١) ج ، ز : تم .
(١٢) د : حديثي .
(١٣) ج ، ز : الجؤب .

فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حوب[1] ، ما كان قط شيء[2] مما ذكرتم . و[3] لا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام[4] ، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل ، وسوف تسألون[5] .

قاصمة :

ودارت الحرب بين أهل الشام ، وأهل العراق ، هؤلاء يدعون إلى علي بالبيعة[6] ، وتأليف الكلمة على الإمام . وهؤلاء يدعون إلى التمكين من[7] قتلة عثمان ، ويقولون : لا نبايع من يأوي القتلة . وعلي يقول : لا أمكّن طالباً من مطلوب ، ينفذ فيه مراده ، بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول : لا نبايع متهماً بقتله أو قاتلاً له ، هو[8] أحد[9] من نطلب[10] ، فكيف نحكمه ، أو نبايعه ؟ وهو خليفة عداء ، وتسور . وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات ، آلت إلى استفعال رسائل ، واستخراج أقوال ، وإنشاد[11] أشعار ، وضرب أمثال ، تخرج عن سيرة السلف يقرأها الخلف ، وينبذها الخلف .

---

(١) ج : جؤب .
(٢) ج ، ز : شيئاً .
(٣) د : — و .
(٤) د : الكلم .
(٥) ب ، ج ، ز : تعلمون . ب ، ز : في الهامش : في نسخة : تسألون .
(٦) ج ، د ، ز : في البيعة . ب ، ز : في نسخة بالبيعة .
(٧) ب ، ج ، ز : في . وجعلها محب الدين « من » ولم ينبه إلى ذلك . (ص ١٦٢) .
(٨) ب ، ج ، ز : وهو .
(٩) ج ، ز : أخذ وفي هامش ز : صوابه : أحق .
(١٠)ب ، ج ، ز : يطلب .
(١١)ب : انشاء .

عاصمة :

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً ، أما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً . وأما الصواب فيه فمع علي ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي ، لا توجب[1] عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب عنده فإن (و١٠٧ أ) ظهر له قضاء ، وإلا سكت ، وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ، فيقوم له عذر في الدنيا . ولئن اتهم علي بقتل عثمان ، فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن ألف رجل لا يغلبون أربعين ألفاً ، جاءوا[2] لقتل عثمان . وهبك أن علياً ، وطلحة ، والزبير تظافروا على قتل عثمان ، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار ، ومن اعتدّ فيهم ، وضوى[3] إليهم ، ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟ فلا[4] يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقاً ، وفعلوا حقاً ، فهذه شهادة قائمة على عثمان ، فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين ، وأنهم لم يكن لهم رأس مال[5] في الحال ، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ، ولا فيما يجري فيه من اختلال ، فهي[6] ردة ليست معصية . لأن التهاون بحدود الدين والإسلام ، وتعريض حرمات[7] الشريعة للتضييع كفر . وإن كانوا قعدوا لأنهم

---

(١) ب : يوجب .

(٢) ج : جاء .

(٣) د : صوا .

(٤) ب : ولا . د : لا .

(٥) ب ، ج ، ز : – مال . وجعل محب الدين الخطيب « رأس « رأى » دون أن ينبه إلى ذلك . (ص ١٦٦) .

(٦) ج ، ز : وهي .

(٧) ب ، ج ، ز : واسلام حرمات .

لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته ، فأي ذنب لهم فيه ؟ وأي حجة لمروان ، وعبد الله بن الزبير ، والحسن ، والحسين ، وابن عمر ، وأعيان العشرة معه في داره ، يدخلون إليه ، ويخرجون عنه في الشكة والسلاح ، والمطالبون [1] ينظرون ؟ ولو كان لهم بهم قوة أو آووا [2] إلى ركن شديد ، لما مكنوا أحداً أن يراه منهم ، ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة . فلو قام في وجوههم الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ما جسروا ، ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي [3] . ولكن عثمان سلم نفسه ، فترك ورأيه ، وهي مسألة اجتهاد ، كما قدمنا . وأي كلام كان يكون لعلي لو كتبت عنده ابيعة [4] ، وحضر عنده ولي عثمان ، وقال له : يا أيها (و ١٠٧ ب) الخليفة ؟ ـ وما تمالأ [5] عليه ألف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون ـ ماذا كان يقول الا « أثبت وخذ » وفي يوم كان يثبت ، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للقتل . وتالله [6] لتعلمن يا معشر المسلمين ، أنه ما كان يثبت [7] على عثمان ظلم أبداً ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب ، وأرفق في الحال ، وأيسر وصولاً إلى المطلوب .

---

(١) ب : الطالبون .

(٢) ب : أووا .

(٣) د : بقي منهم .

(٤) غير محب الدين هذه العبارة فكتب : « لما تمت له البيعة » ولم يشر إلى ذلك . وهو مخالف للنص في جميع النسخ (ص ١٦٧) . وهذا أدى إلى تغيير المعنى الذي قصد إليه المؤلف .

(٥) غير محب الدين النص هنا أيضاً هكذا : وقال له : ان الخليفة قد تمالأ عليه ..) وهو مخالف لجميع النسخ ومؤد إلى تغيير في المعنى . والغريب أنه لم يشر إلى أنه غير أو بدل أو اقترح . (ص ١٦٧) .

(٦) ب ، ج ، ز : بالله .

(٧) ج ، ز : ثبت .

والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر ، لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً ، إلا بحكم ، إلا من قتل في حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما قيل ، حتى انتهى الأمر إلى زمان[1] الحجاج [2] . وهم يقتلون بالتهمة ، لا بالحقيقة فتبين لكم أنهم ما كانوا [3] في ملكهم يفعلون ، ما أضحوا [4] له يطلبون . والذي تثلج به صدوركم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في الفتن ، وأشار ، وبين ، وأنذر الخوارج وقال : (تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)[5] فبين أن كل طائفة تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علي ادنى إليه . وقال تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (الحجرات/٩) فلم يخرجهم عن الإيمان بالبغي بالتأويل ، ولا سلبهم اسم الاخوة بقوله بعده : (إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) (الحجرات /١٠) وقال في عمار[6] : (تقتله الفئة الباغية)[7] ، وقال في الحسين : (ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فحسّن له خلعه نفسه وإصلاحه .

وكذلك يروي أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم ، ويفطر عنده الليلة . فهذه كلها أموز جرت على رسم النزاع [8] ، ولم تخرج عن طريق من (١٠٨ أ)

---

(١) ج ، د : زمن .

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي توفي سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ .

(٣) د : كان .

(٤) ب ، ج ، ز : أصبحوا .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

(٦) كتب على هامش (ز) : صوابه : في عثمان .

(٧) أخرجه البخاري .

(٨) ج ، ز : كتب في الهامش : عله : الشرع .

طرق[1] الفقه[2] ، ولا تعدت[3] سبيل الاجتهاد ، الذي يؤجر فيه المصيب عشرة ، والمخطئ أجراً واحداً . وما وقع من روايات في كتب التاريخ[4] ـ عدا ما ذكرنا ـ فلا تلتفتوا إلى حرف[5] منها ، فإنها كلها باطلة .

قاصمة التحكيم :

وقد تحكم الناس في التحكيم ، فقالوا فيه ما لا يرضى[6] الله ، وإذا لاحظتموه[7] بعين المرؤة ، دون الديانة ، رأيتم أنها سخافة ، حمل على سطرها في الكتب[8] ـ في الأكثر ـ عدم الدين ، و ـ في الأقل ـ جهل مبين[9] . والذي صح من ذلك ما روى الأيمة كخليفة بن خياط[10] ، والدارقطني[11] أنه لما خرج الطائفة العراقية[12] في مائة ألف ، والشامية في سبعين أو تسعين ألفاً ، ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا في أول يوم ـ وهو الثلاثاء[13] ـ على الماء فغلب أهل العراق

---

(١) ب ، ج ، ز : طريق . وأصلحها محب الدين دون أن يشير إلى ذلك . (ص ١٧١) .
(٢) ز : في الهامش : في نسخة : العقد .
(٣) ب ، ج ، ز : عدت .
(٤) د : التواريخ .
(٥) د : لحرف .
(٦) د : يرضاه .
(٧) د : لحظتموه .
(٨) د : – في الكتب .
(٩) ب ، ج ، ز : متين .
(١٠) أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري بصري من الحفاظ له « التاريخ » ، و « الطبقات » توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ (الذهبي ، العبر ج ١ ص ٤٣٢) .
(١١) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني من كبار المحدثين ببغداد توفي سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ . (الذهبي ، العبر ج ٣ ص ٢٨ – ٢٩) .
(١٢) ب : – في .
(١٣) د : – وهو يوم الثلاثاء .

عليه ، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة ...[1] ويوم الخميس ، ويوم الجمعة ، وليلة السبت ، ورفعت المصاحف من أهل[2] الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل[3] كل طائفة أمرها إلى رجل ، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق ، فكان من جهة علي ، أبو موسى الأشعري[4] ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص[5] ، وكان أبو موسى رجلاً تقياً[6] ، ثقفاً[7] ، فقيهاً ، عالماً ، حسبما بيناه في كتاب « سراج المريدين »[8] أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مع معاذ[9] ، وقدمه عمر ، وأثنى عليه بالفهم (و ١٠٨ ب) .

وزعمت[10] الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي ، مخدوعاً

---

(١) بياض في جميع الأصول . وهي سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ على الأصح .

(٢) د : — أهل .

(٣) ج ، ز : يجعل .

(٤) د : + الذي بين في سراج المريدين ما روي عن أنس قال أرسلني أبو موسى إلى عمر فأتيته فسألني عنه ، فقلت تركته يعلم الناس . فقال : أما أنه كيس ، ولا تسمعها إياه ، وقال : ولاّه عمر البصرة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن نصيراً وجعله قرين معاذ وقال علي فيه : أبو موسى صبغ في العلم صبغة وكان من جهة . وتوفي أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ .

(٥) ب ، ج ، ز : العاصي . وهو أبو عبد الله عمرو بن العاص السهمي توفي سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ .

(٦) ز : نقيا . وفي الهامش : عله : تقيا تقة . د : لقنا .

(٧) د : لقفاً .

(٨) من مؤلفات أبي بكر بن العربي وهو في الزهد والتصوف السني وتوجد منة نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٤٨ ب وقد صور من مكتبة الأستاذ الصديق بن العربي بالمغرب الأقصى .

(٩) د : مع معاذ إلى اليمن .

(١٠) د : فزعمت .

في القول ، وأن ابن العاص[1] كان ذا دهاء[2] ، وأدب[3] ، حتى[4] ضربت الأمثال بدهائه ، تأكيداً لما أرادت[5] من الفساد . وتبع[6] في ذلك بعض الجهال بعضاً ، وصنعوا[7] فيها حكايات . وغيره من الصحابة كان أحذق منه ، وأدهى . وإنما بنوا ذلك على[8] أن عمراً لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم[9] ، صار له بذلك الذكر في الدهاء والمكر[10] ، وقالوا : إنهما لما[11] اجتمعا بأذرح من دومة الجندل ، وتفاوضا اتفقا[12] على أن يخلعا الرجلين ، فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول ، فتقدم فقال : إني نظرت فخلعت علياً عن الأمر ، ولينظر[13] المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفي هذا عن عاتقي[14] وأخرجه من عنقه ، فوضعه في الأرض ، وقام عمرو فوضع سيفه بالأرض[15] وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر ، كما أثبت سيفي هذا في عاتقي ، وتقلده ، فأنكر[16] أبو موسى فقال عمرو :

---

(١) ب ، ج ، ز : العاصي .
(٢) ز : بهاء .
(٣) ب ، د : أرب .
(٤) ج ، ز : جني .
(٥) د : للارادات .
(٦) ب ، ج ، ز : اتبع . وفي هامش (ز) : في نسخة : وتبع .
(٧) ب ، ج ، ز : صنفوا .
(٨) ج ، ز : على ذلك .
(٩) د : الحكمين .
(١٠) د : الفكر .
(١١) د : — لما .
(١٢) ج : اتفقنا .
(١٣) ب ، ج ، ز : ينظر .
(١٤) ب ، ج ، ز : من عنقي أو من عاتقي . في هامش ز : في نسخة : عن عاتقي .
(١٥) ج ، ز : في الأرض .
(١٦) د : فأنكره .

كذلك [1] اتفقنا ، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [2] رضي الله عنه : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه قط حرف ، وإنما هو شيء اخترعته [3] المبتدعة ، ووضعته [4] التاريخية للملوك . فتوارثه [5] أهل المجانة والجهارة [6] بمعاصي الله والبدع . وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس ، منهم عبد الله [7] بن عمر ، ونحوه ، عزل عمرو معاوية [8] .

ذكر الدارقطني سنده [9] عن حصين بن المنذر قال : لما عزل عمرو معاوية [10] . (و ١٠٩ أ) جاء فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ثم جعل يتكلم [11]

---

(١) د : كذاك .
(٢) د : قال ابن العربي .
(٣) ب ، ج ، ز : أخبر عنه .
(٤) د : ووصفته .
(٥) ب ، ج ، ز : فتوارثته . وكتب محب الدين : « فتوارثه » ولم يشر إلى ذلك .
(٦) د : الجهار .
(٧) ب ، ج ، ز : – عبد الله .
(٨) ج ، د : + أخبرنا الحسن الأزدي عن العشاري عن الدارقطني نا ابراهيم بن حمام ، نا أبو يوسف الفلوسي يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ، نا الأسود بن شيبان عن عبيد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر قال لما . ونفس النص تقريباً زائد في هامش ب ، ز .
(٩) هكذا في جميع النسخ . وكتبها محب الدين « بسنده » ولم يشر إلى ذلك .
(١٠) د : عزل معاوية عمرو بن العاصي .
(١١) ب : – ثم جعل يتكلم . د : + بكلام .

فبلغ [1] ثناه معاوية ، فأرسل إليّ [2] فقال إنه بلغني عن هذا كذا وكذا ، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني [3] عنه ، فأتيته فقلت : أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت ، وأبو موسى ، كيف صنعتما فيه ؟ قال : قد قال الناس في ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا ، ولكن قلت لأبي موسى : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . قلت فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ فقال : أن يستعن بكما ففيكما معونة [4] ، وأن يستغن عنكما ، فطالما استغنى أمر الله عنكما. قال : فكانت [5] هي التي قتل [6] معاوية نفسه منها [7] ، فأتيته فأخبرته أن الذي بلغه عنه كما بلغه ، فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني [8] فبعثه في خيلة ، فخرج يركض فرسه ، ويقول : أين عدو الله ؟ أين هذا الفاسق ؟ قال أبو يوسف : أظنه قال : إنما يريد حوباء نفسه ، فخرج إلى فرس تحت فسطاطه فجال [9] في ظهره عرياناً [10] فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور [11] قد تحتلب [12] العلبة [13] ، يا معاوية إن الضجور

---

(١) د : يبلغ .
(٢) ب ، ج ، ز : إليه .
(٣) ج ، ز : يبلغني .
(٤) د : معاوية .
(٥) د : وكانت .
(٦) ب : فتل .
(٧) ب ، ج ، ز : منها نفسه .
(٨) أبو الأعور هو عمرو بن سفيان السلمي من قبيلة ذكوان لا يعرف تاريخ وفاته على ما نعلم .
(٩) د : فخال .
(١٠) د : عريا . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : عريا .
(١١) الضجور : الناقة التي تضجر عند الحلب .
(١٢) ج ، ز : تحيلت .
(١٣) قدح كبير .

قد تحتلب [1] العلبة ! » فقال معاوية : « احسبه ، وتريد [2] الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ اناءه » قال الدارقطني [3] ـ وذكر سنداً عدلاً وساق الحديث ـ ثم [4] قال : ثنا [5] محمد بن عبد الله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالا : حدثنا [6] محمد بن أحمد بن النضر ، ثنا [7] معاوية بن عمرو ثنا [8] زائدة عن عبد الملك [9] بن عمير [10] عن ربعي عن [11] أبي موسى عن عمرو بن العاص [12] قال : والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال ، وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ، ونقص رأيهما . وأيم الله ما كانا مغبونين ، ولا ناقصي الرأي ، ولئن كانا امرأين يحرم عليهما من

---

(١) ج ، ز : تحيلت .
(٢) ب : تزيد . د : تريز وكتبها محب الدين الخطيب : تزيد . ولم ينبه إلى ذلك .
(٣) ج : + وثنا .
(٤) ب : في الهامش : — ثم .
(٥) د : نا .
(٦) د : نا .
(٧) د : نا .
(٨) د : نا .
(٩) ب ، ج ، ز : عبد الله .
(١٠) ب : عمر . وعبد الملك بن عمير محدث كوفي توفي سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ .
(١١) د : ابن .
(١٢) ج ، ز : العاصي . وقد ذكر هذا السند الشيخ محب الدين الخطيب ولكنه لم يتنبه إلى أن عبد الله بن عمر لا يروي عن ربعي بن حراش المتوفي سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ وإنما الصحيح أن الراوي هو عبد الملك بن عمير . وربعي وعبد الملك كوفيان . وأيضاً فان زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي لا يروي عن عبد الله بن عمر إذ توفي قدامة سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ وتوفي عبد الله بن عمر سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ (محب الدين ص ١٨٠) كما أن ابن باديس لم يتنبه إلى ذلك . وحلت نسخة (د) هذا الاشكال .

هذا المال الذي أصبناه بعدهما ، لقد هلكنا (و ١٠٩ ب) . وأيم الله ! ما جاء الوهم إلا من قبلنا . فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين ، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد هلك من كان أصحاب النبي خصمه ، ودعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجد[1] فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً ، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ماجن اتخذ الدين هملاً[2] . وأحسنوا[3] فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . ورحم الله الربيع بن خثيم[4] ، فإنه لما[5] قيل له : قتل الحسين . قال : أقتلوه[6] ؟ قالوا : نعم . فقال : (اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون[7]) (الزمر / ٤٦ ولم يزد على هذا أبداً .

فهذا العقل والدين ، والكف عن أحوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين .

قاصمة :

فإن قيل : إنما يكون ذلك في المعاني التي تشكل ، وأما هذه الأمور كلها فلا اشكال فيها لأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بعده ، فقال :

---

(١) ج ، ز : بالجد .
(٢) د : ما عنّ هملا . في هامش ب ، ز : في نسخة : ناعق .
(٣) ب ، ج ، ز : – أحسنوا .
(٤) توفي سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ . ب ، ج ، ز : خيثم ، وهو خطأ ، والتصحيح من طبقات ابن الخياط (ص ١٤١) .
(٥) د : – لما .
(٦) د : قتلوه .
(٧) ب ، ج ، ز : – فيما كانوا فيه يختلفون . + الآية .

(أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي [1]) (اللهم وال من والاه . وعاد من عاداه . وانصر من نصره . واخذل من خذله [2]) فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند ، فتعدى عليه أبو بكر واقتعد [3] في غير موضعه ، ثم خلفه في التعدي عمر ، ثم رجي أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق فأبهم الحال . وجعلها شورى قصداً للخلاف الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه . إلى عثمان . ثم قتل عثمان لتسوّره على الخلافة . وعلى أحكام الشريعة . وصار الأمر إلى علي بالحق الإلاهي النبوي . فنازعه من عاقده . وخالف عليه (و ١١٠ أ) من بايعه [4] . ونقض عهده من شده . وانتدب أهل الشام مع معاوية إلى الفسوق في الدين . بل الكفر . وهذه حقيقة مذهبهم أن الكل منهم كفرة . لأن من مذهبهم التكفير بالذنوب . وكيف تقول [5] هذه الطائفة التي تسمى بالإمامية : أن كل عاص بكبيرة كافر على رسم القدرية . ولا أعصى من الخلفاء المذكورين . ومن ساعدهم على أمرهم . وأصحاب محمد أحرص الناس على دنيا . وأقلهم حماية على دين . وأهدمهم لقاعدة شريعة .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [6] رضي الله عنه : يكفيك من شر سماعه . فكيف التململ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (محب الدين الخطيب ، ص ١٨١) .
(٣) د : واعتقد .
(٤) د : تابعه .
(٥) د : فكيف ويقولون .
(٦) د : قال أبي .

به . خمسمائة عام كمّلا[1] إلى يوم مقالي هذا لا ينقص منها[2] يوم ، ولا يزيد يوم[3] وهو مهل شعبان سنة[4] ست وثلاثين[5] وخمسمائة ، ماذا يرجى بعد التمام إلا النقص ما رضيت اليهود والنصارى[6] في أصحاب موسى وعيسى بما[7] رضيت به الروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل . فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد[8] قال الله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم) (النور/٥٥) وهذا قول صدق ، ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ، ولا خليفة فيهم ، ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون إلا في ظلم ، وتعد[9] ، وغصب ، وهرج ، وتشتيت كلمة ، وإثارة ثائرة .

وقد أجمعت الأمة على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على أحد يكون من بعده ، وقد[10] قال العباس لعلي فيما روى عبد الله ابنه قال عبد الله بن عباس : خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا (و ١١٠ ب) واني[11] والله[12] لأرى

---

(١) ب ، ج ، ز : كلا . وكتبه محب الدين « عدا » دون أن ينبه إلى ذلك . (ص ١٨٤).

(٢) د : منه .

(٣) ب ، ج ، د ، ز : يوماً . وكتب محب الدين : ننقص ... يوماً ... نزيد يوماً .

(٤) د : من سنة .

(٥) ب ، ز : – ثلاثين ، + يلز . وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب .

(٦) ب ، ج ، ز : النصارى واليهود .

(٧) ب : ما .

(٨) ب : وقد .

(٩) ج ، ز : تعدى .

(١٠) ج ، ز : وقال .

(١١) ب ، ج ، ز : لأني .

(١٢) ب : – والله .

رسول الله [1] سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله [2] فلنسأله فيمن يكون [3] هـذا الأمر بعده [4] ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه [5] فأوصى بنا [6]. فقال علي : انا والله لئن سألناها رسول الله [7] فمنعناها [8] لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله [9] .

قال القاضي أبو بكر [10] رضي الله عنه : رأي العباس عندي أصح ، وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح بالتحقيق . وهذا يبطل قول مدعي [11] الإشارة باستخلاف علي ، فكيف أن يدّعي فيه نص ؟ ! . فأما أبو بكر فقد جاءت امرأة [12] إلى النبي فسألته شيئاً فأمرها أن ترجع إليه قالت له : فإن لم أجدك ـ كأنها تعني الموت ـ قال [13] : تجدين أبا بكر [14] . وقال النبي لعمر وقد وقع بينه وبين أبي بكر كلام ، فتعفّر وجه النبي [15] ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبي [16] : هل أنتم

---

(١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٣) د : – يكون .

(٤) د : – بعده .

(٥) ب : علمنا .

(٦) ج : فأوصانا . ز : فأوصأ بنا .

(٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٨) ج : فمعناها .

(٩) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١٠) د : قال أبي .

(١١) د : من يدعي . وفي هامش (ز) في نسخة : من يدعى ،

(١٢) ج : – فقد جاءت امرأة .

(١٣) ج : + لها .

(١٤) أخرجه البخاري .

(١٥) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١٦) ج : – النبي . ب ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

تاركوا لي صاحبي – مرتين – إني بعثت إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، ألا اني أبرأ إلى كل خليل من خلته [١] ، وقال النبي [٢] : (لو كنت متخذاً [٣] في الإسلام خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً ، لا تبقين [٤] في المسجد خوخة إلا خوخة أبي [٥] بكر . وقد قال النبي [٦] بينما أنا نائم رأيتني على قليب [٧] عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً [٨] أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم استحالت غرباً [٩] فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن [١٠] .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان [١١] فرجف بهم فقال : (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان [١٢]) وقال [١٣] : (و ١١١ أ) صلى الله عليه وسلم : (إنه [١٤] كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل

---

(١) د : خله .
(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٣) ج : – متخذاً .
(٤) ب : يبقين .
(٥) ج : أبا .
(٦) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٧) بئر .
(٨) الدلو العظيمة .
(٩) الدلو الواسعة .
(١٠) أخرجه البخاري .
(١١) ب ، ج ، ز : + رضي الله عنهم .
(١٢) أخرجه مسلم .
(١٣) ج : + النبي .
(١٤) في لفظ البخاري : لقد .

رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر)[1]
وقـال النبي[2] لعائشة[3] في مرضه أدعـي[4] لي أبـاك[5] وأخـاك حتـى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[6] وقال ابن عباس : (ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض ، فأراك أخذت به[7] فعلوت ثم أخذ به رجل (من بعدك فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فعلاً ثم أخذ به رجل)[8] . آخر فانقطع . ثم وصل له فعلا ـ وذكر الحديث ـ ثم عبرها أبو بكر فقال : أما[9] السبب الواصل من السماء[10] فالحق الذي أنت عليه ، فأخذته[11] فيعليك الله ثم يأخذ به رجل آخر[12] من بعدك[13] ، فيعلو به ، ثم يأخذه[14]

---

(١) أخرجه البخاري .
(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٣) ب ، ج ، ز : رضي الله عنها .
(٤) ب ، ج ، د ، ز : ادع .
(٥) ب ، ج ، ز : أبا بكر .
(٦) أخرجه أحمد في مسنده .
(٧) د : منه .
(٨) ب ، ج ، ز : – ما بين القوسين .
(٩) ب ، د : وأما .
(١٠) ب : + إلى .
(١١) ب : تأخذ به .
(١٢) ج ، ز : + يعدل .
(١٣) ج ، ز : – من بعدك .
(١٤) د : يأخذ به .

رجل آخر ، فيعلو به[1] ، ثم يأخذه[2] رجل آخر فينقطع به[3] ، ثم يوصل له فيعلو به [4] ، وصح أن النبي [5] قال ذات يوم : (من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت ، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله [6] .

وهذه الأحاديث جبال في البيان ، وحبال [7] في التسبيب [8] إلى الحق لمن وفقه الله ، ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله : (الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) [9] (التوبة / ٤٠) فجعلهم [10] في نصيب [11] ، وجعل أبا بكر في نصيب [12] آخر . وقام معه [13] جميع الصحابة . وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفي عنها حال الخلفاء في جلالهم[14] ، وولايتهم ، وترتيبهم خصوصاً وعموماً (و ١١١ ب) وقد قال الله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من

---

(١) ج : - ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به .
(٢) د : يأخذ به .
(٣) ج ، ز : + في يده .
(٤) أورده البخاري .
(٥) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٦) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم . أخرجه الترمذي وأحمد وأبو داود .
(٧) ب : جبال .
(٨) ب ، ج ، ز : السبب .
(٩) ب ، د : - إذ هما في الغار .
(١٠) ب ، ج ، ز : فجعلها .
(١١) ب : نصيف .
(١٢) ب : نصيف .
(١٣) د : له . في هامش (ب ، ز) : في نسخة : به .
(١٤) ب ، ج ، ز : خلالهم .

قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً لا يشركون بي شيئاً) (النور /٥٥) وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن [١] يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا وما [٢] بعدهم مختلف فيه ، فأولئك مقطوع بهم ، متيقن امامتهم ، ثابت نفوذ وعد الله لهم ، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين . قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من أيمة [٣] الدين [٤] ، الذين هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله ، فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره [٥] مقصور على الدنيا وأحكامها . وأما [٦] حفاظ الدين فهم الأيمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف .

الصنف الأول : حفظوا أخبار رسول الله [٧] ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش .

الصنف الثاني : علماء الأصول ، ذبوا عن دين الله ، أهل العناد ، وأصحاب البدع ، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون [٨] عنه في مآزق الضلال .

الصنف الثالث : قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا الجراح [٩] والديات ، وبينوا معاني الإيمان

---

(١) ب : فيمن . وكتبها محب الدين : فبمن .
(٢) كذا في جميع النسخ . وكتبها محب الدين : من .
(٣) ب ، ج ، ز : الأيمة .
(٤) ب ، ج ، ز : – الدين .
(٥) ب ، ج ، ز : فضرورة .
(٦) د : فأما .
(٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٨) أي المدافعون .
(٩) ب ، ج ، ز : الخراج .

والمنذورات [1] ، وفصلوا الأحكام في الدعاوى ، فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين [2] في الأموال .

الصنف الرابع : تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق ، وهم في الآخرة كخواص الملك في الدنيا .

وقد أوضحنا في كتاب « سراج (و ١١٢ أ) المريدين » في القسم الرابع من علوم القرآن أي المنازل [3] أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم [4] .

قال القاضي أبو بكر [5] رضي الله عنه : فهذه [6] كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو تنبيهات ، و [7] مجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان بين الفضلاء [8] ، ونقول ـ بعد هذا البيان ـ على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبي بكر يذكر [9] أو على علي لم يكن بد من احتجاج علي به ، أو يحتج له به [10] غيره من المهاجرين والأنصار ، فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة ، كما استخلف موسى هارون في حياته عند سفره للمناجاة ، على بني إسرائيل ، وقد اتفق الكل من اخوانهم اليهود قاطبة [11]

---

(١) ب : النذورات . وكتبها محب الدين : النذور .
(٢) ب : المتطرفون . ج ، ز : المتصرفون .
(٣) د : المنزلتين .
(٤) ج ، ز : – وترتيب درجاتهم .
(٥) د : قال أبي .
(٦) ب ، ج ، ز : وهذه .
(٧) ب ، ج ، ز : – و .
(٨) ب : من العقلا . ج ، ز : بين العقلاء .
(٩) ب ، ج ، ز : – يذكر . د : بذكر . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : يذكر .
(١٠) ب ، ج ، ز : + على .
(١١) ب : – قاطبة .

على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله : (اللهم وال من والاه) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة ، وما نعلم أحداً [1] عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه في غير منزلته [2] ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته ، والزيادة في الحد [3] نقصان من المحدود ، ولو تعدى عليها [4] أبو بكر ، ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة ، كما قلنا ؛ لأنهم ساعدوه على الباطل . ولا تستغربوا هذا من قولهم ، فإنهم يقولون : ان النبي كان مداريا لهم [5] وممتحناً [6] بهم [7] على نفاق وتقية ، وأين أعظم [8] من قوله [9] ـ حين سمع قول عائشة رضي الله عنها [10] : مروا [11] عمر فليصل بالناس ـ : انكن [12] لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر . وقوله ـ حين سمع صوت [13] عمر ـ : يأبى الله ذلك والمسلمون ، مروا أبا بكر فليصل بالناس) [14] . وما قدمنا من تلك الأحاديث .

---

(١) ب : يعلم أحد .

(٢) د : منزله .

(٣) ب : الحق .

(٤) د : عليه . وفي هامش : ب ، جـ ، ز : في نسخة : عليه .

(٥) د : لهما .

(٦) ب : منحنياً . وكتبها محب الدين : معنياً . (ص ١٨٢) .

(٧) د : بهما .

(٨) ب ، جـ ، ز : أنت .

(٩) ب ، جـ ، ز : النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٠) د : — رضي الله عنها .

(١١) د : مر .

(١٢) د : — انكن .

(١٣) ب ، جـ ، ز : صلاة .

(١٤) أخرجه البخاري .

لقد اقتحموا عظيماً ، ولقد [1] افتروا كبيراً ، وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بأبي بكر [2] إذ قال : (ان استخلف [3] فقد استخلف من هو خير مني (و ١١٢ ب) وإن لم استخلف فإن رسول الله [4] لم يستخلف) [5] فما رد هذه الكلمة [6] أحد . وقال (اجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله [7] وهو عنهم راض) [8] وقد رضي عن أكثر منهم ، ولكن [9] كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة [10] . وأما قولهم : تحيّل ابن عوف حتى ردها لعثمان . فلئن كانت حيلة ، ولم يكن سواها ، فلأن الحول ليس إليه ، وإنما كل [11] عمل العباد حيلة ، ولو [12] كان القضاء بالحول [13] فالحول [14] والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر ، بعد أن أخرج نفسه على أن يجتهد للمسلمين في الأسدّ والأشد فكّان كما فعل ، و [15] ولاها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى

---

(١) د : — لقد .
(٢) ب ، د : بالنبي . وكتب على هامش (ب) : صح بأبي بكر صح .
(٣) ب : استخلفت .
(٤) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٥) أخرجه مسلم وأحمد بن حنبل في مسنده .
(٦) ب ، ج ، ز : الكلمات .
(٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٨) أخرجه البخاري .
(٩) ب ، ج ، ز : لكنهم .
(١٠) د : بالخلافة .
(١١) ب ، ج ، ز : إذا كان .
(١٢) كتبها محب الدين : أو (ص ١٩٣) .
(١٣) د : بالحق . وفي هامش ب ، ج ، ز : في نسخة : بالحق .
(١٤) د : والحول .
(١٥) د : — و .

منه بها حسبما بيناه [1] في « مراتب الخلافة » من « أنوار الفجر » [2] وفي غيره من الحديث . وقتل عثمان فلم يبق على الأرض أحق بعلي منها [3] ، فجاءته على قدر ، في وقتها ومحلها ، وبين الله على يده [4] من الأحكام والعلوم ما شاء أن يبين . وقد قال عمر : لولا علي هلك [5] عمر . وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة ، من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مباداتهم [6] ، والتقدم اليهم قبل نصب الحرب معهم ، ونداثه : لا تبدأوا [7] بالحرب ، ولا يتبع مول ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، ولم [8] يغنم [9] لهم مالاً ، وأمره بقبول شهادتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ، ما عرفنا حكم قتال أهل البغي .

وأما خروج طلحة والزبير ، فقد تقدم بيانه ، وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب الذين ليس منهم عليها [10] شر [11] في غير ما كتاب ، وشرحناها في كل باب . فإن قيل : فقد قال العباس في علي ما رواه الأئمة (و ١١٣ أ) أن العباس وعلياً اختصما عند عمر في شأن أوقاف رسول الله

(١) ب : بينا .
(٢) كتب في هامش ج : تفسير المصنف في مائة جزء كما في الديباج لابن فرحون .
(٣) ب ، ج ، ز : أحق منها بعلي . وكتب في هامش (ج) : صوابه : بها من علي . وهكذا كتبها محب الدين ولم ينبه على ذلك (ص ١٩٤) .
(٤) ب ، ج ، ز : يديه .
(٥) كتبها محب الدين : لهلك . (ص ١٩٤) .
(٦) ب ، ج ، ز : مبادرتهم . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : مباداتهم .
(٧) ب : نبدأ .
(٨) ج ، ز : لم .
(٩) كتبها محب الدين : نغم .
(١٠) ب ، ج ، ز : منها .
(١١) ب : سبر . وكتبها محب الدين : سب . (ص ١٩٤) . د : بشر .

صلى الله عليه وسلم [١] فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين : اقض بيني وبين هذا الظالم ، الكاذب ، الغادر ، الآثم ، الخائن [٢] . فقال الرهط لعمر [٣] : يا أمير المؤمنين [٤] اقض بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : تئدكم [٥] أنشدكم [٦] الله الذي بإذنه تقوم السماء [٧] والأرض هل تعلمون أن رسول الله [٨] قال : (لا نورث ما تركناه [٩] صدقة) يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على علي والعباس [١٠] فقال : أنشدكما [١١] الله هل تعلمان أن رسول الله [١٢] قال ذلك ؟ قالا : نعم . قال عمر : ان الله خص رسوله [١٣] في هذا الفيء بشيء ، لم يعطه أحداً غيره ، فعمل فيها رسول الله [١٤] حياته [١٥] ، ثم توفي ، فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله [١٦] فقبضها سنتين من إمارته ، فعمل فيها بما عمل رسول الله [١٧] ،

---

(١) د : – صلى الله عليه وسلم .
(٢) ب ، ج ، ز : الجائر .
(٣) د : – لعمر .
(٤) د : + نعم .
(٥) ب ، ج ، ز : – تئدكم .
(٦) ب ، ج ، ز : أنشدكما .
(٧) د : السموات .
(٨) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٩) د : تركنا .
(١٠) ب ، ج ، ز : العباس وعلي .
(١١) د : نشدكما .
(١٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٣) ب ، ج ، ز : رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(١٤) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٥) ج : – حياته .
(١٦) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

وأنتما تزعمان أن أبا بكر كاذب ، غادر ، خائن [1] ، والله ليعلم [2] أنه لصادق بار [3] ، راشد ، تابع للحق . وذكر الحديث . قلنا : أما قول العباس لعلي ، فقول الأب للابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار ـ فكيف الآباء والأبناء ـ مغفور موصول . وأما قول عمر : انهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر ، وكذلك اعتقدا فيه ، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام رأى فيها هذان رأياً ، ورأى فيها أولئك رأياً ، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلي ذلك ، ولكن لما حكما سلماً لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه [4] والمحكوم عليه يرى أنه قد وهم [5] ، ولكنه [6] سكت وسلم . فإن قيل : إنما يكون ذلك ـ في أول الحال ، والأمر لم يظهر [7] ـ إذا كان الحكم باجتهاد ، وإنما [8] كان [9] هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول [10] (و ١١٣ ب) النبي : (لا نورث ما تركناه [11] صدقة) وعلمه أزواج النبي وأصحابه العشرة ، وشهدوا به . فبطل ما قلتموه قلنا يحتمل أن يكون ذلك في أول الحال والأمر لم يظهر بعد ، فرأيا أن خبر الواحد في معارضة

---

(١) د : كان كاذباً آثماً غادراً ، خائناً .

(٢) د : يعلم .

(٣) ج : وبار .

(٤) أضاف محب الدين : « أما » . مما يجعل المعنى يتغير . (ص ١٩٦) .

(٥) ج ، ز : فرا وأنه قدوتهم .

(٦) ب : لكن .

(٧) د : – في أول الحال والأمر لم يظهر .

(٨) ج ، ز : فإنما .

(٩) ب ، ج ، ز : أدى . وقد غيّر محب الدين الكلام : إذ كان الحكم باجتهاد وأما بعد أن أدى هذا الحكم إلى منع ... (ص ١٩٦) .

(١٠) د : فقول .

(١١) د : تركنا .

القرآن ، والأصول والحكم المشهور في الدين [1] ، لا يعمل به حتى يتقرر [2] الأمر ، فلما تقرر [3] سلماً ، وانقادا بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره . فلينظر فيه . وهذا أيضاً ليس بنص في المسألة ، لأن قوله : (لا نورث ما تركناه [4] صدقة) يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لي ملك ، ولا تلبست بشيء من الدنيا ، ينتقل عني إلى غيري [5] . ويحتمل أن يكون [6] (لا نرث) حكم [7] . وقوله : (ما تركنا صدقة) حكم آخر معين ، أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه [8] المتصير إليه بتسويغ الله له . وكان من ذلك مخصوصاً بما [9] لم يوجف [10] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه [11] مع المسلمين فيما غنموه [12] مما [13] أخذ [14] عنوة . وتحتمل أن تكون « صدقة » منصوباً على أن يكون حالاً من المتروك . و [15] إلى هذا أشار أصحاب

---

(١) ب ، ج ، ز : الزمن الذي .
(٢) د : تقرر .
(٣) ج : تقر .
(٤) د : تركنا .
(٥) ب ، ج ، ز : إلى غيري عني .
(٦) ب ، ج ، ز : – أن يكون .
(٧) كذا في جميع النسخ . ولعله : حكماً . وكذلك . حكماً آخر . الآتي بعده .
(٨) د : من سهمه بيده .
(٩) ب ، ج ، ز : مما .
(١٠) ج : يوجب .
(١١) في هامش ج ، ز : في نسخة : سهمهم .
(١٢) ب ، ج ، ز : غنموا .
(١٣) ب ، ج ، ز : بما .
(١٤) ب ، ج ، ز : أخذوا .
(١٥) ب : إلى . (بسقوط الواو) .

أبي حنيفة وهو ضعيف ، وقد بيناه في موضعه ، بيد أنه يأتيك من [1] هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد ، وأنها ليست بنص من النبي . فتحتمل [2] التصويب والتخطئة بين [3] المجتهدين والله أعلم .

قاصمة :

ثم قتل علي ، قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن فسلمها الحسن إلى معاوية فقيل له : (مسود وجوه المؤمنين) وفسقته جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لأجل ذلك .

عاصمة :

قال القاضي أبو بكر [4] رضي الله عنه : أما قول الرافضة إنه عهد إلى الحسن فباطل ، ما عهد إلى أحد (و ١١٤ أ) ، ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو أحق من معاوية ، ومن كثير من غيره [5] وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه ، من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق ، والدخول في الطاعة ، فآلت الوساطة [6] إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن [7] دماء الأمة ، وتصديقاً لوعد نبي الملحمة ، حيث قال على المنبر : (ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به [8] بين فئتين عظيمتين [9]

---

(١) ب : في .

(٢) ج ، ز : فيحتمل .

(٣) ب : من .

(٤) د : قال أبي .

(٥) د : غيرهما .

(٦) د : الواسطة .

(٧) ج : لخص .

(٨) ج : — به .

(٩) ج : عصمتين .

من المسلمين) فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية ، وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فمعاوية خليفة ، وليس بملك ، فإن قيل فقد روي عن سفينة [1] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخلافة ثلاثون سنة ثم يعود ملكاً) فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين ، لا تزيد ، ولا تنقص يوماً . قلنا :

خـذ مـا تـراه ودع شيئاً سمعت به ... في طلعة البدر [2] ما يغنيك عن زحل

هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة ، والثناء عليه ، لجريان [3] الصلح على يديه ، وتسليمه الأمر لمعاوية عقد منه له . وهذا حديث لا يصح ، ولو صح فهو معارض بهذا [4] الصلح [5] المتفق عليه ، فوجب الرجوع إليه . فإن قيل : ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟ قلنا : كثير ، ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي أن عمر جمع له الشامات كلها ، وأفرده بها [6] ، لما رأى من حسن سيرته ، وقيامه بحماية البيضة [7] وسد الثغور [8] ، وإصلاح الجند ، والظهور على العدو وسياسة الخلق ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح

---

(١) سفينة مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى صالحاً .
(٢) د : الشمس .
(٣) د : بجريان .
(٤) ب : لهذا .
(٥) د : – بهذا الصلح . + للحديث الصحيح .
(٦) د : به .
(٧) د : في الهامش + بيضة الإسلام .
(٨) د : الثغر .

الحديث بالفقه [1] ، وشهد بخلافته في حديث أم حرام [2] أن ناساً من أمته يركبون ثبج هذا البحر الأخضر ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة [3] فكان [4] ذلك في ولايته ، ويحتمل أن تكون [5] مراتب في الولاية خلافة ثـم (و ١١٤ ب) ملك ، فتكون [6] ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية وقد قال الله [7] في داود ـ وهو خير من كل معاوية ـ : (وآتاه الله الملك والحكمة) (البقرة / ٢٥١) فجعل النبوة ملكاً . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها ومعناها [8] . ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكان ـ والله أعلم ـ رأي آخر للجمهور . ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله ، على الوجه الذي وعد به رسول الله [9] ، مادحاً له ، راضياً عنه ، راجياً هدنة الحال فيه لقول [10] النبي صلى الله عليه وسلم : (ابني [11] هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به [12] بين فئتين

---

(١) ورد ذلك في صحيح البخاري وجامع الترمذي من شهادة ابن عباس له بذلك . (محب الدين ص ٢٠٥ – ٢٠٦) .

(٢) أم حرام بنت ملحان صحابية مجاهدة ، استشهدت في قبرص سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ وقبرها معروف بها .

(٣) أخرجه البخاري .

(٤) ج ، ز : وكان .

(٥) ب ، ج ، ز : يكون .

(٦) ب : فيكون .

(٧) ب : + تعالى .

(٨) كتب محب الدين : متنها . بدل : معناها .

(٩) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١٠) د : بقول .

(١١) د : – ابني .

(١٢) ب : – به .

عظيمتين من المسلمين) . وقد تكلم العلماء في إمامة الفضول مع وجود من هو[١] أفضل منه . فليست المسألة في الحد الذي تجعله[٢] فيه العامة ، وقد بيناها في موضعها . فإن قيل فقد قتل حجر بن عدي[٣] وهو من الصحابة ، مشهور بالخير ، صبراً أسيراً بقول زياد[٤] . وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : قد[٥] علمنا قتل حجر كلنا ، واختلفنا فقائل يقول : قتله ظلماً ، وقائل يقول : قتله حقاً . فإن قيل الأصل قتله ظلماً إلا أن يثبت[٦] عليه ما يوجب قتله . قلنا : الأصل أن قتل الإمام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل[٧] ، ولو كان ظلماً محضاً لما بقي بيت إلا لعن[٨] فيه معاوية وهذه مدينة السلام[٩] دار خلافة بني العباس ، وبينهم وبين بني أمية ما لم يخف على الناس ، مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله[١٠] أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم[١١] معاوية خال المؤمنين[١٢] رضي الله عنهم » . ولكن حجراً[١٣] فيما يقال رأى من زياد أموراً منكرة ، فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة[١٤] ، فجعله

---

(١) د : – من هو .

(٢) ب ، ج ، ز : تجعلها .

(٣) قيل صحابي وقيل تابعي توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ .

(٤) زياد بن أبيه استلحقه معاوية وزعم أنه أخوه من أبيه . توفي سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ .

(٥) ب ، ج ، ز : – قد .

(٦) ب ، ج ، ز : ثبت .

(٧) ج ، ز : بالدليل .

(٨) د : يلعن .

(٩) د : الإسلام .

(١٠) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١١) د : – ثم .

(١٢) د : خال علي .

(١٣) ج ، ز : حجر .

(١٤) د : الناس الفتنة .

معاوية ممن سعى في الأرض (و١١٥ أ) فساداً ، وقد كلمته عائشة في أمره حين حج ، فقال لها : دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله . و[١] أنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل ، الأمين المصطفى ، المكين . وأنتم[٢] ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون[٣] . فإن قيل قد دس على الحسن من سمه . قلنا : هذا محال من وجهين : أحدهما أنه[٤] ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلم إليه[٥] الأمر . الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله ، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق[٦] فيه بنقل ناقل ، بين يدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة ، وعصبية ، ينسب كل واحد[٧] إلى صاحبه ما لا ينبغي ؟ فلا يقبل منها[٨] إلا الصافي ، ولا يسمع فيها[٩] إلا من العدل الصميم[١٠] . فإن قيل : فقد[١١] عهد إلى يزيد ، وليس بأهل ، وجرى بينه وبين عبد الله بن عمر ، وابن الزبير والحسين ما نصه[١٢] : عن وهب[١٣] بن

---

(١) ج : – و .

(٢) كذا في جميع النسخ . واقترح ابن باديس : أن يكون : وما أنتم (ج ٢ ص ١٥٦) .

(٣) د : – فما لكم لا تسمعون .

(٤) د : أنه .

(٥) ب ، ج ، ز : – إليه .

(٦) ب : يثق .

(٧) د : أحد .

(٨) ج ، ز : فيها . د : فيه .

(٩) د : فيه .

(١٠) ب ، ج ، ز : المصمم .

(١١) ب ، ج ، ز : قد .

(١٢) ب ، ز : قصه . وكتب على هامش : (ز) عله : نصه .

(١٣) أبو العباس وهب بن جرير حافظ بصري توفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ .

جرير[1] بن حازم عن أبيه وعن غيره لما أجمع[2] معاوية على[3] أن يبايع لابنه يزيد ، حج فقدم مكة في نحو ألف رجل ، فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر[4] ، فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر ابنه يزيد فقال[5] : من أحق بهذا الأمر منه ؟ ثم ارتحل ، فقدم مكة فقضى طوافه . ودخل منزله ، فبعث إلى ابن عمر ، فتشهد وقال : أما بعد يا ابن عمر فقد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير ، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى في فساد ذات بينهم . فلما سكت تكلم ابن عمر ، فحمد الله[6] وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء[7] (و ١١٥ ب) لهم أبناء ، ليس ابنك بخير[8] منهم ، فلم يروا في أبنائهم ، ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر[9] ، فإنما أنا واحد[10] منهم ، فخرج ابن عمر ، وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فتشهد ، ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه ، فقال : إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله ،

---

(١) أبو النضر جرير بن حازم محدث بصري توفي سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ .

(٢) د : اجتمع .

(٣) ب ، ج ، ز : – على .

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق توفي سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢ بمكة .

(٥) ج : – فقال .

(٦) ج : تكرر : فحمد الله .

(٧) ج : خلقا .

(٨) ج : يخيره . ز : بخيره .

(٩) ب : في الهامش : في نسخة : رجل .

(١٠) د : رجل .

وإنا والله لا نفعل ، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لتفرزنها [1] عليك جذعة [2] ثم وثب فقام . فقام معاوية : اللهم اكفنيه [3] بما شئت . ثم قال : على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن على أهل [4] الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك ، حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ثم كن بعد [5] ، على ما بدا لك من أمرك . ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : يا ابن الزبير ، إنما أنت ثعلب رواغ ، كلما خرج من جحر دخل في آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين ، فنفخت في مناخرهما . فقال ابن الزبير . إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا بايعنا ابنك معك ، لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ، لا تجتمع البيعة لكما أبداً . ثم قام . فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار [6] ، زعموا [7] أن ابن عمر ، وابن الزبير ، وابن أبي بكر ، لم يبايعوا يزيد [8] قد سمعوا ، وأطاعوا ، وبايعوا له . فقال أهل الشام : لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم . فقال : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر [9] . لا اسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم . ثم نزل ، فقال :

---

(١) ج ، ز : لتفرزنها . د : لنفررنها . يقال : فرّ فلان الدابة إذا كشف عن أسنانها لمعرفة سنها . وفرّ عن الأمر كشف عنه . ويقال : عينه فراره : مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه (القاموس المحيط) .

(٢) د : خدعة .

(٣) ب ، ج ، ز : اكففه .

(٤) ب : لأهل .

(٥) ب ، ج ، ز : + ذلك . وفي هامش : ب : في نسخة : على ما بدا لك .

(٦) ج : أعوار .

(٧) ب ، ج ، ز : وزعموا .

(٨) د : يزيدا .

(٩) د : ما أسرع الناس بالسوء إلى قريش .

(و ١١٦ أ) الناس : بايعوا ، ويقولون هم لم [١] نبايع ، ويقول الناس قد بايعتم . وروى وهب من طريق أخرى [٢] قال : خطب معاوية ، فذكر ابن عمر وقال [٣] : والله ليبايعن أو لأقتلنه ، فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر [٤] إلى أبيه ، وسار [٥] إلى مكة ثلاثاً وأخبره ، فبكى ابن عمر ، فبلغ الخبر إلى عبد الله بن صفوان [٦] ، فدخل على ابن عمر فقال : أخطب هذا بكذا [٧] ؟ قال : نعم . قال [٨] : فما تريد ؟ أتريد قتاله ؟ قال : يا ابن صفوان الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله [٩] لئن أراد ذلك لأقاتلنه [١٠] . فقدم معاوية مكة فنزل ذا [١١] طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت الذي تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إني والله لا أقتله . وروى وهب من طريق ثالثة [١٢] قال : ان معاوية لما راح عن بطن مرّ [١٣] قاصداً إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته ، فخرج يسير وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك ، لقيه الحسين بن علي ، فوقف وقال : مرحباً واهلاً بابن بنت رسول الله [١٤] ،

---

(١) ج : لي . ز : لن .
(٢) ب ، ج ، ز : آخر .
(٣) ب : فقال .
(٤) ج : — بن عمر .
(٥) د : صار .
(٦) عبد الله بن صفوان بن أمية . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ .
(٧) ج : بكلام . وفي هامش (ز) : في نسخة : بكلام .
(٨) ج ، ز : — قال .
(٩) ج : — والله .
(١٠) ج : لأقتلنه .
(١١) ب : ذات . ج ، ز : دار .
(١٢) ب ، ج ، ز : ثالث .
(١٣) ج ، ز : فر .
(١٤) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

سيد شباب المسلمين . دابة لأبي عبد الله يركبها ، فأتي ببرذون فتحول عليه ، ثم طلع عبد الرحمن ابن أبي بكر ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن شيخ قريش ، وسيدهم ، وابن صديق هذه الأمة . دابة لأبي محمد يركبها ، فأتي ببرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحباً وأهلاً بصاحب رسول الله [١] ، وابن الفاروق ، وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها ، ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحباً وأهلاً بابن حواري رسول الله [٢] وابن الصديق ، وابن عمة رسول الله [٣] ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم ، لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة (و ١١٦ ب) ثم كانوا أول داخل ،وآخر خارج ، ليس في الأرض صباح إلا لهم فيه حباء [٤] وكرامة ، لا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه ، حتى قضى نسكه ، وترحلت أثقاله ، وقرب مسيره إلى الشام ، وأنيخت [٥] رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا : أيها القوم لا تخدعوا ، إنه [٦] والله ما صنع هذا بكم لحبكم ولا لكرامتكم وما [٧] صنعه إلا لما يريد . فأعدوا له جواباً ، وأقبلوا على الحسين ، فقالوا [٨] : أنت يا أبا عبد الله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ، وهو [٩] أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد لعبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : (لست هناك ، وفيكم صاحب رسول الله [١٠] ، وابن سيد المسلمين) [١١] ــ يعني ابن عمر ــ

---

(١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٣) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٤) ج : صباء . د : حبّا .
(٥) ج ، ز : أتيحت .
(٦) د : فانه .
(٧) ب ، ج ، ز : ولا .
(٨) د : وقالوا .
(٩) ب ، ج ، ز : وهذا .
(١٠) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١١) ج ، ز : – ما بين القوسين .

فقالوا لابن عمر : أنت . فقال : لست بصاحبكم ، ولكن ولوا الكلام ابن الزبير يكفكم [1] . قالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم . إن أعطيتموني عهودكم ، ومواثيقكم أن لا تخالفوني كفيتكم الرجل . قالوا [2] فلك ذلك . فخرج الآذن فأذن لهم ، فدخلوا ، فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : لقد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم ، وصفحي عنكم ، وحملي [3] لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم ، وابن عمكم ، وأحسن الناس لكم رأياً ، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا [4] أنتم الذين تنزعون ، وتأمرون ، وتجبون ، وتقسمون ، لا يدخل عليكم في شيء من ذلك . فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبوني ؟ فسكت القوم [5] . فقال : ألا تجيبوني [6] ؟ فسكتوا [7] . فأقبل على ابن الزبير ، فقال : هات يا ابن الزبير ، فإنك لعمري صاحب خطبة القوم ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة . قال : لله أبوك أعرضهم [8] . قال : إن شئت صنعت ما صنع (و ١١٧ أ) رسول الله [9] ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر ، فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله [10] ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر . قال :

---

(١) ج ، د ، ز : يكفيكم .

(٢) د : فقالوا .

(٣) ج ، ز : أو حملي .

(٤) د : تكونون .

(٥) د : فسكتوا .

(٦) : تجيبون .

(٧) د : – فقال ألا تجيبوني فسكتوا .

(٨) كذا في جميع النسخ . واقترح محب الدين : اعرضهن (ص ١٦٢) .

(٩) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١٠)ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

لله أبوك ، وما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله [1] ولم [2] يستخلف أحداً ، فارتضى المسلمون أبا بكر ، فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضي الله فيه [3] قضاءه ، فيختار [4] المسلمون لأنفسهم . فقال إليه [5] : ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر ، وإني لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه [6] فاستخلفه . قال لله أبوك الثالثة . قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمور شورى في ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا . قال : فأنتم ؟ قالوا : ونحن أيضاً . قال : أما لا ، فاني أحببت أن أتقدم إليكم ، أنه قد أعذر من أنذر ، وأنه قد [7] كان يقوم القائم منكم [8] إلي فيكذبني على رؤوس الناس ، فأحتمل له ذلك . وإني قائم بمقالة ، فإن صدقت فلي صدقي ، وإن كذبت فعلي كذبي . وإني أقسم بالله لكم لئن رد عليّ إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلي [9] رأسه . ثم دعا صاحب [10] حرسه فقال : أقم على رأس [11] كل رجل [12] من هؤلاء

---

(١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٢) ب ، ج ، ز : فلم .

(٣) ب ، ج ، ز : فيها . وفي هامش (ب) في نسخة : فيه .

(٤) ج ، ز : فتختار .

(٥) د : له .

(٦) ج ، ز : أمية .

(٧) ب ، ج ، ز : – قد .

(٨) ج ، ز : منكم القائم .

(٩) ج : إليه .

(١٠) ب : بصاحب .

(١١) ب ، ج ، ز : – رأس .

(١٢) د : واحد .

رجلين من حرسك فإن ذهب رجل[1] يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفهما . ثم خرج ، وخرجوا معه حتى رقي المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إن هؤلاء الرهط ، سادة المسلمين وخيارهم ، لا يستبد بأمر دونهم ، ولا يقضى أمر[2] إلا عن مشورتهم ، وانهم قد[3] ارتضوا[4] وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله ، فضربوا على يده[5] ، ثم جلس على راحلته (و ١١٧ ب) ، وانصرف فلقيهم[6] الناس ، فقالوا : زعمتم وزعمتم ، فلما أرضيتم، وحبيتم ، فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قال : فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب[7] ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس ، ثم خرج إلى الشام .

قال القاضي أبو بكر[8] رضي الله عنه : لسنا ننكر[9] ولا تبلغ[10] بنا الجهالة ، ولا لنا في الحق حمية جاهلية ، ولا ننطوي على غل لأحد من أصحاب محمد[11] ، بل نقول : ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا

---

(١) د : إليّ .

(٢) ب ، ج ، ز : نقضي أمراً .

(٣) ب ، ج ، ز : - قد .

(٤) د : رضوا .

(٥) د : يديه .

(٦) ب ، ج : فلقيه .

(٧) ج ، ز : كذبه .

(٨) د : ابن العربي .

(٩) ب ، ج ، ز : ننظم . في هامش ب ، ز : في نسخة : ننكر . ز : في الهامش : في نسخة : + ولا نلعب .

(١٠) ب : في الهامش : في نسخة : بلغت .

(١١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) (الحشر/١٠) إلى أن[١] نقول[٢] : إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى ، ولا يخص بها أحداً[٣] من قرابته ، فكيف ولدا ؟ وأن يقتدي بما أشار به عبد الله بن الزبير في الترك أو الفعل[٤] ، فعدل إلى ولاية ابنه ، وعقد له البيعة ، وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف ، فانعقدت البيعة شرعاً ، لأنها تنعقد بواحد[٥] ، وقيل[٦] باثنين . فإن قيل : لمن فيه شروط[٧] الإمامة . قلنا : ليس السن من شروطها ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها . فإن[٨] قيل : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلاً ولا عالماً . قلنا : وبأي شيء نعلم[٩] عدم علمه . أو عدم عدالته ؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه بأن لا يفعل ، وإنما رموا الأمر بعيب التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى . فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً ، منهم[١٠] مائة ، وربما ألف . قلنا : امامة المفضول كما قدمنا مسألة خلاف بين العلماء على ما[١١] ذكر[١٢] العلماء في موضعه ، وقد حسم البخاري (و١١٨ أ) الباب ،

---

(١) كذا في جميع النسخ . غير أن محب الدين كتبها : إلا أنا . ولعل الصواب : إلا أن تقول . بدليل رواية نسخة (د) في : تقول .

(٢) د : تقول . ولعله : إلا أن تقول .

(٣) ج : أحد .

(٤) جد العدل .

(٥) ج : – بواحد .

(٦) د : + تنعقد .

(٧) ب : شرط .

(٨) ب ، د : – فان .

(٩) د : يعلم .

(١٠) د : نعم .

(١١) ب : كما .

(١٢) د : ذكره .

ونهج جادة الصواب فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم . وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته فيما رواه البخاري عن عكرمة بن خالد [١] عن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونوساتها [٢] تنطف [٣] قلت : قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء . فقالت : ألحق فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة . فلم تدعه حتى ذهب ، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال : من كان [٤] يريد أن يتكلم في هذا الأمر ، فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ، ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة [٥] : فهلا أجبته ؟ قال عبد الله : فحللت حبوتي ، وهمت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك . من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجمع ، وتسفك الدم ، وتحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان فقال [٦] : حفظت وعصمت. وروى البخاري أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده ، وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة) وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ، ثم ننصب [٧] له القتال ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايعه [٨] في هذا الأمر ، إلا كانت الفيصل بيني وبينه . فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخاري في الصحيح ، وإلى

---

(١) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ... لا يعرف تاريخ وفاته فيما نعلم .

(٢) ذوائب . من « تنوس » أي تتحرك . ج ، ز : نوسانها .

(٣) أي تقطر .

(٤) ج : - كان .

(٥) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر توفي بالشام أو أرمينية سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ .

(٦) د : قال .

(٧) ج : تنصب .

(٨) ب ، ج ، ز : بايع .

ما سبق ذكرنا له من رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب ، وقال : قد بايع ، ووكل به ، من أمره [1] بضرب عنقه إن كذبه . وهو (و ١١٨ ب) قد قال في رواية البخاري : قد بايعناه على بيع الله ورسوله ، وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح ، في طلب السلامة ، والخلاص من بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم ، وقد عصمكم الله من فتنتهم ، ممن [2] دخل بلسانه في دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، لم يلحق [3] الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض .

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدي [4] عن سفيان [5] عن محمد ابن المنكدر [6] قال : قال ابن عمر – حين بويع يزيد – : إن كان خيراً رضينا [7] ، وإن كان شراً [8] صبرنا .

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن [9] قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون [10] : إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا [11] أفقهها فيها فقهاً ، ولا أعظمها

---

(١) ب ، ج ، ز : – ووكل به من أمره . وفي هامش ب ، ج ، ز : في نسخة : ووكل به من أمره . ب ، ج ، ز : + وتقدم إلى حرسه يأمره .

(٢) د : فمن .

(٣) د : تلحق .

(٤) أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي البصري أحد محدثي العراق . فتوفي سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣.

(٥) سفيان الثوري أبو عبد الله . توفي سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ . وهو فقيه كوفي .

(٦) محمد بن المنكدر التميمي الزاهد من حفاظ أهل المدينة . توفي سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ .

(٧) ج : + به . وفي هامش (ز) : في نسخة : به . د : خير رضينا .

(٨) د : بلاء . وفي هامش (ز) : في نسخة : بلاء .

(٩) حميد بن عبد الرحمن الرؤاس الكوفي من محدثي الكوفة . توفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ .

(١٠) د : يقولون .

(١١) ج : ولا .

فيها شرفاً ، وأنا أقول ذلك ، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إلي من أن تفترق ، أرأيتم [1] باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان [2] دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل [3] رجل [4] منهم : لا أريق دم أخي ، ولا آخذ ماله ، أكان [5] هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال [6] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يأتيك من الحياء إلا خير) .

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلماً في أمرة [7] يزيد ، وأنه بايع ، وعقد له ، والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه [8] المسلمون ، وحرم على نفسه ، ومن إليه بعد ذلك ، أن يخرج على [9] هذا أو ينقضه ، وظهر لك أن قول من قال : ان معاوية كذب في قوله : بايع ابن عمر ، ولم يبايع ، وان ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا : لم نبايع ، فقد كذب [10] . وقد [11] صدق البخاري في روايته (و ١١٩ أ) قول معاوية على المنبر : ان ابن عمر قد بايع بإقرار ابن عمر بذلك ، وتسليمه له ، وتماديه عليه . فأي الفريقين أحق بالصدق

---

(١) ج ، ز : آراؤهم .
(٢) د : – كان .
(٣) ب ، د : كان .
(٤) ب ، ز : في الهامش : في نسخة : واحد .
(٥) د : أن كان .
(٦) ب ، ج ، ز : – قال .
(٧) ب ، ج ، ز : أمر .
(٨) ب : فيه .
(٩) د : عن .
(١٠) د : – فقد كذب .
(١١) ب ، ج ، ز : فقد .

إن كنتم تعلمون ؟ الفريق الذي فيه البخاري أو الذي فيه غيره ؟ فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم [١] .

والصاحب الذي كنى عنه حميد بن عبد الرحمان هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع [٢] رجلان عظيمان على هذه المقالة ، وهي تعضد ما [٣] أصلناه لكم من أن ولاية المفضول نافذة ، وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له ، ولما في حلها [٤] وطلب الأفضل من استباحة ما لا يباح ، وتشتيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة . فإن قيل : كان يزيد خماراً . قلنا : لا حد [٥] إلا بشاهدين . فمن شهد بذلك عليه ؟ بل شهد العدول [٦] بعدالته ، فروى [٧] يحيي بن بكير [٨] عن [٩] الليث بن سعد [١٠] ، قال الليث : توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا ، فسماه الليث أمير المؤمنين [١١] بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا

---

(١) ج ، ز : + آمين .
(٢) د : اجتمع .
(٣) د : بما .
(٤) ب : أو .
(٥) ب ، ج ، ز : يحل .
(٦) ب ، ج ، ز : العدل .
(٧) د : قرأ .
(٨) يحيى بن بكير أو بكر التميمي النيسابوري توفي سنة ٢٢٦ ﻫ / ٨٤٠ . روى عن مالك والليث .
(٩) د : على .
(١٠) شيخ الديار المصرية أبو الحارث الليث بن سعد الفقيه . توفي سنة ١٧٥ ﻫ / ٧٩١ .
(١١) ب ، ز : كتب على الهامش : قال ابن أبي الفرات في تاريخه : كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فقال قال أمير المؤمنين . وأمر بضربه عشرين سوطاً . انتهى نقله عنه الشيخ البناني في شرحه للسيرة الكلاعية فاعرفه .

كونه عنده كذلك ما قال إلا توفي يزيد . فإن قيل : لو[1] لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين [2] بن علي . قلنا : يا أسفى على المصائب مرة ، ويا أسفى على مصيبة الحسين ألف مرة ! بوله[3] يجري على صدر النبي[4] فلا يغسل[5] ، ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن ، يا لله ! ويا للمسلمين ! وإن أمثل ما روي فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عقبة ينعي له معاوية ، ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة ـ وقد كانت تقدمت ـ فدعا مروان فأخبره [6] ، وقال : [7] أرسل إلى الحسين ابن علي، وابن الزبير فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله تقتل [8] الحسين بن علي وابن الزبير ، قال : هو ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فأتاه ابن الزبير فنعى له معاوية ، وسأله البيعة (و ١١٩ ب) فقال : ومثلي يبايع ها هنا ، ارق المنبر ، أبايعك وأنا [9] مع الناس علانية فوثب مروان وقال : اضرب عنقه . فإنه صاحب فتنة وشر . فقال : وإنك [10] لهنالك [11] يا ابن الزرقاء ؟ واستبا . فقال الوليد أخرجهما [12] عني . وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة[13] في شيء وخرجا

---

(١) ب ، ج ، ز : ولو .
(٢) د : قتلة الحسين .
(٣) ب ، ج ، ز : بولهم .
(٤) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٥) ب ، ج ، ز : – فلا يغسل .
(٦) ج : – فأخبره .
(٧) د : فقال .
(٨) د : يقتل .
(٩) كتبها محب الدين : وأنا أبايع مع الناس (ص ٢٢٩) . ولا مبرر لذلك .
(١٠) ب ، ج ، ز : فانك .
(١١) د : لهناك .
(١٢) ب ، د ، ز : أخرجاهما . وكتب محب الدين : اخرجا (ص ٢٢٩) .
(١٣) د : – بكلمة .

من عنده وجعل الوليد عليهما الرصد ، فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك ، وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لي مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ما صح .

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين وأنه أرسل مسلم ابن عقيل[1] ابن[2] عمه إليهم ليأخذ عليهم البيعة[3] وينظر هو في أتباعه ، فنهاه ابن عباس ، وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج ، فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن [4] عقيل قد قتل ، وأسلمه من كان استدعاه ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق . ولكنه رضي الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس ، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر ، وطلب الابتداء في الانتهاء ، والاستقامة [5] من أهل [6] الاعوجاج ، ونضارة الشبيبة [7] في هشيم المشيخة ، ليس حوله مثله ، ولا له من الأنصار ما يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه ، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد ، فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر ، وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه[8] إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، المحذر عن الدخول في الفتن ، وأقواله في ذلك كثيرة منها

---

(١) مسلم بن عقيل بن أبي طالب استشهد في كربلاء سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ . د : ابن أبي عقيل .
(٢) د : — عمه .
(٣) د : البيعة عليه .
(٤) د : ابن أبي عقيل .
(٥) ب ، جـ ، ز : بالاستقامة .
(٦) ب : — من أهل . + في . وكتبها محب الدين : والاستقامة في الاعوجاج (ص ٢٣٢) .
(٧) جـ : الشيب .
(٨) ب ، جـ ، ز : قاتله .

[ما روى مسلم عن زياد بن علاقة[1] ، عن عرفجة بن شريح[2]] قوله[3] صلى (و ١٢٠ أ) الله عليه وسلم : (أنها ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان) فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله[4] . ولو أن عظيمها وابن عظيمها ، وشريفها وابن شريفها ، الحسين يسعه بيته ، أو ضيعته ، أو ابله ، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق[5] وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم ، وحضره ما أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم[6] ، وما قال في أخيه ، ورأى أنها[7] قد خرجت عن أخيه ، ومعه جيوش الأرض ، وكبار الخلق يطلبونه[8] ، فكيف ترجع[9] إليه بأوباش الكوفة وكبار الصحابة ينهونه ، وينأون عنه ؟ ما أدري ما هذا[10] إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم[11] بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ الصحابة[12] وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة ، لا ينبغي لأحد أن يدخلها ، ما أسلموه أبداً .

---

(١) زياد بن علاقة وكنيته أبو مالك توفي في ولاية خالد القسري أي قبل ١٢٦ هـ / ٧٤٣ ، (طبقات خليفة بن خياط ص ١٥٩) .
(٢) لم نعثر له على ترجمة .
(٣) ب ، ج ، ز : – ما بين القوسين .
(٤) ز : كتب على الهامش : قف على هذا الكلام وما بعده فقد أنكره العلماء عن ابن العربي.
(٥) د : – و .
(٦) د : – صلى الله عليه وسلم .
(٧) أي الخلافة .
(٨) د : – يطلبونه .
(٩) ج ، ز : يرجع .
(١٠) د : مثاي .
(١١) ج ، د : – صلى الله عليه وسلم .
(١٢) ب : – الصحابة .

وهذا أحمد بن حنبل على تقشفه ، وعظيم منزلته في الدين ، وورعه قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد [1] أنه كان يقول في خطبته : إذا مرض أحدكم مرضاً فابتلي [2] ، ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه . وهذا يدل على عظيم منزلته عنده ، حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ، ويرعوى من وعظهم ، ونعم ! [3] وما أدخله إلا في جملة ذكر الصحابة ، قبل [4] أن يخرج إلى ذكر التابعين . فأين هذا من ذكر المؤرخين له ، في الخمور [5] وأنواع الفجور ؟ ألا يستحيون [6] فإذا سلبهم الله المروءة [7] والحياء . ألا ترعوون أنتم ، وتزدجرون ، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة ، والمجان ، من المنتمين إلى الملة ؟ هذا بيان للناس ، وهدى ، وموعظة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

وانظروا [8] إلى ابن الزبير (و ١٢٠ ب) بعد ذلك ، وما دخل فيه من البيعة له بمكة والأرض كلها عليه . وانظروا [9] إلى ابن عباس وعقله ، وإقباله على أمر نفسه . وانظروا [10] إلى ابن عمر ، وسنه ، وتسليمه للدنيا ، ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه ، لكان الأولى [11] بذلك عبد الله بن عباس ، فان ولدي أخيه عبيد

---

(١) د : – في كتاب الزهد .
(٢) ب ، ج ، ز : ثم أشقى .
(٣) ج ، ز : لعمري .
(٤) د : بعد .
(٥) ب ، ج ، ز : الخمر .
(٦) ب ، ج ، ز : تستحيون .
(٧) د : – المروءة .
(٨) د : أنظر .
(٩) د : أنظر .
(١٠) د : أنظر .
(١١) ب ، ج ، ز : أولى .

الله [1] قد ذكر أنهما قتلا ظلماً ، ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يخلص إليه ، فكيف بدم ولدي عبيد الله . وأن الأمر راهق [2] ، قد خرجا عنه [3] حفظاً للأصل ، وهو اجتماع أمر [4] الأمة ، وحقن دمائها ، وائتلاف كلمتها ، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع حسبما أمر به صاحب الشرع ، صلوات الله عليه وسلامه [5] وكل منهم عظيم القدر ، مجتهد فيما دخل فيه [6] ، مصيب مأجور . ولله فيهم حكم في الدنيا [7] قد [8] أنفذه ، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه [9] الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها به ابن عباس وابن عمر [10] فقابلوها ، ولا تكونوا [11] من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه [12] ، ولا يغني من الله ، ولا من دنياهم شيئاً عنهم ، وانظروا إلى الأيمة الأخيار ، وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه الخرافات ، و[13] تكلموا في مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصبية [14] جاهلية ، وحمية باطلية [15] ، لا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق ، وتشتيت الشمل ، واختلاف الأهواء . وقد كان ما كان ، وقال الاخباريون [16] ما قالوا ، فإما سكوت وإما [17] اقتداء بأهل العلم ، وطرح لسخافات [18] المؤرخين والأدباء والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته .

---

(١) عبيد الله بن عمر بن الخطاب قتل في صفّين ٣٨ هـ / ٦٥٨ .
(٢) د : زاهق .
(٣) د : فدحرجاه .
(٤) د : — أمر .
(٥) د : — وسلامه .
(٦) د : — فيه .
(٧) ب ، ج ، ز : — في الدنيا .
(٨) د : فقد .
(٩) د : لهذه .
(١٠) د : ابن عمر وابن عباس .
(١١) د : تكون .
(١٢) د : فيه لهم .
(١٣) د : أو .
(١٤) ج ، ز : عصبة .
(١٥) ب ، ج ، ز : باطلة .
(١٦) ج : الاحباريون .
(١٧) د : وإلا .
(١٨) ج : السخافات .

نكتة :

وعجباً لاستكثار[1] الناس ولاية بني[2] أمية ، وأول من[3] عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ، فإنه ولى يوم الفتح عتاب[5] بن أسيد بن أبي العيص[6] ابن أمية (و ١٢١ أ) ، مكة حرم الله ، وخير بلاده ، وهو فتيّ السن قد أبقل[7] أو لم يبقل واستكتب معاوية بن أبي سفيان أميناً على وحيه . ثم ولى أبو بكر ، يزيد[8] بن أبي سفيان ـ أخاه[9] ـ الشام ، وما زالوا بعد ذلك يتوقلون[10] في سبيل المجد ، ويترقون في درج العز ، حتى أنهتهم[11] الأيام إلى منازل الكرام . وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبي بني أمية ينزون على منبره كالقردة ، فعز ذلك[12] عليه فأعطي ليلة القدر ، خير من ألف شهر ، يملكها بنو[13] أمية بعده[14] . ولو كان هذا صحيحاً ، ما استفتح الحال بولايتهم ،

---

(١) ب ، ج ، ز : لاستكبار .

(٢) د : ببني .

(٣) ج : ما .

(٤) د : – صلى الله عليه وسلم .

(٥) ب : عثمان . وهو غلط . وتوفي عتاب بن أسيد أمير مكة سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ وهو شاب .

(٦) د : الفيض . وهو خطأ .

(٧) خرج شعره .

(٨) استشهد سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ .

(٩) أخو معاوية .

(١٠) ج ، ز : يترفلون . ومعنى يتوقلون : من وقل أي صعد .

(١١) ج : انتهتهم .

(١٢) ب ، ج ، ز : – ذلك .

(١٣) ج : بني .

(١٤) ب ، ج ، ز : – بعده .

ولا مكن لهم في الأرض بأفضل بقاعها وهي مكة . وهذا أصل يجب أن تشدوا [١] عليه اليد .

فإن قيل : أحدث معاوية في الإسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا : قد بينا في غير موضع أن استلحاق زياد ، إنما كان لأشياء [٢] صحيحة ، وعمل مستقيم ، نبينه بعد ذكر أمثل [٣] ما ادعى فيه المدعون ، من الانحراف عن الاستقامة . إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه أعظم منه فكيف به [٤] لا يقطع .

قالوا : كان زياد ينسب [٥] إلى (عبيد الثقفي ، من سمية ، جارية الحارث ابن كلدة [٦] ، واشترى [٧] ([٨] عبيداً [٩]) ـ أباه ـ بألف درهم فأعتقه .

قال أبو عثمان النهدي [١٠] : فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة ، وقيل : بل كتب لأبي موسى فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة [١١] جلدهم وعزله ، وقال : ما عزلتك لخزية [١٢] ، ولكني كرهت أن أحمل على

---

(١) ب : تشد .
(٢) د : لأشباه .
(٣) ب ، ج ، ز : – أمثل .
(٤) ب ، ج ، ز : – به . وفي هامش (ب ، ز) : في نسخة : + به .
(٥) ب : ينتسب .
(٦) الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب وحكيمها توفي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ .
(٧) أي زياد .
(٨) ج : – ما بين القوسين .
(٩) ج ، د : عبيد .
(١٠) عبد الرحمن بن مل أو ملي بن عمرو توفي سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ وقيل بعدها .
(١١) المغيرة بن شعبة الثقفي توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ .
(١٢) ج ، ز : بجرية . د : بخربة .

الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في إصلاح فساد ، فرجع وخطب الناس خطبة لم يسمع مثلها . فقال عمرو (و ١٢١ ب) بن العاص [١] : أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما [٢] والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه . فقال له علي : ومن ؟ قال : أنا قال : مهلاً يا أبا سفيان ! فقال أبو سفيان أبياتاً من الشعر [٣] :

أمـا والله لـولا خـوف شخـص [٤] يـراني يـا عـلي ! من الأعادي

لأظهـر أمـره صخـر بن حـرب ولم تكـن المقـالـة عـن زيـاد

وقـد طالت مخـاتلتي ثقيفـا وتـركي فيهم ثمـر الفـؤاد

فذلك الذي [٥] حمل معاوية . واستعمله علي على فارس ، وحمى ، وجبى [٦] ، وفتح ، وأصلح . وكاتبه معاوية يروم افساده ، فوجه بكتابه إلى علي بشعر ، فكتب إليه علي : (إني وليتك ما وليتك ، وأنت أهل لذلك عندي ، ولن [٧] تدرك [٨] ما تريد مما [٩] أنت فيه إلا بالصبر واليقين ، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة ، ومن عمر ، لا تستحق [١٠] بها نسبا ولا ميراثاً ، وأن [١١] معاوية يأتي المؤمن من بين يديه

---

(١) ج ، د ، ز : العاصي .
(٢) ب ، ج ، ز : — أما .
(٣) د : — من الشعر . ج ، ز : شعره .
(٤) يقصد : عمر بن الخطاب .
(٥) د : — الذي .
(٦) ب : حبا . د : خبى .
(٧) ج : لين .
(٨) ب : يدرك .
(٩) ب : بما .
(١٠) ج ، ز : يستحق .
(١١) د : فان .

ومن خلفه) فلما قرأ زياد الكتاب قال : (شهد لي أبو حسن ورب الكعبة !) فذلك الذي جرّأ زياداً ومعاوية على ما [1] صنعا ، ثم ادعاه معاوية سنة أربع وأربعين ، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد ، وبلغ الخبر أبا بكرة [2] ـ أخاه لأمه ـ فآلى يميناً ألا [3] يكلمه أبداً ، وقال : (هذا زنّي أمه ، وانتفى من أبيه ، والله ما رأت سمية أبا سفيان قط ، وكيف يفعل بأم حبيبة [4] أيراها فيهتك [5] حرمة رسول الله ، و [6] ان حجبته فضحته) فقال زياد : « جزى الله أبا بكرة [7] خيراً ، فإنه لن [8] يدع النصيحة في حال » وتكلم فيه الشعراء ، ورووا عن سعيد بن المسيب [9] أنه قال : أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد .

قال القاضي أبو بكر [10] رضي الله عنه : قد بينا في غير موضع هذا الخبر ، وتكلمنا عليه ، بما يغني عن إعادته (و ١٢٢ أ) ، ولكن [11] لا بد في هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول : كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته [12] ، لأنه لا يحتاج [13] إليه . والذي ندريه حقاً ، ونقطع عليه علماً ، أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية ،

---

(١) ب : عما . وكتبه محب الدين : بما (ص ٢٣٧) .
(٢) أبو بكرة الثقفي نفيع بن الحارث توفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ .
(٣) د : لا .
(٤) بنت أبي سفيان زوج النبي ، وأخت معاوية .
(٥) ج ، ز : فهتك .
(٦) ب ، ج ، ز : ـ و .
(٧) ج ، ز : بكر .
(٨) ب ، ج ، ز : لم .
(٩) أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي المدني توفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ .
(١٠) د : قال أبي .
(١١) ج ، ز : لكني .
(١٢) ج : تنفيه ولا تثبته .
(١٣) ج ، د ، ز : لأنا لا نحتاج .

لا بالتفقه والمعرفة . وأما أبوه ، فما علمنا له ، أباً قبل دعوى معاوية ، على التحقيق ، وإنما هي أقوال غائرة [1] من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة [2] ، فإنه حضنه عند [3] أمه [4] إذ دخل عليه فيه شبهة [5] بالحضانة إليه ، إن كان ذلك . وأما قولهم : ان أبا عثمان غبطه بذلك ، فهو بعيد على أبي عثمان . فإنه ليس في أن يبتاع أحد حاضنه [6] أو أباه ، فيعتقه من المرتبة [7] ، بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله ، لأن هذه مرتبة يدركها الغني والفقير ، والشريف والوضيع ، ولا بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدري [8] به ، قدر مروءته ، في اهانة الكثير [9] العظيم [10] في صلة الولي [11] الحميم . وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً ، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه . وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية ، وشرفاً ، وديناً . وأما قولهم : ان عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل (فباطل [12]) . بل روي أنه لما شهد أصحابه الثلاثة ، وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربعك ، ذهب نصفك ، ذهب ثلاثة أرباعك . فلما جاء زياد وقال له : إني أراك صبيح الوجه ،

---

(١) ج ، ز : غابرة .

(٢) ب ، ج ، ز : الحضانة . وفي هامش (ب ، ز) : في نسخة : للحضانة .

(٣) ب : عنه .

(٤) ب : — أمه .

(٥) ب ، ج ، ز : فله نسب .

(٦) ب : حاضنته . ج ، ز : ختنه .

(٧) ب ، ج ، ز : المزية .

(٨) كتبها محب الدين : فيدرأ . وهذا يفسد المعنى تماماً . (ص ٢٣٨) .

(٩) ج ، ز : الكبير .

(١٠) أي من المال في سبيل صلة الرحم .

(١١) ج ، ز : المولى .

(١٢) سقط من جميع النسخ وكتب في هامش (د) : عله : فباطل .

وإني لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلاً من أصحاب محمد[1] . وأما خطبته التي[2] ذكروا أنه أعجب بها[3] عمرو[4] ، فما كان عنده فضل علم ، ولا فصاحة يفوق بها[5] عمراً[6] ، فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ[7] المفتري خطباً[8] ليست في الحد المذكور . وأما قولهم : ان أبا سفيان اعترف به ، وقال شعراً فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة (و ١٢٢ ب) عمر ، لم يخف شيئاً . لأن الحال لم تكن تخلو[9] من أحد قسمين : اما أن يرى عمر ألا ظنة[10] به ، كما روى عنه في غيره ، فيمضي ذلك . أو يرد ذلك ، فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة ، الباردة ، المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها[11] . وأما تولية علي له فتزكية . وأما بعث معاوية إليه ، ليكون معه فصحيح في الجملة . وأما تفصيل[12] ما كتب معاوية أو كتب[13] زياد به إلى علي ، أو جاوب به علي زياداً ، فهذا كله مصنوع .

---

(١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٢) د : الذي .
(٣) ب ، ج ، ز : منها .
(٤) ب ، ج ، ز : عمر .
(٥) د : – بها .
(٦) ب ، ج : عمر . ز : عمروا .
(٧) يقصد به الجاحظ .
(٨) ج : حطبا .
(٩) ب : يكن يخلو .
(١٠) ب : إلا طنه .
(١١) كذا في جميع النسخ : وكتب محب الدين : له . (ص ٢٣٩) .
(١٢) ج : تفضيل .
(١٣) د : وكتب .

وأما قول علي : إنما كانت من أبي سفيان فلتة لا يستحق بها نسباً [1] ، فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روي عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ، لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء ، فرأى علي شيئاً ، ورأى معاوية وغيره ، غيره . وأما نكتة الكلام وهو القول في استلحاق معاوية زياداً ، و [2] أخذ الناس عليه في ذلك . وأي أخذ عليه فيه ان [3] كان سمع ذلك من أبيه ؟ وأي عار على أبي سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية ؟ فمعلوم أن سمية لم تكن لأبي سفيان ، كما لم [4] تكن وليدة زمعة لعتبة ، لكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن لمعاوية منازع في زياد . اللهم أن ها هنا نكتة اختلف العلماء فيها [5] وهي أن الأخ إذا استلحق أخاً ، يقول : هذا [6] ابن أبي ، ولم يكن له منازع ، بل كان وحده ، فقال مالك : يرث ، ولا يثبت [7] النسب في جماعة [8] ، وقال الشافعي [9] في آخرين [10] : يثبت النسب ، ويأخذ المال . هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعي [11] بقول النبي [12] : (هو لك يا عبد بن زمعة ! الولد للفراش ، وللعاهر الحجر) [13] . فقضى بكونه للفراش ، وإثبات (و ١٢٣ أ)

---

(١) د : شيئاً .
(٢) د : أو .
(٣) ج : وان .
(٤) ج : لو .
(٥) ج : فيه .
(٦) ب ، ج ، ز : هو .
(٧) ج ، ز : يلحق .
(٨) ب : – جماعة . وحذف محب الدين : في جماعة . (ص ٢٤٠) .
(٩) د : ش .
(١٠) ب ، ج ، ز : في احدى القولين .
(١١) د : ش .
(١٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٣) أخرجه البخاري ومالك في الموطأ .

نسبه[1] . قلنا : هذا جهل عظيم[2] ، وذلك أن قوله ، ان النبي[3] قضى بكونه للفراش صحيح . وأما قوله ، بثبوت النسب فباطل لأن عبداً ادعى شيئين[4] : أحدهما الأخوة ، والثاني ولادة الفراش . فلو قال له النبي [5] : هو أخوك ، الولد للفراش ، لكان اثباتاً للحكم ، وذكراً للعلة [6] . بيد أن النبي [7] عدل عن الأخوة ، ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ، ولم يصرح به . وإنما في الصحيح في لفظ (هو أخوك) ، وفي آخر (هو لك) معناه فأنت أعلم به . وقد مهدنا ذلك في « مسائل الخلاف » [8] . فالحارث بن كلدة لم يدع زياداً ، ولا كان إليه منسوباً ، وإنما كان ابن أمته ، ولد على فراشه أي[9] في داره ، فكل من ادعاه فهو له ، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه ، فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك . فإن قيل : فلم أنكر عليه الصحابة ؟ قلنا : لأنها مسألة اجتهاد . فمن رأى أن النسب لا يلحق[10] بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظمه . فإن قيل : ولم لعنوه ، وكانوا[11] يحتجون بقول النبي [12] : ملعون من انتسب

---

(١) ب ، ز : في نسخة : النسب .

(٢) علق ابن باديس على هذا بقوله : غفر الله لك لا ينبغي أن يواجه مثل الشافعي بمثل هذه الشدة من الكلام (جـ ٢ ص ١٨٢ ت ٢) .

(٣) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٤) ب : سببين .

(٥) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٦) د : لعلة .

(٧) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٨) مؤلف من مؤلفاته يقع في عشرين مجلداً يعتبر في حكم المفقود .

(٩) جـ : – أي .

(١٠) د : يلتحق .

(١١) جـ ، ز : – وكانوا .

(١٢) ب ، جـ ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

لغير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ؟ قلنا : إنما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق . ومن لم ير لعنه لهذا ، لعنه لغيره . قال [1] : وكان زياد أهلاً أن يلعن عندهم لما أحدث بعد استلحاق [2] معاوية . فإن قيل : جعل النبي [3] للزنا حرمة ورتب عليه [4] حكماً حين قال : (احتجبي [5] منه يا سودة) وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون ، ومالك في رواية ابن القاسم [6] ، يساعدهم على المسألة ، ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه . وقد بيناها في كتاب النكاح . وقال الشافعي [7] : العذر في أمر النبي [8] لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة ، وصحة أخوته لها بدعوى عبد ، أن ذلك (و ١٢٣ ب) تعظيم لحرمة أزواج النبي [9] لأنهن لم يكن كأحد من النساء في شرفهن ، وفضلهن . قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبي [10] الولد للفراش ، تحقيقاً للنسب ، لما منع صلى الله عليه وسلم سودة منه ، كما لم يمنع عائشة رضي الله عنها [11] من الرجل الذي قالت : هو أخي من الرضاعة وإنما قال : (انظرن من اخوانكن) وأما ما [12] روي عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه في أن هذا

---

(١) ب : - قال .
(٢) ج ، ز : استلحاقه .
(٣) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٤) ب ، ج ، ز : عليها .
(٥) د : واحتجبي .
(٦) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي المالكي توفي سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ .
(٧) د : ش .
(٨) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٩) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٠) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١١) د : - رضي الله عنها .
(١٢) ب : - ما .

الاستلحاق ليس بصحيح . وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين ، وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة ، وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد ، وقد صرح مالك في كتاب الإسلام وهو الموطأ بنسبه ، فقال في دولة بني العباس : ان[1] زياد بن أبي سفيان . ولم يقل كما يقول المخاذل[2] : زياد بن أبيه . هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد ، ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن[3] له أحد . وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ، ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين ، لم يكن لها رجوع . فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها[4] ، ويرفع الخلاف فيها . والله أعلم .

وأما روايتهم أن عمر قال : كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس . فهذه زيادة ليس لها أصل ، من ناقص عقل ، وأي عقل كان لزياد يزيد به[5] على الناس في أيام[6] عمر ، وغلام[7] كل واحد من الصحابة[8] كان أعقل من زياد وأعلم منه ؟ ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس ، ويقولون : انه كان داهية ، وهي كلمة واهية الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعاني ، والاستدلال على العواقب بالمبادئ ، وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك البرودات التي[9] يروي[10] المؤرخون من كذبهم في حيل الحرب

---

(١) ب ، ز : — ان . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : + ان ..
(٢) د : الخاذل .
(٣) ب ، ج ، ز : يفطن .
(٤) ج : يمينها .
(٥) ب ، ج ، ز : — به .
(٦) ب ، ج ، ز : زمان .
(٧) ب ، ج ، ز : — غلام . وفي هامش ب ، ز : في نسخة : غلام .
(٨) د : + من .
(٩) ج : — التي .
(١٠) ج ، ز : تروي .

(و ١٢٤ أ) والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتنثي [١] وتروي إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين ، فليس في روايتها ولا في رواتها [٢] خير ولا عقل ، وكل الناس كما قدمنا ـ وخذ من ولاة بني أمية خاصة ـ أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روي من الأباطيل .

نكتة :

و [٣] الولايات والعزلات لها معان [٤] وحقائق لا يعلمها كثير من الناس لقد علمتم أن رسول الله [٥] مات عن زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة معلومين ، منهم ألفان أو نحوهما مشاهير في الجلالة ولىّ منهم أبو بكر ، سعداً ، وأبا عبيدة ، ويزيد ، وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل [٦] ، ونفوا غيرهم فوقهم ، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي [٧] في عتاب ، ومتى كان استوفى المشيخة حتى يأخذ من [٨] الشبان ؟ وولى عمر أيضاً كذلك ، وبادر بعزل خالد ، وذلك كله لفقه عظيم ، ومعارف بديعة بيانها في موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الأصول ، فخذوا في فن [٩] غير هذا [١٠] ، فليس هذا

---

(١) ب : تثني . ج ، ز : تنأى . د : تنهى . وأغلب الظن أنها : تنثى .
(٢) ب ، ج ، ز : – ولا في رواتها .
(٣) ب ، ج ، ز : – و .
(٤) ب ، ج ، ز : معاني .
(٥) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٦) عكرمة بن أبي جهل استشهد في وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ .
(٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٨) ب ، ج ، ز : – من .
(٩) ب ، د : – فن .
(١٠) د : + الباب .

الباب مما تلوكه أشداق أهل الآداب وأما ما روي عن معاوية أنه استدعى شهوداً ، فشهد السلولي [1] وسواه فسل [2] من الحق ، ما روي عن السلولي ، فإنه لم يكن قط ، واسعد باسقاط [3] ما روى في القصة سعيد أو سعد [4] . وأما كلام أبي بكرة أخيه [5] لأمه ، فغير ضائر له لأن ذلك رأي من [6] أبي بكرة واجتهاد [7] . وأما قولهم فيها عن أبي بكرة [8] (أنه زنيّ أمه) فلو كان ذلك صحيحاً لم يضر أمه ما جرى [9] في الجاهلية ، في الدين ، فإن الله عفا عن أمر [10] الجاهلية كلها بالإسلام ، وأسقط الإثم والعار [11] منه ، فلا يذكره إلا جاهل به .

قال القاضي أبو بكر رضي (و ١٢٤ ب) الله عنه : والناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد ، وغلبهم حسدهم عليه ، وعداوتهم له ، أحدثوا له عيوباً ، فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا ـ كما ذكرت لكم ـ أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة [12] ، ليتوسلوا

---

(١) مالك بن ربيعة أبو مريم .
(٢) ج ، ز : كسل . ومعنى فسلّ من الحق : انزع من الحق من سل يسل . وقد قرأها محب الدين : فسل من الحق : أي اسأل من ألحقه . وهو لا يستقيم مع السياق . (ص ٢٤٤) .
(٣) د : – باسقاط .
(٤) د : وسعد .
(٥) ب ، ج ، ز : لأخيه .
(٦) ب ، ج ، ز : – من .
(٧) ب ، ز : اجتهاده . ج : – اجتهاده
(٨) ج : – وأما قولهم فيها .
(٩) د : ما جرى .
(١٠) ب ، ز : أهل . ج : – أهل .
(١١) د : العذر .
(١٢) ج ، ز : – يسيرة .

بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا ـ كما قدمنا ـ في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا [1] السلف ويهونوا الدين [2] ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضي الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك [3] التي يختلق [4] أهل التواريخ ، فيدسونها في قلوب الضعفاء و [5] هذا زياد لما أحس بالمنية [6] استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة ، فقبل خلافته ، وكيف يظن به على منزلته أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحبة ، وذلك من غير إكراه ، ولا تقية . إن هذا لهو الدليل المبين ، فمع من تحبون أن تكونوا ، مع سمرة بن جندب أو مع المسعودي [7] ، والمبرد [8] ، وابن قتيبة [9] ، ونظرائهم ؟ وهذا غاية في البيان .

قاصمة :

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية ، فلما جاء الإسلام

---

(١) د : ليحقروا .

(٢) ز : كتب على الهامش : واعلم أن الإنسان يلزمه التثبت في قبول الأخبار من مدح الناس وذمهم لبعضهم بعضاً (كذا) وينتبه للبواعث والدواعي على ذلك ، لأن غالبها أغراض وأهوية فالله يعصمنا في قول الحق وقبوله .

(٣) ج ، د ، ز : الهتوف .

(٤) ج ، ز : تختلق .

(٥) د : — و .

(٦) ب : المنية .

(٧) علي بن الحسين توفي سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ .

(٨) محمد بن يزيد صاحب الكامل توفي سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ .

(٩) عبد الله بن مسلم توفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ خطيب أهل الحديث وأديبهم .

بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال الله[1] سبحانه : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً (آل عمران /١٠٣) وقال لنبيه : (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) [2] (الأنفال / ٦٣) فكانت بركة [3] النبي [4] تحميهم[5] ، وتجمع[6] شملهم ، وتصلح[7] قلوبهم ، وتمحو[8] ضغائنهم . فاستأثر[9] الله برسوله[10] ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجزة ما دام الميزان قائماً ، فلما (و ١٢٥ أ) رفع الميزان ـ كما تقدم ذكره في الحديث ـ أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحاً من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار في الآفاق ، واتصل الهرج إلى يوم المساق[11] ، وصارت الخلائق عزين ، في كل واد من العصبية[12] يهيمون ، فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية ، كل يزعم أن الحق معها ، وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم ، مقتر[13] من

---

(١) ب ، د : - الله .

(٢) ب ، ج ، ز : - عزيز حكيم .

(٣) ب ، ج ، ز : ببركة .

(٤) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٥) ب ، ج ، ز : يجمعهم . وفي هامش : ز : في نسخة : تحميهم .

(٦) ب ، ج ، ز : يجمع .

(٧) ب ، ج ، ز : يصلح .

(٨) ب ، ج ، ز : يمحو .

(٩) ب ، ج ، ز : واستأثر .

(١٠) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١١) د : القيامة .

(١٢) ج : المصيبة .

(١٣) كذا في ب ، ج ، ز : وطمست النقطة في (د) من القاف أو الفاء ولعله : مفتر

الخير عديم ، وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هي حماقات ، وجهالات ، أو دسائس للضلالات [1] ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم في غير مسير ، ولا مذهب .

قالت البكرية : أبو بكر نص عليه رسول الله [2] في الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا ، وكان عند النبي [3] بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة ، وولي فعدل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم في عمر فان أمره غلظ [4] ، وفظاظته غلبت ، وذكروا معائب وأما عثمان فلم يخف ما عمل ، وكذلك علي ، وأما العباس فغير مذكور .

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر امام عدل ، قوي ، بمدح النبي [5] له في حديث الرؤيا والدلو ، والعبقري كما تقدم . وأما عثمان فخارج عن الطريق ما اختار والياً ، ولا وفّى أحداً حقاً ، ولا كف أقاربه ، ولا اتبع سنن من كان قبله . وأما علي فجريء على الدماء . لقد سمعت في مجالس أن ابن جريح [6] كان يقدم عمر على أبي بكر ، وسمعت الطرطوشي يقول : لو قال أحد بتقديم [7] عمر لتبعته [8] .

و [9] قالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل ، والفواصل في الذات والمال ، وقتل مظلوماً .

---

(١) ج : الضلالات .
(٢) و (٣) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٤) ب ، ج ، ز : غليظ .
(٥) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٦) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الرومي مولى بني أمية أول من ألف في الحجاز . توفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ .
(٧) د : بتقدم .
(٨) د : اتبعت .
(٩) ب ، ج ، ز : — و .

وقالت العلوية : علي ابن عمه وصهره ، وأبو سبطي النبي [1] ، وولد النبي حضانة .

وقالت العباسية : (و ١٢٥ ب) هو أبو النبي [2] وأولاهم بالتقديم [3] بعده ، وطولوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته . ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها ، لعظيم الافتراء فيها ، ودناءة رواتها ، وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت ، وتقدمة [4] علي على جميع الخلق ، حتى أن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة ، أعظمهم بأساً من يقول : ان علياً هو الله . والغرابية يقولون : انه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حمية منه معه ، في كفر بارد ، لا يسخنه [5] إلا حرارة السيف . فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه .

عاصمة :

إنما ذكرت لكم هذا ، لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب [6] فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين ، أو على [7] بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما [8] رووا ولا تقبلوا رواية إلا عن أيمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع

---

(١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٣) د : التقدم .
(٤) د : تقدم .
(٥) د : تسخنه .
(٦) ج ، د : الأدب .
(٧) ج : وعلى .
(٨) ب ، د ، ز : عما .

الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قطعتم أصل[1] الباطل ، واقتصرتم على رواية العدول (سلمتم من الحبائل ، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل)[2] ومن أشد شيء على الناس جاهل[3] عاقل ، أو مبتدع محتال ، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ، ولم يذر[4] للصحابة رسماً في كتاب « الإمامة والسياسة[5] » إن صح عنه جميع ما فيه[5] وكالمبرد في كتابه الأدبي[6] ، وأين عقله من عقل ثعلب[7] الإمام المقدم[8] في أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . و [9] أما المبتدع المحتال فالسعودي [10] ، فإنه بما[11] يأتي منه متاخمة[12] الإلحاد فيما رواه من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه . فإذا (و ١٢٦ أ) صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا في خليفة ممن نسب[13] إليه ما لا يليق ، ويذكر عنه ما لا يجوز فعله ، (كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين)[14]

---

(١) ب ، ج ، ز : أهل .

(٢) د : — ما بين القوسين .

(٣) د : جهل .

(٤) د : ولا وذر .

(٥) تأكد أن كتاب الامامة والسياسة ليس لابن قتيبة ولذا فانه ليس جاهلاً .

(٦) ج ، ز : الأدنى .

(٧) أحمد بن يحيى بن زيد لغوي الكوفة وأديبها توفي سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ .

(٨) ب ، ج ، ز : المتقدم .

(٩) د : — و .

(١٠)د : كالمسعودي .

(١١)ب ، ج ، ز : — بما .

(١٢)ج ، ز : متاحمة .

(١٣)ب : نسبت .

(١٤)د : — ما بين القوسين .

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان [1] في موطئه . وأبرزه في جملة قواعد الشريعة . وقال في رواية عن زياد بن أبي سفيان ، فنسبه إليه [2] ، وقد علم قصته ولو كان عنده ـ كما [3] يقول العوام ـ باطلاً [4] لما رضي أن ينسبه ، ولا يذكره في كتابه الذي أسسه للإسلام . وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس ، والدولة لهم ، والحكم بأيديهم ، فما غيروا عليه ، ولا أنكروا ذلك منه ، لفضل علومهم ، ومعرفتهم بأن مسألة زياد ، مسألة قد اختلف الناس فيها ، فمنهم من جوزها ومنهم من منعها . فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل ، وكذلك أعجبهم ـ حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ـ ذكر عبد الملك بن مروان فيه ، وإن كان من بغضائه [5] ، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه ، فسيحتج [6] بقضائه أيضاً مثله ، وإذا طعن فيه ، طعن فيه بمثله .

وأخرج البخاري عن عبد الله بن دينار [7] ، قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : « إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت ، وان بني قد أقروا [8] بمثل ذلك » وهذا المأمون [9] كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق [10] ، وأظهروا [11] بدعتهم ،

---

(١) عبد الملك بن مروان أبو الوليد خليفة فقيه توفي سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ .

(٢) أي نسب زياداً إلى ابن سفيان .

(٣) ب ، ج ، ز : ما .

(٤) ب ، ج ، ز : حقاً .

(٥) ب ، ج ، ز : وان كان بقضائه . وقرأها محب الدين واذكاره بقضائه . (ص ٢٥٠) .

(٦) ج ، ز : فستحتج .

(٧) عبد الله بن دينار مولى ابن عمر توفي سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ بالمدينة .

(٨) ج : أمروا .

(٩) توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ .

(١٠) أبو جعفر أو أبو القاسم هارون بن المعتصم توفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ .

(١١) د : فأظهروا .

فصارت [١] مسألة معلومة ، إذا ابتدع القاضي أو [٢] الإمام هل تصح ولايته [٣] وتنفذ أحكامه أم هي مردودة ؟ وهي مسألة معروفة . وهذا أشد [٤] من برودات ذكرها [٥] أصحاب التواريخ من : أن فلاناً الخليفة شرب الخمر ، أو غنى ، أو فسق ، وتزنى [٦] ، فإن هذا القول في القرآن بدعة أو [٧] كفر على اختلاف العلماء فيه ، قد اشتهروا به ، وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها ، إن كانوا فعلوها ، فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال (و ١٢٦ ب) المغنين ، والبراد من المؤرخين ، قصدوا [٨] بذكر ذلك عنهم ، تسهيل المعاصي على الناس ، وليقولوا : إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا ، فما يستبعد ذلك منا ، وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب ، وقراءتها ، لرغبتهم في مثل أفعالهم [٩] ، حتى صار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وحتى سامحوا الجاحظ [١٠] ، أن تقرأ [١١] كتبه في المساجد ، وفيها من الباطل والكذب والمناكير [١٢] ، ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة ، كما قال في اسحق صلى الله عليه وسلم في كتاب الضلال والتضليل [١٣] ، كما [١٤] مكنوا من قراءة كتب

---

(١) ب ، د : وصارت . ز : في الهامش : في نسخة : وصارت .

(٢) ب ، ج ، ز : — أ .

(٣) ب ، ج ، ز : أو .

(٤) ج ، ز : أشكل .

(٥) د : — ذكرها .

(٦) ب ، ج ، ز : زنا .

(٧) د : — أ .

(٨) د : فصدوا .

(٩) د : أفعاله .

(١٠) ب ، ج ، ز : للجاحظ .

(١١) ج ، ز : يقرأ .

(١٢) ب ، ج ، ز : المناكر .

(١٣) ب ، ج ، ز : التضلال . ويقصد بذلك كتاب البيان والتبيين .

(١٤) ب ، د ، ز : وكما .

الفلاسفة في إنكار الصانع ، وإبطال الشرائع ، لما لوزرائهم ، وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة ، والمقاصد الباطلة .

فإن زل فقيه ، أو أساء العبارة عالم :

يكن ما أساء النار في رأس كبكبا [1]

وبالوقوف على هذه الفصول تحسن نياتكم [2] ، وتسلم من [3] التغير قلوبكم على ما سبق . وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار ، بل في درهم إلا عدلاً بريئاً من التهمة [4] سليماً من [5] الشهوة . فكيف تقبلون في أحوال السلف ، وما جرى بين الأوائل ، من ليس له مرتبة في الدين ، فكيف في العدالة ! فرحم الله عمر بن عبد العزيز [6] حيث قال : ـ وقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة ـ (تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يفعلون) [7] (البقرة / ١٣٤) .

قاصمة وعاصمتها :

---

(١) بيت للأعشى أوله :

وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

والكبكب : جبل خلف عرفات .

(٢) ج ، ز : نيتكم .

(٣) ب ، د ، ز : عن .

(٤) ب ، ج ، ز : التهم .

(٥) د : عن .

(٦) خامس الخلفاء الراشدين أبو خفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي توفي سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ .

(٧) هنا انتهى النص الذي نشره الشيخ محب الدين الخطيب المتوفي سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ بالقاهرة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أنزل القرآن[1] على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)[2] عظم الناس هذا الحديث ، وتكلموا على معناه ، واختلفوا فيه[3] . وقد بينت أقوالهم ، وحررت مقاطع الكلام في جزء مفرد ، ووقع[4] منثوراً ، حيثما جاء الكلام عليه من « الأمالي » ومعنى الكلام (و ١٢٧ أ) : أن الله[5] وسع على هذه الأمة ، وأذن للصحابة في أن يقرأ كل واحد[6] بما استطاع من لغته ، ولذلك أذن لعمر بن الخطاب[7] ، وهشام بن حكيم[8] ، في قراءتهما ، وكانا قرشيين ، وأذن لأبي بن كعب الأنصاري[9] ومن خالفه[10] في القراءة بأن يقرأ كل واحد منهما بما كان قرأ . قال أبيّ : فدخل قلبي ما لم يدخله قط مذ أسلمت ، فقال لي النبي[11] : (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه) واستمرت الحال هكذا حياة النبي رخصة من الله ، وتوسعة على الخلق ، إذ لو كلفوا أن يقرأوا باللغة التي نزل القرآن بها ، وهي لغة قريش ، لنفر قوم ، وشق على آخرين ، والشريعة سمحة ، ولم يزل جبريل يتعاهد النبي[12] بالقرآن[13] في رمضان

---

(١) ج : – أنزه القرآن . د : الفرقان .
(٢) أخرجه الطبراني والبخاري مع اختلاف في اللفظ .
(٣) د : – فيه .
(٤) ج ، ز : فوقع .
(٥) د : + سبحانه .
(٦) د : أحد .
(٧) ب ، ج ، ز : + رضي الله .
(٨) هشام بن حكيم بن حزام توفي بعد سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ .
(٩) أبي بن كعب أبو المنذر توفي سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ .
(١٠) ب : – ومن خالفه .
(١١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(١٣) ب ، ج ، ز : – بالقرآن .

ويدارسه[1] ، حتى كان العام الذي توفي فيه ، دارسه به[2] مرتين فقال النبي[3] : (أرى أجلي قد حضر) والنبي يضبط كل الذي يدارسه به ، ويمليه على كتابه ، ويقيده[4] في الصحف ثم استأثر الله برسوله[5] ، واشتعلت الفتنة ، واشتغلت[6] الصحابة بتمهيد الإسلام ، وتوطيد الدين ، وتأليف القلوب على شعائر الإسلام ، فلما كان يوم اليمامة في عهد أبي بكر ، واستحر القتل بالقراء قال زيد بن ثابت : فأرسل إليّ أبو بكر فجئته فإذا عمر عنده ، فقال لي أبو بكر : إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد استحر بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بهم في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير . وذكر الحديث المتقدم في ذكر عثمان رضي الله عنه – إلى قوله – : ووجدت آخر سورة التوبة عند خزيمة بن ثابت . فنفذ[7] وعد الله في ذلك بالحفظ على يدي شريفي[8] الإسلام ، وكريمي الدنيا والآخرة ، (وسيدي كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين)[9] . وكان هذا أصلاً في استعمال الرأي في الدين ، والحكم من المصالح والمعاني بما لم يكن ذكره[10] النبي صلى الله (و ١٢٧ ب) عليه وسلم . فلما كان زمان[11] عثمان تمم الله[12] هذه البقية على

---

(١) ج : + القرآن .

(٢) ب ، ج ، ز : – به .

(٣) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٤) ب : بقيده .

(٥) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٦) ب : وانشغلت .

(٧) ج ، ز : فنفد .

(٨) ب : شرفي .

(٩) د : – ما بين القوسين .

(١٠) د : بما لم يذكره .

(١١) د : زمن .

(١٢) ب : – الله .

يديه ، فجاءه حذيفة ، وكان بمغازي [١] فتح أرمينية ، وأذربيجان ، فقال له [٢] : يا أمير المؤمنين أدرك الناس قبل أن يختلفوا في القرآن كما اختلفت اليهود والنصارى وكانت الصحف الأول [٣] قد استقرت عند أبي بكر ، ثم عند عمر ثم عند حفصة ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي [٤] إليّ بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت حفصة [٥] إلى عثمان بها ، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص [٦] ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير ، أن انسخوا الصحف في المصاحف ، فبعث عثمان إلى كل أفق بمصحف . وقال زيد : فقدت آية من سورة الأحزاب ، كنت أسمع رسول الله [٧] يقرأها (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فوجدتها [٨] مع خزيمة بن ثابت . قال الزهري : فاختلفوا يومئذ في التابوت ، أو التابوه [٩] ، فقال عثمان : اكتبوه بالتاء فإن القرآن نزل بلغة قريش .

وكتبت المصاحف [١٠] ، ووجه بها عثمان إلى الآفاق . انتهى الحديث الصحيح . ثم روي بعد ذلك أنه كتب سبعة [١١] مصاحف : مصحف لمكة ، وللبصرة ،

---

(١) ب ، ج ، ز : يغازي .
(٢) ب ، ج ، ز : — له .
(٣) ز : في الهامش : في نسخة : الأولى .
(٤) ب ، ج ، ز : ارسل .
(٥) د : تكرر حفصة .
(٦) ج ، د ، ز : العاصي .
(٧) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .
(٨) ب : فوجدها .
(٩) ج ، ز : الثابوت .
(١٠) ب ، ج ، ز : الصحف .
(١١) ب ، ج ، ز : سبع .

وللكوفة[١] ، وللشام[٢] ، ولليمن ، وللبحرين ، وحبس عنده واحداً . فأما مصحف اليمن والبحرين فلم يسمع لهما خبر . و[٣] يروى أنه أرسل ثلاثة[٤] مصاحف إلى الشام والعراق واليمن . وروي أنه أرسل أربعة إلى الشام ، والحجاز ، والكوفة ، والبصرة ، وحبس واحداً عنده[٥] وهو الأصح . وكانت هذه المصاحف تذكرة لئلا يضيع القرآن ، وتبصرة لئلا يضل الخلق بالاختلاف فإنهم لو قرأوا آخراً كما كانت قراءتهم أولاً ، لم ينضبط الأمر ، وكان الخرق يتسع ، والاختلاف يقع ، فنسخ[٦] الإجماع الرفق[٧] المتيسر في (و ١٢٨ أ) أول الإسلام بالمصلحة المتحققة آخراً[٨] ، في ضبط الأمر ، ورده إلى القانون الذي نزل القرآن عليه ، فكانت المصاحف أصلاً ، وكانت القراءة رواية أقرأت الصحابة التابعين ، وكان نقل المصحف إلى نسخه[٩] على النحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابة عثمان ، وزيد ، وأبيّ ، وسواهم ، من غير نقط ، ولا ضبط . واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف ، نوع من الرفق في القراءة باختلاف الضبط ، وفي أثناء النقل اختلفت[١٠] المصاحف في أحرف يسيرة ، أربعة أو خمسة ، ثم زاد الأمر إلى أن اختلف[١١] القراء في زيادة أربعين حرفاً ،

---

(١) د : الكوفة .
(٢) د : الشام .
(٣) د : روي .
(٤) ج ، ز : ثلاث .
(٥) د : — عنده .
(٦) د : فسخ .
(٧) د : للرفق .
(٨) ج : آخره .
(٩) ج : نسخة .
(١٠) ج : اختلف .
(١١) ب ، ج ، ز : اختلفت .

منها واو ، وألف ، وياء . وأما « كلمة » فلم تكن[1] إلا في حرفين أحدهما في « التوبة » والآخر[2] في « الحديد » [(فإن الله هو الغني الحميد) (الحديد /٢٤) بزيادة « هو » ، قرأت الجماعة إلا نافعاً[3] وابن عامر[4]][5] وهذا أمر يسير ، لا يؤثر في الدين ، ولا يحط من حفظ القرآن .

وقد رويت أحرف كثيرة زيدت من غير هذه الروايات المعروفة . فإن قيل : فهذه الروايات المعروفة ، ما شأنها ؟ هل عندك بيانها ؟ قلنا : نعم ، قد تكلم عليها العلماء وتعاطاها من أهلها ، من ليس من أهلها ، كما جرى في كل علم . فذكر أبو حاتم[6] ، القراء وأقوالهم[7] وقراءاتهم ، وأسقط حمزة[8] ، والكسائي[9] وابن عامر ، وزاد عشرين رجلاً . وجمع أبو عبيد[10] قراءات ، وجمع اسماعيل القاضي[11] ، وجمع ابن مجاهد[12] وعد ، يعقوب[13] من السبعة ثم أسقطه[14] بعد

---

(١) ب ، ج ، ز : يكن .

(٢) ج : الأخرى .

(٣) أبو عبد الرحمن أو أبو رويم الليثي نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة . توفي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ .

(٤) عبد الله بن عامر ويكنى أبو عمران دمشقي توفي بها سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ .

(٥) د : – ما بين القوسين .

(٦) سهل بن محمد مقرئ لغوي نحوي توفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ وقيل سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ .

(٧) ب ، ج ، ز : – وأقوالهم .

(٨) أبو عمارة حمزة بن حبيب التيمي الزيات توفي سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٢ وهو كوفي .

(٩) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي توفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٤ .

(١٠) القاسم بن سلام . توفي سنة ٢٢٤ هـ / ٨٥٨ .

(١١) اسماعيل القاضي بن اسحاق الأزدي قاضي بغداد توفي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ .

(١٢) أبو بكر أحمد بن موسى مقرئ العراق توفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ .

(١٣) أبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي مقرئ أهل البصرة توفي ٢٠٦ هـ / ٨٢١ .

(١٤) د : أسقط .

أن تكلم [١] فيه ، وذكر الكسائي ، والكسائي من حمزة كيعقوب من أبي عمرو [٢] ، وقد قرأ أبو عمرو على ابن كثير [٣] . وقد ذكر الطبري في [٤] كتاب القراءات ، وذكر نحوا من عشرين قارئاً . ذلك كله [٥] لتعلموا [٦] أن ضبط الأمر على سبع قراء ليس له أصل في الشريعة ، وقد جمع قوم ثماني قراءات ، وقد جمع آخرون عشر قراءات . والأصل في ذلك كله عندي : أن [٧] النبي صلى الله عليه وسلم لما [٨] قال : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) انقسم الحال بقوم ، فظن جاهلون [٩] أنها سبع قراءات ، وهذا ما لا يصح في علم عالم ، وتيمن آخرون بهذا اللفظ فقالوا [١٠] : تعال فلنجمع سبع قراءات ، وكانت الأمصار جمة [١١] ، وقد جمع قراؤها وقراءاتها ، حتى خطر هذا الخاطر لمن خطر ، فجمع السبع وهو ابن مجاهد ، وذكر يعقوب فأسقط بالسلطان ، وذكر الكسائي ، وألزمت المملكة ذلك للناس ، فجرى القول فيه كذلك ، وجرت القراءة على حرف أبي عمرو بالعراق إلى اليوم . ولما ظهرت الأموية على المغرب ، وأرادت الانفراد عن العباسية ، وجدت [١٢] المغرب على مذهب الأوزاعي [١٣] فأقامت ـ في قولها ـ رسم السنة ، وأخذت

---

(١) ج : كلم . د : اسقط إذ كلم . في هامش (ب ، ز) : في نسخة : إذ .

(٢) أبو عمرو بن العلاء المازني مقرئ البصرة توفي سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ .

(٣) أبو معبد عبد الله بن كثير مقرئ مكة توفي سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٧ .

(٤) د : – في .

(٥) د : – كله .

(٦) د : ليعلموا .

(٧) د : بداية سقوط مقدار ورقة ونصف منها .

(٨) ج : – لما .

(٩) ج ، ز : جاهل من .

(١٠) ج : فقال .

(١١) ج ، ز : خمسة .

(١٢) ب : وحدت .

(١٣) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام الشام توفي سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ .

بمذهب أهل المدينة في فقههم وقراءتهم ، وكانت أقرب من إليهم قراءة ورش [1] ، فحملت روايته ، وألزم الناس بالمغرب حرف نافع ، ومذهب مالك ، فجروا عليه ، وصاروا لا يتعدونه ، وحمل حرف قالون [2] إلى العراق ، فهو فيه أشهر من ورش ، وكذلك هو ، فإن إسماعيل القاضي نوه بذكر قالون . فأما ورش فلم يحمل عنه من له ظهور في العلم . ودخلت بعد ذلك الكتب وتوطدت الدولة فأذن في سائر العلوم ، وترامت الحال إلى أن كثرت الروايات ، في هذه القراءات ، وعظم الاختلاف ، حتى انتهت في السبع إلى ألف وخمسمائة رواية ، وفي شاذ السبع إلى نحو الخمسمائة . وأكب الخلق على الحروف ليضبطوها فأهملوها ، وليحصروها فأرسلوها إلى غير غاية . وأراد بعضهم أن يردها إلى الأصل فقرأ بكل لغة ، وقال : هذه لغة بني فلان ، وهذه لغة بني فلان .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : وبعد أن ضبط الله الحروف ، والسور ، لا تبالون [3] بهذه التكليفات فإنها زيادات في التشغيب ، وخالية من [4] الأجر ، بل ربما دخلت في الوزر . ولقد انتهى التكليف بقوم إلى أن رووا في بعض سور القرآن ، التهليل والتكبير . وما ثبت ذلك قط عن عدل ، ولا نقل في صحيح . وانتهت الحال ببعضهم إلى أن يرى [5] البسلمة عند كل ابتداء ، كان في أول السورة أو لم يكن ، حين رأى بعضهم قد قال : لا نبسمل [6] إلا في سورة مخصوصة ، يتصل أول سورة بآخر أخرى ، على التضاد فيفصل بالبسلمة ، وغفل عن نوع

---

(١) أبو سعيد عثمان بن سعيد القيرواني صاحب نافع توفي ١٩٧ هـ / ٨١٢ .

(٢) أبو موسى عيسى بن مينا الزهري قارئ أهل المدينة وصاحب نافع . توفي سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ .

(٣) كذا في : ب ، ج ، ز .

(٤) ج ، ز : عن .

(٥) ب ، ج ، ز : يرون . وفي هامش (ز) : في نسخة : يرى .

(٦) ج ، ز : يبسمل .

كثير في القرآن من ذلك كان ينبغي أن يبسمل فيه ، أو يستعيذ ، لئلا يتصل الشيء بنقيضه في المعنى . فلئن قال : ان قوله في آخر[1] « الفجر » : (وادخلي جنتي) (الفجر /٣٠) لا بد أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . وحينئذ : (لا أقسم) (البلد /١) لئلا يتصل قولك : (لا) بقولك : (ادخلي جنتي) يقال له : فكيف يتصل قوله : (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار ، الذين يحملون العرش ومن حوله) (غافر /٧) وهذا لازم ، حتى انتهت الجهالة إلى البدعة بقوم ، فكان المقرئ منهم [2] بمكة في عشر الخمسمائة يبسمل في سورة « براءة » ويتلوه ويرويه[3] . وهذه بدعة خرقت إجماع الصحابة ، والأمة ، وهو كلة كذب موضوع ، يلزم رواتها الأدب ، وقائلها الاستتابة .

كيفية القراءة [4] اليوم :

قال بعضهم : نقرأ بما اجتمعت فيه ثلاثة [5] شروط : ما صح نقله ، وصح في العربية لفظه ، ووافق خط المصحف . وقال إسماعيل القاضي : ما وافق خط المصحف يقرأ به . وهذا كله إنما أوجبه ، أن جمع السبع لم يكن بإجماع ، وإنما كان باختيار من واحد ، أو آحاد ، والمختار أن يقرأ المسلمون على خط المصحف بكل[6] ما صح في النقل ، ولا يخرجوا عنه ، ولا يلتفتوا إلى قول من يقول : نقرأ السورة الواحدة أو القرآن بحرف قارئ واحد ، بل يقرأ بأي حرف أراد ، ولا يلزمه أن يجعل حرفاً واحداً ديدنه [7] ، ولا أصله . والكل قرآن صحيح ، وضمّ

---

(١) ج : + سورة .
(٢) ز : – منهم .
(٣) ج ، ز : يرونه .
(٤) ج : القراءات .
(٥) ج ، ز : ثلاث .
(٦) ج : بل كل .
(٧) ب : ديدانه .

حرف إلى حرف ، وقارئ إلى قارئ ، ليس له في الشريعة أصل . وما من القراء واحد ، إلا وقد قرأ بما قرأ به الآخر ، وإنما هذه اختياراتهم ، وليس يلزم اختياراتهم أحداً ، فإنهم ليسوا بمعصومين ، ولا دل دليل على لزوم قول واحد [1] من الصحابة ، فكيف بهؤلاء القراء ! ولكن لما صارت هذه القراءة صناعة ، رفرفوا عليها ، وناضلوا عنها ، وأفنوا أعمارهم من غير حاجة إليهم ، فيها . فيموت أحدهم ، وقد أقام القرآن ، كما [2] يقام القدح لفظاً ، وكسر معانيه كسر الإناء ، فلم يلتئم عليه منها معنى ، ولا فرق بين أن يقرأ كتاب أبي عبيد ، أو الطبري ، وهما [3] خير من كتاب ابن مجاهد ، وأصح . فعلى أحدهما عولوا إن أردتم النظر في شيء من ضبط الحروف ، فإن قيل : فما صح سنده من القراءات [4] وخالف خط المصحف ، ماذا [5] ترون ؟ قلنا : لا يقرأ به بحال ، فإن الإجماع قد انعقد على تركه ، ألا ترى إلى ابن مسعود ، كره [6] نسخ زيد بن ثابت للمصاحف ، وقال : يا معشر المسلمين أأعزل [7] عن نسخ كتابة المصحف ، ويتولاها رجل ، والله ، لقد أسلمت ، وانه لفي صلب رجل كافر ؟ يريد زيد بن ثابت وقال ابن مسعود : يا أهل العراق إن الله يقول : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) (آل عمران / ١٦١) وأنا غال مصحفي ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل . فكره ذلك من مقالة ابن مسعود ، رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : أتأمروني [8] أن أقرأ على قراءة زيد ، ولقد حفظت من في رسول

---

(١) ز : في الهامش : في نسخة : أحد .

(٢) ج ، ز : بما .

(٣) كذا في ب ، ج ، ز : وصححت على هامش ج : هما .

(٤) ب : القرآن .

(٥) ج : فما .

(٦) ج : ذكره .

(٧) ج : أعزل .

(٨) في : ب ، ج ، ز : ولعل صوابه : أتأمروني .

الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا سورة ، وإنه لفي صلب كافر . قلنا : هذا كله صحيح ، وقد بينا أنه كان يقرأ هو وأبيّ ، وزيد ، وعمر ، وهشام ، وكل أحد ، والنبي يقرئ الكل ، ثم حدث من الأمر كما قدمنا ، واستقرت الحال كما بينا ، فكان الواجب على ابن مسعود ، وسواه ، أن يرجع إلى المتفق عليه ، ولا حجة لابن مسعود على عثمان في اختياره لزيد ، فإن أبا بكر وعمر ، قد اختاراه ، وعبد الله بن مسعود حي[1] ، حاضر ، وسواه . واعلموا بهذا وغيره أن عثمان مظلوم في كل ما يؤخذ عليه فيه فإنه[2] اقتدى بمن سبقه من الخلفاء ، وبم[3] يخص بالملامة دونهم ؟ وهذا من فساد الناس ، وقلة انصافهم .

سبب الاختلاف :

وقد قال بعض الناس : إن سبب اختلاف القراء بعد خط المصحف ، أن الناس كانت لهم قبل إرسال عثمان المصاحف ، قراءات ، فلما ردوا إلى خط المصحف ، التزموا ذلك فيما كان محفوظاً ، وقرأ كل واحد بما كان عنده ملفوظاً ، مما لم يعارض الخط ، وهذا ممكن ظاهر . والذي قلناه هو الأصل الذي يعول عليه . والله الموفق للصواب برحمته . والذي اختاره لنفسي إذا قرأت ، أكثر الحروف المنسوبة إلى قالون ، إلا الهمز فإني أتركه أصلاً ، إلا فيما يحيل المعنى ، أو يلبسه مع غيره ، أو يسقط المعنى بإسقاطه . ولا أكسر باء « بيوت » ، ولا عين « عيون » فإن الخروج من كسر إلى ياء مضمومة لم أقدر عليه ، ولا أكسر ميم « مت » ، وما كنت لأمدّ مدّ حمزة ، ولا أقف على الساكن وقفته[4] . ولا أقرأ بالإدغام الكبير لأبي عمرو ، ولو رواه في تسعين ألفاً[5] قراءة ، فكيف في

---

(١) ج : حين .

(٢) ب : ان .

(٣) ب : ثم . ز : بم .

(٤) ج : وقفة .

(٥) ج : ألف .

رواية « بحرف من سبعة أحرف » . ولا أمد ميم ابن كثير . ولا أضم هاء « عليهم » و « إليهم » وذلك أخف . وهذه كلها أو أكثرها عندي لغات ، لا قراءات ، لأنها لم يثبت منها عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] شيء ، وإذا تأملتها رأيتها اختيارات مبنية على معان ولغات [2] .

وأقوى القراءات سنداً قراءة عاصم [3] عن ابن عبد الرحمن [4] عن علي ، وعبد الله بن عامر . فما اجتمع رواة [5] هؤلاء عليه فهو ثابت ، وقراءة [6] ابي جعفر ثابتة صحيحة ، لا كلام فيها . وطلبت أسانيد الباقين فلم أجد فيها مشهوراً ، ورأيت أمرها على اللغات ، وخط المصحف مبيناً [7] . والله أعلم .

قاصمة :

ولما نزلت هذه العواصم منازلها [8] ، وأصابت من القواصم شواكلها ، وخلصت

---

(١) ز : — صلى الله عليه وسلم .

(٢) ب : في الهامش : قال العلامة المجيد سيدي محمد محمد بن غازي (بياض) على البخاري ، ما نصه : لعل تقف على كلام القاضي أبي بكر بن العربي في كتاب العواصم والقواصم حيث طعن في بعض المقارئ السبعة فاعطه الأذن الصماء فان يد الله مع الجماعة . وقد حدثنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير ، عن شيخه الأستاذ أبي العباس بن أبي موسى الفيلالي أنه كان يحذر من ذلك كثيراً انتهى فاعرفه لكاتبه أحمد بن عبد الله السوسي غفر الله له بفضله ورحمته آمين .

(٣) عاصم بن أبي النجود الأسدي مقرئ الكوفة . توفي سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ .

(٤) عبد الرحمن السلمي . توفي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ . (كتاب الطبقات لخليفة بن خياط ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ ص ٣١٠) .

(٥) ج : رواية .

(٦) ج ، ز : قراءات .

(٧) ج : + عليه .

(٨) ج : نوازلها .

العقائد من شبهاتها في قواعدها ، وحملت سائر حملها على معاقدها التي ربطناها لها ، واستعين عليها بما قرره العلماء في كتبهم ، وبما أومأنا نحن إليه (و ١٢٨ ب) في تعاليقنا[١] ، عطفنا عنان القول ، على[٢] مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى . وقد كانت على مرتبتها في الصدر الأول ، ثم نزلت[٣] حتى كثرت[٤] البدع ، وذهب العلماء ، وتسترت المبتدعة بالشريعة ، فتعاطت منصب الفقهاء ، وتعلقت أطماع الجهال بها ، فنالوها بفساد الزمان ، وبنفوذ وعد الصادق في قوله : (اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ونحن نعقد في ذلك عواصم ، تكون[٥] رشداً من الضلال ، وسلماً من الخبال ، وتقيّاً[٦] من[٧] الخيال ، بعون الله[٨] ، وذلك بين[٩] في تعداد القواصم[١٠] ، واتباعها في عواصمها .

قاصمة في حكاية سبب هذا الخبال :

فإن من عرف السبب أمكنه دفع[١١] المسبب ، بقطع سببه ، وأما قطع المسبب ،

---

(١) ب ، ج ، ز : تعالقنا . د : تعاليقها . وبهذا اللفظ ينتهي ما سقط من (د) .
(٢) ج ، ز : في .
(٣) د : تنزلت .
(٤) ج : كثر .
(٥) ب : يكون .
(٦) ب ، د : يقيناً .
(٧) د : عن .
(٨) ب : ــ بعون الله .
(٩) ب : يبين .
(١٠) ج : العواصم .
(١١) د : رفع .

مع بقاء[1] سببه[2] فعسير[3] . وكان سبب ذلك أن الفتن لما[4] ضربت رواقها ، وتقاتلت العباسية والأموية ، وبعدت أقطار الإسلام ، وتعذر ضبطها بالنظام ، وانتشرت الرعية ، نفذ[5] إلى هذه البلاد بعض الأموية ، فألفى ها هنا عصبية فثاروا به ، وأظهر الحق ، وقال : أحمي السنة ، فلا فقه إلا فقه أهل المدينة ، ولا قراءة إلا قراءتهم . فألزموا[6] الناس العمل بمذهب مالك ، والقراءة على رواية[7] نافع ، ولم يمكنهم من النظر والتخيير في[8] مقتضى الأدلة ، متى خرج ذلك عن رأي أهل المدينة ، وذلك لما رأوه من تعظيم مالك لسلفهم ، ولما أرادوه من صرف قلوب[9] الناس[10] إليهم ، في تعلقهم بسيرة حرم رسول الله[11] ، و[12] دار نبوته ، ومقر سنته ، فصار التقليد دينهم ، والاقتداء يقينهم[13] ، فكلما جاء أحد من المشرق بعلم ، دفعوا في صدره ، وحقروا من أمره ، إلا أن يستتر عندهم

---

(١) ب : ابقـاء .

(٢) ب ، ز : + كما كان قبل قطعه . ج : يعود كما كان قبل قطعه وفي هامش (ز) : عله : يعود . ويبدو أن ناسخ (ج) أخذها فجعلها في المتن . د : – يعود كما كان قبل قطعه .

(٣) ب ، ج ، ز : – فعسير .

(٤) ب : – لما .

(٥) ب : ونفذ .

(٦) د : فالتزم .

(٧) ب : القراءة . ج ، ز : القراءات .

(٨) ز : على الهامش : في نسخة : على .

(٩) ب : القلوب .

(١٠) ب : – الناس .

(١١) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(١٢) ج : – و .

(١٣) ج ، ز : بغيتهم .

بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم[1] (و ١٢٩ أ) على رسم التبعية ، منهم بقي ابن مخلد[2] ، رحل فلقي علماء الأمة ، وسادة[3] العلم ، ورفعاء[4] الملة ، كأحمد ابن حنبل وأكرم ، فارتبط ، وظفر فاغتبط[5] ، وجاء[6] بعلم عظيم ، ودين قويم ، ولم يكن له أن يرتبط بمذهب أحد ، وقد كان رقي من[7] العلم يفاعه ، مع تفنن في العلوم ، ومنة في نفسه . وجاء ابن وضاح[8] بمثله . فأمابقي بن مخلد[9] فكان مهجوراً حتى مات . وأما ابن وضاح فلقي سحنون[10] ، وتشرف بأصحاب مالك ، وتتلمذ ليحيي بن يحيي[11] ، وأعان المطالب لبقى ، شهادة[12] فكأنه رقي المنازل ، وطار في الدولة بجناح ، وبقيت الحال هكذا ، فماتت العلوم إلا عند آحاد حي بشيء[13] من[14] الحديث ، واستمرت القرون على موت العلم وظهور[15]

---

(١) ز : على الهامش : في نسخة : العلوم .

(٢) بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن توفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ .

(٣) د : سادات .

(٤) ج ، ز : رفقاء .

(٥) د : واغتبط .

(٦) ب : حل . ج ، ز : حد .

(٧) ب ، ج ، ز : في . وفي هامش (ز) : في نسخة : من .

(٨) محمد بن وضاح الحافظ الأندلسي يكنى بأبي عبد الله محدث زاهد . توفي سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ .

(٩) د : - ابن مخلد .

(١٠) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب المغربي المالكي . توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ .

(١١) يحيى بن يحيى الليثي المصمودي المغربي توفي سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ .

(١٢) د : - وأعان المطالب لبقي شهادة . ومعنى ذلك أنه شهد عليه وساعد خصومه على اتهامه .

(١٣) ب ، ج ، ز : « في خبر سير » بدل : « حي بشيء » .

(١٤) ج : - من . ب : + جرى .

(١٥) د : ظهر .

الجهل ، فكل من تخصص لم يقدر على أكثر من أن يتعلق ببدعة الظاهر ، فيقول : اتبع الرسول . فكان هذا عوناً على الباطل ، وذلك بقدر الله وقضائه .

ثم حدثت حوادث لم يلقوها [١] في منصوص المالكية فنظروا فيها بغير علم فتاهوا [٢] ، وجعل الخلف منهم يتبع في ذلك السلف ، حتى آلت الحال ألا ينظر إلى قول مالك ، وكبراء أصحابه ، ويقال : قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة [٣] ، وأهل طلبيرة ، وأهل طليطلة ، فانتقلوا من المدينة وفقائها [٤] ، إلى طلبيرة وطريقها وحدثت [٥] قاصمة أخرى في تعلم العلم ، فصار الصبي عندهم إذا عقل ، فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم ، علموه كتاب الله [٦] ، فإذا حذقه ، نقلوه إلى الأدب ، فإذا نهض فيه [٧] ، حفظوه « الموطأ » ، فإذا لقنه ، نقلوه إلى « المدوّنة » ، ثم ينقلونه [٨] إلى « وثائق ابن العطار [٩] » ثم يختمون [١٠] له بأحكام ابن سهل [١١] ، فقال : قال فلان الطليطلي ، وفلان المجريطي ، وابن مغيث [١٢] ،

---

(١) ج ، ز : يلفوها .

(٢) ج ، ز : – فتاهوا .

(٣) د : شلمانكة .

(٤) د : فقهها .

(٥) ب ، ز : حديث . وفي هامش (ز) بخط آخر : حدثت .

(٦) ج ، ز : + تعالى .

(٧) ب ، ج ، ز : منه .

(٨) ب ، ج ، ز : ينقلوه .

(٩) ابن العطار هو محمد بن أحمد بن عبد الله . توفي سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ .

(١٠) د : يحتموا .

(١١) ابن سهل هو عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبد الله الأسدي . توفي بغرناطة سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ ويسمى كتابه : الاعلام بنوازل الأحكام .

(١٢) أحمد مغيث أبو جعفر فقيه طليطلة توفي سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ .

لا أغاث الله نداءه[1] ، ولا أنالـه رجاءه[2] ، فيرجع القهقرى أبـداً ، إلى وراء[3] ، على[4] أمه الهاوية .

ولولا أن طائفة نفرت إلى دار العلم ، وجاءت بلباب[5] منه ، كالأصيلي[6] ، والباجي[7] ، فرشت من ماء العلم[8] على هذه القلوب الميتة ، وعطرت (و ١٢٩ ب) أنفاس الأمة الزفرة[9] ، لكان الدين قد ذهب . هذا مع أنه قد رحل[10] قوم من الضلال[11] ، كمسلمة بن قاسم[12] ، ومحمد بن مسرة[13] ، فجاءوا بكل مضرة ، ومعرة ، ورحل البلوطي[14] ، ولقي[15] الجبائي ، فجاء[16] ببدعة القدرية في الاعتقاد ، ونحلة الداودية في الأعمال . ولكن تدارك الباري بقدرته ضرر هؤلاء بنفع أولئك ،

---

(١) ب ، ج : نداه . ز : يداه .
(٢) ب ، ج ، ز : رجاه .
(٣) ب ، ج ، ز : ورأى .
(٤) ب : إلى .
(٥) ج ، ز : بلبان .
(٦) أبو محمد عبد الله بن ابراهيم المغربي توفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ .
(٧) سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي توفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ .
(٨) د : العلوم .
(٩) ج : في الهامش بخط آخر : يصح : الذفرة .
(١٠) د : ذهب .
(١١) د : شطب على « قوم من الضلال » .
(١٢) مسلمة بن القاسم بن ابراهيم مؤرخ ومحدث أندلسي قرطبي توفي سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ .
(١٣) محمد بن عبد الله مسرة توفي سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ .
(١٤) أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة توفي سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ .
(١٥) ب ، ج ، ز : فلقى .
(١٦) ب ، ج ، ز : وجاء .

وتماسكت الحال قليلاً . فإذا حلت بمسلم نازلة في اعتقاده [1] ألفى [2] قاصمة الدهر من عقائد البلوطي ، ومسلمة ، وابن مسرة ، فأشركوا بالله [3] مالم ينزل به سلطاناً ، وأروه [4] أنهم [5] لا يألونه تحقيقاً وبرهاناً ، أو يصادف في دينه العملي داودياً . فإذا بدينه قد تدود ، ونظام شرعه قد تبدد ، فإن لقي مالكياً ، وهي أشبه الحال ، فيعرض [6] عليه عقيدته ، فيحمله على الحق من غير قصد ، فيحصل السائل على الأجر ، ويبوء [7] هو بالوزر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : القضاة ثلاثة ، قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، رجل قضى بغير الحق [8] ، وهو يعلم [9] فذلك [10] في النار ، وقاض لا يعلم ، فأهلك حقوق الناس ، فهو في النار ، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة . وإن سأله عن مسألة من عمله في الدنيا [11] لم يقف عند سؤاله ، ولكنه إن كانت في حكومة لقنه ، وتلقين الخصم ، فيه ما فيه . وإن كانت [12] فيما يختص به مثل يمين [13] ، سأله عن كيفية يمينه [14] ، وسببها [15]

(١) د : اعتقاد .
(٢) ب : لقي .
(٣) ج ، د ، ز : في الله .
(٤) ب ، ج ، ز : راوه . وفي هامش (ب ، ز) : في نسخة : أروه .
(٥) د : أنه .
(٦) ب : فتعرض .
(٧) ب ، د : ينوء .
(٨) ب ، ج ، ز : حق .
(٩) د : فعلم . – وهو .
(١٠) ب : فذاك .
(١١) د : من علمه الديني .
(١٢) ج ، د ، ز : كان .
(١٣) د : – مثل يمين .
(١٤) ج : تكرر : سأله عن كيفية يمينه .
(١٥) د : – سببها .

وهيئتها[1] ، وبساطها ، ونيته فيها ، وجعل يفتله[2] في الذروة والغارب ، لعله أن يصرفه بالخيبة ، عما رجاه في تلك القضية[3] ، وهذه جهالة عظمى .

قاصمة :

فإن ظهر عندهم من له معرفة ، أو جاءهم بفائدة في الدين ، وطريقة من سلف الصالحين ، وسرد لهم البراهين ، غمزوا[4] جانبه[5] ، وقبحوا[6] عجائبه ، وعيبوا[7] حقه استكباراً ، وعتوا ، وجحدوا علمه ، وقد استيقنته أنفسهم[8] ظلماً وعلواً ، وسعوا في إخمال ذكره ، وتحقير قدره ، وافتعلوا عليه ، وردوا كل عظيمة إليه . (و ١٣٠ أ) .

عاصمة :

هذا الذي قدمنا ذكره من فساد الزمان ، وتغير الأحوال ، قد أنذر به المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قبل وقوعه كما قدمنا وأخبر بأن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وأن المنكر يصير معروفاً ، والمعروف[9] منكراً . ومع هذا فإنه قال : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم)

---

(١) ب ، ج ، ز : — هيئتها .
(٢) ب ، ز : يقلبه .
(٣) د : القصة .
(٤) ب : عدموا . ج : عرفوا . ز : عرموا .
(٥) ب ، ز : جوانبه . ج : جوائبه .
(٦) ب : نبحوا . د : تنحوا . ز : نتجوا .
(٧) د : غيبوا .
(٨) د : نفوسهم .
(٩) ب : + يصير .

وتدعي كل طائفة[1] ذلك ، زين لها عملها ، وجاءها[2] كتابها وأجلها ، وعلى المرء أن يجتهد في إبراز الدليل ، وإظهار الحق ، والهدى هدى الله ، يهبه لمن يشاء ، وإذا بان الدليل ، يبقى خلق القبول ، فلا[3] أبين من أدلة الله تعالى ، على يدي رسل الله ، بآياته الباهرة[4] ، ثم يبقى القبول على قوم كثير لم يرزقوه ، والذي يجب على الولي في الصبي المسلم[5] ، كان أباً أو وصياً ، أو حاضناً ، أو الإمام ، إذا عقل أن يلقنه الإيمان ، ويعلمه الكتابة ، والحساب ، ويحفظه أشعار العرب العاربة ، ويعرفه العوامل في الإعراب ، وشيئاً من التصريف ثم يحفظه إذا استقل واشتد[6] في العشر الثاني ، كتاب الله . وهو أمر وسط بيننا[7] وبين أهل المشرق ، ثم يحفظه[8] أصول[9] سنن الرسول[10] ، وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب ، تضمنها[11] البخاري ومسلم ، هي عماد الدين ، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ، ومعاني كلماته ، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير ، وما الصحيح من حديث النبي[12] إلا كنقطة من بحر ، وليحذر كتب

---

(١) ز : في الهامش : اعرف هذه المقالة فاني ألفت في معناها رسالة سميتها : الكنز المصون في بعض ما يشير إليه قوله تعالى : (ولقد زينا لكل أمة عملهم) (كل حزب بما لديهم فرحون) .

(٢) ج : جاء .

(٣) ب : ولا .

(٤) ب ، ج ، ز : الظاهرة .

(٥) ج ، ز : + إذا . وفي هامش ب : في نسخة : إذا كان .

(٦) ب ، ج ، ز : استبد .

(٧) ب ، ج ، ز : متساو .

(٨) ب ، ج ، ز : يحفظ .

(٩) ج : − أصول .

(١٠) د : + صلى الله عليه وسلم .

(١١) ب ، ج ، ز : نظمها .

(١٢) ب ، ج ، ز : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصالحين[١] ، ومن ينتمي إلى الوعظ ، فإنهم لم يألوا في الكذب على رسول الله[٢] بقصد ، وبغير قصد ، ولا كتاب يعول[٣] على حديث منها إلا كتاب ابن المبارك[٤] ، وأحمد بن حنبل ، وهناد بن السري[٥] . ولا يفرط في علوم الفرائض فإنها أصل الدين ، وهو أول ما يذهب من المسلمين ، فبالسنة يفرضها ، وبالحساب يقسمها ، ولا يخلي[٦] نفسه عن[٧] الأنساب ، ولا عن شيء مـن أصول[٨] الطب ، وليتخذ عبارة الرؤيا أصلاً ، ولا يقل متى أحصل هذا ؟ فإنه ليس المطلوب منها الغاية ، فإنها لا تنالها إلا الأفراد ، وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء جزء منها ، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم ، فيكون إنساناً في الذي يعلم ، بهيمة فيما لا يعلم ، ولا سيما من أقام عمره حاسباً ، أو نحوياً ، فقد هلك ، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شيء ، فحشد[٩] الآلة عمره ، ثم مات ، قبل عمل صنعته ، ولا يصغ إلى من يقول له : تكن مقصراً في كل علم إذا فعلت هذا ، والأولى بك أن تقف نفسك على علم واحد ، فإنه قول جاهل بالعلم . إذا أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه ، سيعتمد[١٠] على ما يراه أوكد ، ويجعل الباقي تبعاً ، وأنبئكم أني ما رأيت بعيني محيطاً بهذه العلوم التي ذكرت لكم ، ولا مشاركاً فيها إلا واحداً[١١] ، فبان

---

(١) ز : في الهامش : هذا الكلام فيه نظر .

(٢) ب ، ج ، ز : + صلى الله عليه وسلم .

(٣) ز : في الهامش : عله : فيه .

(٤) عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن ، فقيه ، حافظ ، زاهد ، توفي سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ .

(٥) أبو السرى هناد بن السرى صاحب كتاب « الزهد » حافظ كوفي توفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٦ .

(٦) كذا في جميع النسخ : ولعله : لا يخل .

(٧) هنا يبدأ سقوط ما سقط من (د) بمقدار ثلاث ورقات ويستمر إلى آخر الكتاب .

(٨) ب : — أصول . في هامشها : في نسخة أصول الطب .

(٩) ج ، ز : فشحذ .

(١٠) ج : يستعمد .

(١١) ب ، ز : واحد .

أن الإحاطة غير ممكنة ، والمشاركة ممكنة ، والإحاطة بعلم واحد غير ممكن . هذا النحو ، ما علمت من أحاط به إلا سبويه [1] ، والفارسي [2] البدعي ، وقد أفسدت عليه بدعته كثيراً من نحوه . وإذا فهمت هذا ، فلا تنكر أن لا تجد عالماً ـ إن وجدته ـ إلا واحداً ، فإن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، حتى انه لما بدأ من واحد ، لا بد أن يعود إلى واحد ، لا سيا في البلاد القاصية ، والثغور النائية ، وحيث يكون الثوار لبعدهم عن مقر الخلافة ، ومعدن الإمامة ، ولو شاهدتم الشام ، والعراق في عشر تسعين وأربعمائة ، لرأيتم ديناً ظاهراً ، وعلماً وافراً ، وأمناً متسقاً ، وشملاً منتظماً ، لا تمكن [3] عبارة عنه لبهرة حاله ، وزهرة كماله ، فهبت عليه من المقادير جرجف من شمائل ، وجنائب فتركت الشام كأمس الذاهب ، ومحت كلمة الإسلام عن المسجد الأقصى ، وقتل فيها في غداة الجمعة لاثني عشر [4] بقيت لشعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ، ثلاثة آلاف [5]

---

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري إمام العربية وصاحب « الكتاب » توفي سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ (محمد بن الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ ص ٧٤ ، الذهبي ، العبر ، جـ١ ص ٢٧٨) .

(٢) أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد النحوي وكان فيما يقول الذهبي متهماً بالاعتزال ، توفي سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ (الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص ٤) . ز : في الهامش : قف على أن أبو علي الفارسي بدعي .

(٣) ج ، ز : يمكن .

قال الذهبي ان ذلك في سبع بقين من شعبان (العبر ، جـ٣ ص ٣٣٢) وفي النجوم

(٤) الزاهرة ان ذلك كان في ١٣ من شعبان (يوسف بن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ١٦٤) .

(٥) ويقول أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم أنه قيل أزيد من سبعين ألف (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ١٠٨) .

ما بين عابد ، وعالم ، ذكر وأنثى ، ومعتكف من مشهور الحالة ، ومذكور بالديانة ، وفيها قتلت العالمة الشيرازية [١] بقية السلسلة ، في جملة النساء ، وبموت الملك العادل [٢] في سنة ست وثمانين ، وبموت المقتدي بالله [٣] ، ظهرت الفتنة بأرض خراسان قامت الباطنية ، واختلفت أولاده ، وتمكنت الروم فغزت الشام ، واستولت على ثالث مشاهد الإسلام ، وخرجت ، وقد أخذت من « أبي جاد » إلى « حطي » وبلغني أنها قد استوفت [٤] منه الظلمة الساكتة . وقد ذكرت في « ترتيب الرحلة » من سيرة القضاة ، والفقهاء ، وانتسابهم للأقضية والأحكام ما فيه كفاية . لقد كنت يوماً جالساً بمدرسة الشافعي « بباب الأسباط » في « المسجد الأقصى » ، وقد انعقد على الطوائف ، من الشافعية والحنفية ، وهم في مجلس النظر ، فإذا سائل قد وقف علينا ، وخاطب صاحب المدرسة القاضي الرشيد يحي بن مفرج المقدسي [٥] ، وكان أسن أصحاب نصر ، فقال له : حلفت بالطلاق ثلاثاً من امرأتي ألا آكل جوزاً ، ثم أكلتها ناسياً ، فنظر إليهم وقال : ما تقولون ؟ فقالت الحنفية عن بكرة أبيها يحنث ، واختلف قول الشافعية فيها فتبسم القاضي الرشيد ، وقال له : اذهب لا شيء عليك . وكنت أشاهد الإمام أبا بكر فخر الإسلام الشاشي [٦] في مجلسه بباب العامة من دار الخلافة يأتيه السائل فيقول له : حلفت ألا

---

(١) الشيرازية ... لم نعثر لها على ترجمة .

(٢) هو السلطان ملكشاه أبو الفتح جلال الدولة ابن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقي توفي سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ فيما ذكره الذهبي أو ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ كما في هذا النص وكان يلقب بالسلطان العادل .

(٣) الخليفة العباسي أبو القاسم عبد الله بن محمد توفي سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ .

(٤) ب : استولت . وفي هامشها : في نسخة : استوفت .

(٥) يحيى بن المفرج أبو الحسن اللخمي المقدسي من أهل القرن الخامس لم يذكر السبكي تاريخ وفاته وهو شافعي (السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ص ٣٢٤) .

(٦) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي توفي سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٥ (طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٥٧) .

ألبس هذا الثوب ، فيأخذ من هدبته مقدار الأصبع ثم يقول له : البسه لاحنث عليك ، وشاهدته إذا[1] جاءه رجل وقال[2] : حلفت ألا أفعل كذا ، واضطررت إليه فيقول له : قل / إذا وقع على امرأتي طلاقي فهي طالق قبله ثلاثاً . ثم يكتب له أنه قال كذا ، فليفعل ما شاء ، وليطلق متى شاء فإنه لا يقع عليها طلاقه . فانظر إلى لينهم للخلق ، وتسهيلهم عليهم ، وفي ذلك قدوة بعمر بن الخطاب . قال مالك في الموطأ : ان رجلاً قال لامرأته حبلك على غاربك فكتب إلى[3] عمر أن يوافيه بالموسم ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ لقيه الرجل فسلم عليه ، وقال له : أنت الذي أمرتني أن أقدم عليك ؟ فقال له[4] عمر : برب هذا البيت ما أردت بقولك : حبلك على غاربك ؟ قال أردت الفراق . فقال عمر : هو ما أردت فانظر كيف رفق به على غلظته ، وحلفه حين اتهمه ، ولم يبق لمن وضع قيد راحلته على غاربها فيه بقية من ربط ، ولا جزء من قيد ، ولكن قلده دركة ، وكفى به قدوة . وأما في المسألة[5] القاضي في رفع الحنث عن الناسي فإنه دين ، وما أخذ الله الناسي بحكم في الدنيا ، ولا بذنب في الآخرة ، وكل من حنث ناسياً ، فالحق أنه لا شيء عليه بحال .

وأما المسألة الثانية في الحنث ببعض الفعل ، وعدم البر ببعضه ، فمالك فيها على الحق حسبما بيناه في موضعه . وأما المسألة السريجية فهي تلاعب بالدين لا ينبغي أن يلتفت إليها ، والحيل في تغيير الأحكام غير نافعة في دين الإسلام . ولكن ينبغي للفقيه المجتهد ، لا للحافظ للمسائل المقلد ، إذا جاء من وقع في أنشوطة من يمين أن يخلصه بمسألة ظاهرة ، بين الصحابة والتابعين إذا رأى أنه إن

---

(١) ج : إذ .

(٢) ب : جاء إليه رجل قال .

(٣) كذا في : ب ، ج ، ز :

(٤) ب : – له .

(٥) كذا في : ب ، ج ، ز . ولعله : مسألة .

لم يخلصه بها ، وقع في أشد منها ، وهو أن يستهين بالمسألة ، ويفتح فيها ما لا يجوز ، فالأفضل للمفتي أن يفتح له باباً ويمشي به على طريق [1] فإنه إن سد عليه باب الشرع ، فتح هو إلى الحنث باباً يقتحمه ، وأخذ في طريق من المعصية يسلكه ، ورأى أنه قد وقع في ورطة لا يبالي [2] ما صنع بعد ذلك . وهذه سيرة العلماء المتقدمين وطريقة الأحبار الراسخين . قد كان مالك رضوان الله عليه يفتي بأن من قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، أنها تطلق عليه [3] ، إذا تزوجها فلما سأله المخزومي عنها ، له أو لغيره ؟ قال له : لا شيء عليه . وكذلك كان ابن القاسم يفتي فيمن حلف بالمشي الى مكة فحنث ، أنه يلزمه المشي إليها . فلما وقعت المسألة لولده [4] أفتاه بمذهب عائشة رضي الله عنها ، أنه يجزيه كفارة يمين ، مخافة [5] أن يكلفه المشي ، فلا يفعله ، فيستهين بمسألة في الدين ، فيكون ذلك طريقاً إلى غيرها ، فيستهين أيضاً بها ، فأراد أن يخرجه عنها . ويحتمل أن يكون رأي ذلك ابن القاسم ، فقال له ما رأي ، والله أعلم .

وكذلك مسألة « الحلال عليه حرام » على اختلاف ألفاظها ، وهي عشرة ، وتعدد أحكامها وهي خمسة عشر قولاً ، وقد بيناها في « أحكام القرآن » وغيره ، و [6] في المدونة في بعض الأقوال أنه لا شيء فيها . ومالك لم ير بهذا القول حرمة إلا إذا قصد به الزوجة . فأما لو قال : الحلال عليه حرام ، فجعلها علماؤنا كناية [7] عن الزوجة ، ينوي فيها في موضع ، ولا ينوي في آخر . وقال في الحلال عليه

(١) ب : طرائق .
(٢) ج : + بعد .
(٣) ج : تكرر : تطلق عليه .
(٤) ب : لوالده .
(٥) ج : محافة .
(٦) ج : − و .
(٧) ج ، ز : علماً وما كنى به .

حرام ، له أن يحاشيها بقلبه ، ويقول لم أنوها . وليس معه ما يحرم سواها ، فإذا حاشاها بقي اللفظ لغواً [1] فلم يعده مالك بذياً [2] ورأى القول ساقطاً . فإذا ضعفت المسألة عند العالم ، كان ما تركب عليها أضعف مثل أن يحلف بالحلال عليه حرام ، ألا يأكل كذا ، فأكله ناسياً ، فدخلت مسألة النسيان على مسألة الحرام فضعفتا [3] ، وليس في القوة كمن يحلف بالطلاق ناسياً ، فيحنث ، كما يقال في الحرام أنه ينوي ما قصد مما لم يقصد ، كذلك يقال له [4] : إن يكن [5] في النسيان لم يقصده ، فلا يدخل في اليمين . وهذا جزء [6] من الفتوى عظيم في تركيب المتفق عليه على المختلف فيه ، وهو أمر خفي على علمائنا فافهموه . وكذلك مسألة الأيمان اللازمة ، أعظم [7] القول فيها المتأخرون وانتهى الحال ببعضهم ، إلى أن يلزموه الطلاق الثلاث ، ويعطوه من كل أصل من الأيمان أقله ، إلا الطلاق ، فإنهم يلزمونه أكثره . ومالك قد أعطاه الأقل في قوله [8] : على أشد ما أخذه أحد على أحد . قال : يطلق نساءه [9] ، ومذهب مالك الصريح أنه إذا ألزم الرجل نفسه جميع الطلاق كان لغوا ، فأحرى إذا ألزم نفسه جميع الأيمان أن يكون لغواً . وهذا دستور في الفتوى ينبغي أن ينظّر به سواه .

فأما إن وقعت نازلة عظمى بالمسلمين ، فلا ينبغي أن يقتصر فيها على عالم

---

(١) ب : لغو .
(٢) ج : ارماء . ز : ندبا .
(٣) ب : فضعفت .
(٤) ب : – له ، في الهامش : في نسخة : له ان في النسيان .
(٥) ب : – ان يكن .
(٦) ب : جرء .
(٧) ز : في الهامش : في نسخة : عظم .
(٨) ب ، ز : + له .
(٩) ج ، ز : نساؤه .

واحد ، كما كانت الصحابة تفعله ، وليسأل عنها كل من يظن أن عنده علماً ، فإنها إن وضعت[1] في يدي غير أهلها ، كان ذلك عائداً بفساد الحال . وربما تعدى إلى أكثر منه ، وكفى بك داء أن تعرض علتك على غير طبيب ، لا سيما إن كان هنالك جسارة ، وعلى إيثار الدنيا على الدين هوادة[2] ، فتلك علة لا برء منها ، وعثرة لا لمّاً[3] لها ، كحادثة بقي بن مخلد ، فإنه جاء بعلم عظيم ، واستأثر بمذهب لإمامته ، ولم ير أن يقلد أحداً ، فرمته القرطبية عن قوس واحد[4] ، فاستقل[5] ابن أبي هاشم الوزير[6] ، بل قد اعانه[7] العزيز القدير[8] ، وحماه ، ومات على ظهور وجاه[9] . ولقد سمعت يونس بن محمد[10] ، وكان من جلة القرطبية يقول : إن بقي بن مخلد ، حضر في جنازة ، احتفل فيها أهل الدولة والوزير ابن أبي هاشم حاضر ، وأقاموا ينتظرون الجنازة ، فجذبوا ذيل الحديث ، إلى أن نظر الوزير ، إلى تلك الشارة الزهراء ، والأبهة العظمى والحفل[11] الأكبر ، فقال لبقي بن مخلد : يا فقيه أين هذه الهيبة والجلالة من التي رأيت بتلك البلاد ؟ فقال له بقي جهراً : أنتم تزيدون عليهم بثلاثة أشياء ، فاستشرف الوزير إلى سماع كلامه ، مستبشراً بما صرح به من الزيادة لهذه الحال على تلك ، فقال له : وما هذه الأشياء

---

(١) ج : وصعت .
(٢) ج : هواداة .
(٣) لعا .
(٤) كذا في ب ، ج ، ز . والقوس مؤنثة .
(٥) ج : فاشتغل .
(٦) لم نهتد إلى تاريخ وفاته .
(٧) ب : أغاثه .
(٨) ج : – القدير .
(٩) ج ، ز : طهور وحياه .
(١٠) يونس بن محمد أبو الوليد توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ .
(١١) ج : الحبل .

الثلاثة التي ذكرت : زدنا عليهم[1] ؟ قال : الجهل ، والفقر ، وقلة العقل . فخجل الوزير ، وأبهت الكل ، واحتملها ما[2] كان بينه وبينه ، ولأن الأصل فهو الحق ، أن الله وقاه . وكذلك وجدت الحال أنا هناك ، وها هنا بعد مائتين وثمانين عاماً على تلك النسبة ، وكذلك يكون إلى يوم القيامة . والله أعلم[3] .

---

(١) كذا في جميع النسخ . واقترح الشيخ ابن باديس أن يكون الكلام : ذكرت انا زدنا عليهم (جـ٢ ص ٢١٨) .

(٢) ب : بياض بالأصل . وكتب ابن باديس اقتراحاً : لما .

(٣) ب : كتب في آخرها . تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه أجمعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكتب في آخر (جـ) : تمت العواصم من القواصم بحمد الله وحسن عونه ، وتوفيقه الجميل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وكان الفراغ من نسخه يوم الأحد ١٤ من محرم سنة ١٢٨٩ .

وكتب في آخر (ز) : تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة الحرام ، وفي شهور عام ١٢٥٨ ثمان وخمسين ومائتين وألف بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . بيد الفقير إلى المحسن عبده الحاج حموده بن حموده بوسن التونسي مولداً الطرابلسي القرباني أصلاً ونسباً المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً كان الله له ، وختم بالخير عمله آمين . نسخها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده غفر الله زلله وجبر بمنه خلله ورحم الله آباءه وأشياخه ومعلميه وجميع المسلمين آمين .

وان تجد عيباً فسد الخللا ... جل من لا عيب فيه وعلا

ملحق
من كتاب ابن العربي « سراج المريدين »
المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٤٨ ب
(المؤلفات التي أتى بها ابن العربي من المشرق)

ومن الفوائد المذكورة كتاب ابن ماكولا[١] في المؤتلف والمختلف ، كتاب جذوة المقتبس تاريخ الأندلس ، اختصار تفسير القرآن للطبري ، تفسير القرآن للقشيري المسمى باللطائف والإشارة[٢] ، أسماء الله لابن فورك ، أسماء الله للقشيري ، الأحاديث التي خولف فيها مالك للدارقطني ، اللينين[٣] للفريابي ، من الأفراد للدارقطني ، صحيح الحديث للإسماعيلي ، نسخة أبي زكريا ، يحي بن معين من حديث يحي بن يحي التميمي ، حديث هلال الحفار ، مشيخة على ابن شاذان ، تسمية شيوخ مالك ، وسفيان وشعبة لمسلم ، وفاة الشيوخ للمنادلي ،

---

(١) قاضي القضاة أبوعبد الله الحسين بن علي (+ ٤٤٧ هـ/١٠٥٥) (العبر ، ج ٣ ص ٢١٣).

(٢) طبع أخيراً تحت عنوان : لطائف الاشارات تحقيق الدكتور ابراهيم بسيوني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ طبع منه أربع مجلدات .

(٣) كذا في الأصل ، ولعله : كتاب اللينين .

ونسخة همام بن منبه ، كتاب الشجر للجوزجاني في أسماء المحدثين ، المدخل إلى معرفة كتاب البخاري للإسماعيلي ، تسمية كل من روى عن مالك بن أنس ألف رجل تأليف الخطيب ، الفصل للوصل المدرج في النقل له ، طبقات الفقهاء للشيرازي ، في أوهام البرادعي لعبد الحق ، الخصال للعبدي ، الشامل لابن الصباغ ، الأساليب لأبي المعالي ، والغنية له ، تعليقة الخنجر في تعليقة أبي المطهر المعداني خطيب أصفهان ، المشجر في نكت النظر للحاكم الاسترابادي السعيداني في عشرين ورقة بأدلة مسائل الفقه أجمع لم يؤلف بشر مثله يقول فيه : دليل يثبت مائة مسألة ، وهي كذا وكذا ، دليل يثبت تسعين مسألة ، وهي كذا وكذا ، دليل يثبت سبعين ، دليل يثبت عشرة ، وتسميتها هكذا ، حتى تمت المسائل كلها ، بلغة النظر للخجندي ، أسرار الله في المسائل للدبوسي في عشرة أسفار ، وقد كنت وردت من تلك الديار الكريمة ، سنة خمس وتسعين فنزلت بتلمسان ، وبفاس ، وكنت أذكر منها مسائل ، وأعجبهم من أغراضها ، فما تحركت لذلك همة ، ولا نشأت عزيمة ، إلا لرجل واحد، علم أني إذا سئلت قراءتها أو اعارتها ، أقول : هي من أواخر الكلم ، فإذا أخذتم أوائلها ، مكنتم منها وتاقت نفسه إليها ، فرحل إلى العراق ، وكتبها من مدرسة الحنفية ، بمدينة السلام ، وجابها ، وكان ذلك من جميل صنع الله معي ، فإنه لما ذهب ببعضها ، عبد في الدار ، أسفت لها ، ولما مضى من أمثالها ، مما لا أجبره ، إلا بالرحلة ، مرة أخرى ، فأعلمت بأن هذا الرجل ، جلبها فاستدعيتها ، وجبرت ما فاتني منها ، ولكن النسخة التي جلبها هذا الرجل سقيمة ، لم يعرضها بالأم ، ولا قرأها على شيخ ، ففيها سقم كثير ، فما سلم منها عندي صح منه ، وبقي ما لم يكن عندي على سقمه ، والله يصحح لنا أدياننا وعلومنا برحمته .

الأكسير الأحمر لقاضي العسكر في مسائل الخلاف ، وأصول الفقه له ، تعليقة ابن عمروس ، في نصرة مذهب مالك ستون جزءاً ، تعاليق مسائل الفرائض باختلاف معانيها ألفاً ودليلاً تأليف أبي عبد الله الفرضي الشقاق الزاهد ، (ورقة ٢٢٨) اختصار التقريب ، والإرشاد للرازي الحنفي الاسكندراني ، مدارك العقول

لأبي المعالي ، البرهان له ، المنخول ، والمنتخل ، والتعليقة للطوسي [1] ، شفاء الغليل له ، عذر [2] الدرر تحقيق سؤال الكسر للشاشي ، نفي السريجية لابن الصباغ ، تحقيقها لشيخنا أبي بكر الشاشي ، العقيدة النظامية لأبي المعالي ، الجامعان الجلي والخفي للاسفراييني عشرة أسفار ، الأوسط لأبي المظفر صاحبه ، غياث الأمم في التياث الظلم لأبي المعالي ، المحك ، المعيار ، تهافت الفلاسفة ، الأرباع في شرح الزهد ، إعجاز القرآن للخطابي ، إعجاز القرآن لابن الطيب القاضي ، نقض التسديد لعبد الجليل ، الاقتصاد في الاعتقاد ، نقض نقض التمهيد للطبري لمهدي الوراق . استدراك أبي عمر الزاهد على ابن قتيبة في غريب الحديث ، فضل الوضوء لابن شاهين ، الفقيه والمتفقه للخطيب ، المجلة لأبي عبيدة المثنى ، ومن العربية والأشعار جملة كبيرة ، مما تعود إلى تفسير القرآن ، والحديث ، وجردت منها جملة عظيمة ، في أنوار الفجر في مجالس الذكر ، معجزات محمد ألف معجزة [3] ، قانون التأويل ، شرح المشكلين ، الناسخ والمنسوخ ، والأحكام ، سراج المريدين في القسم الرابع علم التذكير ، المحصول ، التمحيص ، العواصم من القواصم ، شرح الترمذي ، المتوسط في الاعتقاد ، عوالي الحديث ، جملة وافرة ، مما نفرت إليه ، ورجعت به ، مما لم أسبق إليه ، وتفقهت فيه ، وبه ، أنذرتكم به اقتداءاً بمن تلزمني طاعته ، خير البشر ، وأكرم البدو ، والحضر ، رغبة في أن أكتب فيما أخبر الله عنهم ، وبشر بهم ، والله ينفعني وإياكم برحمته .

---

(١) أي الغزالي .

(٢) كذا في الأصل . ويمكن أن تقرأ : عزر .

(٣) فاتني أن أذكر من بين مؤلفات ابن العربي كتاب معجزات محمد ألف معجزة ، المذكور في هذا النص ، وكتاب النكاح ذكره في كتاب العواصم من القواصم ص ٣٧٠ ولعل الكتاب الأخير هو الذي ذكره بروكلمن تحت عنوان « فرائض النكاح » ، وسننه ، وآدابه ذكر أنه مخطوط بالقاهرة ، إلا أني لم أستطع العثور عليه (Brock I 525—412) وذكر بروكلمن أيضاً في الملحق (S.I.632) أن لأبي بكر بن العربي كتاب القواعد ، مخطوط بالاسكوريال .



فهرست مراجع الدراسة والتحقيق

— أحكام القرآن ، لأبي بكر بن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ .

— الإرشاد للجويني امام الحرمين ، تحقيق محمد يوسف موسى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ . وط . باريس بتحقيق وترجمة ليسياني وابن زكري ، ١٩٣٨ .

— أزهار الرياض ، للمقري ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

— تاريخ حكماء الإسلام ،للبيهقي، مخطوط بدار الكتب المصرية .

— تاريخ الفلسفة في الإسلام ، لدى بور ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ .

— تاريخ الفلسفة الإسلامية ، لهنري كوربان ، الترجمة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

— تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر ، دمشق ، ١٣٤٧ هـ .

- التبصير في الدين ، للاسفراييني ، القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠ .
- تثبيت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، بيروت (١٩٦٦) .
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٤ هـ.
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- التراتيب الإدارية في المدينة المنورة العلية ، لعبد الحي الكتاني ، الرباط ، ١٩٦٤ .
- ترتيب الرحلة للترغيب في الملة ، لأبي بكر بن العربي (قطعة منها) في مجموع «كتاب الأنساب» مخطوط الرباط ، رقم (ك ١٢٧٥) .
- تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة (دون تاريخ) .
- تفسير شيخ الإسلام ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، بمباي ، الهند ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ .
- التمهيد ، لأبي بكر الباقلاني ، تحقيق الأب رتشارد مكارثي ، بيروت ١٩٥٧ .
- التنبيه والإشراف ، للمسعودي ، نشر عبد الله إسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ .
- تهافت الفلاسفة ، للغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٦٦) وط . بيروت تحقيق بويج ، ١٩٢٧ .
- تهافت التهافت ، لابن رشد ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، القسم الأول ١٩٦٤ ، والقسم الثاني ١٩٦٥ .

— جامع مسائل الأحكام ، للبرزلي ، مخطوط المكتبة الوطنية ، الجزائر ، رقم ١٣٣٣ .

— جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ .

— الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، للبهي ، ط . ٤ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

— الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، محمد عبد القادر القرشي ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، (١٣٣٢) .

— أبو حامد الغزالي ، ومعارضوه من أهل السنة ، للدكتور النشار ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد الأول ، حزيران ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ .

— حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة ، للسيوطي ، القاهرة (دون تاريخ) .

— دراسات في الفلسفة الإسلامية ، للدكتور محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ .

— دراسة لجمهورية أفلاطون ، للدكتور فؤاد زكريا ، دار الكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

— دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، للدكتور أحمد مختار العبادي ، ط . الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ .

— الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لابن فرحون ، القاهرة ، ١٣٥١ .

— الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، بمباي ، ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ .

— الرسالة اللدنية للغزالي ، القاهرة ، (دون تاريخ) .

— رسائل إخوان الصفاء ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

— رسائل فلسفية ، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، نشر باول كراوس ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

— سراج المريدين ، لأبي بكر بن العربي ، مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم (٢٠٣٤٨ ب) .
— سانتلانا ، محاضرات الجامعة المصرية ، مخطوط في مكتبة أستاذنا الدكتور النشار .
— سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مصور في دار الكتب المصرية ، رقم ١٢٩٥ ح .
— الشامل ، لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق الدكتور النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٩ .
— الشجرة الزكية ، في طبقات المالكية ، لمحمد مخلوف ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ .
— شذرات الذهب ، لابن العماد ، القاهرة ، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١ هـ .
— شرح الشفاء ، لعلي القارئ ، ط . استانبول ، ١٢٢٩ هـ .
— شرح صحيح الترمذي ، لأبي بكر بن العربي ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ .
— الشفاء (قسم الإلهيات) تحقيق محمد يوسف موسى ، وسليمان دنيا ، وسعيد زايد ، ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ .
— طبقات الشافعية ، للسبكي ، ط . الأولى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
— العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، الكويت ، ١٩٦٠ – ١٩٦٦ .
— العقيدة والشريعة في الإسلام ، لجولدزيهر ، ترجمة محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٦ .
— العقيدة النظامية لإمام الحرمين ، تحقيق زاهد الكوثري ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ .
— الاعتصام ، للشاطبي ، القاهرة ، ١٣٣٢ هـ/ ١٩٤٨ .
— العواصم من القواصم ، ط . الشيخ عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة ، الجزائر ،

جـ ١ : ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦ ، جـ ٢ : ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧ .

— فلاسفة الإسلام في المغرب العربي ، منشورات جمعية نبراس الفكر ، تطوان - المغرب ، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦١ .

— الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيق ، للدكتور إبراهيم مدكور ، ط . الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، (١٩٦٨) .

— الفلسفة عند اليونان ، أميره حلمي مطر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

— فهرست ما رواه عن شيوخه ، أبو بكر بن خير الاشبيلي ، ط . سرقسطة ، ١٨٩٣ .

— في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق واليونان ، للدكتور محمود قاسم ، ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

— القسطاس المستقيم ، للغزالي ، القاهرة ، (دون تاريخ) .

— قانون التأويل ، لأبي بكر بن العربي ، مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ١٨٤ تفسير .

— كتاب الأربعين في أصول الدين ، للغزالي ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ.

— كشف الظنون ، عن أسماء الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، القاهرة ، ١٣١٠هـ.

— المأدبة لأفلاطون ، دراسة وترجمة الدكتور النشار ، والأب جورج شحاته ، وعباس الشربيني ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ .

— مؤلفات الغزالي ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ .

— المباحث المشرقية ، للرازي ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ .

— مجلة الأزهر ، عدد ذي الحجة ١٣٨٩ هـ/فبراير ١٩٧٠ .

— مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، شوال ١٣٧٧ هـ / مايو ١٩٥٨ ، والمجلد الخامس ، الجزء الأول ، ذو القعدة سنة ١٣٧٨ هـ / مايو ١٩٥٨ ، والجزء الثاني ، جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ / نوفمبر ١٩٥٩ .

— محاضرات في الفلسفة الإسلامية ، ط . الأولى ، الدكتور يحيي هويدي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

— مدخل الشرع ، لابن الحاج ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ . و ط . البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٢٩ .

— المدينة الفاضلة ، للفارابي ، القاهرة (دون تاريخ) .

— المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، للمالقي ، نشر ليفي بروفنسال ، القاهرة ، (١٩٤٨) .

— المسالك شرح موطأ مالك ، لأبي بكر بن العربي ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، رقم ٤٢٥ .

— مشكاة الأنوار للغزالي ، القاهرة ، (دون تاريخ) .

— معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، للغزالي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، (دون تاريخ) .

— الملل والنحل ، لابن حزم ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ١٣٢٠ .

— مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لابن رشد ، مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، للدكتور محمود قاسم ، ط. الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤ .

— المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩ هـ .

— المنقذ من الضلال للغزالي ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ .

— من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، دراسات ألف بعضها ، وترجم الآخر ،

عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
— منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ ١٩٦٢ .
— موافقة صريح المنقول لصريح المعقول ، ط . القاهرة (دون تاريخ) .
— ميزان العمل ، للغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ليوسف بن تغري بردى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩ - ١٣٥٩ هـ/ ١٩٣٠ - ١٩٥٦ .
— نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور النشار ، ط ٤ ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
— نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، القاهرة ، ١٣٠٢ هـ .
— نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، ط . الفرد جيوم . (دون تاريخ)[1] .

— Encyclopédie de l'Islam.
— Goldziher, Education (Muslum) de Encyclopédia of religion and Ethics, ed. by J. Hastings, V.3, Edinbergh, 1913.
— Imam el-Haramein, édité et traduit par J.-D. Luciani, Librairie Ernest Leroux, Paris, 1938.
— Maurice Bouyges, Essai de chrologie des Oeuvres de Al-Ghazali, édité et mis à jour par Michel Allard, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1959, p. 159.
— Pearson, J.D. Index Islamicus, Cambridge, England, 1962.

(١) لم نشر إلى بعض المراجع هنا ، اكتفاء بذكرها في الهوامش .